



الجمهورية العربية السورية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة دمشق - كلية الشريعة
قسم: علوم القرآن والحديث

العبرة التاريخية في القرآن الكريم في ضوء تفسير المنار

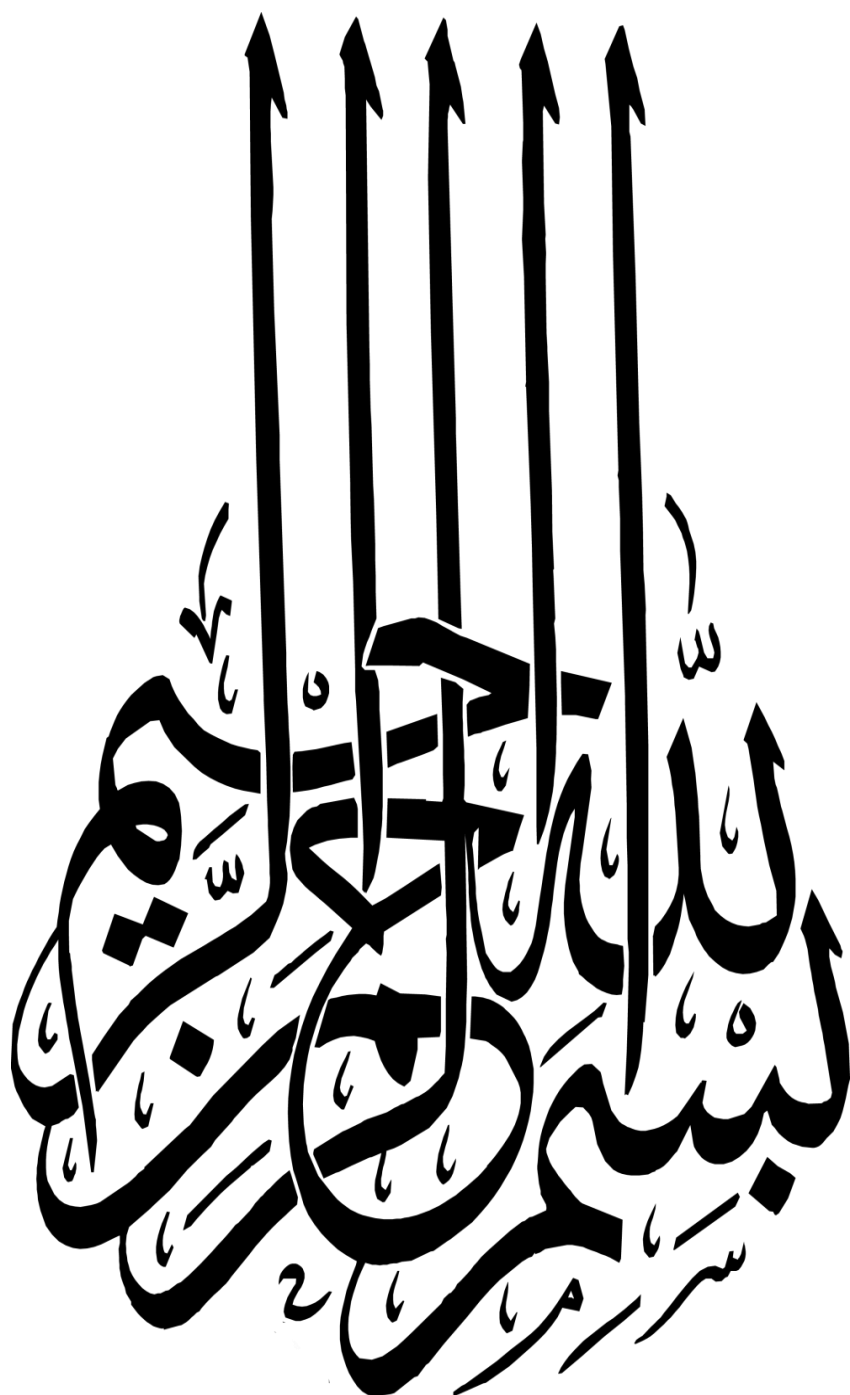
-دراسة موضوعية-

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير

إعداد الطالبة:
غفران محمد زياد السلاخ

إشراف:
الدكتور: عبد العزيز حاجي

1444هـ - 2023م



شكر وتقدير

أشكر الله عَجَلًا أَوَّلًا، ثمَّ أوجّه خالص شكري وتقديري إلى:

- رئاسة جامعة دمشق.
- عمادة كليّة الشريعة المتمثلة بالدكتور محمد حسان عوض...
- السادة الأساتذة أعضاء قسم علوم القرآن والحديث، وأخصّ رئيسة القسم السيّدة الدكتورة مؤمنة الباشا...
- السيّد الدكتور عبد العزيز حاجي الذي تفضّل بالإشراف على رسالتي وأفادني بإرشاداته وتوجيهاته...
- وأشكر كلّ من أفادني في إنجاز هذا البحث، وأمّدني بالمعلومات والمصادر والمراجع، وكلّ من أسدى إليّ معروفًا وعونًا وإرشادًا، ولو بكلمة طيبة تشدّ الأزر وتعلي المهمة...

5

10

الإهداء

❖ إلى روح أظللنا وعشنا في كنفها زهرة شبابنا، ثم غادرتنا منظرية جنى قطافنا ...

جدني رحمه الله تعالى.

❖ إلى جناح الرحمة، وملجأ الكل، ومأمن القلب... جدتي أدامها الله تعالى.

❖ إلى وصية ربّي، وأحقّ الناس خسن صحابتي، تاج الرأس وعزّة... معلّمي وشيخي

5

والدي الغالي، وجنتي في دنيائي وآخرتي والدتي الحبيبة.

أهدي عملي هذا إليكم، وما هو إلا هديتكم إليّ، جعل الله صالحه في صحائفكم،

وعفا عما سواه.

❖ ثم أهديهم إلى قرّة العين ومراحة الروح... إخوتي وأخواتي، غائبهم وحاضرهم، وأخصّ

شريكة أيامي ومن آة قلبي، زهراء بيثا فاطمة.

10

❖ وإلى حاملات المسك، وفريقات منابر النور يوم البعث والنشور... زميلاتي في كلّنا المباركة

❖ وأخيراً... إلى الأرض الطيبة، والسماء السامية، صفوة الله من بلاد الله، شامة الدنيا

وزينة الأوطان... شامنا المباركة

العبرة التاريخية في القرآن الكريم في ضوء تفسير المنار

-دراسة موضوعية-

الطالبة: غفران محمد زياد السلاخ . المشرف: الأستاذ الدكتور عبد العزيز حاجي

مستخلص الرسالة

يهدف البحث إلى تحديد المفهوم العام للعبرة التاريخية مستعيناً بتفسير المنار، وردّ الشبهات المتعلقة بأخبار القرآن الكريم التاريخية، والمتعلقة بالشيخين محمد عبده ومحمد رشيد رضا، وربط القرآن الكريم بالواقع المعاصر من خلال قياس الحاضر على الماضي، وبيان الموارد التي استقى منها تفسير المنار عبر التاريخ، والمجالات التي تعرّض لعلاجها عن طريق قصص القرآن وأخباره، ولتحقيق هذا الهدف قسّمت البحث إلى فصل تمهيدي وثلاثة فصول؛ الفصل التمهيديّ للتعريف بتفسير المنار وصاحبيه (الشيخ محمد عبده والسيد محمد رشيد رضا)، والفصل الأول: مفهوم العبرة التاريخية في القرآن الكريم وفي تفسير المنار، والثاني: موارد العبرة التاريخية في تفسير المنار، والثالث: مجالات العبرة التاريخية في القرآن الكريم من خلال تفسير المنار، ومن أهمّ النتائج التي توصّل إليها البحث اعتماد العبرة التاريخية في القرآن الكريم على القياس، وظهور تطبيقه جلياً في تفسير المنار بقياس حاضر الأمة على قصص القرآن الكريم وأخباره، وقيام العبرة في القرآن على صدق الأخبار فلا معنى للاعتبار بأساطير خيالية في مقدّماتها ونتائجها، أو أخبار مكذوبة تلاعب الرواة فيها، واستفادة تفسير المنار من فكر ابن خلدون في استخلاص العبر من خلال قواعد العمران وعلم الاجتماع والسنن الإلهية.

5

10

15

الكلمات المفتاحية: رشيد رضا، محمد عبده، تفسير المنار، العبرة التاريخية، القصص القرآني، أخبار

القرآن.

المقدمة



المقدمة

5 الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه وسلّم أجمعين، وبعد:

قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٧]، ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة يوسف: ١١١]، لقد أولى القرآن الكريم أخبار الأمم السابقة عناية بالغة، وشغلت قصصهم عدداً وافراً من آياته؛ ولكنه لم يكن كأعمال القصاص الذين يكتفون بسرد الأحاديث والحكايا للتسلية والمتعة، ولا كأعمال الأدباء الذين يرومون تنميق الكلام، لإبراز بلاغتهم وفصاحتهم؛ بل كان هدفه سامياً يرمي إلى إصلاح البشرية، ووضع اللاحقين أمام صورة واقعية لما حلّ بالسابقين، فيكون ذلك درساً عملياً لاتقاء أسباب الهلاك، واتّباع أسباب النجاة في الدارين، وأكثر من تنبّه إلى هذا الأمر من المفسّرين المعاصرين الشيخ محمد عبده والسيد محمد رشيد رضا، صاحب المنار، ومؤسس المنهج الهدائي الإصلاحي في التفسير في العصر الحديث، فقد وجدنا في هذا الجانب القرآني مادة غزيرة لمشروعهما الإصلاحي الذي تناولوا تفسير القرآن الكريم على أساسه، فكانت ميزة تفسير المنار في إسقاط هذه القصص على الواقع، وربطها به، ذلك الواقع المملوء بالآزمات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي ظهرت على أعقاب الحرب العالمية الأولى واتفاقيات سايكس-بيكو واحتلال فلسطين وغيرها، وذلك رجاء التماس الحلول لها من القرآن الكريم.

20 أ- أسئلة البحث وأهدافه:

تتلخّص أسئلة البحث في الأمور الآتية:

- ما مفهوم العبرة التاريخية في القرآن الكريم، وفي تفسير المنار؟
- ما الموارد والمطائ التي يمكن التماس العبر التاريخية منها؟ وما أهميّة كلّ من هذه الموارد؟

- كيف وظّف الشيخان محمد عبده ومحمد رشيد رضا العبر التاريخية في معالجة الواقع وأحداثه؟
- كيف ينظر الشيخان عبده ورضا إلى حقيقة الخبر التاريخي القرآني؟
- ما حدود تأثير التاريخ في تفسير القرآن الكريم؟
- ما المجالات الحياتية التي عالجتها عبر القرآن التاريخية؟

5

وأما أهداف البحث التي يسعى إلى تحقيقها فهي:

- التوصل إلى المفهوم العام للعبارة التاريخية في القرآن الكريم بالاستعانة بتفسير المنار.
- ردّ الشبهات عن القرآن الكريم المتعلقة بأخباره التاريخية، وكذلك عن الشيخين عبده ورضا.
- ربط القرآن الكريم بالواقع المعاصر من خلال المقارنة بين أحداث الماضي والحاضر.
- بيان المجالات التي تعرّضت قصص القرآن الكريم لمعالجتها.

10

ب- أهمية البحث، وأسباب اختياره:

تبرز أهمية البحث في عدة نقاط، وهي:

- يوقف القارئ على طائفة واسعة من آيات القرآن الكريم، وليس المقصود بهذه الطائفة قصص الأمم السابقة فقط؛ بل يتعدّها إلى إشارات القرآن الكريم الموجزة إلى أخبار السابقين، وإلى ما أثبتته من أحداث السيرة النبوية، وغيرها.

15

- يعالج جوانب حياتية متنوعة من خلال تجارب السابقين التي عرضتها آيات القرآن الكريم.
- يردّ الشبهات المتعلقة بأحداث القرآن الكريم التاريخية ويبطلها.
- يوضح للقارئ سبل استخدام الحدث التاريخي وعبرته وتوظيفهما في الإصلاح الاجتماعي.

وأما أسباب اختيار البحث فهي:

- حثّ القرآن الكريم المتكرّر على النظر في أخبار الأمم السابقة، وأسباب فنائها، وبذل الجهد في ذلك.
- اعتماد البحث على أحد التفاسير المعاصرة ذات الأثر الظاهر فيما جاء بعدها من تفاسير؛ وهو تفسير المنار، وتكمن أهميته في توسّعه في هذا الجانب أكثر من غيره من التفاسير، واهتمامه البالغ في تسخيريه في خدمة مشروعه الإصلاحي، وتطرّقه المستمر للواقع الذي يعيش فيه، وما واقعنا إلّا أثر من آثار عصر تأليف المنار، وامتداد له، فجاءت المادة العلمية المختصّة بموضوع البحث غزيرة فيه.

20

- حاجة الأمة اليوم إلى العودة إلى القرآن الكريم لإصلاح ما فسد من أمرها، والاستفادة من أحداث التاريخ في هذا الإصلاح، فالיום أشبه بالأمس من الماء بالماء، كما قيل.

25

ج- الدراسات المرجعية:

كثرت المؤلفات والدراسات الأكاديمية حول السيد رشيد وتفسيره، فمن الإطالة ذكرها كلّها، وسأقتصر على ما كان مشابهاً لهذه الدراسة ويتقاطع معها:

5 - الإصلاح الاجتماعي في تفسير المنار، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير بقسم أصول الدين، شعبة التفسير، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، بتاريخ 1988م، إعداد خضر اسماعيل محمد دالية، إشراف، د. أحمد إسماعيل نوفل، ركّز في هالباحق على القضايا المجتمعية التي عالجها السيد رشيد رضا في التفسير، كقضايا المرأة والتعليم والأخلاق.

10 - الإصلاح في تفسير المنار، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية، كلية الإمام الأوزاعي ببيروت، إعداد حسام الدين جزماتي، إشراف د. زكريا المصري، بتاريخ 1998م، تناولت فكرة السنن في تفسير المنار، بالإضافة إلى جوانب إصلاحية متعدّدة، كإصلاح العقيدة، والإصلاح السياسي وغيرها.

15 - مفهوم السنن الإلهية في الفكر الإسلامي السيد محمد رشيد رضا نموذجاً، رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية، كلية الإمام الأوزاعي ببيروت، بتاريخ 2002م، إعداد حازم زكريا محي الدين، إشراف د. زكريا المصري، وقد ركّزت هذه الدراسة على مفهوم السنن الإلهية في ضوء تفسير المنار، وفي فكر السيد رشيد رضا خصوصاً، وعلاقة هذه السنن بقضايا العقيدة الإسلامية، وتنظيمها لشؤون الأمم والأفراد، وقد استفدت منها في بيان ارتكاز العبرة التاريخية على السنن الإلهية وخواصّها، وفي توضيح كثير من أفكار السيد رشيد رضا.

أمّا الدراسات المتعلقة بعبر القرآن الكريم:

20 - الدعوة إلى الاعتبار دراسة قرآنية، رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في أصول الدين، كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح بنابلس، بتاريخ 2014م، إعداد آمنة عبد الكريم عبد الحميد فاخوري، إشراف د. محسن سميح الخالدي، وقد تناولت الاعتبار في القرآن الكريم بمفهومه العام، ووسائله والأسباب المانعة منه ومجالاته، ودرست قصص القرآن الكريم كمجال من مجالات الاعتبار، أمّا هذه الرسالة فقد اختصت بنوع واحد من الاعتبار، وهو العبرة بالتاريخ، واعتمدت في مادّتها العلمية على تفسير المنار، وهدفت إلى بيان طريقة صاحبيه فيها.

د- منهج البحث وإجراءاته:

اقتضت مشكلة البحث اتباع عدّة مناهج علميّة لمعالجة قضاياها، وهي: **المنهج الاستقرائي** في استخراج المادّة العلميّة من تفسير المنار، عن طريق قراءته كاملاً من طبعتي دار المنار ودار الفكر، و**المنهج التاريخي** في دراسة عصر الشيخين عبده ورضا وحياتهم، و**المنهج الوصفي التحليلي** في عرض أفكار تفسير المنار ومناقشتها، و**المنهج الموضوعي** في تأصيل العبرة التاريخية في القرآن الكريم من خلال تفسير المنار.

5

وأهم الإجراءات التي اعتمدها البحث:

- إثبات الآيات القرآنية بالرسم العثماني.
- الاكتفاء في تخرّيج الأحاديث بالصحيحين أو أحدهما إذا وجد الحديث فيه، ثمّ كتب السنن الأربعة، فإن خرج عنها يُذكر كلّ من أخرج من كتب الحديث.
- ترجمة الأعلام عند أوّل ورود لها في الحاشية، ولم أترجم للصحابة عليهم السلام والأئمة الأربعة، وأصحاب الكتب الستّة، والتعريف بالبلدان الغربية أو التي تغيّرت أسماءها، وبالمصطلحات.
- ذكر اسم الكتاب ومؤلفه كاملين في الحاشية عند وروده أوّل مرّة، والاكتفاء باسم الشهرة ل كليهما إن تكرر الرجوع إليه.
- إلحاق البحث بالفهارس العلميّة الضروريّة، وهي: (فهرس الآيات، والأحاديث والآثار، والمراجع والمصادر، والطرق الصوفيّة، وما عُرف به من الأعلام، والبلدان والمصطلحات والكتب والدوريات).

10

15

ه- مادّة البحث:

يقتصر البحث في تحليله لموضوع العبرة التاريخية في القرآن الكريم من حيث المفاهيم والمسائل والقضايا والأحداث المدروسة على المادّة العلميّة الموجودة في تفسير المنار، وتشمل آيات قصص الأنبياء والأمم السابقة، والدعوة إلى النظر في آثار الذين خلوا، بالإضافة إلى الآيات النازلة جواباً على سؤال، أو تعقيباً على حادثة، مع ما أضافه الشيخان عبده ورضا من أحداث تاريخيّة حدثت بعد زمن البعثة بهدف الاعتبار بها.

20

و- تقسيمات البحث:

قسّمت الرسالة إلى مقدّمة، وفصل تمهيدّي، وثلاثة فصول، وخاتمة فيها النتائج والتوصيات، على

النحو الآتي:

المقدمة: وفيها: أسئلة البحث وأهدافه، وأهمية البحث وأسباب اختياره، والدراسات المرجعية، ومنهج البحث وإجراءاته، ومادة البحث، وتقسيمات البحث.

الفصل التمهيدي: التعريف بتفسير المنار ومؤلفيه

المبحث الأول: التعريف بالشيخ محمد عبده

5

- المطلب الأول: اسمه ومولده.
- المطلب الثاني: نشأته العلمية.
- المطلب الثالث: شيوخه.
- المطلب الرابع: حياته العملية.
- المطلب الخامس: أسفاره.
- المطلب السادس: تلامذته.
- المطلب السابع: مؤلفاته.
- المطلب الثامن: وفاته.

10

المبحث الثاني: التعريف بالسيد محمد رشيد رضا

- المطلب الأول: اسمه ومولده.
- المطلب الثاني: نشأته العلمية.
- المطلب الثالث: شيوخه.
- المطلب الرابع: تلامذته.
- المطلب الخامس: حياته العملية.
- المطلب السادس: أسفاره.
- المطلب السابع: مؤلفاته.
- المطلب الثامن: وفاته.

15

20

المبحث الثالث: التعريف بتفسير المنار

- المطلب الأول: التعريف بالاتجاه الهدائي الاجتماعي.
- المطلب الثاني: قصة تأليف المنار وطريقته الإجمالية.
- المطلب الثالث: مصادر تفسير المنار.
- المطلب الرابع: منهج الشيخين عبده ورضا في تفسير المنار.

25

- المطلب الخامس: تقويم تفسير المنار.

الفصل الأول: مفهوم العبرة التاريخية في القرآن الكريم في ضوء تفسير المنار وعلاقتها بالسنن الإلهية

المبحث الأول: معنى العبرة والتاريخ، ومرادفات العبرة وأنواعها في القرآن الكريم

- المطلب الأول: معنى العبرة ومرادفات وأنها في القرآن الكريم
- المطلب الثاني: معنى التاريخ في اللغة والاصطلاح
- المطلب الثالث: تفسير التاريخ بين المسلمين والغربيين
- المطلب الرابع: مفهوم العبرة التاريخية في القرآن الكريم في ضوء تفسير المنار

5

المبحث الثاني: مكانة التاريخ وحدود تأثيره في المعنى في تفسير المنار

- المطلب الأول: مكانة التاريخ عند الشيخين عبده ورضا
- المطلب الثاني: منهج القرآن الكريم في عرض التاريخ في ضوء تفسير المنار
- المطلب الثالث: شبهات حول دراسة التاريخ

10

المبحث الثالث: ارتباط التاريخ بالسنن الإلهية في تفسير المنار، وتأثير الوعي السنني لدى ابن

خلدون فيه

- المطلب الأول: ارتباط التاريخ بالسنن الإلهية في تفسير المنار
- المطلب الثاني: أثر الوعي السنني لدى ابن خلدون في تفسير المنار

15

الفصل الثاني: موارد العبرة التاريخية في القرآن الكريم في ضوء تفسير المنار

المبحث الأول: الاعتبار بأخبار الأمم السابقة وقصصها

- المطلب الأول: تأصيل طريقة القرآن الكريم في عرض العبر التاريخية من القصص القرآني
- المطلب الثاني: العلاقة بين العبرة والحقيقة التاريخية
- المطلب الثالث: العلاقة بين العبرة والروايات الإسرائيلية

20

المبحث الثاني: الاعتبار بالأخبار المتعلقة بالدعوة الإسلامية

- المطلب الأول: الاعتبار بأخبار عصر النبوة
- المطلب الثاني: الاعتبار بأحوال أهل الكتاب والمنافقين
- المطلب الثالث: الاعتبار بالتاريخ الإسلامي بعد عصر النبوة

الفصل الثالث: مجالات العبرة التاريخية في القرآن الكريم في ضوء تفسير المنار

25

المبحث الأول: توظيف العبر التاريخية في المجال العقدي والدعوي

- المطلب الأول: توظيف العبرة في مجال تثبيت العقيدة والدعوة إلى الدين
 - المطلب الثاني: توظيف العبرة في مجال إقامة الكتاب والعودة إلى الشريعة
- المبحث الثاني: توظيف العبر التاريخية في المجال الاجتماعي الأخلاقي

- المطلب الأول: الحسد والكبر
- المطلب الثاني: نقض العهود
- المطلب الثالث: الصبر والشجاعة
- المطلب الرابع: الصدق
- المطلب الخامس: العقّة

5

المبحث الثالث: توظيف العبر التاريخية في مجال التعلّم والتعليم

- المطلب الأول: مكانة العلم
- المطلب الثاني: شروط المعلّم
- المطلب الثالث: شروط المتعلّم
- المطلب الرابع: أدب المناظرة

10

المبحث الرابع: توظيف العبر التاريخية في المجال الحضاري

- المطلب الأول: تكافل الأمم ووحدها
 - المطلب الثاني: أسباب عزّة الأمم وأسباب زوالها
 - المطلب الثالث: الاعتبار بعاقبة الأمم في الدنيا
- الخاتمة: وفيها النتائج والتوصيات.

15

الفصل التمهيديّ

التعريف بتفسير المنار ومؤلفيه

المبحث الأول: التعريف بالشيخ محمد عبده.

المبحث الثاني: التعريف بالسيد محمد رشيد رضا.

المبحث الثالث: التعريف بتفسير المنار.

الفصل التمهيدي: التعريف بتفسير المنار ومؤلفيه

تمهيد: يدور هذا البحث حول تفسير المنار وصاحبه الشيخ محمد عبده والسيد محمد رشيد رضا، لذلك لا بدّ من التعريف بالرجلين (نشأة كل منهما وحياته العلميّة والعملية ومؤلفاتهما...)، ثمّ التعريف بشيء من منهجهما في تأليف تفسير المنار قبل الخوض في تفاصيله.

المبحث الأوّل: التعريف بالشيخ محمد عبده⁽¹⁾

5

كان الشيخ محمد عبده من أبرز رجال عصره، وفيما يأتي وقفات على أبرز محطات حياته.

المطلب الأوّل: اسمه ومولده

محمد بن عبده خير الله، من محلة نصر من مديرية البحيرة،⁽²⁾ من أصول تركمانيّة، كان أبوه يعمل بالزراعة، وقد أخذ منه مكانته العالية وخصاله الكريمة،⁽³⁾ أخرجت عائلته من قريتهم إلى مديرية الغربية،⁽⁴⁾

(1) يمكن معرفة ملامح عصر الشيخ محمد عبده من خلال دراسة حياته، لأنّه كان شخصية فاعلة مؤثرة فيما يجري من أحداث حوله، كما سيتبيّن من خلال هذا المبحث، لذلك يكتفى بدراسة حياته العلميّة والسياسيّة عن أفراد عصره بالدراسة، إلّا ما تقتضيه الضرورة كالتعريف ببعض الأحداث البارزة، ومثله تلميذه السيد رشيد رضا، وقد تناولت هذا العصر العديد من الدراسات التي تحدّثت عن الشيخين وتفسير المنار، ك(عبريّ الإصلاح والتعليم الأستاذ الإمام محمد عبده، لعباس محمود العقاد، و(الشيخ محمد عبده) لأحمد الشايب، ومن أحدثها رسالتان مقدّمتان لنيل درجة الماجستير في قسم علوم القرآن والحديث في كلّية الشريعة-جامعة دمشق، الأولى بعنوان (منهج محمد رشيد رضا في مشكل الحديث-دراسة تحليليّة نقدية) إعداد: محمد زاهر حافظ، إشراف د. منى العسّة، (1442هـ/2021)، والثانية بعنوان (المنهج التربويّ عند محمد رشيد رضا في ضوء تفسير المنار-دراسة موضوعيّة) إعداد: فاطمة الزهراء محمد زياد السّلاخ، إشراف: د. عبد العزيز حاجي، (1443هـ/2022م).

(2) مديرية البحيرة: تقع على الساحل الغربيّ لفرع رشيد، من حدود مديرية الجيزة إلى ثغر رشيد، ومن حدّ مقطع الجماميز إلى جهة مريوط، والحدّ البحريّ من رشيد إلى مريوط، ومحلة نصر إحدى بلداتها. ينظر: جغرافية مصر، محمد أمين فكري/ ص81، إقليم البحيرة صفحات مجيدة من الحضارة والثقافة والكفاح، محمد محمود زيتون/ ص31 و202.

(3) ينظر: الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، د. محمد عمارة/ (313/2 و316).

(4) مديرية الغربية: جزء من روضة البحرين، والجزء الآخر مديرية المنوفية، تقعان بين فرعي النيل الشرقيّ والغربيّ والبحر الملح، من دميّاط إلى رشيد، ويفصل الغربية عن المنوفية سكة حديد ممتدة من بنها إلى كفر الزيات. ينظر: جغرافية مصر، فكري/ ص52.

فعملوا بالزراعة فيها أيضاً، وتزوج فيها، وفيها وُلد محمد عبده (1265هـ/1849م)،⁽¹⁾ وقد كانت والدته-أيضاً- من سيدات قريتها، معروفة بالكرم والإحسان، ثم عادت الأسرة إلى قريتها بعد سنوات.⁽²⁾

المطلب الثاني: نشأته العلمية

✻ بدأ محمد عبده مسيرته العلمية من بيت والده، إذ تعلّم فيه القراءة والكتابة، ثم التحق بأحد المساجد لتعلّم القرآن الكريم فأتّم حفظه في سنتين، وبعد ذلك أرسله والده إلى المسجد الأحدي (الأزهر الثاني أو الأزهر الصغير) في طنطا⁽³⁾ ليتقن تجويد القرآن الكريم سنة (1279هـ/1862م).

✻ وبعد سنتين شرع بتلقّي العلوم في المسجد الأحدي، وهنا ظهرت أوّل عقبة في طريقه العلمي، ولم يكن ذلك بسبب ضعف في استعداده للتلقّي، وإنما بسبب رداءة التعليم،⁽⁴⁾ فقد كان الأساتذة يفاجؤون

5

(1) كانت مصر وقتها تحت ولاية أسرة محمد عليّ باشا الذي أرسله الباب العالي العثمانيّ ضمن حملات الدولة العثمانية إلى مصر لمقاومة الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابارت، استطاع محمد عليّ التوّليّ على مصر بالتحايل من خلال التقرب إلى الشيوخ والشعب المصريّ عام (1220هـ/1805م)، واستمرّ الحكم في أسرته إلى عام 1953م، وكان يحكم مصر عند ولادة الشيخ محمد عبده عباس الأول إلى عام 1854م، ثمّ سعيد بن محمد عليّ إلى عام 1863م، ثمّ الخديوي إسماعيل إلى عام 1879م. ينظر: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، عليّ محمد الصلابي/ ص341-342، وتاريخ مصر من الفتح العثمانيّ إلى قبيل الوقت الحاضر، عمر الإسكندريّ وسليم حسن/ ص112-113 و120-121، وموسوعة التاريخ الإسلاميّ والحضارة الإسلامية، د. أحمد شلي/ ص390-391.

(2) ينظر: الأعمال الكاملة، عمارة/ (2/314-317).

(3) طنطا: قاعدة مديرية الغربية، تتوسط بين بلاد مديرتي الغربية والمنوفية، والمسجد الأحديّ: معهد دينيّ فخم حافل بطلب العلم، فيه ضريح السيّد أحمد البدويّ، وسمي المسجد نسبة إليه. ينظر: القاموس الجغرافيّ للبلاد المصرية من عهد القدماء المصريّين إلى سنة 1945، محمد رمزيّ/ (القسم 2/ج2-102-103)، وعبقرى الإصلاح والتعليم، العقّاد/ ص98 و101.

(4) لم يكن سعيد بن عليّ باشا حين حكم مصر مهتماً بالعلم والتعليم؛ بل كان يرى تعليم العامة يصعب قيادتهم، بخلاف الخديوي إسماعيل الذي سعى في نشر التعليم، ساعده في ذلك ميل الشعب المصريّ إلى العلم والتعليم، ومن معالم ذلك جامعة الإسكندرية، والجامع الأزهر، واستعان بكبار المعلمين الغربيّين في مصر، وافتتح المدارس متعدّدة الاختصاصات، من أهمّها مدرسة الألسن ودار العلوم التي قال فيها الشيخ محمد عبده: تموت اللغة العربية في كلّ مكان وتحيا في دار العلوم؛ ولكن يعاب على التعليم في عصره جهل المعلمين الوطنيين بطرائق التعليم الحديثة، واعتمادهم على إنماء الحافظة لدى الطلّاب. ينظر: تاريخ مصر من الفتح العثمانيّ، الإسكندريّ وحسن/ ص207 و225 و228، وموسوعة التاريخ الإسلاميّ، شلي/ (5/422 و427).

الطلاب باصطلاحات علمية، دون شرح أو تعليق عليها.⁽¹⁾ بقي على هذه الحال مدة عام ونصف، ثم عاد رغباً عن طلب العلم، وعمل بالزراعة وتزوّج، ثم أرغمه أبوه على العودة مرة أخرى إلى طنطا، ولكنه تفلّت إلى كُنَيْسَة أورين.⁽²⁾

أراد محمد عبده أن يعكف فيها على اللهو بالفروسيّة والسلاح، ولكن هذه المحطّة كانت نقطة تحوّل في مسيره إلى طلب العلم، وكانت بداية جديدة تدلّل فيها ما لاقى من صعوبات في المسجد الأحمديّ، فقد لقي فيها خال أبيه الشيخ درويش خضر،⁽³⁾ فأخذ الشيخ يراوده على القراءة بلطف وحلم، فقرأ والشيخ درويش يشرح وما هي إلا أيام معدودة حتى وجد من المتعة في طلب العلم ما يفوق متعة اللهو مع شبّان البلدة. فعاد إلى طنطا - حيث أمره أبوه - في نهاية العام الدراسي، والتحق بالدروس وقد وجد نفسه يفهم ما يقرأ؛ ويشرح لزملائه ما يصعب عليهم.⁽⁴⁾

❁ وفي شهر شوال من تلك السنة التحق بالأزهر، وكان يدارس شيخه درويش خضر القرآن والعلم خلال عطلة نهاية العام، فيسأله الشيخ عمّا تعلّم من علوم كونيّة، ولكنّ الأزهر يومها كان يُحرّم هذا النوع من العلوم بدعوى أنّه يخلّ بالعقيدة،⁽⁵⁾ ويقتصر على العلوم الشرعيّة، هذا ما دفع محمد عبده إلى البحث

5

10

(1) وقد كان يرى هذه الطريقة خطيرة على الطلاب وعلى الأمة، قال: ... غير أنّ الأغلب من الطلبة الذين لا يفهمون تغشّتهم أنفسهم فيظنون أنّهم فهموا شيئاً، فيستمرّون على الطلب إلى أن يبلغوا سنّ الرجال، وهم في أحلام الأطفال، ثمّ يبتلى بهم الناس وتصاب بهم العائمة، فتعظم بهم الرزية لأنّهم يزيدون الجاهل جهالة، ويضلّلون من توجد عنده داعية الاسترشاد، ويؤذون بدعاويهم من يكون على شيء من العلم، ويحولون بينه وبين نفع الناس بعلمه. الأعمال الكاملة، عمارة/ (321/2). وينظر: الأزهر تاريخه وتطوّره محمد البهيّ/ ص224.

(2) ينظر: الأعمال الكاملة، عمارة/ (321-320/2).
وكُنَيْسَة أورين: من بلاد مديرية البحيرة، اسمها الأصليّ كُنَيْسَة عبد الملك، مجاورة لناحية أورين. ينظر: القاموس الجغرافيّ، رمزيّ/ (القسم 2/ج 308/2).

(3) ستأتي ترجمته.

(4) ينظر: الأعمال الكاملة، عمارة/ (324-321/2).

(5) لم تستطع الحكومة المصريّة إدخال العلوم الكونيّة في الأزهر إلّا بعد استصدار فتوى رسميّة من شيخ الأزهر محمد الإنبايّ بجوازها وبيان منافعها. ينظر: الأزهر تاريخه وتطوّره، البهيّ/ ص225-224.

عن هذه العلوم إلى أن لزم السيّد جمال الدين الأفغاني⁽¹⁾ سنة (1287هـ/1871م)، فأخذ عنه العلوم الرياضية والفلسفية والكلامية، ولكنّ الأزهر لم يكن راضياً عن هذه العلاقة، فكان ذلك عائقاً في طريقه إلى نيل شهادة العالمية، التي حصل عليها بصعوبة وحاز الدرجة الثانية (1294هـ/1887م).⁽²⁾

كان محمد عبده في بداية التحاقه بالأزهر منعزلاً عن الناس، منشغلاً بالرياضة النفس وتربيتها على الزهد، إلى أن حثّه الشيخ درويش على الاختلاط بالناس والتعامل معهم ليكون له نور يهتدي به ويهدي به الناس، فلا يستأثر بالفائدة لنفسه.⁽³⁾

5

كان الشيخ ذا فكر ناقد، فلم يكن يحضر في الأزهر من المجالس إلّا ما كان يرى فيه نفعاً، فاكثفت نفسه من دروس الأزهر خلال ثلاث سنوات، ذلك لما كان عليه الأزهر من الجمود وسوء أساليب التدريس التي لا تتناسب مع العصر الراهن إذ ذاك، وتركيزه على الحواشي التي لا تفهم إلّا بالشروح، والاعتماد على حشو أذهان الطّالّاب بكمّ من المعلومات والتدقيقات اللفظية المتشابكة التي ترهق الفكر وتعيقه عن النمو.⁽⁴⁾

10

✽ أتقن العلوم الإسلامية جميعها من لغوية وشرعية وعقلية، وعلوم القانون والتاريخ والفلسفة القديمة، وحاز شيئاً من الفنون العصرية، بالإضافة إلى الرياضيات والعلوم الطبيعية والتربية وعلم النفس والأخلاق، وعلم الخط المسند،⁽⁵⁾ وتعلّم الفرنسية لأجل التوسّع في القانون والقضاء عندما عُيّن قاضياً —

(1) ينظر: الأزهر تاريخه وتطوّره، البهيّ/ ص231 و233. وستأتي ترجمة الأفغاني.

(2) ينظر: الأعمال الكاملة، عمارة/ (324-325 و327).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ (325-326).

(4) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، محمد رشيد رضا/ (25/1)، والشيخ محمد عبده، الشايب/ ص15، ورائد الفكر المصريّ الإمام محمد عبده، د. عثمان أمين/ ص26، والأزهر تاريخه وتطوّره، البهيّ/ ص224.

(5) خطّ المسند: هو الكتابة الحميرية، وهي كتابة منفصلة غير متصلة، وكانت ممنوعة على العوامّ، إلّا من أذن له، موجودة بكثرة في الحجارة والقصور، وهي من الكتابات البائدة. ينظر: التنبيه على حدوث التصحيف، حمزة بن الحسن الأصفهانيّ/ ص20، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميريّ/ (5/3221).

كما سيأتي - وبسبب انفتاح العالم الشرقي على الغربي،⁽¹⁾ ووصفه السيّد رشيد رضا⁽²⁾ بالمتجهّد، وقد تربيّ على المذهب المالكيّ أولاً، ثمّ تعلم الفقه الحنفيّ في الأزهر.⁽³⁾

إلا أنّه يؤخذ عليه تقصيره في علوم الرواية والجرّح والتعديل، فقد اقتصر فيها على ما تعلمه في الأزهر من قراءة علم المصطلح والمتون، ومع ذلك كان يأخذ على الأزهر اعتماده هذه العلوم للتبرّك فقط دون الوقوف على فقه النصوص وفوائدها التطبيقية.⁽⁴⁾

5

المطلب الثالث: شيوخه

اقتضت دراسة الشيخ محمّد عبده في الأزهر أن يتلمذ على العديد من شيوخه، وفيما يأتي تعريف بأشدّ مشايخه أثراً فيه، في الأزهر وغيره.

1. الشيخ درويش خضر:

هو خال والد الشيخ محمّد عبده، التقى به في كُنيسة أورين التي هرب إليها فراراً من طلب العلم في الجامع الأحمديّ، له أسفار وصل فيها إلى صحراء ليبيا وطرابلس الغرب، جلس إلى الشيخ محمّد المدني،⁽⁵⁾ وأخذ عنه الطريقة الشاذليّة،⁽⁶⁾ حفظ الموطأ وعدداً من كتب الحديث، تعلّم منه الشيخ محمّد عبده التصوّف

10

(1) ينظر: الأعمال الكاملة، عمارة / (329-328/2).

(2) ستأتي ترجمته.

(3) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا / (615/1).

(4) ينظر: المصدر نفسه / (1031-1033 و1035).

(5) أبو عبد الله محمّد حسن بن حمزة ظافر المدني، قرأ بالمدينة، ثمّ ساح في الأرض حتّى انتهى إلى المغرب الأقصى، أخذ عن المختار القادريّ والتجانيّ والدراويّ، ثمّ عاد إلى المدينة ونشر طريقته المدنية، واتّسع مجالها في الجزائر وإفريقية، توفّي 1263 أو 1268هـ، وخلفه ابنه الشيخ محمّد ظافر. ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمّد محمّد مخلوف / (383/1)، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي / (92/6).

(6) الطريقة الشاذليّة: من أكبر المدارس الصوفيّة في مصر أسّسها أبو الحسن الشاذليّ، يدور منهجها حول سبع عشرة نقطة؛ منها: الإخلاص والتوبة والنية والطريق إلى الله (القرآن والسنة) والخلوّة والطاعات والذكر... ينظر: المذاهب الصوفيّة ومدارسها، عبد الحكيم عبد الغنيّ قاسم / ص 174-176.

وتركبة النفس وحملها على المكاره دون إفراط، وتعلّم منه أيضاً بعض الأوراد وقراءة القرآن بالتدبّر، وكان يحثه على طلب العلوم الكونيّة من فلسفة وحساب وهندسة إلى جانب العلوم الشرعيّة.

كان الشيخ درويش الدافع الأوّل لمحمّد عبده على طلب العلم؛ أخرجته من سجن الجهل إلى فضاء المعرفة في بضعة أيّام. قال: "فلم تمض عليّ بضعة أيّام إلّا وقد رأيته أطيّر بنفسه في عالم آخر غير الذي كنت أعهد... وعظم عندي من أمر العرفان والنزوع بالنفس إلى جانب القدس ما كان صغيراً، وتفرّقت عنيّ جميع الهموم، ولم يبق لي إلّا همّ واحد وهو أن أكون كامل المعرفة كامل أدب النفس... وهو مفتاح سعاديّ إن كانت لي سعادة في هذه الدنيا"،⁽¹⁾ وكان الشيخ متأثراً بتعاليم السنوسيّة،⁽²⁾ وذلك في أثناء رحلته إلى طرابلس الغرب.⁽³⁾

5

كان آخر لقاء للأستاذ الإمام بشيخه درويش في شوال/ (1288هـ/نحو 1872م)، حيث ودّعه وبكى بكاء شديداً، وتوفّي في السنة التي تليها رحمه الله تعالى.⁽⁴⁾

10

2. الشيخ حسن الطويل:

أبو محمّد الطويل، حسن بن أحمد بن عليّ، ولد في المنوفيّة⁽⁵⁾ سنة 1250هـ أو 1256هـ، حفظ القرآن الكريم، وتعلّم بطنطا في الجامع الأحمديّ ثم بالأزهر، وأخذ العلوم الفلسفيّة والرياضيّة والتاريخ

(1) تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (21/1-25).

(2) السنوسيّة: مؤسس هذه المدرسة محمّد بن عليّ السنوسيّ ت1276هـ، ظهرت في ليبيا على شكل زوايا في الصحراء بها مساجد ومدرسة وأرض زراعيّة، منهجها له جانبان: تدريس العلوم الشرعيّة وتطهير العقيدة من الشوائب، وتعليم الأطفال القراءة والكتابة والقرآن والشجاعة، وقامت بدور هامّ ضدّ الاستعمار الإيطاليّ. ينظر: المذاهب الصوفيّة ومدارسها، قاسم/ ص182.

(3) ينظر: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، أحمد أمين/ ص284.

(4) ينظر: الأعمال الكاملة، عمارة/ (325/2-326).

(5) المنوفيّة: تقع بين فرعي دمياط والرشيد، ويحدها شمالاً خط سكة الحديد من بنها إلى كفر الزيات، وجنوباً أجزاء من فرع الرشيد وجزيرة القناطر الخيرية، ينظر: جغرافية مصر، فكري/ ص73، والقاموس الجغرافي للبلاد المصريّة، رمزي/ (القسم 2/ ج2/195).

والأدب، ثم اشتغل بالتدريس بالأزهر وفي دار العلوم،⁽¹⁾ فدرّس أصول الفقه والتفسير والحديث.⁽²⁾ اشتغل في تصحيح ديوان الجندیّة، وفي نظارة المعارف، وعُيّن للتفتيش فيها.⁽³⁾

كان سُنيّاً صوفيّاً، من فقهاء المالكيّة علماً بالتفسير والحديث، وكان ينكر على المبتدعة أشدّ الإنكار، له تفسير (عنوان البيان) لم يطبع منه إلّا المقدّمة. توفّي (1317هـ/1899م).⁽⁴⁾ وكانت دروس الشيخ في الأزهر من الدروس التي يواظب عليها الشيخ محمّد عبده، فحضر عليه المنطق والفلسفة، إلّا أن نفس الشيخ محمّد عبده سرعان ما اكتفت ممّا عند الشيخ حسن الطويل، وكان ينتقده بأنّه لا يجزم بأنّ المعنى كذا؛ بل كان درسه احتمالات، إلى أن قدم السيّد جمال الدين الأفغانيّ مصر، فذهب الشيخان للقاءه معاً.⁽⁵⁾

5

3. السيّد جمال الدين الأفغانيّ:

هو جمال الدين بن صفتر، يعود نسبه إلى سيّدنا الحسين ﷺ، ولد في أسعدآباد⁽⁶⁾ سنة (1254هـ/1838م)، بدأ طلب العلم بسنّ الثامنة، برع في كثير من العلوم العربيّة والشرعيّة والصوفيّة والفلسفيّة على الطريقة المعروفة في المشرق الإسلاميّ.

10

عُيّن وزيراً، وتعرض للنفي مراراً، فطوّف في البلاد، وكانت أهمّ أسفاره إلى مصر، (1287هـ/1869م)، فلازمه الشيخ محمّد عبده، وبقي مدّة ثماني سنوات، قرأ فيها على طلاب العلم كتباً في علم

(1) ينظر: تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر، أحمد تيمور باشا/ ص120-121 و123.

(2) ينظر: شجرة النور الزكيّة، مخلوف/ ص410.

(3) ينظر: تراجم أعيان القرن الثالث عشر، تيمور/ ص123-124.

(4) ينظر: المصدر نفسه/ ص125-128-129، ومعجم المفسّرين من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر، عادل نويهض/ (136/1-137).

(5) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (25/1-26).

(6) أسعد آباد: من أهم ولايات أفغانستان. ينظر: تاريخ الشعوب الإسلاميّة الحديث والمعاصر، د. حسان حلاق/ ص145.

الكلام والحكمة والهيئة والتصوّف وأصول الفقه، وتقدّم فنُّ الكتابة في مصر على يديه.⁽¹⁾

وقف في وجه الاستبداد، والرقابة الفرنسيّة والإنكليزيّة في مصر⁽²⁾ من خلال الصحافة والتحرير، فاستطاع نشر الوعي لحقوق الشعب بالحكم بشكل تدريجيّ، بالإضافة إلى لقاءاته مع كبار السياسيين في مصر،⁽³⁾ فسعت فرنسا وإنكلترا في نفيه، فتوجّه إلى باريس (1296هـ/ 1879م)،⁽⁴⁾ وتبعه الشيخ محمّد عبده فأنشأ معه جريدة العروة الوثقى،⁽⁵⁾ وفي تلك الفترة ضعفت العلاقة بين الشيخين بسبب توجّه الشيخ محمّد عبده إلى الإصلاح عن طريق التربية وإصرار شيخه على الإصلاح السياسيّ عن طريق العمل الثوريّ، فاتهم الشيخ تلميذه بالتشيط والدعة.⁽⁶⁾ ورماه بالجن والهلح وضعف القلب.⁽⁷⁾

5

توفيّ في الأستانة (1314هـ/ 1897م)، ودُفن في أفغانستان.⁽⁸⁾ وله: كتاب (الردّ على الدهريين) المسمّى: إبطال مذهب الدهريين وبيان مفاسدهم وإثبات أنّ الدين أساس المدنيّة والكفر فساد العمران، باللغة الفارسيّة وترجمه الشيخ محمّد عبده إلى العربيّة،⁽⁹⁾ و(تتمّة البيان في تاريخ الأفغان)، وكلاهما مطبوع،

10

(1) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (32-27/1).

(2) كانت مصر في عهد الخديوي إسماعيل غارقة بالديون، فاستغلّت فرنسا وبريطانيا هذه الناحية لإبعاده واتّقاء خطره في إفريقيا بسبب اتّساع ملكه فيها، ففرضت عليه إنشاء صندوق الدين، فيه مندوب عن كلّ دولة من الدائنين، ومراقبان أجنيّان أحدهما للإيرادات والثاني للمصروفات. ينظر: موسوعة التاريخ الإسلاميّ، شلبي/ (444-443/5)، وتاريخ مصر من محمّد عليّ إلى العصر الحديث، محمّد صبريّ/ ص 107-110.

(3) ينظر: الأعمال الكاملة، عمارة/ (532/1). وتاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (79 و74/1).

(4) ينظر: الأعمال الكاملة، عمارة/ (541/1).

(5) سيأتي الحديث عنها.

(6) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (416/1).

(7) ينظر: الإمام محمّد عبده، عمارة/ ص 41.

(8) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (91 و88/1).

(9) ينظر: زعماء الإصلاح، أمين/ ص 76-77.

وله العديد من الرسائل والمقالات والتعليقات.⁽¹⁾ وكان صوفيّاً، حنفيّ المذهب، موافقاً للسنة في عقيدته، غير مقلّد فيها.⁽²⁾

المطلب الرابع: حياته العملية

تنقسم حياة الشيخ محمد عبده العملية إلى قسمين؛ الأول: عمله في التدريس، والثاني: أعماله السياسية والمناصب التي تقلدها.

5

أولاً: عمله في التعليم:

1. تدريسه في الأزهر:

كان قبل حصوله على شهادة العالمية يجتمع مع طلبة الأزهر ليطالع معهم دروسهم المقررة فيه، ثم أخذ يقرأ عليهم كتباً لم تكن معهودة في الأزهر في العقيدة والمنطق والفلسفة،⁽³⁾ فكانت دروسه تأسيساً لدراسة العقائد بناء على الأدلة القطعية بعيداً عن التقليد، ورغم العداء الذي واجهته به إدارة الأزهر اجتمع حوله حلقة واسعة جداً.⁽⁴⁾ وبعد أن نُفي من مصر ثم عاد إليها سعى للعودة إلى العمل في الأزهر، وعمل جاهداً على إصلاحه، وأنشأ قانوناً تمهيدياً لإصلاحه (1312هـ/1895م) استمرّ عشر سنين، ثم أخذ المجلس يتمنّع عن تنفيذ القوانين، لأسباب سياسية تتعلق بسوء العلاقة بين الشيخ والخديوي عباس حلمي

10

(1) ينظر: العروة الوثقى، جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده/ ص 15-25 تفصيلاً، و 498 إجمالاً، معجم المطبوعات، سركيس/ (706-707).

(2) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (33-35).

(3) كشرح العقائد النسفية للسعد التفتازاني ت 791هـ، ومقولات السجاعي (الجواهر المنتظمات في عقود المقولات) للشيخ أحمد السجاعي ت 1197م، وإيساغوجي في المنطق، وهو لفظ يوناني معناه: الكليات الخمس (الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام) ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة/ (206/1).

(4) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (134-135).

الثاني.⁽¹⁾ وفي شهر المحرم من سنة (1323هـ/1905م) استقال من الأزهر، وذلك قبيل وفاته.⁽²⁾ وأهم ما قرأه في الأزهر تفسيره الذي كان يدون ملخصه السيد رشيد رضا، وينشره في مجلته المنار،⁽³⁾ استمر في إلقائه ست سنوات إلى أن توفاه الله.⁽⁴⁾

2. تدريسه في مدارس الحكومة:

عُيِّن إلى جانب عمله في الأزهر في دار الألسن لتدريس اللغة العربية، فعمل على إيجاد نابتة تحيي اللغة العربية بطريقة جديدة تختلف عن عهد القراءة والتلقين.⁽⁵⁾

وعُيِّن في دار العلوم مدرّساً للتاريخ سنة (1295هـ/1878م)، فقرأ مقدّمة ابن خلدون،⁽⁶⁾ بهدف بثّ فكره السياسي في نفوس التلاميذ، بتطبيق أحوال الأمم ونهوضها وسقوطها وضعفها وقوتها على حالة

(1) ينظر: ثلاثة من أعلام الحرية جمال الدين الأفغاني/ محمد عبده/ سعد زغلول، قدرى قلعجي/ ص288، وعبقرى الإصلاح والتعليم، العقاد/ ص42-43.

الخدوي عباس حلمي الثاني بن توفيق باشا، تعلم بمدرسة عابدين ثم في فينا، ولي الخديوية (1309هـ/1892م)، وامتاز عصره بنهضة القلم والصحافة وتكاثر المطابع، وفتح السودان، نشبت الحرب العالمية الأولى وهو في الأستانة، فتأخر رجوعه إلى البلاد فخلعته بريطانيا، واستقر في سويسرا إلى أن توفّي فيها (1363هـ/1944م) ودُفن في القاهرة. ينظر: صفوة العصر في تاريخ ورسوم مشاهير رجال مصر، زكي قهبي / ص70-71، الأعلام، الزركلي / (3/360-261).

(2) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا / (1/426-427 و429 و494-495)، وزعماء الإصلاح، أحمد أمين/ ص319.

(3) سيأتي الحديث عن مجلّة المنار ومؤسّسها.

(4) ينظر: الإمام محمد عبده مجدّد الدنيا بتجديد الدين، د. محمد عمارة/ ص44-45.

(5) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا / (1/163).

(6) أبو زيد وليّ الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون الحضرميّ الإشبيليّ قاضي القضاة، ولد في تونس 733هـ، سمع من الوادياشي، وابن عبد السلام وغيرهما، برع في العلوم ومهر في الأدب، وأخذ القراءات، ولي كتابة العلامة وكتابة السرّ في تونس، دخل القاهرة وولي قضاء المالكية ومشيخة البيروية فيها، توفّي 808هـ، صنّف التاريخ الكبير. ينظر: رفع الإصر عن قضاة مصر، ابن حجر العسقلاني/ ص233-235، وحسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي/ (1/462). ومقدّمته المسماة (مقدمة لكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر) يراد بها تاريخ ابن خلدون كاملاً. ينظر: كشف الظنون، حاجي خليفة/ (2/1124)

البلاد الراهنة، فكان يحرك في أنفس الحاضرين إرادة وعزيمة على خدمة البلاد وإعلاء شأنها.⁽¹⁾ وما لبث أن عُزل منها سنة (1296هـ/1879م).⁽²⁾

وبعد عودته إلى مصر من منفاه سعى ليعود إلى دار العلوم مدرّساً، ولكنّ كلاً من الخديوي توفيق باشا والعميد الإنكليزيّ (اللورد كرومر)⁽³⁾ لم يمكّنه من ذلك.⁽⁴⁾

3. تدريسه في لبنان:

5

في بداية نزوله بيروت كانت مدرسته بيته، فقد اجتمع عليه ناس كثير أول وصوله، فقرأ عليهم السيرة النبوية فيه، وقرأ التفسير ممّا يفيض الله عليه في جامع الباشورة والجامع الكبير.

ثمّ درّس في المدرسة السلطانية سنة (1303هـ/1886م) فنقلها من مدرسة شبه ابتدائية إلى مدرسة شبه عالية، فقد كانت تقتصر على تعليم مبادئ النحو والصرف والعبادات، فعُدّل برنامجها وزاد علم التوحيد والمعاملات والتاريخ الإسلاميّ والمنطق والمعاني والإنشاء، وتولّى تدريس هذه العلوم بنفسه، فكان يجلس إليه الناس من كلّ المذاهب والشرائع.⁽⁵⁾

10

(1) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (1/163).

(2) ينظر: الإمام محمد عبده، عمارة/ ص31.

(3) الخديوي محمد توفيق باشا: الابن الأكبر للخديوي إسماعيل، ولد سنة 1852م، درس في مدرسة المنيل العلوم اللغوية والكوتية، تقلّد نظارة الداخلية والأشغال ورئاسة مجلس النظار، ثمّ استلم الخديوية سنة 1879م، عمل على الاستجابة لبعض مطالب العربيين. كان خاضعاً للقوة الأوروبية، واستعان بها على إخماد الثورة العربية، توفيّ 1892م ودفن في مصر. ينظر: تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، جرجي زيدان/ (1/61-63)، موسوعة التاريخ الإسلاميّ، شلبي/ (5/470-472).

اللورد كرومر: اسمه إيفيلين بيرنج، ولد 1841م في كرومر هول، درس في أكاديمية ولويتش، ثمّ كلّية الأركان، عُيّن سكرتيراً خاصّاً لنائب ملك الهند 1873م، ثمّ عُيّن المندوب الأول في صندوق الدّين المصريّ 1877م، ثمّ مندوباً وقنصلاً عامّاً في القاهرة سنة 1883م، وعمل على زيادة الموظفين الإنكليز في مصر، وترك مصر على إثر حادثة دنشواي 1906م، توفيّ 1917م. ينظر: عهدي مذكرات عباس حلمي الثاني خديو مصر الأخير/ ص209-211 و215، وموسوعة التاريخ الإسلاميّ، شلبي/ (5/485).

(4) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (1/419).

(5) ينظر: محمد رشيد رضا: تتمة سيرة الأستاذ الإمام/ مجلّة المنار/ (16/6-1323هـ) - (17/8-1905م) / (8/463-464)،

4. إصلاحاته التعليميّة:

❁ في مصر: عمل على إصلاح نظارة المعارف، بتشكيل مجلس أعلى للمعارف، وكان عضواً فيه سنة (1298هـ/1881م) فاستطاع أن يجعل المدارس الأوروبيّة تحت رقابة دائرة المعارف.⁽¹⁾

وعمل جاهداً على إصلاح الجامع الأزهر، من النواحي المادّيّة والإداريّة والتنظيميّة والصحيّة والعلميّة، وهو يلاقي المقاومة في كلّ ذلك من قبل علماء الأزهر،⁽²⁾ ويتمثّل الإصلاح الأكبر بما بيّنه من روح التجديد ونبد الجمود والتقليد من خلال دروسه في التوحيد والتفسير والبلاغة.

ولمّا يئس من إصلاح الأزهر فكّر في إنشاء جامعة متعدّدة الاختصاصات؛ ولكن لم يتسنّ له ذلك.⁽³⁾ فوضع مشروع إنشاء مدرسة قضائيّة يتولّى أمرها بنفسه، وكان ذلك أوائل مرض موته، فلم يتمّ هذا المشروع إلّا بعد وفاته على يد سعد باشا زغلول.⁽⁴⁾

شارك في تأسيس الجمعية الخيريّة الإسلاميّة التي استهدفت أبناء الفقراء والصنّاعين بتعليمهم حرف آبائهم وإمدادهم بالمال سنّة، وعملت على نشر التعليم لمن كان لديه الاستعداد منهم، وترأسها سنة (1318هـ/1900م) إلى آخر حياته، وكان يقصد من هذه الجمعية جمع الناس على الخير والخدمة العامّة.⁽⁵⁾

الإمام محمّد عبده، عمارة/ ص 39.

(1) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (140/1-141 و144).

(2) ينظر: المصدر نفسه/ (428/1-429 و456).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ (946/1-947)، ورائد الفكر المصريّ، أمين/ ص 46-47.

(4) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (557/1).

وسعد باشا زغلول: ابن الشيخ إبراهيم زغلول، ولد بمديريّة الغربيّة، درس في الأزهر، وحضر دروس السيّد جمال الدين الأفغانيّ، والشيخ محمّد عبده في علم التوحيد، كتب في الجرائد المصريّة وعيّن محرراً للوقائع المصريّة، سجن على خلفيّة الثورة العربيّة، ثمّ اشتغل في المحاماة وتقلّد عدّة مناصب قضائيّة، وأسندت إليه نظارة المعارف، فالحقانيّة، رئاسة الوزارة، رئيساً لمجلس النواب. توفّي (1346هـ/1927م). ينظر: الأعلام الشرقيّة، مجاهد/ (145/1-146)، وموسوعة التاريخ الإسلاميّ، شلبي/ (496/5).

(5) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (731/1)، الإمام محمّد عبده، عمارة/ ص 43 و231-232. الأستاذ الإمام محمّد عبده،

❁ وأما في لبنان: فقد كتب لائحة في الإصلاح وتعميم التعليم الديني، رفعها إلى شيخ الإسلام في الأستانة، سعيًا منه إلى إصلاح الدولة العثمانية بإصلاح التربية والتعليم، مشيرًا إلى ما يحقد بمقام الخلافة من خطر بسبب الجهل وفساد الأخلاق وسريان شبهات الإلحاد ونفوذ الأجانب وتأثير المدارس التبشيرية⁽¹⁾ ورفع لائحة أخرى إلى والي بيروت اقترح فيها تعميم المدارس الوطنية وإصلاح برامج التعليم الديني والعناية به.⁽²⁾

5

قال في أهمية نشر التعليم وإصلاحه: "إنّ أول ما يجب أن يُبدأ به التربية والتعليم لتكوين رجال يقومون بأعمال الحكومة النيابية على بصيرة مؤيدة بالعزيمة، وحمل الحكومة على العدل والإصلاح، ومنه تعويدها الأهالي على البحث في المصالح العامة واستشارتها إياهم في الأمر بمجالس خاصة تنشأ في المديريات والمحافظات".⁽³⁾

ثانيًا: عمله في السياسة والمناصب التي تقلدها:

10

لم يكن الشيخ محمد عبده يحب السياسة والتدخل بها، فهو يرى السياسة في بلاد المسلمين استبدادية، فتأييدها بالدين والعلم إفساد لهما، ومقاومتها بهما منع لإقامتهما، لذلك اتجه إلى الإصلاح العلمي، فإذا وجد في السياسة عائقاً في طرق عمله العلميّ التعليميّ تصدى لها ورصد حركتها، فإذا أمن مكرها عاد إلى مشروعه العلميّ، وكان يرى أنّ هذا الاستبداد لا يزول إلا بوحدة الأمة.⁽⁴⁾ وفيما يأتي بيان لما قام به من أعمال:

15

1. انضمامه إلى الحزب الوطني:

وهو الحزب الذي أسسه السيد جمال الدين الأفغاني، وكان يطالب بالإصلاح، وكان شعاره (مصر للمصريين)، وكان هدفه الأول تخليص مصر من التدخل الأجنبي، وتحويل السلطة من فردية إلى شورية

عبد المنعم حمادة/ ص 193.

(1) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (413/1).

(2) ينظر: زعماء الإصلاح، أمين/ ص 309.

(3) تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (146-147/1).

(4) ينظر: المصدر نفسه/ (891-892/1)، ليالي سطحي، محمد حافظ إبراهيم/ ص 68-69.

مقيّدة بالدستور ومجلس النّوّاب، ورفع المظالم ومحاربة الفساد والإسراف وسياسة الديون.⁽¹⁾ ولكنّ الخديوي توفيق سرعان ما تنكّر للأفغانيّ وحزبه، وطرده من مصر.⁽²⁾

2. إدارة المطبوعات والصحافة:

بدأ بالكتابة في الجرائد بتشجيع من شيخه الأفغانيّ،⁽³⁾ فكتب في **جريدة الأهرام**⁽⁴⁾ (1293هـ/ 1876م) عدّة مقالات ظهرت من خلالها روحه الإصلاحية وتأثره بكتب الفلسفة الشرقية، وعمل محرراً في **الجريدة الرسمية (الوقائع المصرية)**⁽⁵⁾ (1297هـ/ 1880م)، ثم صار رئيساً لتحرير الجريدة، فعين فيها أمهر المحررين، وعمل على تطوير المقصّرين، واستغلّ منصبه في إصلاح الحكومة ورقابة الجرائد الوطنية والأجنبية، استمر في هذا العمل ثمانية عشر شهراً.⁽⁶⁾ ونشر عدّة مقالات نافعة في جرائد بيروت، كجريدة

5

(1) ينظر: عبقرى الإصلاح والتعليم، العقّاد/ ص 158-159، محمد رشيد رضا: الردّ على اللورد كرومر/ 2/ مجلّة المنار/ (1326/2/29هـ) - (1908/4/1م) / (199/11)، الإمام محمد عبده، عمارة/ ص 30، الأعمال الكاملة، عمارة/ (40-39/1).

(2) ينظر: الأعمال الكاملة، عمارة/ (46/1)، تاريخ مصر، صبري/ ص 181-182.

(3) عمل السيّد جمال الدين الأفغانيّ على تنشيط الكتابة في مصر، بتشجيع طلابه على إنشاء الفصول الأدبية والحكميّة والدينيّة، فتقدّم بذلك فنّ الكتابة بمصر، وقد كان الخديوي إسماعيل مهتماً بالصحافة ليستعين بها على الإنكليز، فقاومت التدخل الأجنبيّ واستبداد الخديوي، ومن الصحف في ذلك الوقت: (الأهرام) و(مرآة الشرق) و(الوطن)، أمّا الطباعة فقد اهتمت بها الحكومة المصريّة إذ أنشأت مطبعة بولاق، وتولت المطابع المصريّة إلّا أنّها لم تكن على المستوى المطلوب من الناحية الفنيّة أو العلميّة والأدبيّة، إلّا ما ندر منها. ينظر: حاضر المصريّين أو سرّ تأخّره، محمد عمر/ ص 153-156، وتاريخ مصر الحديث من الفتح الإسلاميّ إلى الآن مع فذلّة في تاريخ مصر القديم، جرجي زيدان/ ص 224-225، وموسوعة التاريخ الإسلاميّ، شليبي/ (394/5 و 438-439).

(4) جريدة الأهرام: جريدة سياسيّة تجاريّة، كانت أسبوعيّة يُستخفّ بمباحثها، ثم أصبحت يوميّة تتسم بالجرأة، أنشأها سليم بك تقلا في الإسكندريّة سنة 1876م، وكانت خطّتها الداخليّة مصريّة عثمانيّة، والخارجيّة قبيل إلى فرنسا، وقد أُصدرت نسخة منها بالفرنسيّة سنة 1876م. ينظر: تاريخ الصحافة العربيّة، فيليب دي طيرازي/ (50/3-51).

(5) الوقائع المصريّة: أسّسها محمد عليّ باشا بالقاهرة سنة (1244هـ/ 1828م) بعناية د. كلوت بك، لتقوم بنشر أوامر الحكومة وإذاعة إعلاناتها والحوادث الرسميّة، وفوّض إدارة تحريرها إلى رفاعة رافع الطهطاويّ، بدأت باللغة التركيّة، ثم برزت العربيّة إلى جانبها. ينظر: المصدر نفسه/ (49/1-50).

(6) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (137/1-138)، وزعماء الإصلاح، أمين/ ص 295.

ثمرات الفنون⁽¹⁾ على نحو ما كان يكتبه في الجريدة الرسمية.⁽²⁾

وأبرز أعماله الصحفية في **جريدة العروة الوثقى** إذ أسست هذه المجلة جمعية العروة الوثقى في باريس بإدارة السيد جمال الدين الأفغاني، ومحررها الأول الشيخ محمد عبده، وصدر العدد الأول بتاريخ (1301/5/15هـ) الموافق 1884م، وآخر عدد بتاريخ (1301/12/26هـ) وكانت ترسل إلى الجهات الشرقية جميعها، وتمويل من الجمعية نفسها، فكانت الصحيفة الإسلامية الوحيدة التي حققت لنفسها عالمية الانتشار، وكانت كل أفكارها للأفغاني؛ ولكن بقلم الشيخ محمد عبده،⁽³⁾ وكان هدفها إعادة الحكم الإسلامي بتأسيس حكومة على قاعدة الخلافة الراشدة في الدين، وما تقتضيه حالة العصر لإعادة مجد الإسلام في أمور الدنيا، ومن ثم إنقاذ الشرق من الاستعمار، مركزة عملها في مصر والسودان،⁽⁴⁾ فكانت تسعى إلى تحقيق الجامعة الإسلامية، والرابطة الشرقية،⁽⁵⁾ وتهتم بالمسألتين المصرية والسودانية.⁽⁶⁾ ومن خلالها صار عمله أوسع وتناول العالم الإسلامي كله داعياً إلى مناهضة الاحتلال.⁽⁷⁾ ثم ما لبثت الحكومة البريطانية أن أوجست منها خيفة، فمنعت دخولها مصر والهند، فتوقفت نهائياً بعد صدور العدد الثامن عشر منها.⁽⁸⁾

5

10

قال السيد رشيد رضا يصف تأثير العروة الوثقى في الشرق الإسلامي: "كان تأثيرها مستمداً من

(1) جريدة ثمرات الفنون: طالعها المسلمون باهتمام لأنها كانت تنشر أخبار الممالك في مشارق الأرض ومغاربها، خصوصاً بعد احتجاج جريدة الجوائب. صحيفة أسبوعية سياسية علمية أدبية، أنشأتها جمعية الفنون بإدارة عبد القادر قناني، وهي أول الجرائد الإسلامية في بيروت، ظهرت 1875م. ينظر: تاريخ الصحافة العربية، طيرازي/ (25/2).

(2) زعماء الإصلاح، أحمد أمين/ ص 308-309.

(3) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (1 و 289 و 380)، العروة الوثقى، الأفغاني وعبده/ ص 69-70.

(4) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (1 و 283)، العروة الوثقى، الأفغاني وعبده/ ص 71.

(5) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (1 و 306).

(6) ينظر: المرجع السابق/ (1 و 331 و 370).

(7) ينظر: زعماء الإصلاح، أمين/ ص 306.

(8) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (1 و 300 و 380)، العروة الوثقى، الأفغاني وعبده/ ص 74-75.

تأثير القرآن، فهي قد أحيت تدبره والجهاد به والدعوة إليه والدعوة به، والمعاني الاجتماعية والسياسية من تفسيره، فكان قارئها يشعر بالروح العلوي الذي كان يفيض من نوره على ذينك القمرين النيرين، وينعكس من فلكهما على العالم الإسلامي، فيحدث فيه من قوة التأثير ما كان يجزم أهل الرأي في الأقطار المختلفة بأنه سيحدث ثورة إسلامية قريبة في العالم، يعقبه انقلاب عظيم في الشرق".⁽¹⁾

5

وفي مجال الطباعة والتأليف أسس جمعية إحياء العلوم العربية سنة 1318هـ، وكانت الجمعية تختار من كتب الأئمة ما تراه قيماً،⁽²⁾ وكان يسعى دائماً في استحضر النسخ من البلاد النائية، ومراسلة السلاطين والقضاة لهذا الغرض، ومقابلتها والشرح والتعليق عليها.⁽³⁾

3. أثره في الثورة العراقية:

10

عندما تولى توفيق باشا الخديوية بدأ بمسيرة إصلاحية تتضمن تأييد شورى النواب ورفع المظالم والزهد في أموال البلاد،⁽⁴⁾ وذلك على إثر إصلاح إدارة المطبوعات، ولكنه كان عاجزاً عن تحقيق مشروعه بسبب ضعفه واستسلامه لبريطانيا وفرنسا، وبسبب بعض تصرفات رجال الحكومة، فثار ضباط الجيش المصري مطالبين بحقوقهم في المساواة مع الضباط الأجانب بحدد السيف.⁽⁵⁾

لم يكن الشيخ محمد عبده أول الأمر من أنصار الثورة العراقية؛ بل كان يرى أنها ستقف في وجه إصلاحاته التربوية، وكان يراها ممهدة للاحتلال الأجنبي، فحاول إقناع زعمائها بالتزام الهدوء، والإصلاح

(1) تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (304/1).

(2) ككتابي الجرجاني (دلائل الإعجاز) في علم المعاني، و(أسرار البلاغة) في علم البيان للجرجاني، و(مدونة الإمام مالك) في الفقه المالكي، و(المختص في اللغة) لابن سيده.

(3) ينظر: محمد رشيد رضا: تنمّة سيرة الأستاذ الإمام/ مجلة المنار/ (1323/7/1) - (1905/8/31م) / (491/8). الإمام محمد عبده، عمارة/ ص44.

(4) ينظر في محاولات الخديوي توفيق الإصلاحية: تاريخ مصر، الإسكندري وحسن/ ص257-263.

(5) ينظر: تاريخ مصر، صبري/ ص263-265، والأستاذ الإمام محمد عبده، حمادة/ ص81.

عن طريق الخديوي بدل الخروج عليه ناعثاً زعيمها أحمد عرابي⁽¹⁾ بالتهوّر، فقابله عرابي بالتهديد.⁽²⁾

وعندما رأى الشيخ أنّ الثورة بدأت تحقّق نجاحاتها، انضمّ إليها حمايةً للدستور الذي استطاعت الحصول عليه،⁽³⁾ ودرءاً للخطر الخارجي المهدّد بالبلاد بسبب إعلان فرنسا وإنكلترا الحرب عليها بحجة الدفاع عن عرش الخديوي سنة (1299هـ/1882م)،⁽⁴⁾ فتجاوز لذلك بعضاً من تحفّظاته إزاءها.⁽⁵⁾

وانتهت بالاحتلال الإنكليزيّ - كما حدّر الشيخ من قبل - وألقي زعماء الثورة في السجن، ومعهم الشيخ محمد عبده، فنفيّ العراقيّون مدى الحياة، ونفيّ الشيخ ثلاث سنوات وثلاثة أشهر، فخرج إلى بيروت سنة (1300هـ/1882م)، قضى فيها عاماً، ثم انتقل إلى أوروبا.⁽⁶⁾ وبهذا انتهى دور الشيخ زعيماً ثورياً، وعاد - كما بدأ - معلّماً مصلحاً بعد إخفاق الثورة.⁽⁷⁾

5

4. عمله السياسيّ في المنفى:

✻ في أوروبا: انضمّ إلى **جمعية العروة الوثقى** التي أسّسها شيخه الأفغانيّ؛ وهي جمعية سياسية

10

(1) السيّد أحمد عرابي باشا: ابن السيّد محمد عرابي، حسيّ النسب، زعيم الثورة العراقيّة ولد سنة 1257هـ، تعلّم القرآن وبعض العلوم الدينيّة في مكتب والده، ثمّ في الأزهر، ترقّى في الرتب العسكريّة إلى أن صار لواءً 1299هـ، وعيّن ناظراً للجهاديّة والبحريّة 1882م، ثمّ استعفي منها بإكراه من فرنسا وأوروبا، ونفي على أعقاب ثورته إلى سيلان سنة (1300هـ/1882م) وعاد بعد 19 سنة، وتوفي بالقاهرة سنة 1329هـ. ينظر: مذكرات الزعيم أحمد عرابي كشف الستار عن سرّ الأسرار في النهضة المصريّة المشهورة بالثورة العراقيّة، أحمد عرابي / (1-89/90 و 92 و 331 و 411-412 و 488). (3/1165-1167 و 1240)، والأعلام، الزركلي (1-168/169).

(2) ينظر: محمد رشيد رضا: تتمة ملخص سيرة الأستاذ الإمام / مجلّة المنار / (1-1323/6هـ) - (2-1905/8م) / (8/412-415).

(3) ينظر: الأعمال الكاملة، عمارة / (1-56/56).

(4) ينظر: موسوعة التاريخ الإسلاميّ، شلبي / (5-472/472).

(5) ينظر: الأعمال الكاملة، عمارة / (1-58/58)، وموسوعة التاريخ الإسلاميّ، شلبي / (5-464/465 و 471-473).

(6) ينظر: محمد رشيد رضا: تتمة ملخص سيرة الأستاذ الإمام / مجلّة المنار / (1-1323/6هـ) - (2-1905/8م) / (8/416).

(7) ينظر: الأعمال الكاملة، عمارة / (1-71/72).

سريّة، تهدف إلى الوحدة الإسلاميّة والتمسك بالدين، والنضال ضدّ الطواغيت، وقد أخذت اسمها من قوله تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦]، واختار أعضاؤها من صفوة المفكرين من مختلف البلاد الإسلاميّة، وكان مقرّها في باريس.⁽¹⁾ اعتمدت في عملها السياسيّ على جريدة العروة الوثقى.

5

وكانت له عدّة أسفار في تلك الفترة في سبيل خدمة الأمة؛ فقد سافر إلى لندن للقاء وزير حربيّة إنكلترا، وتحدث معه في الشأن المصريّ ورفض المصريّين للاحتلال، وسافر خفية مع الأفغانيّ إلى مصر والسودان لدعم الحركة المهدية لانتهازها سبيلاً لتحرير مصر، واستطاع إقناع بريطانيا بسحب جيوشها من السودان، وما حال دون ذلك إلّا موت زعيم الدعوى المهدية.⁽²⁾

10

❖ وفي لبنان: وبعد إيقاف العروة الوثقى تقدّم بلائحة في إصلاح القطر السوريّ؛ تحدّث فيها عن أحوال الطوائف فيه وعلاقة كلّ منها بالدولة، وأكّد على أهميّة إصلاح التعليم اتّقاء لغوائل التعليم الأجنبيّ المفضي إلى النفوذ السياسيّ، ولكنّ رجال الدولة العثمانيّة كانوا مفتونين بتقليد الإفرنج.⁽³⁾ وكتب عدداً من المقالات السياسيّة في جرائد بيروت وأرسل بعض آراء الأفغانيّ إلى جريدة الأهرام في الإسكندرية فنُشرت دون توقيع.⁽⁴⁾

وأسس جمعية التّأليف والتّقريب؛ وهي جمعية سريّة للتّقريب بين الشرائع الثلاثة، مستنداً إلى قوله

15

تعالى ﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [سورة آل عمران: ٦٤]، وللتعاون على إزالة

(1) ينظر: العروة الوثقى، الأفغانيّ وعبدّه/ ص 66-67.

(2) المصدر نفسه/ ص 419-422، تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (380/1).

وزعيم الدعوة المهدية: محمّد أحمد بن عبد الله المهديّ السودانيّ، ولد في جزيرة تابعة لدنقلة سنة 1259هـ، من أسرة اشتهر أنّها حسينيّة النسب، تعلّم القراءة والكتابة وحفظ القرآن، ودرس الفقه والتفسير والتصوّف في الخرطوم، وكثر أتباعه، وتلقّب بالمهديّ، دخل في عدّة معارك مع الجيش المصريّ زمن الخديوي إسماعيل وانتصر فيها، أرسل إلى الخديوي والسلطان عبد الحميد وملكة إنكلترا يشعّره بدولته، وضرب النقود، توفيّ سنة (1302هـ/1885م) وانتهت ثورته. ينظر: صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، محمّد بيرم الخامس التونسيّ/ (4/119-120)، الأعلام، الزركلي/ (20/6).

(3) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (414-415/1).

(4) ينظر: الإمام محمّد عبدّه، د. عمارة/ ص 36-37.

ضغط أوروبا على الشرقيين وتعريف الإفرنج بحقيقة الإسلام.⁽¹⁾ لم يرق لإنكلترا وجود هذه الجمعية؛ فأثارت حفيظة السلطان عبد الحميد الثاني⁽²⁾ على الشيخ محمد عبده وسارع إلى إخراجهِ إلى مصر.⁽³⁾

5. القضاء الأهلي:

عاد الشيخ من النفي إلى مصر سنة (1306هـ/1888م)، وسعى في العفو عنه لدى الخديوي عدد من الوجهاء وأفراد الأسرة الخديوية⁽⁴⁾ ولكن الخديوي كان يخاف منه إذا عمل بالتعليم وعاشر الناس أن يعود إلى بث أفكاره الإصلاحية، فصرفه عن ذلك بأن عينه قاضياً في عدّة محاكم أهلية ثم صار بعد عامين مستشاراً في محكمة الاستئناف سنة (1308هـ/1890م). لم يكن الشيخ راضياً بهذه الوظيفة رغم إعطائه المكان حقه؛ فهو لا يرى نفسه إلا معلماً، فكان يحكم في القضايا بجتهاده، ويتحرى الحق، ويحكم بما يراه عدلاً بعد أن يسعى بتحصيل الصلح، ولم يستطع القضاء أن يحول دون هدفه الأصلي - وهو الإصلاح - بل اتّخذ وسيلة لتطهير البلاد من الفساد وشهادة الزور والفجور.⁽⁵⁾

5

10

وفي سنة (1317هـ/1899م) عُيّن عضواً في مجلس شورى القوانين، فكان يسعى إلى التوفيق بين الحكومة وأعضاء المجلس، وتقوية ثقة الأمة به، وتربية الرأي العام في مصر، فبرع في الجوانب كلّها الاقتصادية والإدارية والقانونية والشرعية، فكان بقيّة الأعضاء يلتجؤون إليه فيما يشتهه عليهم، استمر في

(1) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (820/1)، الإمام محمد عبده، عمارة/ ص35-36.

(2) السلطان عبد الحميد بن السلطان عبد المجيد، وهو السلطان الرابع والثلاثون، ولد سنة (1258هـ/1842م)، تولى العرش سنة (1293هـ/1876م)، قامت في عهده الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا وانتهت بانتصار روسيا، وأنشأ سكة حديد الحجاز، واهتم بفكرة الجامعة الإسلامية، وتصدى للمشروع الصهيوني في فلسطين، وشكّل جهازاً استخباراتياً قوياً لحماية الدولة من الداخل والخارج، خلع عن العرش سنة (1327هـ/1909م) على يد جمعية الاتحاد والترقي التركية، وأعيد الدستور إلى الأمة التركية، توفّي سنة (1336هـ/1918م). ينظر: تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، حضرة عزتلو يوسف بك آصاف/ ص131 و133 و138، الأعلام الشرقية، مجاهد/ (29/1)، الدولة الثمانية، الصلابي/ ص406 و417 و430-446 و443-446.

(3) ينظر: الأستاذ الإمام، حمادة/ ص132-133.

(4) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (418/1).

(5) ينظر: المصدر نفسه/ (420-422/1).

عمله هذا حتى وفاته فعاد المجلس إلى ما كان عليه من فوضى وارتباك، ثم انحل⁽¹⁾.

6. الإفتاء:

تولّى إفتاء الديار المصرية سنة (1317هـ/1899م)، وكان يجتهد في المسائل المطروحة فيفتي فيها بما يراه متناسباً -حسب اجتهاده- مع روح العصر، فيخالف بذلك فتاوى الفقهاء من قبله، مما أثار عليه سخط الشيوخ.⁽²⁾ ويعتمد على المذهب الحنفي في فتاويه الرسمية، أما غيرها فيراعي مصلحة المستفتي.⁽³⁾ كذلك لم يكن راضياً عن هذه الوظيفة لأنه يراها وظيفة ليس فيها عمل، ولكن في واقع الأمر كان للمفتي أعمال وإصلاحات هامة من موقعه هذا تتبين فيما يأتي:⁽⁴⁾

5

أول ما عُهد إليه تفتيش المحاكم الشرعية عمل على رفع المستوى العقلي والخلقي للقضاة الشرعيين،⁽⁵⁾ وكان قد وضع لائحة لإصلاح المحاكم الشرعية سنة 1896م.⁽⁶⁾

إصلاح المساجد والقائمين عليها، فأنشأ إدارة المساجد؛ وهي تتخصص لتعيين الأئمة والمدربين

10

(1) ينظر: محمد رشيد رضا: تنمّة سيرة الأستاذ الإمام/ مجلّة المنار/ (1323/7/1هـ) - (1905/8/31م) / (489-488/8)، رائد الفكر المصري، أمين/ ص43، زعماء الإصلاح، أمين/ ص334-335. الأستاذ الإمام، حمادة/ ص189-190.

(2) جمع د. علي جمعة مفتي الديار المصرية سابقاً نماذج من فتاوى الأستاذ الإمام في كتاب رتبته على أبواب الفقه، بعنوان (فتاوى الإمام محمد عبده)، وبلغ عدد الفتاوى فيه 191. ينظر: مقدّمة الكتاب/ ص9.

وقد أشيع في حياة الشيخ محمد عبده أنه أجاز فوائد صناديق التوفير، وقد ذكر هذه الفتوى بعض الكاتبين عنه مثل د. عثمان أمين في كتابه رائد الفكر المصري/ ص42-43، ولكن الحق الذي بيّنه رشيد رضا في مجلّته أنه إنّما سئل مشافهة من قبل بعض رجال الحكومة عن طريقة شرعية تبيح للمسلمين أخذ الفوائد، فأجاب: إن الربا المنصوص لا يحلّ بحال، ولما كانت مصلحة البريد تستغلّ الأموال التي تأخذها من الناس - لا أنّها تقترضها للحاجة - فمن الممكن تطبيق استغلال هذه الأموال على قواعد شركة المضاربة . ينظر: محمد رشيد رضا: ربح صندوق التوفير في إدارة البريد/ مجلّة المنار/ (1321/9/16هـ) - (1903/12/5م) / (718-717/6).

(3) ينظر: الأستاذ الإمام، حمادة/ ص171.

(4) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (602/1).

(5) ينظر: رائد الفكر المصري، أمين/ ص44.

(6) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (610-609/1).

من العلماء الأزهريين الصالحين للخطابة والتعليم والتربية العصرية، أراد من هذا الإصلاح جعل المساجد موازية للمدارس والجامعات في تزويد البلاد بالقوة في التربية الاجتماعية واليقظة الوطنية، فوضع لائحة في ترتيب المساجد (1321هـ/1903م)⁽¹⁾، إلا أن الخديوي أوقف العمل بها، وسعى في إخراجه من منصب الإفتاء وإدارة الأزهر، فاستقال من الأزهر (1322هـ/1905م) وتلا ذلك مرضه ووفاته.⁽²⁾

المطلب الخامس: أسفاره

5

كانت أسفار الشيخ محمد عبده لغايات سياسية، كالسعي في المسألتين المصرية والسودانية، أو لاختبار حال التربية والتعليم في البلاد التي يقصدها، فإن وجد تقدماً استفاد منه لنفسه ولبلاده بتطوير أنظمة المؤسسات التعليمية تطبيقاً لقوله تعالى ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [سورة الحج: ٤٦]، وإن وجد ما يتطلب النصح والإصلاح لم يأل في ذلك جهداً، بخلاف غيره من كبار الموظفين والأمراء الذين لم تكن أسفارهم إلا للهو والاصطياف، أو لأجل تجارة أو صناعة.⁽³⁾ حتى عندما نُفي في أعقاب الثورة العربية إلى سورية سنة (1300هـ/1882م)، فأقام في بيروت عاماً، ثم انتقل إلى أوروبا بدعوة من شيخه الأفعايي للعمل معاً، ثم عاد إليها بعد عام إثر إيقاف العروة الوثقى إلى أن عاد إلى بلاده سنة 1306هـ، فقد قضى تلك الفترة في التدريس والإصلاح العلمي والإداري والديني والتحقيق والنشر والتأليف،⁽⁴⁾ فقرأ السيرة والتفسير، وترجم رسالة الرد على الدهريين، وشرح نهج البلاغة ومقامات بديع الزمان الهمذاني،⁽⁵⁾ ورسالة التوحيد، وقد أقبل الناس على كتبه وطُبعت مراراً.⁽⁶⁾

10

15

(1) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام / (630/1-633)، عبقرى الإصلاح والتعليم، العقاد / ص 193-194.

(2) ينظر: الإمام محمد عبده، عمارة / ص 46، تاريخ الأستاذ الإمام، رضا / (635-637).

(3) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا / (865/1).

(4) ينظر: المصدر نفسه / (396/1).

(5) سيأتي الحديث عن هذه الكتب.

(6) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا / (779/1)، ومحمد رشيد رضا: تنمّة سيرة الأستاذ الإمام / مجلّة المنار / (16/6/1323هـ)-

(17/8/1905م) / (463-465). المنهج الإصلاحى للإمام محمد عبده، د. محمد عمارة / ص 22-26.

وقد مرّ سفره الأوّل إلى أوروبا حين خرج منفياً من مصر، وما كان من عمله في باريس في جريدة العروة الوثقى مع شيخه الأفغانيّ، وأسفاره في تلك الفترة خدمة للجريدة وأهدافها، وسعيهما في المسألة المصريّة والسودانيّة حيث توجّه إلى لندن مندوباً عن المجلّة، والتقى رجال السياسة والصحافة وأعضاء البرلمان الإنكليزيّ محاولاً إقناعهم بترك السودان.⁽¹⁾

وفيما يأتي نظرة في أسفاره، وما أفاد منها:

5

1. سفره إلى الأستانة:

كان ذلك سنة (1319هـ/1901م)، بادر حال وصوله لزيارة السلطان عبد الحميد، فنزل في دار الضيافة السلطانيّة، وقام بزيارة شيخ الإسلام جمال الدين أفندي⁽²⁾، وتحدث معه عن المحاكم الشرعيّة وأحوال العلماء، فتناولت الجرائد والمجلات هذا الحوار ما بين مدّع معارضة العلماء لهذا الحوار، ونافٍ لهذه المعارضة،⁽³⁾ كما قام بزيارة لخزان الكتب العامّة في الأستانة،⁽⁴⁾ وقد وجد من سوء أثر بيئة الأستانة على العقل والفكر والقلب ما عذر به أحرار الترك في شرودهم، وتوطين أنفسهم على البلاء والمحن.⁽⁵⁾ ووجد

10

(1) ينظر: محمد رشيد رضا: تتمّة سيرة الأستاذ الإمام/ مجلّة المنار/ (1323/6/16هـ) - (1905/8/17م) / (456/8). رائد الفكر المصريّ، أمين/ ص38.

(2) محمّد جمال الدين بن أحمد أفندي بن يوسف أفندي المعروف بيوسف زادة، وقيل: أبوه محمّد خالد بن يوسف بن أحمد، ولد (1264هـ/1847م)، بدأ طلب العلم على والده، وبدأ بالتدريس وهو لا يزال يطلب العلم، عُيّن قاضياً لاستانبول، وقاضي عسكر الأناضول وحصل على شهادة (موصلة سليمانيّة) أعلى الشهادات العلميّة الشرعيّة، وولّي مشيخة الإسلام مرتين، توفّي منفياً في مصر (1337هـ/1919م)، له: كتاب (شيخ الإسلام اسبق جمال الدين أفندي خاطرات سياسيّة). ينظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق البيطار/ (451/1)، تاريخ مؤسّسة شيوخ الإسلام في العهد العثمانيّ (828-1341هـ=1425-1922م)، أحمد صدقي شقيرات/ (288-289 و291 و297-298).

(3) ينظر: محمد رشيد رضا: الأخبار التاريخيّة/ مجلّة المنار/ (1319/5/1هـ) - (1901/8/16م) / (437-435/4)، تاريخ الأستاذ الإمام/ (848-847/1 و851-857).

(4) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (865/1).

(5) ينظر: المصدر نفسه/ (864/1).

من جهل المسلمين بدينهم، وخلطه بالبدع، بالإضافة إلى استبداد الحكام ما أدى إلى ضعفهم.⁽¹⁾

2. أسفاره إلى أوروبا:

بعد انتهاء رحلته في الأستانة توجه إلى أوروبا ليطلع على مكتبات الملوك والأمراء، وآثار المسلمين ومؤلفاتهم، واطلع في مكتبة إمبراطور النمسا والمجر⁽²⁾ على بعض آثار الصحابة رضي الله عنهم كعمرو بن العاص رضي الله عنه، واطلع في سويسرا على ما كتبه الإفرنج عن الإسلام ولغات العرب القديمة.⁽³⁾ وتعلم خط المسند بهدف قراءة ما وقفوا عليه في بلاد اليمن وآثار سبأ وعاد، واشتغل بما كتبه الإفرنج عن الإسلام.⁽⁴⁾

5

وفي زيارة أخرى (1321هـ/1903م) كان هدفه زيارة المدارس والكتليات والمعاهد العلمية، للاطلاع على مناهجها وأساليبها التعليمية للاستفادة منها في تأسيس الجامعة التي كان ينوي تأسيسها؛ فزار جامعتي كامبردج وأوكسفورد، واستأذن ناظر المعارف ليزور أي معهد علمي في أي وقت شاء، كما التقى بالعديد من المعلمين والفلاسفة الأوروبيين، وزار خزائن الكتب الخاصة بالمكتبتين الملكيتين في كل من فيينا وبرلين،⁽⁵⁾ كما تردد على كلية جنيف لإتقان اللغة الفرنسية، التي بدأ بتعلمها عندما استلم القضاء، للاطلاع على القوانين الفرنسية، ولخدمة الأمة من خلال اللغة الأجنبية.⁽⁶⁾

10

3. سفره إلى تونس والجزائر وصقلية:

في سنة (1321هـ/1903م) توجه إلى تونس والجزائر لأغراض علمية بحثية تخلو عن أهداف سياسية، وقد لقيه علماء كل منهما بالحفاوة والتكريم، وكذلك رجال الدولة الفرنسية هناك؛ إلا أنهم أحاطوه بالجواسيس السريين، وألقى في تونس درساً بعنوان (العلم والتعليم)، ودرساً في الجزائر في (تفسير

15

(1) ينظر: محمد رشيد رضا: تنمّة سيرة الأستاذ الإمام/ مجلّة المنار/ (1323/6/16هـ) - (1905/8/17م)/(465/8).

(2) الحجر: هنغاريا اليوم، دولة أوروبية، عاصمتها بودابست، لغتها الرسمية الهنغارية، وهي لغة السكّان إلا ما ندر، يبلغ عدد سكانها عشرة ملايين. ينظر: الموسوعة التاريخية الجغرافية، مسعود الخوند/ (178-179/20).

(3) ينظر: محمد رشيد رضا: الأخبار التاريخية/ مجلّة المنار/ (1319/6/16هـ) - (1901/9/29م)/(510-509/4).

(4) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (870/1).

(5) ينظر: محمد رشيد رضا: باب الأخبار والآراء/ مجلّة المنار/ (1321/6/16هـ) - (1903/9/8م)/(487-486/6).

(6) ينظر: الأعمال الكاملة، عمارة/ (329-328/2).

سورة العصر).⁽¹⁾ ووقف على أحوال البلاد الدينية والسياسية والمعاشية.⁽²⁾

كان طريق عودة الشيخ إلى بلاده من طريق إيطاليا، فتوجه تلقاء جزيرة صقلية وعاصمتها بلم،⁽³⁾ وزار فيها الأماكن التاريخية من آثار العرب وغيرهم، ومرّ على بعض الكنائس والحدائق، وعلى المكتبة العمومية ودار المحفوظات ومدرسة لتعليم اللغات والعلوم والفنون.⁽⁴⁾

4. سفره إلى السودان:

5

سبقت الإشارة إلى سفر الشيخ إلى السودان مع شيخه الأفغاني سعيّاً في المسألة السودانية.⁽⁵⁾

وقد سافر إليه مرّة أخرى سنة (1322هـ/1905م)، فلقي كبار علمائها ووجهائها من قضاة وحقّام ومفتين،⁽⁶⁾ وقام بالعديد من الزيارات الرسمية والعلمية والودية؛ فزار العديد من المدارس وكلية غردون،⁽⁷⁾ وزار القسم الابتدائي وورشنة تعليم الصناعات المختلفة، كما زار آثار المهدية من بيوت ومساجد

(1) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (1/871-873).

(2) ينظر: محمد رشيد رضا: باب الأخبار والآراء/ مجلّة المنار/ (1/8/1321هـ) - (22/10/1903م)/(6/608).

(3) صقلية: جزيرة إيطالية وبلم (بالرمو) عاصمتها، ومن أهم مدنها أيضاً مسينا وكاتانيا، فيها آثار عربية عديدة، يقوم اقتصادها على الزراعة واستخراج الكبريت، فتحها العرب بقيادة أسد بن الفرات في القرن الثامن الميلادي، وسقطت بأيدي النورمان في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، وأما العاصمة بلم: فهي في الشمال الغربي للجزيرة، فيها آثار عربية وقرطاجية ويونانية، فُتحت في القرن التاسع الميلادي، وسقطت في القرن الحادي عشر الميلادي. ينظر: الموسوعة التاريخية الجغرافية، الخوند/ (4/314-322).

(4) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (1/874). وقد فصل رحلته في مقالات في مجلّة المنار، ثمّ جمعها السيّد رشيد رضا في تاريخ الأستاذ الإمام/ (2/473-504).

(5) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (1/380).

(6) ينظر: المصدر نفسه/ (1/876).

(7) أسّسها كتشنر تخليداً لذكرى غردون عام 1900م، وكانت تدرّس باللغة العربية، وكانت تضمّ مدرسة ابتدائية، ومدرسة للمعلمين والقضاة الشرعيين، ومدرسة صناعية، ومعملًا للتحاليل الكيماوية والبكتريولوجية، ومدرسة ثانوية، وقسمًا أدبيًا لتعليم الإنكليزية.

ينظر: السودان عبر القرون د. محمد مكي شبيكه/ ص494 و497-499.

وغيرها في أم درمان.⁽¹⁾ وزار دواوين الحكومة وقام بتفتيش المحاكم الشرعية.⁽²⁾ أقام فيها قرابة أسبوعين، ثم عاد إلى مصر.⁽³⁾

المطلب السادس: تلامذته

كان للشيخ تلامذة في الأزهر ومدارس مصر، وفي بيروت ومدارسها ومساجدها، وفي تونس والجزائر، وغيرها، وذلك لأنه عاش حياة المعلم في كل مكان وكل ظرف. وفيما يأتي بعض من تلامذته:

5

1. السيد محمد رشيد رضا:

صاحب مجلة المنار، وجامع تفسير الشيخ محمد عبده في تفسيره (المنار). سافر من طرابلس في لبنان إلى مصر لإعجابه بالشيخ فلزمه حتى قال عنه الأستاذ الإمام: "صاحب المنار ترجمان أفكاره".⁽⁴⁾

2. محمد بن مصطفى المراغي:

محمد بن مصطفى بن محمد بن عبد المنعم، المعروف بمحمد مصطفى، ولد في مراغة⁽⁵⁾ (1298هـ/ 1881م)، تعلم في الأزهر، وظهر نبوغه باكراً، فنال شهادة العالمية في الثلاثة والعشرين، عُيّن قاضياً، وقاضي قضاة، وعضواً في المحكمة الشرعية، ورئيساً للمحكمة العليا، وعضواً في هيئة كبار العلماء، وكان

10

(1) أم درمان: أهم ضواحي الخرطوم، وكانت عاصمة المهديّة وفيها الكثير من آثارها، تقع في الشمال الشرقي منها، وتكاد تنحصر فيها أهم النشاطات الاقتصادية والعلمية، ففيها جامعة أم درمان وهي من أهم جامعات وادي النيل، وبالقرب منها تقوم العديد من المصانع في مختلف المجالات. ينظر: الموسوعة التاريخية الجغرافية، الخوند/ (286/9)، موسوعة المدن العربية والإسلامية، د. يحيى الشامي/ ص173.

(2) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (880/1-882).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ (889/1).

(4) تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، محمد رشيد رضا/ (343/2). وستأتي ترجمته في مبحث خاص.

(5) مراغة: كورة في مركز سوهاج من مديرية جرجا في صعيد مصر، تقع غربي النيل، فيها عدة قرى أهلة. ينظر: معجم البلدان، ياقوت ابن عبد الله الحموي الرومي البغدادي/ (97/5)، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، رمزي/ (القسم 2/ 124/5).

(6) ينظر: الأعلام، الزركلي/ (103/7)

أصغر شيوخ الأزهر سنّاً.⁽¹⁾ وحضر دروس الشيخ محمد عبده في التاريخ والاجتماع، فأعجب به وارتبط به، وظلّ وقيّاً معترفاً بفضلته في حياته وبعد وفاته، وكان الشيخ هو الذي اختبره في شهادة العالمية.⁽²⁾

تابع شيخه في إصلاح الأزهر إلى أن نال بغيته بعد أكثر من عشرين سنة، واختاره الشيخ محمد عبده قاضياً شرعياً في السودان لما طلبت منه الحكومة السودانية اختيار قضاة شرعيين،⁽³⁾ ثم صار قاضياً للقضاة فيه بين عامي (1904م-1919م)،⁽⁴⁾ وقد امتاز عن غيره من تلاميذ الشيخ بسعة تحرّره وقوّته ولباقتة، وجمع في دعوته الإصلاحية بين الأفغانيّ الذي ركّز على إصلاح الحكومة الإسلامية، ومحمد عبده الذي ركّز على إصلاح التعليم.⁽⁵⁾ فعمل على إصلاح الأوقاف، والمحاكم الشرعية،⁽⁶⁾ ومن أهمّ ما قام به مشروع ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأوروبيّة، بدأه سنة 1932م.⁽⁷⁾

توفيّ في رمضان سنة (1364هـ/1945م) إثر مرض أصابه، ودفن في القاهرة.⁽⁸⁾ ومن مؤلفاته: (رسالة في ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية)، و(تفسير سورة الحجرات)، و(بحوث في التشريع الإسلامي)، وغيرها.⁽⁹⁾

3. الشيخ أحمد مصطفى المراغي:

أخو الشيخ محمد المراغي، ولد سنة (1300هـ/1883م)، حفظ القرآن الكريم، ثم التحق بالأزهر

(1) ينظر: الإمام المراغي، أنور الجندى/ ص 10-11.

(2) ينظر: المصدر نفسه/ ص 38 و 44-46.

(3) ينظر: المصدر نفسه/ ص 39.

(4) ينظر: المصدر نفسه/ ص 15.

(5) ينظر: المصدر نفسه/ ص 42-43.

(6) ينظر: المصدر نفسه/ ص 12 و 17-18.

(7) ينظر: المصدر نفسه/ ص 101.

(8) ينظر: المصدر نفسه/ ص 150-151، الأعلام، الزركلي/ (103/7).

(9) ينظر: الأعلام، الزركلي/ (103/7).

سنة 1314هـ، وفيه اجتمع بالشيخ محمد عبده، وتلقى عنه وعن غيره من علماء الأزهر، وقد ظهر تأثير مدرسة الشيخ في تفسيره، قال في مقدمته معدداً مصادره في التفسير، قال: "(17) تفسير المنار للسيّد محمد رشيد رضا؛ وهو تفسير مقتبس من دروس الأستاذ الإمام محمد عبده، وقد كان له فضل كبير فيما اقتبسناه أثناء تفسير الأجزاء التي فسرها".⁽¹⁾ تابع دراسته في دار العلوم، وتخرّج منها سنة (1326هـ/1909م)، وبدأ العمل بالتدريس في مدارس مصر، ثمّ درّس الشريعة الإسلامية في كليّة غردون، ثمّ عاد إلى دار العلوم في مصر، فعمل أستاذاً للغة العربيّة والشريعة فيها، وأستاذاً للبلاغة في كليّة اللغة العربية في الأزهر.⁽²⁾ توفّي بالقاهرة سنة 1952م.⁽³⁾ ومن مؤلفاته: تفسيره المعروف بـ(تفسير المراغي) بلغ عشر مجلّدات، و(هداية الطالب)، و(الوجيز في أصول الفقه)، وغيرها.⁽⁴⁾

5

4. الشيخ محمد شاکر:

محمد شاکر بن أحمد بن عبد القادر، حسيّن النسب، ولد في جرجا⁽⁵⁾ (1282هـ/1866م)، حفظ القرآن الكريم، ثمّ تعلّم في الأزهر، عُيّن أميناً للفتوى، ثمّ نائباً لمحكمة مديريّة القليوبية،⁽⁶⁾ عمل مع شيخه محمد عبده على إصلاح المحاكم الشرعيّة، فرشّحه لمنصب قاضي القضاة في السودان

10

(1) تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي/ (21/1).

(2) ينظر: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير د. فهد الرومي/ (208/2-209). الفتح المبين في طبقات الأصوليين، عبد الله مصطفى المراغي/ (202/3).

(3) ينظر: منهج المدرسة العقلية الحديثة، الرومي/ (211/2)، الأعلام، الزركلي/ (258/1).

(4) ينظر: منهج المدرسة العقلية الحديثة، الرومي/ (209/2)، الأعلام، الزركلي/ (258/1). الفتح المبين، المراغي/ (203/3-204).

(5) مدينة جرجا: على الشاطئ الغربي للنيل، كان بها ديوان مديريّة جرجا، وفيها متاجر مصرية وأوروبية وسودانية وحجازية، وفيها صناعة الجلد، تسلّط عليها النيل فذهب بكثير من أبنيتها، ثمّ انحسر بوضع حواجز حجرية. ينظر: جغرافية مصر، فكري/ ص151-152.

(6) مديريّة القليوبية تقع بين القاهرة ومديريّة الشرقية، عدد سكّانها 191000 نسمة، فيها من البلاد 160 ما بين مدينة وقرية وكفر، وفيها العديد من الترع. ينظر: المصدر نفسه/ ص8-9.

(1317هـ/1900م) لمتابعة خطته الإصلاحية، بالإضافة إلى دروسه للعامة.⁽¹⁾

عُيِّن شيخاً لعلماء الإسكندرية، فقام بنهضة علمية مستعيناً بنخبة من علماء الأزهر،⁽²⁾ وعُيِّن وكيلاً للأزهر فبادر إلى أعمال إصلاحية فيه، عن طريق فتح معاهد تكون فروعاً له،⁽³⁾ وفي عام 1913م ترك العمل الحكومي، وعُيِّن عضواً في الجمعية التشريعية، وكانت له مقالات في كبريات الصحف يدافع فيها عن الإسلام، وينبّه من خطر الفرقة، وشارك في الثورة المصرية سنة 1919م.⁽⁴⁾

5

كان ذا علم بمختلف العلوم الإسلامية؛ كالتفسير ومتون الحديث والفقهاء الحنفية وأصول الفقه وعلم البيان.⁽⁵⁾ توفي سنة (1358هـ/1939م).⁽⁶⁾ ومن مؤلفاته: (الإيضاح لمثن إيساغوجي)، و(القول الفصل في ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأعجمية)، و(السيرة النبوية)، وغيرها.⁽⁷⁾

المطلب السابع: مؤلفاته

للشيخ محمد عبده تراث علمي واسع، فله عدد من المؤلفات والمقالات والرسائل، بالإضافة إلى

10

(1) ينظر: من أعلام العصر، أسامة أحمد شاكر/ ص 9-12 و14.

(2) ينظر: المصدر نفسه/ ص 14.

(3) ينظر: المصدر نفسه/ ص 15-16.

(4) ينظر: المصدر نفسه/ ص 16-17.

الثورة المصرية: اندلعت عقب قبض السلطات البريطانية على سعد زغلول ورفاقه، وكان لها أسباب سياسية واجتماعية واقتصادية، وعُتت المظاهرات مصر بأسرها وسقط الشهداء، وأُضرب الموظفون، فاضطرت بريطانيا إلى تغيير المفوض السامي والإفراج عن الزعماء المعتقلين. ينظر: الموسوعة التاريخية الجغرافية، الخوند/ (18/238-239).

(5) ينظر: من أعلام العصر، شاكر/ ص 19.

(6) ينظر: المصدر نفسه/ ص 21.

(7) ينظر معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة/ (3/339-340).

دروسه في كلّ البلدان التي زارها، وقد أحصاها السيّد رشيد في كتابه (تاريخ الأستاذ الإمام).⁽¹⁾

أولاً: مؤلفاته في التفسير:

1. تفسير جزء عم: كتبه لطلاب مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية، أتمّه عام (1321هـ/1903م)، وبين

في مقدمته كلّ ما يحتاجه المسلمون من إصلاح، وأنّ ذلك لا يكون إلّا بهداية القرآن الكريم.⁽²⁾

2. تفسير سورة العصر: درس ألقاه في الأزهر وفي الجزائر، ثمّ كتبه بناء على طلب أهل العلم، وقد بين فيه

أنّ هذه السورة كافية في هداية كلّ الأجيال.⁽³⁾

ثانياً: مؤلفاته في العقيدة وعلم الكلام:

3. رسالة الواردات في نظريات المتكلمين والصوفيّة في الفلسفة الإلهيّة: وهي أوّل مؤلفاته، مكتوبة على

طريقة الصوفيّة، وهي دروس ألقاها الأفغانيّ، جمعها الشيخ واعنى بها، ولكنّه تراجع عن كثير ممّا فيها.⁽⁴⁾

4. رسالة في وحدة الوجود: بين فيها مراتب الوجود وتعدّداتها، ونظامها العام ووحدها، بعيداً عن معنى

الحلول، يقول السيّد رشيد: "لم أطلع عليها وهو الذي أخبرني بها".⁽⁵⁾

5. رسالة التوحيد: أهمّ ما كتبه الشيخ، وكانت نواتها دروساً ألقاها في بيروت، استقدمها من أحد طلابه

هناك لينقّحها ثمّ ينشرها، وقد ألقاها دروساً في الأزهر، وترجمت إلى الفرنسيّة والأوردية.⁽⁶⁾

(1) ينظر: (777/1) جمع مؤلفاته في هذا الموضوع، واختصّ الجزء الثاني منه بمنشأته من مقالات ولوائح وغيرها، كما جمعها د. محمّد عمارة في (الأعمال الكاملة) في خمسة أجزاء.

(2) طبع في الجمعية الخيرية الإسلامية مرّات عدّة، آخرها 1341هـ، وفي مطبعة المنار، وغيرها. ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (788/1)، فهرس مكتبة المنار عن سنة (1332هـ/1914م) / ص12، معجم المطبوعات، سركيس/ (1678/2).

(3) طبع مرّتين في مطبعة المنار، مع ملخص لدرس الأستاذ الإمام في تونس حول العلوم الإسلامية وأقرب الطرق لتعلّمها. ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (787/1)، فهرس مكتبة المنار/ ص9. وطبع في دار الكتاب الجديد ببيروت.

(4) طبعت في مطبعة المنار بالقاهرة مرّتين، ثانيهما عام (1344هـ/1925م) ومعها العقيدة المحمدية لرشيد رضا، ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (777/1)، الأعمال الكاملة، عمارة/ (210/1).

(5) تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (777/1).

(6) لاقت الرسالة رواجاً كبيراً، وعلّق عليها وصحّحها على نسخة المؤلّف السيّد رشيد رضا، وحققها د. محمّد عمارة، وطُبعت طبعات كثيرة، منها مطبعة المنار ودار إحياء الكتب العربيّة، وبلغ عدد طبعاتها في هذه الدار أربع عشرة سنة 1371هـ، وغيرها. ينظر:

6. ساهم في إصدار ترجمة الردّ على الدهريين (إبطال مذهب الدهريين وبيان مفسادهم، وإثبات أنّ الدين أساس المدنيّة، والكفر فساد العمران): للسيد جمال الدين الأفغانيّ، أنجزه في لبنان.⁽¹⁾
7. حاشية عقائد جلال الدين الدوّاني: (2) في علم الكلام، وهي دروس أملاها الأفغانيّ على طلابه، فجمعها الشيخ محمّد عبده، وأضاف عليها بعض الهوامش.⁽³⁾

ثالثاً: مؤلفاته في المنطق:

5

8. شرح البصائر النصيرية: (4) في المنطق، وهو عبارة عن تعليقات على الكتاب، قرأه درساً في الأزهر، ثمّ أصبح فيه مقرّراً رسمياً.⁽⁵⁾

مقدمة الكتاب/ ص 13-15، تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (779/1)، فهرس مكتبة المنار/ ص 34.

(1) ترجمه أبو تراب خاد الأفغانيّ، وصاغ هذه الترجمة الشيخ محمّد عبده، وقد طُبع في مطبعة العاصمة ببيروت مرّتين، ثانيهما 1333هـ، وفي دار المعارف الحكيمية ببلبن سنة (1438هـ/2017م)، وغيرها. ينظر: معجم المطبوعات/ (706-707)، اكتفاء القنوع بما هو مطبوع من أشهر التآليف العربيّة في المطابع الشرقيّة والغربيّة، إدورد فنديك/ ص 488.

(2) محمّد بن أسعد جلال الدين الصديقيّ الدوّانيّ الكازرونيّ الشافعيّ، كان قاضياً بفارس، أخذ عن المحيوي اللاري وحسن البقال، تقدّم في العلوم سيما العقليّات، توفّي سنة 918هـ. له: شرح على شرح التجريد للطوسيّ، وحاشية على العضد، وهي المقصودة. ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمّد بن عبد الرحمن السخاوي/ (133/7)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمّد بن عليّ الشوكانيّ / (130/2).

(3) ينظر: الأعمال الكاملة، عمارة/ (227/1). طُبع في المطبعة الخيريّة بمصر عام 1322هـ، ومكتبة الشروق الدوليّة بالقاهرة (1423هـ/2002م)، وغيرها.

(4) البصائر النصيرية: لعمر بن سهلان الساويّ ت 450هـ، ألفه تقرّياً للوزير نصير الدين بن أبي توبة - كما ذكر في مقدّمته - لذلك سمّاه البصائر النصيرية. ينظر: مقدّمة الكتاب/ ص 2-3، تاريخ بيهق وذكر العلماء والأئمّة والأفاضل الذين نبغوا فيها أو انتقلوا إليها، عليّ بن زيد البيهقيّ/ ص 26-27، معجم المؤلّفين، كحالة/ (559/2).

(5) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (778/1). طبع في المطبعة الأميريّة ببولاق عام (1316هـ/1898م)، وفي دار الفكر اللبناني ببيروت عام 1993م.

رابعاً: تحقيقاته في البلاغة والأدب:

9. شرح نهج البلاغة ومشروع الفصاحة من كلام الإمام عليّ عليه السلام: (1) كتبه في بيروت، وهدفه اطلاع طلاب المدارس على ما فيه من بلاغة، رغم عدم اعتقاده ثبوت إسناد كل ما فيه إلى الإمام عليّ عليه السلام. (2)
10. شرح مقتبس السياسة وسياج الرياسة للإمام عليّ عليه السلام: كتبه إلى الأشر النخعي (3) لما ولّاه على مصر. (4)
11. شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني: (5) كتبه -أيضاً- في بيروت بناء على طلب المهتمين باللغة العربية، فصّححه على نسخته وشرح غريبه، وهو أوّل من شرحه. (6)

5

- (1) وقيل: إنّه من وضع جامعه، وليس للإمام عليّ عليه السلام فيه عدّة فنون أدبيّة، طبع في مصر، وشرحه أيضاً ابن أبي الحديد ت655هـ. ينظر: معجم المطبوعات، سركيس / (29/1 و1124-1125).
- (2) طبع في بيروت بالمطبعة الأدبيّة عام 1885م، ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا / (778/1)، معجم المطبوعات، سركيس / (1124-1125)، وفي دار المعرفة ببيروت، وغيرها.
- (3) الأشر النخعي: مالك بن الحارث بن عبد يغوث، روى عن عمر وعليّ وأمّ ذرّ عليه السلام، وروى عنه أبو حستان الأعرج وعبد الرحمن بن علقمة وابنه إبراهيم، شهد اليرموك، وسيّره عثمان عليه السلام من الكوفة إلى دمشق، وشهد مع عليّ عليه السلام الجمل وصفين والمشاهد كلّها، وولّاه عليّ عليه السلام على مصر فمات قبل أن يدخلها سنة 37هـ. ينظر: التاريخ الكبير، محمّد بن إسماعيل البخاري / (مج3/4/7)، تاريخ مدينة دمشق، عليّ بن الحسن ابن عساكر / (373/56 و375).
- (4) طبع بالمطبعة الأدبيّة بمصر سنة 1317هـ. ينظر: معجم المطبوعات، سركيس / (1769/2).
- (5) المقامات حكايات قصيرة تستغرق مقامة (جلسة) واحدة، تشتمل على حادثة في نهايتها عبرة، وكان بطلها عند الهمذانيّ أبو الفتح الإسكندريّ. ينظر: تاريخ الأدب العربيّ للمدارس الثانويّة والعليا، أحمد حسن الزيات / ص 176.
- ويديع الزمان: هو أحمد بن الحسين بن يحيى، أبو الفضل، لم يكن له قرين في زمانه في نثر ولا شعر، ثقة في الحديث، درس على أبي الحسين بن فارس والصاحب أبي القاسم، له عدّة أسفار، أملى أربعمئة مقامة، توفّي سنة 398هـ. ينظر: بيتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور الثعالبيّ النيسابوريّ / (293/5-295)، ومعجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت بن عبد الله الحمويّ / (234/1-235).

- (6) طبع أوّلًا في بيروت مرتين أولاهما عام (1306هـ/1889م)، وطبع في دار الكتب العلميّة ببيروت عام (1426هـ/2005م)، وغيرها. ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا / (778/1)، مقامات بديع الزمان الهمذانيّ، أحمد بن الحسين بن يحيى / ص 3-4، الدليل إلى المتون العلميّة، عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم / ص 682.

12. تحقيق دلائل الإعجاز: عمل على تصحيحه من نسخ استقدمها من المدينة المنورة وبغداد، ونسخة كانت عنده، بالاشتراك مع الشيخ محمد الشنقيطي⁽¹⁾ وألقاه دروساً في الأزهر.⁽²⁾

خامساً: مؤلفاته في التاريخ:

13. تاريخ إسماعيل باشا: حصل عبد الله النديم⁽³⁾ على نسخته من المؤلف، ونشرت فصولاً منه جريدة الطائف⁽⁴⁾ بتصرف أو بغير تصرف وهي مطبوعة في (الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده).⁽⁵⁾

5

14. الثورة العرابية: بدأه بطلب من الخديوي عباس، فلم يكتب منه إلا أسبابها، ولم يتمه بسبب سوء علاقته بالخديوي، وانشغاله بكثير من الأعمال.⁽⁶⁾

(1) محمد محمود بن أحمد التركي الشنقيطي، عالم باللغة والأدب، شاعر، أموي النسب، معروف بابن التلاميذ، أقام بمصر واتصل فيها بالشيخ محمد عبده، ورحل إلى مكة والمدينة، وانتدبه السلطان عبد الحميد إلى إسبانية لإعلامه بما ليس موجوداً منها في مكتبة الأستانة، وتوفي بالقاهرة عام (1422هـ/1904م). له: الحماسة السنّة في الرحلة العلميّة، وإحقاق الحق حاشية على شرح لامية العرب لعكاش اليميني، وتصحيح الأغاني. ينظر: الأعلام، الزركلي (7/89-90)، معجم المؤلفين، كحالة (3/700).

(2) طبع مرتين في مطبعة المنار، ثانيهما بتصحيح على نسخة الشيخ محمد عبده، ومن خلال دروسه من قبل السيد رشيد عام 1331هـ، وطبع أيضاً في دار الكتب العلميّة ببيروت عام (1409هـ/1988م)، وغيرها. ينظر: مقدّمة الكتاب من طبعة دار الكتب العلميّة/ ص (ز-ح)، معجم المطبوعات، سركيس/ (1/681).

(3) عبد الله بن مصباح بن إبراهيم، حسني النسب، أديب شاعر، وُلد بالإسكندرية، حفظ القرآن، وتعلم فقه الشافعي والأصول والمنطق الأدب، وأنشأ الجمعية الخيرية الإسلامية، وأنشأ جريدة التنكيت والتبكيث، وجريدة الطائف، ومجلة الأستاذ، من خطباء الثورة العرابية، ونُفي على أعقابها إلى يافا (1309هـ/1892م) عاماً، ثم نفاه الإنكليز، فتوجه إلى الأستانة واتصل فيها بالأفغاني، وعمل مفتشاً للمطبوعات في الباب العالي، وبقي فيها إلى وفاته (1314هـ/1896م). له: ديوانان، واللالئ والدرر في فوائح السور، والنحلة في الرحلة، والمتراذفات. ينظر: مشاهير الشرق، زيدان (2/119-125)، الأعلام، الزركلي (4/137-138).

(4) الطائف: صحيفة أسبوعية، أنشئت سنة 1881م لصاحبها ومحزرها عبد الله النديم في الإسكندرية، سيطر عليها قادة الجيش في أثناء الثورة العرابية نشروا فيها ما يريدون، وكان مُنشؤها ينشر فيها مقالات بعنوان (مصر وإسماعيل باشا)، في العدد 42 بتاريخ (6/5/1882م)، ولعلّها هي فصول الكتاب المذكور كما يرى د. عمارة، وفيها مقالات لأحمد عرابي ومحمود سامي البارودي وغيرهم. ينظر: تاريخ الصحافة العربية، طيرازي/ (3/62-63)، الأعمال الكاملة، عمارة/ (1/232-233).

(5) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (1/777)، الأعمال الكاملة، عمارة/ (1/232-233).

(6) وهو مجموع في تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (1/157)، والأعمال الكاملة، عمارة/ (523-609).

15. **مذكرات الأستاذ الإمام:** تحدّث فيها عن أسرته ونشأته، ورحلته مع طلب العلم، وقد كتبها بناء على طلب أحد الأجانب من أصدقائه.⁽¹⁾

16. **فلسفة الاجتماع والتاريخ:** ألّفه في أثناء تدريسه لمقدّمة ابن خلدون في دار العلوم، ولكنّه فقد وأخذت أوراقه من دار العلوم بعد وفاة الشيخ.⁽²⁾

5 سادساً: مؤلفاته في الاجتماع والتربية:

17. **الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية:** مقالات كتبها لمجلة المنار، قصد منها ترجيح الإسلام على النصرانية في حرية العلم ونشأة المدنية، وتنبيه المسلمين إلى أسباب تأخّرهم وضياع مجدهم.⁽³⁾

18. **الرّد على هانوتو:**⁽⁴⁾ المسمّى (الإسلام بين العلم والمدنية)، وهو مجموعة مناظرات بين الشيخ محمّد عبده وهانوتو بلغت ستّ مقالات.⁽⁵⁾

19. **نظام التربية والتعليم بمصر:** رسالة نشرها السيّد رشيد في (تاريخ الأستاذ الإمام)، وهي رسالة موجزة نافعة في الطريقة المثلى لتعليم المصريين.⁽⁶⁾

20. **تقرير المحاكم الشرعية:** فيه كثير من الفوائد الإدارية والاجتماعية والأدبية للقضاة خاصة، ولطلاب علم الفقه عامة.⁽⁷⁾

(1) ينظر: مذكرات الأستاذ الإمام/ ص16. أدرجه رشيد رضا في تاريخ الأستاذ الإمام، ود. محمّد عمارة في الأعمال الكاملة، وحققه الطناحي مع كتابات سياسية أخرى للأستاذ الإمام، وطُبع في دار الهلال.

(2) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (1/777-778).

(3) طُبعت في مطبعة المنار مرّات عدّة، منها 1341هـ. ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (1/787)، ومعجم المطبوعات، سركيس/ (2/1678). وفي دار الحداثة ببيروت مرّات عدّة، آخرها عام 1988م، وغيرها.

(4) غابرييل هانوتو: سياسيّ مؤرّخ، معروف بنزعته الاستعمارية، كان وزير خارجية فرنسا ما بين (1894م-1898م)، وكان يهدف إلى حلف روسيّ فرنسيّ ضدّ ألمانيا، له: تاريخ فرنسا المعاصرة. توفيّ 1944م. ينظر: معجم أعلام المورد، منير بعلبكيّ/ ص469.

(5) طُبع بمصر مع كتابات أخرى، ودار الهلال مرّات عدّة آخرها عام (1403هـ/1983م)، وأعيد طبعه بدار المدى بدمشق عام 1993م، وغيرها. ينظر: معجم المطبوعات، سركيس/ (2/1679)، تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (1/799).

(6) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (1/779).

(7) طُبع في مطبعة المنار 1317هـ. ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (1/786)، ومعجم المطبوعات، سركيس/ (2/1678). وفي

أما تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، فهو كتاب يجمع ما ألقاه الشيخ محمد عبده في درس التفسير بالأزهر، إلا أنّ نسبته إلى السيّد رشيد رضا، فقد كان يكتب ما يسمع من الأستاذ، ويضيف عليه من تفسيره، ثمّ يعرضه عليه، وقلّما اعترض على شيء منه، قال رشيد رضا: "على أنه لم يكن كلّ نقلاً عنه ومعزّواً إليه؛ بل كان تفسيراً للكاتب من إنشائه، اقتبس فيه من تلك الدروس العالية جلّ ما استفاده منها، لذلك كنت أعزو إليه القول المنقول عنه إذا جاء بعد كلام لي في بيان معنى الآية أو الجملة على الترتيب، فإذا انتهى النقل وشرعت بكلام لي بعده قلت في بدئه: (أقول)⁽¹⁾".

5

المطلب الثامن: وفاته

أصيب الشيخ محمد عبده بمرض السرطان في المعدة والكبد، وأخذ المرض يشتدّ عليه ويشتدّ، وهو لا يزال يزاول أعماله جميعها متجاهلاً أمر الأطباء له بالراحة والحمية، واجتناب الإجهاد الفكريّ، ثمّ كان لا بدّ له من السفر إلى أوروبا لاستكمال العلاج، ولكن لما دنا موعد سفره أكّد الأطباء أنّ جسده لا يقوى على السفر فانتقل إلى الإسكندرية، ومكث فيها أياماً يتهافت إليه الزوّار والبرقيات من كلّ مكان، وفي الثامن من جمادى الأولى سنة (1323هـ/1905م) لبيّ الشيخ نداء ربّه ونقل جثمانه إلى القاهرة، وشارك في جنازته جمع عظيم في كلا المدينتين، وشيّعته الحكومة بشكل رسميّ، وصُلّي عليه في الأزهر ودفن في مقبرة المجاورين. ورثته الجرائد في مصر والشرق وأوروبا على اختلاف طوائفها وجنسيّاتها،⁽²⁾ وقد ترك عدداً يعسر حصره من المحبّين والتلاميذ، وفكراً تجديدياً لا يستهان به. رحمه الله تعالى وغفر له.⁽³⁾

10

15

دار كتب التراث.

(1) تفسير المنار، رضا/ (17/1).

(2) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (1049/1). والجزء الثالث من التاريخ كلّ في المراثي في الشيخ محمد عبده.

(3) ينظر: محمد رشيد رضا: مرض الأستاذ الإمام/ مجلّة المنار/ (1323/5/1هـ) - (1905/7/3م) / (357-355/8)، محمد

رشيد رضا: مصاب الإسلام بموت الأستاذ الإمام/ مجلّة المنار/ (1323/5/16هـ) - (1905/7/19م) / (379-378/8)،

تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (1044/1 و1046). عبقرى الإصلاح والتعليم، العقّاد/ ص275-276.

المبحث الثاني: التعريف بالسيّد محمّد رشيد رضا

المطلب الأوّل: اسمه ومولده

هو السيّد محمّد رشيد بن السيّد عليّ رضا بن السيّد محمّد شمس الدين،⁽¹⁾ وُلد عام (1282هـ/ 1865م)⁽²⁾ في قرية القلمون⁽³⁾ من لبنان قريبة من طرابلس الشام، وأهل هذه القرية كلّهم من الأشراف معروفون بحسن السيرة، ويمتاز أهل بيت السيّد رشيد رضا بالعلم والرياسة، ويلقبون بالمشايخ، وكانوا بيت كرم وضيافة ومكانة دينيّة واجتماعيّة؛ يأوي إليه عابرو السبيل والعلماء وغيرهم من المسلمين وغيرهم.⁽⁴⁾

والده حسينيّ النسب كان عزيز النفس، سخيّ اليد، شديد الهيبة، يحسن معاملة المخالفين في الدين وينصفهم مع غيرة شديدة على الإسلام. ووالدته حسنيّة النسب، كانت كريمة الأخلاق سليمة الفطرة، بالإضافة إلى الاستعداد لذوق اللغة، وحسن الفهم، وقد استقى منهما معظم تلك الصفات الحميدة،

5

(1) ينظر: السيّد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة، شكيب أرسلان/ ص 811، رشيد رضا صاحب المنار عصره وحياته ومصادر ثقافته، د. أحمد الشرباصي/ ص 104.

(2) في السنة التالية للانسلاخ الرسميّ للبنان عن سورية، وبقي تحت سيادة الدولة العثمانيّة، ممّا أتاح لفرنسا التدخل في شؤون لبنان ثقافيّاً واقتصاديّاً، وكان السلطان العثمانيّ في تلك المرحلة عبد العزيز (1861-1876م)، قام بعدد من الإصلاحات، منها مجلّة الأحكام العدليّة، وديوانها، ومجلس شورى الدولة؛ ولكنّ أوروبا سعت في عزله، ثمّ قتله لرفضه سياسة التغريب، ممّا حكم عبد الحميد الثاني بين عامي (1876-1909م) كان متّهماً بالاستبداد، فاستمرّ في الحكم الفرديّ ثلاثين سنة، إلى أن ثار عليه الجيش 1908م، فأعلن الحكم النيابيّ، وافتتح البرلمان، ثمّ عُزل على يد الاتّحاديّين. ينظر: موسوعة التاريخ الإسلاميّ، شلي/ (5/653)، الدولة العثمانيّة، الصلابيّ/ ص 391-393، العثمانيّون في التاريخ والحضارة، د. محمّد حرب/ ص 29 و40-42.

(3) القلمون: قرية على شاطئ البحر من جبل لبنان قريبة من طرابلس، تقع وسط منطقة كثيرة الزرع غزيرة المياه، فيها عدّة آثار قديمة. ينظر: المنار والأزهر، محمّد رشيد رضا/ ص 148، وتسريح الأبصار فيما يحتوي لبنان من الآثار، الأب هنري لامنس اليسوعيّ/ (153/1-154).

(4) ينظر: المنار والأزهر، رضا/ ص 148-149، وعبد الله أمين: نعي فقيد الإسلام والمسلمين السيّد الإمام محمّد رشيد رضا منشئ المنار ﷺ/ مجلّة المنار/ (29/4/1354هـ) - (30/7/1935م) / (35/154).

والعلم الصحيح والعمل به.⁽¹⁾

المطلب الثاني: نشأته العلمية

❖ كان شديد الحياء، مصون اللسان، وقد أورثه ذلك السكون إلى العزلة، ولم يكن لديه ميل إلى اللعب مع الصبيان، إضافة إلى ذلك كان يتسم بالذكاء وسرعة الفهم، قويّ الحفظ للمعاني والمقولات حتى لفت ذكاؤه أنظار العلماء من أصحاب والده، مما أدّى إلى تفرّغه لطلب العلم، وحبّه إلى نفسه، بالإضافة إلى ذلك نشأته في بيت مملوء بالكتب، صبغته العلم والدين.⁽²⁾

5

❖ بدأ السيّد رشيد رحلته العلميّة في كتاب القرية، فتعلم فيها القرآن والكتابة ومبادئ الحساب، وحفظ عدداً من السور، ثمّ انشغل عن إتمامه بطلب العلم، ثمّ التحق بالمدرسة الرشيدية، فدرس فيها علوم العربيّة ومبادئ العلوم الشرعيّة والكويتيّة، إلّا أن دروسها بالتركيّة، بقي فيها سنة واحدة، ثمّ تركها لأنّها كانت تُعدّ حَرْجِيَّها ليكونوا موظّفين في الحكومة العثمانيّة، ولم يكن راغباً في ذلك.⁽³⁾

10

❖ وكان قبل طلبه العلم عاكفاً على كتب التصوّف والأدب والتاريخ، وأكثر ما نال إعجابه وأثر في دينه وأخلاقه كتاب إحياء علوم الدين، فكان يعدّه معلّمه الأوّل، وقد قرأه مراراً، وألقاه على العامة، فأكثر بسببه من العبادة من صلاة وقرآن وأوراد، وسلك الطريقة النقشبندية،⁽⁴⁾ ثمّ ترك تلك الأوراد لما التفت إلى كتب السنّة لما فيها من البدع - كما يرى - وترك كذلك الطريقة النقشبندية رغم تصحيحه لما انتقده منها، وصحّح ما يراه مخالفاً للصواب من كتاب الإحياء، وكان عازماً على كتابة ملخص له؛ ولكن

15

(1) ينظر: المنار والأزهر، رضا/ ص149، ومحمّد رشيد رضا: المصاب العظيم بوالدنا البرّ الرحيم/ مجلّة المنار/ (1323/7/16هـ) - (1905/9/15م)/(554-555)، ومحمّد رشيد رضا: مصابنا بالوالدة رحمها الله تعالى/ مجلّة المنار/ (1350/6/1هـ) - (1931/10/3م)/(73/32و79). وإخاء أربعين سنة، أرسلان/ ص809.

(2) ينظر: المنار والأزهر، رضا/ ص153-155، رشيد رضا، الشرياصي/ ص118.

(3) ينظر: المنار والأزهر، رضا/ ص155.

(4) النقشبندية: نسبة إلى مؤسسها بهاء الدين محمد شاه نقشبند ت791هـ، وهي دوام العبوديّة لله تعالى ظاهراً وباطناً، بكمال التزام السنة واجتناب البدعة والرخصة في كلّ الحركات والسكنات، والعبادات والعادات والمعاملات، مع دوام الحضور مع الله وبالله تعالى على طريق الذهول والاستهلاك، بدأت بين الناطقين بالفارسيّة، ثمّ انتقلت إلى دمشق بانتقال الشيخ خالد النقشبندي إليها. ينظر: الموسوعة الصوفيّة أعلام التصوّف والمنكرين عليه والطرق الصوفيّة، د. عبد المنعم الحفني/ ص393-395.

لم يُكتب له ذلك، وبقي محافظاً على ما تعلّمه منه من الزهد في الدنيا ومفاتها رغب ما كان له من كرامات ومكاشفات؛ بل بقي محافظاً على إخلاصه في العبادة والتعليم. وحفظ كثيراً من الشعر، ونظم بعضه.⁽¹⁾

وأما معلّمه الثاني فهو **مجلة العروة الوثقى**، التي وقع على أعداد منها بين أوراق والده، فأعجب بها وشكّلت محطة التحوّل الأهمّ في حياته، فوسّعت أفقه للسعي في إصلاح الأُمّة الإسلاميّة، والنهوض بحالها عن طريق الإسلام الجامع بين خيرَي الدنيا والآخرة، بعد أن كان همّه محصوراً في بيئته المحيطة فقط، وتعرّف من خلالها أسباب فساد العقائد والأخلاق، فأخذ يجمع أعدادها، إلى أن حصل عليها كاملة من شيخه حسين الجسر،⁽²⁾ واستنسخها كلّها، وحاول الاتصال بمؤسّسيها الشيخين الأفغانيّ وعبدّه.⁽³⁾

✽ انتقل بعد المدرسة الرشيدية إلى **المدرسة الوطنية الإسلامية**⁽⁴⁾ سنة (1299 أو 1300هـ/

(1) ينظر: محمّد رشيد رضا: مطبوعات البكريّ/ مجلة المنار/ (1325/5/1هـ) - (1907/7/11م) / (397/10)، والمنار والأزهر، رضا/ ص 158-156 و 162-164 و 175-182، ورشيد رضا، الشرباصي/ ص 275-277.

(2) ستأتي ترجمته.

وقد وصف السيّد رشيد معلّميه الإحياء والعروة الوثقى بقوله: يقول رشيد رضا واصفاً هذين المعلّمين: وهي هي [أي: العروة الوثقى] التي نقلتني من طور إلى طور، وحبّبت إليّ صاحبها، حتّى جذبني الحبّ إلى مصر، ووصل حبل وديّ بالأستاذ الإمام، وحملني على نشر حكمته، وإعلان دعوته... فطفقت أقرأها المرّة بعد المرّة، وهي تفعل في نفسي فعلها، تهدم وتبني، وتعدّ وتُمتّي، وما كان وعدّها إلا حقّاً، ولا تمنّيها إلا رجاء وأملاً أحدث إصلاحاً وعملاً، فكانت هي أستاذي الثاني الذي أثر في نفسي، وأقيم عليه بناء عملي وأملي، وأما الأستاذ الأوّل فهو كتاب إحياء العلوم للإمام الغزاليّ الذي كان أوّل كتاب ملك عقلي وقلبي. محمّد رشيد رضا: تتمة سيرة الأستاذ الإمام/ مجلة المنار/ (1323/6/16هـ) - (1905/8/17م) / (456/8)

(3) ينظر: محمّد رشيد رضا: تتمة سير الأستاذ الإمام/ مجلة المنار/ (1323/6/16هـ) - (1905/8/17م) / (456/8)، رشيد رضا، الشرباصي/ ص 135، السيد محمّد رشيد رضا إصلاحاته الاجتماعيّة والدينيّة، محمّد أحمد درنيقة/ ص 26-27.

وقد وصف السيّد رشيد معلّميه الإحياء والعروة الوثقى بقوله: يقول رشيد رضا واصفاً هذين المعلّمين: وهي هي [أي: العروة الوثقى] التي نقلتني من طور إلى طور، وحبّبت إليّ صاحبها، حتّى جذبني الحبّ إلى مصر، ووصل حبل وديّ بالأستاذ الإمام، وحملني على نشر حكمته، وإعلان دعوته... فطفقت أقرأها المرّة بعد المرّة، وهي تفعل في نفسي فعلها، تهدم وتبني، وتعدّ وتُمتّي، وما كان وعدّها إلا حقّاً، ولا تمنّيها إلا رجاء وأملاً أحدث إصلاحاً وعملاً، فكانت هي أستاذي الثاني الذي أثر في نفسي، وأقيم عليه بناء عملي وأملي، وأما الأستاذ الأوّل فهو كتاب إحياء العلوم للإمام الغزاليّ الذي كان أوّل كتاب ملك عقلي وقلبي. محمّد رشيد رضا: تتمة سيرة الأستاذ الإمام/ مجلة المنار/ (1323/6/16هـ) - (1905/8/17م) / (456/8)

(4) وقد خرّجت هذه المدرسة عدداً من الأعلام البارزين كالشيخ عبد القادر المغربي، والشيخ عبد الكريم عويضة، وكان لها أثرها في

1883م) وكانت تُدرّس العلوم العربيّة والشرعيّة، والعلوم العصريّة على الطريقة الأوروبيّة، ولما أُلغيت تابع دراسته في المدارس الدينيّة في طرابلس. وقد رفض أبوه أن يُلحقه بالمدارس في المدينة خشية على دينه وتربيته، فأرجأ ذلك إلى أن بلغ سنّ العشرين.⁽¹⁾

❖ بعد ذلك لزم الشيخ حسين الجسر -مدير المدرسة الوطنيّة ومؤسّسها- وذلك في المدرسة الرجبيّة في طرابلس، فتخرّج على يديه بعد ثماني سنين، وأجازه بالتدريس سنة (1315هـ/1897م)، فأخذ عليه العلوم العربيّة والشرعيّة العقليّة، وانتفع -أيضاً- بغيره من الشيوخ في مدينته، فأخذ الفقه الشافعيّ والحديث على الشيخ محمود نشابة، واستفاد من الشيخ عبد الغنيّ الرافعيّ العلم والأدب والتصوّف، وأخذ الحديث -أيضاً- عن الشيخ محمّد القاوقجيّ.⁽²⁾

5

❖ وكان من اشتغاله بعلوم الحديث أنّه لا يحتجّ بحديث إلّا بعد تحريجه، ومراجعة سنده وكتب الجرح والتعديل، ممّا فتح له باب الانتقاد على كتب الوعظ والفقه والأدب،⁽³⁾ وكان بشكل عامّ لا يسلم لمسألة في أيّ من العلوم -وخصوصاً الدينيّة منها- إلّا بعد أن يفهمها تمام الفهم ويقتنع بها.⁽⁴⁾

10

❖ أمّا اللغات الأجنبيّة فلم يكن على إلمام كاف بها، فكان مقتصرّاً على ما تعلّمه في المدارس، وقد أثر ذلك سلباً على اطلاعه على الثقافات الأجنبيّة، إلّا قليلاً من كتب مترجمة في التربية والاجتماع.⁽⁵⁾

النهضة العلميّة، وتبارى طلائعها في الشعر والأدب. ينظر: تاريخ طرابلس قديماً وحديثاً، سميح وجيه الزين/ ص322.

(1) ينظر: المنار والأزهر، رضا/ ص156، رشيد رضا، الشرباصيّ/ ص121 و131-132، تفكير محمّد رشيد رضا من خلال مجلّة المنار، محمّد صالح المراكشيّ/ ص33، رشيد رضا المفسّر، د. حسيب السامرائيّ/ ص283-284.

(2) ينظر: محمّد رشيد رضا: الشيخ محمّد كامل الرافعيّ/ مجلّة المنار/ (12/8/1352هـ) - (30/11/1933م)/ (21/161)، المنار والأزهر، رضا/ 156 و158 و210، تفسير المنار، رضا/ (7/342/الحاشية). وستأتي ترجمة مشايخه.

(3) ينظر: المنار والأزهر، رضا/ ص158-159.

(4) ينظر: المصدر نفسه/ ص161-162.

(5) ينظر: المصدر نفسه/ ص155، تفكير رشيد رضا، المراكشيّ/ ص34-35، رشيد رضا، الشرباصيّ/ ص281-283.

المطلب الثالث: شيوخه

تلقي السيد رشيد رضا علومه في طرابلس، وأخذ عن شيوخها إلى أن التقى بالشيخ محمد عبده في مصر ولزمه، وقد ذكر من شيوخه:

1. الشيخ محمد القاوقجي:

شمس الدين أبو المحاسن محمد بن إبراهيم القاوقجي، وقيل: محمد بن خليل بن إبراهيم، وُلد بطرابلس سنة (1224هـ/1809م)، تلقى العلوم بداية على علماء طرابلس، ثم التحق بالأزهر لما بلغ الخامسة عشرة، وبقي فيه سبعة وعشرين سنة، ثم عاد بعد أن تعلم العلوم العقلية والنقلية، واشتهر بعلوم الحديث،⁽¹⁾ كان فقيهاً حنفياً غني برواية الحديث، فكان مُسند بلاد الشام، وكان صوفياً شاذلياً منقطعاً للعبادة، خطيباً مفوهاً، وقد حضر السيد رشيد بعض دروسه في الحديث، وروى عنه الأحاديث المسلسلة،⁽²⁾ وطلب منه أن يسلك طريق الشاذلية على يديه، إلا أنه تركه فيما بعد؛ ولكنه بقي متأثراً بهمة الشيخ في العبادة.⁽³⁾

قصد مكة حاجاً سنة (1305هـ/1888م) فتوفي فيها، وقد ترك ما يقرب من مئة مصنف ما بين مخطوط ومطبوع، منها: (اللؤلؤ المرصوع)، و(كواكب الترصيف فيما للحنفية من التصنيف)، و(ربيع الجنان في تفسير القرآن)، و(المقاصد السنية في آداب الصوفية).⁽⁴⁾

2. الشيخ محمود نشابة:

وُلد الشيخ محمود بن محمد بن عبد الدائم نشابة في طرابلس (1228هـ/1813م)، بدأ طلب العلم في بلده، ثم جاور في الأزهر، وذكر السيد رشيد في المنار أنه أقام في الأزهر ثلاثين سنة ما بين تعلم

(1) ينظر: تراجم علماء طرابلس، عبد الله حبيب نوفل/ ص58، الأعلام، الزركلي/ (118/6).

(2) الحديث المسلسل: عرّفه د. نور الدين عتر بقوله: هو ما تتابع رجال إسناده على صفة واحدة أو حال واحدة للرواة أو الرواية، وحكمه حكم الحديث المتصل، يقبل إذا استوفى الشروط. ينظر: نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، أحمد بن علي بن حجر، تحقيق: د. نور الدين عتر/ ص122-123 (الحاشية).

(3) ينظر: محمد رشيد رضا: القدر وحديث خلق الإنسان شقياً وسعيداً/ مجلّة المنار/ (1329/6/30هـ) - (1911/6/27م)/ (428-429)، والأعلام، الزركلي/ (118/6).

(4) ينظر: تراجم علماء طرابلس، نوفل/ ص58-59، والأعلام، الزركلي/ (118/6).

وتعليم،⁽¹⁾ ثم عاد إلى بلده (1266هـ/1851م) وقد حصل على الإجازة، فعمل في تعليم العلوم الشرعية والعقلية، ودرّس في الجامع المنصوري الكبير، وتخرّج عليه عدد من العلماء، وكان عالماً مشاركاً في الحديث ومصطلحه والتجويد والمنطق والنحو والفقه على المذهبين الحنفي والشافعي، وكان شديد الإلتقان لعلوم الحديث؛ فهو يصحّح ضبط الرواية، ويحيب على المسائل دون مراجعة أو نظر في كتاب، كما أخبر عنه تلميذه السيّد رشيد.⁽²⁾ وقد أخذ عنه علوم الحديث، فقرأ عليه الأربعين النووية وصحيح مسلم، وحضر دروسه في شرح البخاري، وأخذ عنه الفقه، وكان يصفه بـ(شيخ الشيوخ).⁽³⁾

5

توفي بطرابلس (1308هـ/1890م)، وترك عدّة مؤلفات منها: (حاشية على متن البيهقيّة)، و(العقود الدرّية على الأسئلة النحوية)، و(الدرّ الثمين في أحكام تجويد الكتاب المبين).⁽⁴⁾

3. الشيخ عبد الغني الرافي:

هو الشيخ عبد الغني بن أحمد بن عبد القادر الرافي الفاروقي، وُلد سنة (1232هـ/1816م) وقيل: 1236هـ، تعلّم القرآن الكريم، وأخذ العلوم الدينية والأدب على شيوخ بلده، ثم انتقل إلى دمشق فأخذ عن أكابر شيوخها الحديث والفقه والتفسير، فكان أديباً شاعراً ناثراً، وفقياً مدقّقاً وصوفياً مصقّي - كما وصفه السيّد رشيد - وأكثر ما ميّزه عند السيّد رشيد استقلال فكره، وعدم تعصّبه لمذهبه الحنفي.⁽⁵⁾ ثم عاد إلى طرابلس، واشتغل بالتعليم، فتخرّج عليه كثير من الأفاضل، وتقلّد إفتاء طرابلس لثلاث سنوات، وشغل عدّة مناصب قضائية في اليمن، ثم ترك الوظائف الحكومية وانقطع للعبادة والتصوّف.⁽⁶⁾

10

15

(1) ينظر: محمد رشيد رضا: الشيخ محمد كامل الرافي - 1/ مجلّة المنار / (1337/8/29هـ) - (1919/5/9م) / (155/21).

(2) ينظر: المصدر نفسه / (160/21)، وتراجم علماء طرابلس، نوفل / ص 94-95، ومعجم المؤلفين، كخالة / (829/3).

(3) ينظر: محمد رشيد رضا: الشيخ محمد كامل الرافي - 1/ مجلّة المنار / (1337/8/29هـ) - (1919/5/9م) / (155/21)، ومحمد رشيد رضا: باب الأخبار والآراء / مجلّة المنار / (1322/10/16هـ) - (1904/9/23م) / (799/7).

(4) ينظر: تراجم علماء طرابلس، نوفل / ص 95، ومعجم المؤلفين، كخالة / (829/3).

(5) ينظر: محمد رشيد رضا: الشيخ محمد كامل الرافي - 1/ مجلّة المنار / (1337/8/29هـ) - (1919/5/9م) / (157/21 و 160)، وتراجم علماء طرابلس، نوفل / ص 83، وأعلام الأدب والفق، أدهم آل جندي / (301/2).

(6) ينظر: تراجم علماء طرابلس، نوفل / ص 83 و 85، أعلام الأدب والفق، آل جندي / (301/2).

توفي في مكة (1308هـ/1890م)، وقد ترك عدّة مؤلّفات منها: (ترصيع الجواهر المكيّة)، و(أسرار الاعتبار)، و(إشراق الأنوار في إطلاق العذار).⁽¹⁾

4. السيّد جمال الدين الأفغاني:

سبق التعريف بالأفغانيّ مفصّلاً، وأكتفي هنا بذكر تأثر السيّد رشيد به، ومحاولته الاتصال به.

بعد قراءة السيّد رشيد لجلّة العروة الوثقى وتأثره بها عكف على آثار الأفغانيّ وآثار الشيخ محمّد عبده يبحث عنها، وعن أخبارهما يتتبّعها ويتلقّفها، ويدافع عنهما في كلّ مجلس يذكّران فيه بسوء حتّى طاله الأذى، ثمّ تآقت نفسه للاتصال بالأفغانيّ الذي كان في الأستانة آنذاك، فأرسل إليه سنة (1310هـ/1893م) يطلب إليه قبوله مريداً لديه، وأرسل الكتاب مع صديقه الشيخ عبد القادر المغربي⁽²⁾ فأثنى الأفغانيّ على الكتاب وطلب من الرسول تبليغه اعتذاره، وقد كرّر المحاولة مرّات عدّة ولكنّ المنية حالت بينهما، فتوجّه بعزمه تلقاء مصر ليتواصل مع الشيخ محمّد عبده.⁽³⁾

5. الشيخ محمّد عبده:

أكتفي هنا -أيضاً- ببيان كيفيّة تعارف الشيخين، ومن ثمّ ارتباطهما في مسيرة طويلة من العمل المشترك.

كانت البداية في أثناء إقامة الشيخ في بيروت بعد الثورة العربيّة، إذ جاء ضيفاً إلى المدرسة الخاتونيّة، فاستقبله السيّد رشيد، ودار بينهما حديث حول طلب العلم والتدريس، وكتب التفسير وعلم الأخلاق،

(1) ينظر: تراجم أعلام طرابلس، نوفل/ ص 83 و 56-58، وأعلام الأدب والفنّ، آل جندبي/ (302/2)، ومعجم المؤلّفين، كخّالة/ (176/2).

(2) عبد القادر بن مصطفى المغربيّ، عالم باللغة والأدب، تونسيّ ولد باللاذقيّة عام (1284هـ/1868م)، نشأ في طرابلس وتعلّم بها على الشيخ حسين الجسر، وفي دمشق وإسطنبول، واتّصل بالأفغانيّ والشيخ محمّد عبده، وعمل في الصحافة، وأصدر جريدة البرهان في طرابلس، ثمّ انتقل إلى دمشق، عُيّن عضواً في المجمع العلميّ العربيّ، فنائباً لرئيسه، ومحاضراً في العربيّة وآدابها بالجامعة السوريّة، وعضواً مراسلاً في مجمع اللغة العربيّة في القاهرة، له: على هامش التفسير، وتفسير جزء تبارك، والاشتقاق والتعريب، توفيّ في دمشق (1375هـ/1956م). ينظر: أعلام الأدب والفنّ، آل جندبي/ (120/2-121)، ومعجم المفسّرين، نويهض/ ص 294.

(3) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (85/1 و 87)، ومحمّد رشيد رضا: الرحلة السوريّة الثانية/ مجلّة المنار/ (30/7/1338هـ) -

(1920/4م)/ (377/21)، ورشيد رضا، الشرياصي/ ص 134.

فازداد السيّد إعجاباً بالشيخ بعد هذا اللقاء،⁽¹⁾ ثمّ التقيا ثانية في طرابلس إذ جاء الشيخ إليها مصطافاً، فبادر السيّد رشيد إلى ملازمته، فتوطّدت المعرفة بين الشيخين، ثمّ سافر التلميذ إلى الأستاذ بعد أن أنهى دراسته، ليكون صنوه وأقرب تلاميذه.⁽²⁾

كان السيّد رشيد مع أستاذه كما كان الأستاذ مع شيخه الأفغاني؛ كلّ متّمّ لعمل شيخه يخلفه في الإصلاح والتجديد، وهو يصف نفسه بأنّه ترجمان أفكاره -وقد وصفه أستاذه بذلك أيضاً- ومستودع أسرار، وقد جعل من مجلّته المنار منبراً يصدّح فيه بأفكار أستاذه، ودرعاً يدفع به عنه كلّ اتّهام يوجه إليه.⁽³⁾ يقول رشيد رضا: "وكان قد علم بحجّي له، وظنّ أنّه كحبّ الألوف من الناس للعلماء والفصحاء والكتّاب والبلغاء، وبعد محاولات ومسامرات كثيرة تتابعت من أواخر رجب إلى العشر الأخير من شوال علم أنّ هذا الحبّ نوع آخر، لم يعرف له ضرباً إلّا حبّه هو للسيّد جمال الدين".⁽⁴⁾

وقال يصف اتّفاقهما في المشرب والتفكير: "فوق ذلك إنّنا كنا على اتّفاق في العقيدة والرأي في جميع ما ينشره المنار، إلّا مسائل الدولة العثمانيّة وسلطانها؛ فإنّها من السياسة التي كان يبغضها".⁽⁵⁾

6. الشيخ حسين الجسر:

هو ابن الشيخ محمّد بن مصطفى الجسر،⁽⁶⁾ وُلد في طرابلس (1261هـ/1845م)، وتعلّم القرآن الكريم والخطّ، ثمّ تعلّم على شيوخ بلده مبادئ النحو والصرف والفقه، ومن أشهر شيوخه الشيخ محمود

(1) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (390/1).

(2) ينظر: المصدر نفسه/ (996-998).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ (995-1009).

(4) المصدر نفسه/ (1012/1).

(5) المصدر نفسه/ (995/1).

(6) الشيخ محمّد بن مصطفى الجسر، أبو الأحوال، وُلد في طرابلس سنة (1207هـ/1792م)، من أصول مصريّة، متصوّف، تعلّم على الشيخ عبد الله دبا، ثمّ جاور بالأزهر نحو 13 سنة، وأجازته الشيخ محمّد الكتبي، ثمّ عاد إلى طرابلس، ودرّس فيها وفي يافا، وتوفيّ سنة (1261هـ/1845م) ودفن في لدّ بفلسطين، له نظم وتعليقات على بعض كتب الأدب واللغة. ينظر: تراجم علماء طرابلس، نوفل/ ص 45-46، والأعلام، الزركلي/ (100/7).

نشابة، التحق بعد ذلك بالأزهر بين عامي (1279-1284هـ).⁽¹⁾ ثم عاد إلى طرابلس فخلف أباه في رئاسة الطريقة الخلوتية،⁽²⁾ وعقد حلقاتها، واشتغل بالتدريس، فسعى لإنشاء المدرسة الوطنية تحت إدارته، وهدفه منها الجمع بين العلوم الدينية والعصرية على الطريقة الأوروبية، استجابة لانفتاح الشرق على الغرب، مع التربية الإسلامية الوطنية، فكان لمدرسته قدم السبق في ذلك، فتخرج منها عدد من العلماء؛ كالشيخ عبد القادر المغربي، والسيد محمد رشيد رضا، وغيرهما، ثم أغلقت،⁽³⁾ ثم تولى إدارة المدرسة السلطانية ببيروت مدة، فاتصل بالشيخ محمد عبده في أثناء تدريسهما فيها، ودرس في المدرسة الرجبية.⁽⁴⁾ كان له أسلوب خاص في التدريس يختلف عن أسلوب الأزهر؛ فقد كان يتحرى السهولة والاختصار،⁽⁵⁾ نشر العديد من المقالات في جريدة طرابلس،⁽⁶⁾ كان معجباً بالأفغاني ومجلته العروة الوثقى، والتقى به في الأستانة.⁽⁷⁾

(1) ينظر: محمد رشيد رضا: الشيخ محمد كامل الرافعي-1/ مجلة المنار / (1337/8/29هـ) - (1919/5/9م) / (160/21-161)، وتراجم علماء طرابلس، نوفل/ ص167-168، والأعلام، الزركلي / (258/3)، وتاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان / (1448/4).

(2) الطريقة الخلوتية: أساسها دخول الخلوة، وللخلوة خمسة وعشرون شرطاً، أهمها: استئذان الشيخ قبل دخولها، وصلاة ركعتين، والتوسل إلى الله لينال المرید مراده، وغيرها من الشروط، ويعتقد الخلوتية أنّ مؤسسها رسول الله ﷺ، ومن مجدديها عمر الخلوتي توفّي حوالي 800هـ، ومصطفى بن كمال الدين بن عليّ البكري ت1163هـ، ينظر: الطرق الصوفية ومشايخها في طرابلس، د. أحمد درنيقة/ ص33-34 و80.

(3) ينظر: المنار والأزهر، رضا/ ص156، والشيخ حسين الجسر حياته وفكره، د. خالد زيادة/ ص14-19 و26 و28 و55.

(4) ينظر: محمد رشيد رضا: الشيخ محمد كامل الرافعي-1/ مجلة المنار / (1337/8/29هـ) - (1919/5/9م) / (160/21)، وتراجم علماء طرابلس، نوفل/ ص168 و170-171، والشيخ حسين الجسر، زيادة/ ص20 و47.

(5) ينظر: المنار والأزهر، رضا/ ص158.

(6) جريدة طرابلس: أنشأها محمد كامل البحيري، وكان أول ظهور لها سنة 1893م، تعرّضت للتعتيل مرّات عدّة زمن السلطان عبد الحميد؛ ولكنها بقيت مثابرة حتى وفاة مُنشئها سنة 1930. ينظر: تاريخ الصحافة العربية، طيرازي / (24/4).

(7) ينظر: محمد رشيد رضا: الجامعة الإسلامية (وآراء كتّاب الجرائد فيها) / مجلة المنار / (1317/4/5هـ) - (1899/8/12م) / (338/2)، ومحمد رشيد رضا: الشيخ محمد كامل الرافعي-1/ مجلة المنار / (1337/8/29هـ) - (1919/5/9م) / (162-161/21)، ومحمد رشيد رضا: إصلاح عظيم في وزارة المعارف / مجلة المنار / (1350/12/1هـ) - (1932/4/1م) /

بقي السيّد رشيد تلميذاً للشيخ الجسر حتّى بعد إقفال المدرسة الوطنيّة، فلزمه ثماني سنوات، حتّى أجازته سنة (1315هـ/1897م)، وكان لمدرسته الأثر البالغ في تكوين السيّد رشيد؛ ولكنّ أهمّ نقاط الاختلاف بينهما هي حرص الشيخ على الإدارة والمجاملة حسب ما يقتضيه عصره، وصراحة السيّد رشيد وقوّته في عرض أفكاره وانتقاداته، من ذلك تنبيه الشيخ الجسر للسيّد رشيد على مواجهته لأهل البدع وأدعياء تصوّف، وانتقاد السيّد رشيد شيخه لإيراده القطعيّات العلميّة بعبارة توهم التشكيك فيها،⁽¹⁾ قال عنه السيّد رشيد: "كان أستاذنا العلامة الشيخ حسين الجسر نسيج وحده في علماء سورية الجامعين بين علوم الشرع والوقوف على حالة هذا العصر، ولولا مبالغته في مداراة الجامدين من المعمّمين-وكذا العوام أيضاً- لكان ثالث السيّد جمال الدين الأفغانيّ والشيخ محمّد عبده في زعامة الإصلاح".⁽²⁾

5

توفيّ عام (1327هـ/1909م)، وترك العديد من المؤلّفات، منها: (الرسالة الحميديّة في حقيقة الديانة الإسلاميّة)، و(نزهة الفكر في ترجمة الشيخ محمد الجسر)، و(الهدية الحميديّة لمحافظة العقائد الإسلاميّة)، وغيرها وقد حُفظ عنه شعر كثير.⁽³⁾

10

المطلب الرابع: تلاميذه

للسيّد رشيد رضا تلاميذ كثير، ممّن انتسب إلى مدرسة الدعوة والإرشاد⁽⁴⁾ وغيرهم، وقد كان لعدد منهم آثار علميّة وإصلاحيّة، ومن أبرزهم:

(305/32)، والشيخ حسين الجسر، زيادة/ ص 44-45.

(1) ينظر: الشيخ حسين الجسر، زيادة/ ص 49-50.

(2) ينظر: محمّد رشيد رضا: السّنة والشيعة (الاتفاق بينهما والوسيلة إليه، ورأينا ورأي علامة الشيعة فيه) // مجلّة المنار / (1350/11/1هـ) - (1932/3/1م) / (237/32).

(3) ينظر: تراجم علماء طرابلس، نوفل/ ص 168-169 و172، والشيخ حسين الجسر، زيادة/ ص 22-25.

(4) سيأتي الحديث عنها.

1. الشيخ عبد الظاهر أبو السمح:

ولد الشيخ عبد الظاهر بن نور الدين في الشرقية سنة (1300هـ/1882م)⁽¹⁾ وتعلّم القرآن الكريم على والده، ثم التحق بالأزهر وأتمّ القراءات السبع، ولزم مجالس الشيخ محمد عبده منذ صغره، ولما أسّس السيّد رشيد دار الدعوة والإرشاد انتسب إليها، وتخرّج بها،⁽²⁾ وأوكل إليه السيّد رشيد مراقبة تلاميذ المدرسة في أخلاقهم وعبادتهم، وتعليم الخطّ وتلاوة القرآن، لما اشتهر به من حسن الخلق والصلاح، وكان يخاطبه في رسائله بـ (ولدنا الروحي).⁽³⁾ وله عدّة مقالات في المنار؛ منها الأسئلة ومنها الانتقادات الموجهة للمجلة والتفسير، وغير ذلك، اشتغل بالتدريس في عدّة مدارس في مصر، وصاحب السيّد رشيد إلى الحجاز، فطلبه الملك عبد العزيز آل سعود⁽⁴⁾ لإمامة المسجد الحرام والتدريس فيه، وأسّس دار الحديث في مكة المكرمة بمعونة الشيخ عبد الرزاق حمزة سنة 1345هـ.⁽⁵⁾

5

توفي في القاهرة (1370هـ/1950م)، وترك بضعة رسائل مطبوعة منها (حياة القلوب بدعاء علّام الغيوب)، و(الأولياء والكرامات)، و(الرسالة المكيّة).⁽⁶⁾

10

(1) ينظر: الأعلام، الزركلي / (11/4).

(2) ينظر: سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر الهجري، عمر عبد الجبار/ص227، وأعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري، عبد الله المعلمي / ص203.

(3) ينظر: السيّد عبد الرحمن عاصم آل رضا: السيّد الإمام محمد رشيد رضا ناظر دار الدعوة والإرشاد بمصر/ مجلة المنار / (6/1359هـ) – (8/1940م) / (711/35).

(4) عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود، ولد في الرياض (1293هـ/1876م)، ورحل مع والده إلى الكويت، تعلّم القراءة والكتابة ومبادئ الدين الإسلامي وحفظ القرآن الكريم، وفي (1319هـ/1902م) استولى على الرياض، وأعلن المملكة العربيّة السعوديّة (1351هـ/1932م) وعاصمتها مكة المكرمة، فبدأ بتنظيم البلاد وإنشاء العلاقات السياسيّة والاقتصاديّة والعلميّة، توفي في الطائف (1373هـ/1953م)، ودفن في الرياض. ينظر: الأعلام، الزركلي / (4/19-20)، والموسوعة التاريخيّة الجغرافيّة، الخوند / (12/377-379).

(5) ينظر: سير وتراجم، عبد الجبار/ ص227، وأعلام المكيين، المعلمي / (1/203 و397). وستأتي ترجمة الشيخ عبد الرزاق حمزة.

(6) ينظر: سير وتراجم، عبد الجبار/ ص227، والأعلام، الزركلي / (4/11).

2. الشيخ أحمد شاکر:

أحمد شمس الأئمة أبو الأشبال، ابن الشيخ محمد شاکر، ولد بالقاهرة (1309هـ/1892م)، بدأ تعليمه في كلية غورڈون (1317هـ/1900م)، ولما عاد إلى مصر التحق بمعهد الإسكندرية، ثم تابع دراسته في الأزهر لما صار والده وكيلاً له (1327هـ/1909م)، فحصل على شهادة العالمية (1335هـ/1917م).⁽¹⁾

5

اشتغل بعلوم الحديث، فعكف على مسند الإمام أحمد دراسة وتحقيقاً، وجمع كتب الحديث المطبوعة والمخطوطة، فصار من كبار أئمة الحديث في عصره، بالإضافة إلى اهتمامه بالشعر والأدب،⁽²⁾ تتلمذ على والده الشيخ محمد شاکر، والتقى بكثير من العلماء في القاهرة ونال منهم الإجازات العلمية كالشيخ عبد الله بن إدريس السنوسي،⁽³⁾ والشيخ طاهر الجزائري،⁽⁴⁾ والسيد محمد رشيد رضا، وغيرهم،⁽⁵⁾ وله عدة مقالات في المنار منها انتقاد لتفسير المنار أو تقييد له، وعمل مدة قصيرة بالتدريس، ثم انتقل إلى سلك القضاء وترقى في وظائفه إلى أن صار عضواً في المحكمة العليا الشرعية، ثم أُحيل إلى المعاش سنة

10

(1) ينظر: من أعلام العصر، شاکر/ ص 29-31.

(2) ينظر: النهضة الإسلامية في سيرة أعلامها المعاصرين، د. محمد رجب البيومي / (92-93)، المحدثون في مصر والأزهر ودورهم في إحياء السنة النبوية الشريفة، الحسيني عبد المجيد هاشم وأ.د. أحمد عمر هاشم/ ص 306-607، ومن أعلام العصر، شاکر/ ص 30.

(3) عبد الله بن إدريس بن محمد السنوسي الحسيني أبو سالم، ولد في المغرب 1260هـ، محدث سلفي الاعتقاد شديد في محاربة البدعة، اشتغل بنشر الحديث وتدريسه، استوطن في طنجة وتوفي فيها سنة 1350هـ. ينظر: إتخاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، عبد السلام بن سودة / (2/458)، معجم الشيوخ المسمى رياض الجنة أو المدهش المطرب، عبد الحفيظ بن محمد الفاسي/ ص 198-199 و208.

(4) طاهر بن صالح بن أحمد السمعوني الجزائري، ولد في دمشق (1268هـ/1851م)، من أصول جزائرية، درس في المدرسة الجقماقية، وتعلم على والده وشيوخ بلده، وحقق في عدد من اللغات، ونبغ في العربية وآدابها، عُيِّن مفتشاً للمعارف في سورية، وساهم في إنشاء الدار الظاهرية في دمشق والخالدية في القدس، هاجر إلى مصر 1324هـ، وأقام فيها ثلاث عشرة سنة، ثم عاد إلى دمشق فكان عضواً في المجلس العلمي العربي، وتوفي فيها (1338هـ/1920م)، له: التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن، وتوجيه النظر إلى علم الأثر، التقريب إلى أصول التعريب. ينظر: الأعلام الشرقية، مجاهد / (2/316-318)، والأعلام، الزركلي / (3/221-222).

(5) ينظر: النهضة الإسلامية، البيومي / (2/90-91)، ومن أعلام العصر، شاکر/ ص 30-31.

(1371هـ/1952م)، فتفرغ للتأليف والتحقيق في العلوم الإسلامية.⁽¹⁾

توفي سنة (1377هـ/1958م) تاركاً وراءه إراثاً علمياً وافراً من تحقيق وتأليف في التفسير والحديث والفقه والأدب، أهمها تحقيقه خمسة عشر جزءاً من (مسند الإمام أحمد)، وحقق أيضاً (الرسالة للشافعي)، و(المعرب للجواليقي)، وله (عمدة التفسير) وهو اختصار لتفسير ابن كثير،⁽²⁾ و(نظام الطلاق في الإسلام)، وغيرها كثير.⁽³⁾

3. الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي:

5

محمد فؤاد بن عبد الباقي بن صالح، ولد في القليوبية عام (1299هـ/1882م)، ونشأ في القاهرة، ودرس الابتدائية في السودان، ثم عاد إلى القاهرة ليتابع دراسته، وبدأ بتدريس اللغة العربية في مدارس مصر.⁽⁴⁾ كثرت قراءاته في الأدب الفرنسي والعربي، ثم أنشأ داراً للنشر، وتفرغ بعد ذلك لخدمة القرآن الكريم والسنة الشريفة، وعمل في الخمسينات محققاً ومراجعاً في مجمع اللغة العربية، وتأثر بالشيخ مصطفى عبد الرازق،⁽⁵⁾ وقاسم أمين،⁽⁶⁾ والسيد رشيد رضا؛ إذ لازمه أربعة عشر عاماً ملازمة المريد لشيخه، فأخذ

10

(1) ينظر: من أعلام العصر، شاکر/ ص31.

(2) إسماعيل بن عمر بن كثير، أبو الفداء القرشي الدمشقي الشافعي، وُلد سنة 700هـ بدمشق، محدث مفسر، من شيوخه: الواني والمزي وابن قاضي شهبة، وأخذ الكثير عن ابن تيمية، توفي سنة 774هـ. له: تفسير القرآن العظيم، ومسند الشيخين، والبداية والنهاية في التاريخ. ينظر: طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي/ ص533-534، طبقات المفسرين، الحافظ محمد بن علي الداودي/ (111/1-112).

(3) ينظر: الأعلام، الزركلي/ (253/1)، ومعجم المفسرين، نويهض/ (78/1).

(4) ينظر: د. نعمات أحمد فؤاد: محمد فؤاد عبد الباقي/ مجلة العربي/ عدد118/ (5/1388هـ) - (9/1968م)/ ص108-109، والمحدثون في مصر والأزهر، هاشم/ ص352-353.

(5) مصطفى حسن عبد الرازق، أديب حكيم عالم بالشرعية، ولد بالمنيا في مصر عام (1302هـ/1885م)، نال شهادة العالمية من الأزهر، وتعلم على الشيخ محمد عبده، ودرس في الأزهر ومدرسة القضاء الشرعي، ودرس الأدب الفرنسي في السوربون، ودرس اللغة العربية في ليون، عاد إلى مصر وتقلد عدداً من الوظائف، ومنها وزارة الأوقاف سبع مرّات، ومشیخة الأزهر إلى أن توفي بالقاهرة (1366هـ/1946م)، له: فصول في الأدب، ومحمد عبده، وتمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية. ينظر: الأعلام، الزركلي/ (231/7)، ومعجم المؤلفين، كخالة/ (3/860-861).

(6) قاسم بن محمد أمين، كاتب باحث مصري من أصول كردية، ولد ببلدة طرة (1279هـ/1863م)، درس الحقوق، وتولّى مناصب قضائية مختلفة، توفي (1326هـ/1908)، له: تحرير المرأة، والمرأة الجديدة، وكلمات قاسم بك أمين. ينظر: الأعلام، الزركلي/

منه كثيراً من علوم الدين والسنة، ولم يفرّقهما إلا موت السيّد رشيد،⁽¹⁾ وكان السيّد رشيد يثق بعلمه وينوّه بعشقه للعلم وجهاده في سبيل خدمة الكتاب والسنة.⁽²⁾ توفيّ في الحيزة ودفن فيها (1387هـ/ 1968م)،⁽³⁾ وترك عدداً من الكتب النافعة، من أهمّها (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم)، و(معجم غريب القرآن)، و(معجم مفاتيح كنوز السنة)، و(اللؤلؤ والمرجان فيما اتّفق عليه الشيخان)، وشارك في وضع (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي).⁽⁴⁾

5

4. الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة:

ولد الشيخ محمد بن عبد الرزاق حمزة في القليويّة (1311هـ/ 1893م)،⁽⁵⁾ حفظ القرآن، وتعلّم في مدارس قريته، ثمّ التحق بالأزهر، ثمّ التحق بدار الدعوة والإرشاد، ولازم دروس السيّد رشيد، واشتغل معه في مطبعة المنار، فكان يصحّح ما تطبع من كتب، ورافقه في رحلته الحجازيّة الثانية، (1344هـ/ 1953م)، ولازم كذلك الشيخ أبا السّمح.⁽⁶⁾ وتولّى إمامة الحرم النبويّ وخطابته، ومراقبة الدروس فيه، ثمّ انتقل إلى مكّة وعيّن مدرّساً للتفسير والحديث في الحرم وفي المعهد العلميّ الإسلاميّ، وأسّس مع الشيخ أبي السّمح داراً للحديث، ثمّ صار إماماً للحرم عام 1370هـ، وله عدّة نشاطات علميّة أخرى.⁽⁷⁾

10

(184/5)، وموسوعة أحداث وأعلام مصر والعالم، رؤوف سلامة موسى / (65-64/2).

(1) ينظر: د. نعمات أحمد فؤاد: محمد فؤاد عبد الباقي / مجلّة العربيّ / عدد 118 / (5/1388هـ) - (9/1968م) / ص 108-109، المحدثون في مصر والأزهر، هاشم / ص 353.

(2) ينظر: السيّد محمد رشيد رضا: مقدمة كتاب مفتاح كنوز السنة / مجلّة المنار / (29/4/1353هـ) - (7/8/1934م) / (34/296-297).

(3) ينظر: المحدثون في مصر والأزهر، هاشم / ص 353.

(4) ينظر: الأعلام، الزركلي / (6/333).

(5) ينظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم، عبد الرحمن آل الشيخ / ص 514، والأعلام، الزركلي / (6/203).

(6) ينظر: أعلام المكيّين، المعلّمي / (1/397).

(7) ينظر: مشاهير علماء نجد، آل الشيخ / ص 514-515.

توفي في مكة (1392هـ/1972م)، وله عدة كتب، منها: (رسالة الصلاة أوقاتها وكيفيتها أنواعها)، و(المقارنة بين الهدى والضلال)، و(الشواهد والنصوص).⁽¹⁾

5. الحاج محمد أمين الحسيني:

ولد الحاج محمد أمين بن محمد طاهر الحسيني في القدس (1311هـ/1893 أو 1895م)، تعلم اللغة الفرنسية، والتحق بالأزهر، ودرس في مدرسة دار الدعوة والإرشاد، وتخرج من الكلية الحربية في إسطنبول، وشارك في ثورة القدس عام (1338هـ/1920م) ضد الاحتلال البريطاني، عُيّن مفتياً للقدس سنة (1339هـ/1921م)، وعارض سياسة الوطن القومي لليهود في فلسطين، ورفض وعد بلفور⁽²⁾ وعقد المؤتمر الفلسطيني في القدس عام (1350هـ/1931م)، وغيرها من مؤتمرات وإضرابات وثورات وتسليح، ودعا إلى إنشاء جامعة إسلامية في القدس، وتحمل في سبيل ذلك الأحكام الجائرة من محاولات اعتقال ونفي بتهمة الإرهاب وجرائم الحرب، وأقام في الدول الأوروبية أربعة أعوام لم تخل من نضال، ثم انتقل إلى القاهرة ليتابع أعماله من هناك، ثم انتقل إلى سورية فيبروت سنة 1959م، ووافته المنية فيها بتاريخ (1394هـ/1974م).⁽³⁾

الحاج أمين من أبرز خريجي مدرسة الدعوة والإرشاد، وكان -كما أراد منشي المدرسة أن يكون خريجوها- زعيماً مصلحاً، ومن أدلة ذلك مؤتمر القدس الذي عقده الحاج وحضره شيخه السيد رشيد، وقد نوه به مرّات عدة في المنار، وشدّ من أزره فيها ودافع عنه، ووصفه بالرجاحة في العقل والهمة في العمل، وشهد له بأنه زعيم إسلامي عام، بعد أن كان زعيماً فلسطينياً خاصاً.⁽⁴⁾

(1) ينظر: المصدر نفسه/ ص516، والأعلام، الزركلي/ (203/6).

(2) وعد بلفور 1917م: تصريح أعلنه وزير خارجية بريطانيا آرثر جيمس بلفور ت1930م إلى اللورد روتشيلد ت1915م زعيم الجالية اليهودية في بريطانيا يتضمن العطف على الأماني اليهودية، ويضمن إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. ينظر: الموسوعة التاريخية الجغرافية، الخوند/ (356/1)، القاموس السياسي، أحمد عطية الله/ ص211-212.

(3) ينظر: الأعلام، الزركلي/ (45-46)، والموسوعة الفلسطينية، عبد الهادي هاشم/ (138-142). والموسوعة التاريخية الجغرافية، الخوند/ (176-179).

(4) ينظر: السيد محمد رشيد رضا: الشقاق بين العرب المسلمين شرّ ما آل إليه في فلسطين/ مجلّة المنار/ (1354/1/30هـ) -

6. السيّد عبد الرحمن عاصم:

ولد السيّد عبد الرحمن عاصم بن محمّد كامل آل رضا في القلمون سنة 1890م، وهو عمّ السيّد رشيد.⁽¹⁾ تلقّى السيّد عبد الرحمن علومه في بلده، ثمّ لحق بالسيّد رشيد سنة 1920م، فتزوَّج أخته، وعمل وكيلاً له في مجلّة المنار، لذلك كان أقرب الناس إليه وأعلمهم بأحواله الاجتماعيّة والسياسيّة والدينيّة.⁽²⁾ تابع تعليمه في مدرسة دار الدعوة والإرشاد، وتخرّج بها، وله عدّة مقالات في المجلّة، وحضر بعض الدروس في كليّة الآداب في الجامعة المصريّة، عاد إلى القلمون قبيل وفاة السيّد رشيد، فلمّا بلغه نبأ وفاته سافر إلى مصر، ولكنّ السلطات الفرنسيّة اعتقلته، فرجع إلى بلده واستقرّ فيه.⁽³⁾

5

المطلب الخامس: حياته العمليّة

تابع السيّد رشيد مسيرة أستاذه التعليميّة والسياسيّة، إلّا أنّه يختلف عنه بإقباله على السياسة، واهتمامه بها، وكان شيخه يفرّ منها ويتجنّبها.

10

أولاً: تصدّره للتعليم:

بدأ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو لا يزال طالب علم، فينصح العامّي والمعلّم ورجل السياسة،⁽⁴⁾ وكان له مجلس في مسجد القرية، يلقي فيه درساً في العقيدة من تأليفه بما يتوافق مع أفهام الحاضرين، وآخر في الفقه الشافعي من كتاب (نهاية المحتاج) يقرأ عليهم منه قسم العبادات، وكان يعتمد في مواعظه على استحضار آيات القرآن الكريم في الموضوع الواحد، ثم اعتمد كتاب (الزواج عن اقتراف الكبائر)، وكان يخرج إلى الناس في أنديتهم ومقاهيهم فيكلّمهم بما يراه مناسباً.

15

(786-783/34)/(1935/5/3).

(1) ينظر: المنار والأزهر، رضا/ ص163، الموسوعة الحركيّة الموسوعة الحركيّة تراجم إسلاميّة من القرن الرابع عشر الهجري، إشراف فتحي يكن (133/1).

(2) ينظر: المنار والأزهر، رضا/ ص208، الموسوعة الحركيّة، يكن (133/1).

(3) ينظر: الموسوعة الحركيّة، يكن (133/1). ولم أجد تاريخ وفاته.

(4) ينظر: المنار والأزهر، رضا/ ص186-189.

وقد خصّ النساء بدروس في داره بحضور بعض أهله من النساء، يلقي عليهنّ دروس العقيدة وفقه العبادات، فالتزمّن على يديه اللباس الشرعيّ، والمحافضة على الصلاة، ورعاية شؤون البيت، أمّا نساء أهله بيته فقد كان يخصّهنّ بدروس الأدب والتاريخ والوعظ، لتمتعهنّ بقدر من العلم يفوق نساء القرية.⁽¹⁾

وفي القاهرة كانت له دروس وعظ في المسجد الحسينيّ (1316هـ/1899م)، حارب فيها البدع، إلّا أنّ الذين يتكسّبون من وراء هذه الخرافات سعوا به، وأشاعوا على لسانه ما لم يقله، فتوقّف الدرس بعد عامين،⁽²⁾ وقد ذاع صيت هذه الدروس حتى نالت اهتمام الخديوي عبّاس حلميّ، وكانت له دروس ليليّة في المدرسة العثمانية في الدين واللغة والمناظرة.⁽³⁾

5

ثانياً: إنشاءه مدرسة الدعوة والإرشاد:

كانت المدارس الأمريكية واليسوعية في طرابلس ذات أثر سلبيّ على الأمتّة دينيّاً وسياسيّاً، حتّى استنجدت البلاد الإسلامية النائية بالمنار من خطرهما، وكان السيّد رشيد قد اطلّع على تلك المدارس وجرائدها، وناقش قساوستها، فأراد إنشاء جمعيّة إسلاميّة تدرّس خطر الجمعيات التبشيريّة.⁽⁴⁾

10

أمّا المدارس الحكوميّة فقد كانت خاضعة للاستعمار، تُعدّ خريجيها ليكونوا موظّفين لخدمته، ساعين وراء المناصب والمنافع الفرديّة على حساب مصلحة الأمتّة، واستبدلت باللغة والعلوم العربيّة علوماً ولغات تعين على تحقيق مآربها. قال السيّد رشيد: "إنّ التعليم النافع للوطن والبلاد هو ما تحيا به الشعائر الدينيّة

(1) ينظر: المنار والأزهر، رضا/ ص191-192، رشيد رضا، د. الشرباصي/ ص123-124.

(2) ينظر: السيّد محمّد رشيد رضا: البدع والخرافات والتقاليد والعبادات/ مجلّة المنار/ (1318/10/1هـ) - (1901/1/21م)/ (789-790)، المنار والأزهر، رضا/ ص222.

(3) ينظر: رشيد رضا، الشرباصي/ ص144.

(4) ينظر: السيّد محمّد رشيد رضا: الرحلة السوريّة الثانية/ مجلّة المنار/ (1339/12/29هـ) - (1921/9/2م)/ (621/22-622)، رشيد رضا الإمام المجاهد، د. إبراهيم أحمد العدوي/ ص180-182.

كانت المدارس في الشام ثلاثة أنواع: المدارس الأميريّة: تحبّي خريجيها لوظائف الدولة، والمدارس الطائفيّة والأجنبيّة: تحبّوهم للهجرة، وتفرّق المجتمع، وتصبغه بصبغة لا تتناسب مع ثقافته، وتبعده عن لغته الأمّ، وإن كانت المدارس الأجنبية أحييت العلم والمعرفة في النفوس، إلّا أنّها أضعفت حبّ الوطن، أمّا المدارس الدينيّة فقد خرب المقات منها، وأكلت أوقافها. ينظر: خطط الشام، محمّد كرد علي/ (73/4 و75-76).

بتهذيب الأخلاق وإصلاح الأعمال، وتقوى به الرابطة الجنسية والوطنية بإحياء اللغة العربية، ونقل جميع الفنون إليها بالتدريج، وجعل التعليم بها دون سواها، وبتمكين رابطة الأمة المصرية بالجامعة العثمانية".⁽¹⁾

سافر إلى إسطنبول ليعرض مشروعه على الدولة العثمانية (1327هـ/1909م)، لاقى الأمر قبولاً وحفاوة بادئ الأمر، وبقي عاماً كاملاً هناك على أمل تنفيذ مشروعه، إلا أن أيادي المكر حالت دون ذلك، ولما عاد إلى مصر حاول من جديد، ولاقى مشروعه دعماً مادياً ومعنوياً من أهل العلم والسياسة، فأسس جمعية الدعوة والإرشاد، وافتتحت المدرسة فعلياً في الثاني عشر من ربيع الأول (1330هـ/1912م) بنظارة مؤسسها السيد رشيد رضا.⁽²⁾ وكان الغرض من المدرسة تخريج طائفتين؛ الأولى: لتعليم المسلمين وإرشادهم ونبد المنكرات والبدع، إذ يحصل الطالب على شهادة مرشد بعد إتمامه ثلاث سنين في المدرسة، والثانية: لدعوة غير المسلمين إلى الإسلام والدفاع عنه في أي بلد يتوجهون إليه، وذلك إذا أتم الطالب ثلاث سنين أخر.⁽³⁾

5

10

عُنت المدرسة بأخلاق طلابها وعقيدتهم وعبادتهم، وتعليمهم العلوم الشرعية كافة بالإضافة إلى العلوم العصرية، واعتنت باللغة العربية، لأجل النهوض بالعامّة في النواحي جميعها،⁽⁴⁾ فالتحق بها طلاب من جنسيات شتى، وكان السيد رشيد يلتقي بهم في كل مناسبة، ويكثر من الاستشارات السياسية والتاريخية والعقدية، وفي سنتها الثالثة نشبت الحرب العالمية الأولى،⁽⁵⁾ وانقطعت الإمدادات المادية عن

(1) السيد محمد رشيد رضا: المدارس الوطنية في الديار المصرية/ مجلّة المنار/ (9/2/1316هـ)/(1/260).

(2) ينظر: عبد السميع البطل: فقيه الإسلام السيد محمد رشيد رضا ومدرسة دار الدعوة والإرشاد/ مجلّة المنار/ (8/1/1354هـ) - (31/3/1936م)/(35/196)، السيد عبد الرحمن عاصم آل رضا: السيد الإمام محمد رشيد رضا ناظر دار الدعوة والإرشاد بمصر/ مجلّة المنار/ (6/1359هـ) - (8/1940م)/(35/707).

(3) ينظر: السيد عبد الرحمن عاصم آل رضا: السيد الإمام محمد رشيد رضا ناظر دار الدعوة والإرشاد بمصر/ مجلّة المنار/ (6/1359هـ) - (8/1940م)/(35/706)، رشيد رضا، العدوي/ ص185-186.

(4) ينظر: السيد محمد رشيد رضا، درنيقة/ ص142.

(5) الحرب العالمية الأولى 1914م: أول حرب اشتركت فيها معظم دول العالم، وكانت، بين روسيا وفرنسا من جهة، وبين ألمانيا والنمسا من جهة، ثم انضمت بريطانيا وإيطاليا واليابان والصين وأمريكا والبرتغال إلى الفريق الأول، وانضمت بلغاريا وتركيا إلى الثاني، فسقط بسببها خمسة عشر مليوناً بين قتل وجريح، وقد شكّل اشتراك الدولة العثمانية المباشر في هذه الحرب خطورة شديدة على العالم العربي. ينظر: موسوعة التاريخ الإسلامي، شلي/ (5/491).

المدرسة، واتَّهمت بمآرب طائفية وسياسية، رغم أن السيد رشيد كان حريصاً على إبعاد طلابه عن السياسة والحديث فيها، فأغلقت بعد عامين، وقد خرَّجت معلّمين وصحفيين ودعاة ومرشدين وسياسيين.⁽¹⁾

ثالثاً: إصلاح الأزهر:

تابع السيد رشيد شيخه محمد عبده في مسيرة إصلاح الأزهر، وانتقاد شيوخه عن طريق مجلة المنار، يقترح المقترحات النافعة في إصلاحه،⁽²⁾ وينقل الأخبار متحملاً في سبيل مشروعه مقاومة أعداء الإصلاح، ويؤكد على ضرورة العناية بهذه المؤسسة التعليمية عند كل مناسبة،⁽³⁾ متحرّياً الإنصاف ودفع الشبهة عن علمائه وطلابه.⁽⁴⁾

5

ثم إنَّ جهود كلا الشيخين أثمرت بعد طول عناء، وبدأ الأزهر يتطوّر ويحقق الإصلاح المنشود،⁽⁵⁾ وخصوصاً في ظلّ مشيخة رواد الإصلاح من تلاميذ الأستاذ الإمام، كالشيخ مصطفى المراغي الذي سار مسيرة صاحبيه حتّى أحدث فيه انقلاباً كبيراً ضدّ الجمود والمصالح الفردية،⁽⁶⁾ فقد تحسّنت ميزانية الأزهر، واشتغل المتخرجون فيه في مصالح الحكومة، وعمل على تغيير مناهج التعليم فيه كاعتماد رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده وتفسير المنار مرجعين في بايهما.⁽⁷⁾

10

(1) ينظر: عبد السميع البطل: فقيد الإسلام السيد محمد رشيد رضا ومدرسة دار الدعوة والإرشاد/ مجلة المنار/ (1354/1/8هـ) - (1936/3/31م)/(199-197/35)، محمد رشيد رضا ودوره في الحياة الفكرية والسياسية، د. أحمد فهد بركات الشوابكة/ ص125-126.

(2) وقد وضع كتابه المنار والأزهر لهذه الغاية، ففصّل فيه انتقاداته للأزهر وعلمائه وطلابه وخبرييه وطريقة التدريس فيه، وأهمّها تقديم أقوال العلماء على السنّة النبوية وانتشار البدع وإهمال اللغة العربية من الناحية العملية ومحاربة العلوم العصرية، وعدم مواكبة طرائق التدريس الحديثة، ثمّ وضع عشرة أصول لإصلاحه. ينظر: المنار والأزهر، رضا/ ص214-251.

(3) ينظر: المنار والأزهر، رضا/ ص214-215.

(4) ينظر: المصدر نفسه/ ص252.

(5) ينظر: رشيد رضا، العدوي/ ص208.

(6) ينظر: محمد رشيد رضا: الأزهر الأزهر، الانقلاب الأكبر/ مجلة المنار/ (1354/12/30هـ) - (1935/5/3م)/(764/34)، السيد محمد رشيد رضا، درنيقة/ ص137-138.

(7) ينظر: محمد رشيد رضا: فاتحة المجلد الثلاثين/ مجلة المنار/ (1348/1/1هـ) - (1929/6/7م)/(14/30).

رابعاً: مجلة المنار:

كان السيّد رشيد قد تدرب على الكتابة في لبنان بتأليف بعض الكتب والنشر في المجلات، وقوبل كل ذلك بالثناء من أهل العلم كشيخه حسين الجسر، حتى اشتهر بالأدب شعراً ونثراً، وكان على استعداد للخطابة ارتجالاً، فمجرد أن كسب ثقة شيخه محمد عبده اختبر حال البلاد، وطرح عليه مشروع مجلة تكون خليفة للعروة الوثقى، فوافقه لما علم غايته منها؛ وهو علاج الأمة بنشر العلم والدين والأخلاق وانتشالها من الجهل والفساد، وأنه مستعدّ للإنفاق على مشروعه مدّة سنتين دون أيّ كسب؛ ولكنه اشترط عليه الإعراض عن الأحزاب الساسيّة، والتزلف للوجهاء، والردّ على ذمّ الجرائد الأخرى.⁽¹⁾

5

وأتفق الشيخان على تسميتها (المنار)، وصدر العدد الأول منها في (1315/10/22هـ) واستمرت تحت رعاية الشيخ محمد عبده ودعمه، فأعجبت بها الطبقة المثقفة من المجتمع، وكثر مشتركوها من القضاة والمحامين، حتى ظنّ الناس أنّ مقالاتها من إنشائه؛ ممّا عرض السيّد رشيد لسخط الخديوي عباس تبعاً لسخطه على الشيخ، فأشار عليه أصحاب الجرائد من المحبّين أن يقتصد في الثناء على شيخه فأبى، فهو يرى ذلك من مقاصد المنار، ذلك لأنّه يرى فيه الزعيم الموثوق لقيادة مسيرة الإصلاح التي يسعى إليها،⁽²⁾ إلّا أنّ الشيخ انتقدها في جزالة ألفاظها، ومبالغتها في صراحتها في الحقّ، وتدخّلها في السياسة العثمانيّة⁽³⁾ التي بارزته العداء، ومنعت المجلّة من دخول أراضيها، وأتلفت ما وجدته منها، وحرضت الجرائد الأخرى ضدها، وتسبّبت بوفاة والده مريضاً حبيساً في داره.⁽⁴⁾

10

15

بدأت المنار جريدة أسبوعيّة من ثماني صفحات في سنتها الأولى، ثمّ تحوّلت إلى مجلّة شهريّة في السنة الثانية تهدف إلى الإصلاح في المجالات جميعها، وبيان توافق الدين مع العقل، وبعده عن الخرافة والبدع، وردّ الشبهات عنه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.⁽⁵⁾

(1) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ (1000-1003).

(2) ينظر: المصدر نفسه/ (1005-1006 و1008).

(3) ينظر: إحياء أربعين سنة، أرسلان/ ص178-179.

(4) ينظر: رشيد رضا، العدوي/ ص141-142 و144-145. كان ذلك في أواخر الحكم العثمانيّ إذ كانت السياسة العثمانيّة تحت سلطة جمعيّة الاتحاد والترقيّ.

(5) ينظر: رشيد رضا المفسّر، السامرائيّ/ ص292، السيّد رشيد رضا، درنيقة/ ص30-31، تاريخ الصحافة الإسلاميّة، أنور الجنديّ/

استمرت حتى وفاة السيد رشيد (1354هـ/1935م)، فصدر منها خمسة وثلاثون مجلداً، وكانت مقالاته في السنين الأولى تبين مشروعه الإصلاحية مجملًا، وتلفت الأنظار إلى أسقام الأمة وطرق علاجها بطريقة الزجر والتنبيه -تأسيًا بأسلوب القرآن المكي- حتى السنة الثانية عشرة، ثم أخذ يفصل ما أجمل ويشرحه في المجلدات التالية من المجلة،⁽¹⁾ تحت قاعدة المنار الذهبية: "نتعاون على ما نشترك فيه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما نختلف فيه"،⁽²⁾ وقد ذاع صيت المنار وصاحبها بين مسلمي العالم في بلاد العرب وأوروبا وشمال إفريقيا والهند، وصار له أتباع ومريدون في كل مكان،⁽³⁾ حتى في إستنبول إذ استطاع التواصل مع علمائها المعتدلين، ووضح لهم ما التبس عليهم من أفكاره، وأكد على أهمية التعاون بين العلماء الرسميين وغيرهم، وعلى أهمية اللغة العربية، وحذر من خطورة النزاع، فلاقت أفكاره هذه قبولاً لديهم.⁽⁴⁾

5

خامساً: نشاطه السياسي:

بدأ اهتمام السيد رشيد بالسياسة منذ مقتبل شبابه في بلده طرابلس، متأثراً بالشيخين الأفغاني وعبد، واختلاط أسرته بكبار السياسيين في البلاد، ونقاشاته معهم، ومعاناة البلاد العربية وخصوصاً بلاد الشام من الاستبداد وجور الحكّام، فاستطاع تحريك النشاط السياسي في بلاده،⁽⁵⁾

10

ولما انتقل إلى مصر كان هدفه الأول العمل بالإصلاح السياسي، إلا أنّ الشيخ محمد عبده منعه من الخوض في غمارها، فانصاع لنصح أستاذه مدّة حياته، ولكنّه كان يلتقي بكبار السياسيين للحديث في شؤون الأمة، وينشر لهم المقالات في مجلته.⁽⁶⁾ ولما توفي الشيخ محمد عبده أشهر السيد رشيد قلمه ونزل

15

(30/1)

(1) ومثال ذلك ما افتتح به العدد الأول من المجلة (10/1315هـ) - (2/1898م) / (9/1). ينظر: السيد رشيد رضا، درنيقة/ ص31، رشيد رضا، العدوي/ ص153-154.

(2) ينظر: السيد محمد رشيد رضا: باب الانتقاد على المنار/ مجلّة المنار/ (30/1332هـ) - (25/1914م) / (17/190).

(3) ينظر: محمد رشيد رضا، العدوي/ ص149.

(4) ينظر: محمد رشيد رضا، الشوابكة/ ص166-167 و169-170.

(5) ينظر: رشيد رضا، الشرياصي/ ص130، ورشيد رضا، العدوي/ ص51-54 و58.

(6) من هؤلاء الشيخ عبد الرحمن الكواكبي، إذ كان متفقاً مع السيد رشيد في الفكر حول الإصلاح الديني والتركيز على أهمية العرب والعروبة في العصر الحديث، ونشر له كتاب (أم القرى) في مجلّد المنار الخامس في دور العرب والعروبة، ونقد الدولة العثمانية، وهو

ساحتها، بقوة فكره وصدق نيّته.⁽¹⁾

1. موقفه من الدولة العثمانية:

بدأ السيّد رشيد مسالماً لها رغم علاقتها السياسيّة، يظهر انتماءه لها واحترامه للسلطان عبد الحميد، متابعاً في ذلك أستاذه محمد عبده الذي كان يرى أن الرابطة العثمانية أقوى من الرابطة العربيّة، وأنّ فيها قوّة الإسلام والمسلمين، ليس لشخص الدولة العثمانية؛ وإنّما حفاظاً على وحدة الأمة بتعدّد جنسيّاتها،⁽²⁾ فكان يدعو إلى حمايتها من التمزّق الداخليّ والعدوان الخارجيّ، مع الدعوة إلى إصلاحها سياسياً وإدارياً وقانونياً للعودة بها إلى روح الإسلام في مواجهة التهديد الأوروبيّ له، فهي عنده إمامة ضرورة.⁽³⁾

5

وبعد أن توفّي الشيخ محمد عبده وقد ناصبته الدولة العثمانية العداء وأتهمته بمحاولة إقامة خلافة عربيّة، وتوفّي -أيضاً- والد السيّد رشيد؛ انتقل إلى مرحلة جديدة في مواقفه السياسيّة ونشاطه؛ فترأس (جمعية الشورى العثمانية)، وكانت تضمّ مسلمين ونصارى متعدّدي الجنسيّات، وتهدف إلى إصلاح الخلافة العثمانية، وجعل حكومتها حكومة شورى، وجمع كلمة العثمانيين، ونقد سياستها الداخليّة والخارجيّة، وتطبع المنشائر السريّة وتوزّعها في البلاد العثمانية، والدعوة إلى الحكم الدستوريّ ومحاربة الاستبداد، وطرق إصلاح الدولة العثمانية،⁽⁴⁾ وكان السيّد رشيد على حذر تامّ من جواسيس الدولة العثمانية، إذ كان يراها

10

ضبط مفاوضات ومقررات مؤتمر النهضة الإسلامية المنعقد في مكّة المكرمة سنة 1316هـ، وهذا المؤتمر كان من خيال المؤلف كما أشار حفيده عبد الرحمن في تقديمه للكتاب، وهو مطبوع. ينظر: أم القرى، عبد الرحمن الكواكبي/ ص 1 (تقديم)، معجم المطبوعات، سركيس/ (1575/2-1576)، ورشيد رضا المفسّر، السامرائي/ ص 297-299.

(1) ينظر: السيّد محمد رشيد رضا: فاتحة السنة الثانية عشرة/ مجلّة المنار/ (1327/1/30هـ) - (1909/2/21م) / (14/12).

(2) ينظر: رشيد رضا، الشرباصي/ ص 140-141.

(3) ينظر: الإصلاح السياسي عند مفسري القرآن الكريم في النصف الأول من القرن العشرين (رشيد رضا وطنطاوي جوهري نموذجاً)، حازم زكريّا محي الدين، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه - كلية معارف الوحي الإسلامي والعلوم الإنسانيّة، الجامعة الإسلامية - ماليزيا/ 2007م/ إشراف: د. محمد بهاء الدين حسين/ ص 195-196.

(4) ينظر: السيّد محمد رشيد رضا: فاتحة السنة الثانية عشرة/ مجلّة المنار/ (1327/1/30هـ) - (1909/2/21م) / (12/12)-

(13)، رشيد رضا المفسّر، السامرائي/ ص 300، ورشيد رضا، العدوي/ ص 222-224، والسلطان عبد الحميد آخر السلاطين العثمانيين الكبار، د. محمد حرب/ ص 262.

—بخلاف أستاذيه— قائمة على الخديعة.⁽¹⁾

2. موقفه من جمعية الاتحاد والترقي:⁽²⁾

كان السيد رشيد على حذر من هذه الجمعية؛ فلم يرض أن يضمّ جمعياته (الشورى العثمانية) إليها، لأنه فطن إلى أنّها لا تضمّ إلا أتراكاً فقط، فرأى في ذلك بوادر تعصّب إلى الجنسية التركية.⁽³⁾

5 وكان في بداية نشاط الجمعية يشدّ من أزرها في مقالاته في المنار إلى أن أعلنت الدستور، فتوسّم فيه خيراً وحرية، وكان مع ذلك ناصحاً محدّراً من الوقوع في الخطأ، ومن الغرق في نشوة النصر والغرور به، ومن سوء استعمال الحرية، موجّهاً إلى وجوب العمل بتعقل وحنكة،⁽⁴⁾ غير أنّه أخذ عليها تعصّبها للعنصر التركي، على حساب باقي عناصر الأمة، وأنّها لم تحتّر عمّالها من الأكفيا؛ وأنّ جُلّ ما قامت به هو استبدال استبداد باستبداد، وهو مع ذلك كان يرى بقاءها حماية للدستور إذا التزمت أعمالها ولم تتجاوزها.⁽⁵⁾ وأكّد على ضرورة العناية باللغة العربية، مندداً بجعل اللغة الرسمية هي التركية، ودراسة اللغة العربية اختيارية في المدارس.⁽⁶⁾

5

10

(1) ينظر: رشيد رضا، العدوي/ ص110-111.

(2) جمعية الاتحاد والترقي: هي اللجنة العاملة لمنظمة (تركيا الفتاة) السريّة، نشأت في جنيف 1891م، ثمّ انتقلت إلى باريس، كثير من أعضائها من الماسون، كان هدفها وضع دستور ذي طابع غربيّ، فاضطر السلطان عبد الحميد تحت ضغط الجمعية إلى العودة إلى دستور 1876م؛ ولكنّه خلّع بحجة محاولة وقف العمل بالدستور مرّة أخرى 1909م، وتولّى مكانه أخوه محمد رشاد، وبقيت السلطة الفعلية بيد الاتحاديين. ينظر: السلطان عبد الحميد، حرب/ ص277-283، وتاريخ سورية لبنان وفلسطين، فيليب حتي/ (350/2).

(3) ينظر: السيد محمد رشيد رضا: فاتحة السنة الثانية عشرة/ مجلّة المنار/ (1327/1/30هـ) - (1909/2/21م) / (13/12)، رشيد رضا المفسّر، السامرائي/ ص300-301.

(4) ينظر: السيد محمد رشيد رضا: الدستور وجمعية الاتحاد والترقي وسائر الجمعيات/ مجلّة المنار/ (1327/3/30هـ) - (1909/4/21م) / (234-233/12).

(5) ينظر: السيد محمد رشيد رضا: فاتحة السنة الثانية عشرة/ مجلّة المنار/ (1327/1/30هـ) - (1909/2/21م) / (235/12) - (238)، الدولة العثمانية، الصلابي/ ص464.

(6) ينظر: السيد محمد رشيد رضا: العرب والترك-4/ مجلّة المنار/ (آخر ذي الحجة/1327هـ) - (1910/1/11م) / (226/12).

وأسوأ ما قام به بعض الاتحاديين هو الانفتاح على اليهود، وتقديم التسهيلات الاقتصادية، وفتح باب هجرة اليهود إلى الأراضي العثمانية وخصوصاً فلسطين، وتأثرهم هم والكماليون بالكتاب اليهود،⁽¹⁾ وقد تنبّه السيّد رشيد على خطورة الأمر، فبذل النصح وسعى إلى الإصلاح في الأستانة وفي مصر،⁽²⁾ والحياد في الحرب العالمية، وعدم الانحياز إلى ألمانيا؛ ولكن دون مجيب.⁽³⁾

كما حاول التأليف بين العرب والاتحاديين والدعوة إلى إنصافهم، ولكنّ العلاقة أخذت تسوء بين الطرفين، حتّى رماهم بالإلحاد، وحكموا عليه بالإعدام مرتين أو أكثر بتهمة الدعوة إلى نهضة العرب.⁽⁴⁾

5

3. موقفه من الكماليين:

لما ظهر مصطفى كمال أتاتورك⁽⁵⁾ نال إعجاب السيّد رشيد بنجاحه في تحرير تركيّا من الاحتلال الأجنبي،⁽⁶⁾

(227)، رشيد رضا، العدوي/ ص 231، محمّد رشيد رضا، الشوابكة/ ص 195-196. أقام في الأستانة أسبوعاً يراقب الوضع عن كثب، فاكتشف هذه الانتقادات بنفسه، وأودع نتائج رحلته في إحدى الجرائد التركية في عدّة مقالات تحت عنوان (العرب والترك)، ونشرها أيضاً في مجلّته.

(1) ينظر: الدولة العثمانية، الصلابي/ ص 456-458 و 462-464. (2) ينظر: السيّد محمّد رشيد رضا: أمير الألاي صادق بك/ مجلّة المنار/ (1329/4/30هـ) - (1911/4/29م) / (269/14-270)، محمّد رشيد رضا، الشوابكة/ ص 200.

(3) ينظر: السيّد محمّد رشيد رضا: باب الأخبار والآراء (الحرب الأوروبية والدولة العثمانية)/ مجلّة المنار/ (1332/9/30هـ) - (1914/8/23م) / (270/17)، محمّد رشيد رضا، الشوابكة/ ص 201-202.

(4) ينظر: المنار والأزهر، رضا/ ص 178-179، إخاء أربعين سنة، أرسلان/ ص 83 (الحاشية)، رشيد رضا، الشرباصي/ ص 150-151.

(5) مصطفى كمال أتاتورك (أبو الترك - الغازي)، من أصول يونانية، اختُلف في نسبه، وأرجعه بعض الباحثين إلى يهود الدونمة، وُلد في سلانيك (1298هـ/1880م)، ودرس في المدرسة الحربية، اشترك في الحرب الإيطالية الطرابلسيّة 1911م، والحرب البلقانيّة الثانية ضدّ البلغاريتين، والحرب العالميّة الأولى، عُيّن رئيساً للجمهورية التركية (1923-1938م)، ألغى الخلافة الإسلاميّة والعمل بالشرعية واستبدل الحروف اللاتينيّة بالعربيّة، تويّ سنة (1357هـ/1938م). ينظر: الأعلام الشرقيّة، مجاهد/ (51/1)، معجم أعلام المورد، البعلبكي/ ص 369، حقيقة يهود الدونمة في تركيا وثائق جديدة، د. هدى درويش/ 46-47.

(6) احتل الحلفاء واليونان تركيّا في أعقاب الحرب العالميّة الأولى، وكانت الأستانة تحت سيطرة الإنكليز 1338هـ، فاستطاع كمال أتاتورك -البطل المصنوع بأيدٍ إنكليزيّة- بهدف إلغاء الخلافة العثمانية- إخراج اليونان والحلفاء من البلاد دون قتال. ينظر: الدولة

ووصف الكماليين بالبطولة، وسخر مقالات من مجلته للإشادة بهم، والدفاع عنهم،⁽¹⁾ وقال في زعيمهم: "لو عرف هذا الرجل العالي الهمة -مصطفى كمال- من الإسلام ما أعلم لأمكنه أن يكون رجل العالم لا رجل الترك فقط، فالإسلام لا يحتاج إلّا إلى رجل عالي الهمة بيده شيء من القوة، يعلم ما فيه من علاج فساد البشر وينهض لمعالجتهم به".⁽²⁾

ولكنّ أتاتورك كان لديه مخطّط داخليّ تمثّل في إلغاء منصب الخلافة، وتغريب الشعب التركيّ في لغته وعاداته وقانونه، كما عرف عنه عدم الانضباط بالأخلاق والدين، والنّيل من الشريعة الإسلاميّة وعلمائها جهاراً،⁽³⁾ فأرسل إليه السيّد رشيد ينصحه بإصلاح الخلافة بدلاً من إلغائها، إذ كان يراها ضرورة في ذلك الوقت، وانتقد بشدّة إلغاء الشريعة الإسلاميّة والعادات الشرقيّة برمتها، إلّا أنّ أتاتورك استمرّ في مشروعه، وجرد الخليفة من سلطته السياسيّة والاجتماعيّة عام 1922م،⁽⁴⁾ ولمّا انتشر التيّار الكماليّ في مصر وبلاد الأفغان، ويئس السيّد رشيد من نصّحهم، توجّه إلى المسلمين يحذّره من اتّباعهم، وأطلق عليهم (ملاحدة الترك).⁽⁵⁾

ثمّ خلص إلى نتيجة مفادها: "الكماليّون هم الاتحاديّون، لا فرق بينهما في المقصد ولا في الوسائل، وإنّما كانوا ينسبون إلى معنى فصاروا ينسبون إلى جثة أو شخص، وهذه النسبة تنافي ما يتبحّجون به من القضاء على نفوذ الأشخاص وسلطتهم وإحلال سلطة الأمة محلّها، فما تغيّر شيء إلّا التسمية... بل أقول: قد كنّا نظنّ أنّ الكماليّين ربّما يكونون أقلّ من الاتحاديّين جرأة على التغيّر والتبديل المراد بهذا الشعب الذي أتي من طاعته العمياء لرؤسائه، لما كان للاتحاديّين من سوء الخاتمة، فإذا هم أشدّ منهم جرأة، وسبب الجرأة في الفريقين واحدة، وهي القبض على أعنة السلطة بالقوّة العسكريّة".⁽⁶⁾

العثمانيّة، الصلابي/ ص 467-468..

(1) ينظر: محمّد رشيد رضا، الشوابكة/ ص 203-205.

(2) إخاء أربعين سنة، أرسلان/ ص 316.

(3) ينظر: الدولة العثمانيّة، الصلابي/ ص 470-477، ومحمّد رشيد رضا، الشوابكة/ ص 208-210 و216.

(4) ينظر: محمّد رشيد رضا، الشوابكة/ ص 207-210، الإصلاح السياسيّ، محي الدين/ ص 201 و205.

(5) ينظر: إخاء أربعين سنة، أرسلان/ ص 435.

(6) السيّد محمّد رشيد رضا: الانقلاب الدينيّ السياسيّ في الجمهوريّة التركيّة/ مجلّة المنار/ (30/9/1342هـ) - (4/5/1924م)/

4. موقفه من الاحتلال الأوروبي:

رغم كلِّ معائب الأحزاب والسياسات العثمانية والتركية كان السيد رشيد يراها خيراً من الاحتلال الإنكليزيّ للبلاد العربية تحت أيّ مسمى، أمّا الإنكليز أنفسهم فقد كانوا يحاولون استمالته ليكفوا قلمه عنهم، ويبثّ الدعاية الإنكليزية في البلاد العربية من خلال مجلّته بحجة أنّ بريطانيا ستساعد العرب في تحقيق مطالبهم تجاه الدولة العثمانية، أو الحصول على استقلالهم، فتهرّب منهم ظاهراً؛ ولكنّه كان يحذّر من خطرهم سرّاً، فلمّا اكتشفوا أمره حاولوا نفيه، وما منعهم إلّا خوفهم من اتّصاله بالترك، ومن ثمّ ازدياد خطره على الإنكليز، فاستبقوه في مصر تحت رقابة شديدة.⁽¹⁾

5

كان السيد رشيد منذ وصوله إلى مصر حتى بداية الحرب العالمية الأولى يميل إلى التعامل المسلم مع المستعمر، دون مDAHنة تمسّ الإسلام والمسلمين، أو تعامل سياسيّ مباشر، ملتفتاً إلى مشروعه الإصلاحيّ في جوانب الحياة كلّها، ويمكن وصف هذا الموقف بـ(المقاومة الاستراتيجية).⁽²⁾

10

التقى السيد رشيد سنة (1333هـ/1915م) مارك سايكس⁽³⁾ وتجاوز معه في القضايا العربية، فتبيّن من سوء نيّة الإنكليز تجاه العرب، وأنّ تعاطفهم معهم خديعة، ووعودهم لهم أوهام.⁽⁴⁾

(280/25-281).

(1) ينظر: إخاء أربعين سنة، أرسلان/ ص155-166، رشيد رضا، العدوي/ ص239-241.

(2) ينظر: الإصلاح السياسيّ، محي الدين/ ص216-217.

(3) مارك سايكس: ضابط بريطاني، وُلد سنة 1879م، عُيّن ملحقاً في سفارة بلاده في إسطنبول (1905-1907)، وعدد من المناصب الأخرى، اشترك مع جورج بيكو ممثل فرنسا في عقد اتفاقية سايكس-بيكو سنة 1916م لتقسيم ولايات بلاد الشام بين بلديهما، وعُيّن مستشاراً لشؤون الشرق الأوسط في وزارة الخارجية، وأُرسل إلى مصر ثمّ فلسطين، له مؤلّفات عن الشرق الأوسط، منها: (عبر خمس ولايات تركية)، و(الإرث الأخير للخليفة)، توفيّ عام 1919م. ينظر: القبائل الكردية في الإمبراطورية العثمانية، مارك سايكس، ترجمة: أ.د. خليل عليّ مراد/ ص22-23 (مدخل كتبه د. عبد الفتاح علي بوتاتي)، القاموس السياسيّ، عطية الله/ ص608.

(4) ينظر: السيد محمد رشيد رضا: الحقائق الجلية في المسألة العربية، مقالة للعبارة والتاريخ/ مجلّة المنار/ (1339/9/29هـ) -

(1921/56/6م)/ (445-446/22)، رشيد رضا، العدوي/ ص241-242.

ولمّا علم بالاتفاق السريّ بين الشريف حسين⁽¹⁾ وبريطانيا الذي تضمّن وعداً له بإقامة دولة عربيّة⁽²⁾ توجّه إلى الحجّ، وحذّر الشريف من استغلال الإنكليز للعداوة بينه وبين تركيّا، ونصحه أن يجعل ثورته في سبيل وحدة العرب ضدّ الاستعمار الأوروبيّ، بدلاً من محاربة الاتّحاديّين،⁽³⁾ فلمّا اقتنع الشريف بكلامه ألقى جواسيس الإنكليز العداوة بينهما، وحولوه عن رأيه، وتسبّبوا بمنع المنار من دخول الحجاز.⁽⁴⁾

5

كما حذّره من اتّفاقيّة سايكس-بيكو⁽⁵⁾ قبل إعلانها؛ ولكنّ الشريف عدّ الأمر من الشائعات، أمّا السيّد رشيد فقد اجتمع بعدد من المفكرين والسياسيّين العرب والسوريّين، (1336هـ/1918م) ففضح خداع كلّ من إنكلترا وفرنسا للعرب، ودعا إلى الاستقلال التامّ، ثمّ توجّه إلى رؤساء وزارات إنكلترا وفرنسا

(1) الملك حسين بن عليّ بن محمّد، حسينيّ النسب، وُلد في القسطنطينيّة (1318هـ/1901م)، ثمّ انتقل إلى مكّة مع أبيه، آخر من حكم مكّة من الأشراف، أعلن الثورة على الدولة العثمانيّة سنة 1916م، وقد وعدته بريطانيا باستقلال بلاد العرب فأخلفوا، أعلن الملك ابن سعود الحرب عليه فتنازل عن الملك لابنه عليّ، ورحل إلى قبرص سنة 1925م، ثمّ مرض فيها فانتقل إلى عمّان ومات فيها سنة (1350هـ/1931م) ودُفن في الأقصى. ينظر: الأعلام الشريفة، مجاهد/ (22/1-23)، والأعلام، الزركلي/ (249/2-250).

(2) كان ذلك عن طريق مراسلات بين الشريف وممثّل بريطانيا في القاهرة (هنري مكماهون) انتهت إلى تحديد حدود المملكة العربيّة 1916م، فأعلن الشريف حسين على أساسها ثورته في نفس العام، وأمّدت إنكلترا بالمساعدات الماديّة والأدبيّة، ووصل إلى دمشق، ونودي به ملكاً على العرب، في الوقت الذي كانت تُعقد فيه اتّفاقيّة سايكس-بيكو الإنكليزيّة الفرنسيّة، ويُستصدر وعد بلفور. ينظر: موسوعة التاريخ الإسلامي، شلبي/ (5/672-763).

(3) ينظر: السيّد محمّد رشيد رضا: الحقائق الجليّة في المسألة العربيّة، مقالة للعبارة والتاريخ/ مجلّة المنار/ (29/9/1339هـ) - (6/6/1921م) // (22/446-448)، رشيد رضا، العدوي/ ص243-247.

(4) ينظر: السيّد محمّد رشيد رضا: الشريف حسين ملك الحجاز السابق (2) // مجلّة المنار/ (2/1350هـ) - (7/1931م) // (31/798-799).

(5) اتّفاقيّة سايكس-بيكو 1916م: تفاهم سريّ بين فرنسا وبريطانيا لتقسيم سورية الطبيعيّة بينهما بعد سقوط الدولة العثمانيّة، قام به كلّ من مندوبيهما الساميين: مارك سايكس الفرنسيّ وجورج بيكو البريطانيّ، فتكون لفرنسا المنطقة الزرقاء (كيليكيّا وسورية الساحليّة)، ولبريطانيا المنطقة الحمراء (من بغداد إلى البصرة)، وتبقى المنطقة السمرّاء (فلسطين) تحت إشراف دوليّ، بقي الاتفاق سريّاً حتّى أُعلن عنه سنة 1917م. ينظر: الموسوعة التاريخيّة الجغرافيّة، الخوند (10/41-42)، القاموس السياسيّ، عطية الله/ ص608-609.

يندّد باتفاقية سايكس-بيكو ويحذّر منها،⁽¹⁾ مسخّراً المنار المجلّة والتفسير لفضح الاستعمار والدعوة إلى المقاومة المباشرة.⁽²⁾

سافر السيّد رشيد إلى بيروت، وشاهد قمع الفرنسيين للناس فيها، وطلب جورج بيكو⁽³⁾ لقاءه (1338هـ/1919م)، فلبّى السيّد طلبه وتحدّث معه في عدّة أمور حول سورية والاحتلال الفرنسي والإنكليزي، وحذّره من خطورة تقسيم بلاد العرب إذا صحوا من سباتهم، كتم بيكو غيظه من السيّد، وأرسل شرطة طرابلس للقبض عليه، وصادروا أوراقه التي كتب فيها التفسير، ولم يطلقوه إلّا خوفاً من الرأي العام.⁽⁴⁾

5

أمّا الملك فيصل الأوّل⁽⁵⁾ فقد كان يرى استحالة إخراج الاحتلال الفرنسي والبريطاني من البلاد، وقد نبّهه السيّد رشيد إلى ما يتوقّعه من غدر الفرنسيين وأشار عليه بالاستعداد للحرب، ولكن دون جدوى، فقاطعه السيّد رشيد وحدث ما كان يتوقّعه، ودخل الاحتلال الفرنسي بلاد الشام، وطردوا فيصلاً منها.⁽⁶⁾

(1) ينظر: رشيد رضا، العدوي/ ص 247-250.

(2) ينظر: الإصلاح السياسي، محي الدين/ ص 218.

(3) فرانسوا جورج بيكو: دبلوماسي فرنسي، وُلد سنة 1870م، درس القانون، ثمّ أصبح دبلوماسياً سنة 1898م، على اهتمام واسع بمسألة الشرق الأوسط وسورية كان قنصلاً لبلاده في سورية قبل الحرب العالمية الأولى، ثمّ عُيّن مندوباً سامياً، وأُرسل إلى لندن لبحث المسألة العربيّة سنة 1915م، واشترك مع مارك سايكس لعقد اتفاقية سايكس-بيكو، استلم عدداً من السفارات والمفوضيات في البلاد العربيّة والأوروپيّة، توفّي عام 1951م. ينظر: الثورة العربيّة الكبرى، مصطفى طلاس/ ص 165 (الحاشية)، خطّ في الرمال، جيمس بار، ترجمة: سلافه الماغوط/ ص 28-29 و 36 و 40-42، موقع نيرمي مقال بعنوان: بحث عن فرانسوا جورج بيكو، كتبه: جهاد محمّد المنشاوي/ <https://onshr.nrme.net/detail1986711.html>.

(4) ينظر: رشيد رضا، العدوي/ ص 250-252.

(5) الملك فيصل الأوّل ابن الشريف حسين، وُلد عام (1300هـ/1883م) في مكّة، حفظ القرآن الكريم، وتعلّم على معلّمين عيّنهم له والده، انتُخب نائباً عن لواء جدة (1327هـ/1909م)، كان من كبار زعماء الثورة العربيّة، ناب عن والده في مؤتمر الصلح بباريس، نودي به ملكاً دستورياً على سورية (1338هـ/1920م) سافر إلى إيطاليا بعد معركة ميسلون ثمّ إلى لندن، وعُيّن ملكاً على العراق عام (1339هـ/1921م) فعمل على الإصلاح الداخلي والخارجي، توفّي سنة (1352هـ/1933م). ينظر: الأعلام الشرقيّة، مجاهد/ (34-35/1)، الأعلام، الزركلي/ (5/165-166).

(6) ينظر: رشيد رضا، العدوي/ ص 252-253.

5. موقفه من الصهيونية:

تنبه السيد رشيد إلى خطر الصهيونية وتحالفها مع الإنكليز لتحقيق أهداف كل من الطرفين في البلاد العربية، وجعل من مجلته منبراً للحديث عنها في مقالين مطولين في مجلدها الثلاثين منذ نشأتها ومحاولاتها الاستيلاء على فلسطين من عهد السلطان عبد الحميد والاتحاديين، إلى تهجير فقراء اليهود من أوروبا إلى فلسطين تحقيقاً لوعده بلفور، وكانوا السبب وراء إلغاء الخلافة الإسلامية، وتحويل الحكومة التركية إلى إلحادية تسعى إلى محو الإسلام من الشعوب الأعجمية المسلمة،⁽¹⁾ واتّسمت كلماته بالقوة والصدق، وعدّ الصهيونية أول المخاطر التي تهدد الوطن العربي، والتقى زعماء الصهاينة في مصر والقدس وغيرهما، وحذّروهم من اتحاد العرب ضدهم ومقاومتهم لهم بالسلاح، ثم توقف عن هذه المحاولات لما اكتشف ما بين اليهود والإنكليز من اتفاق في الظاهر، وإضمار كل منهما المكر للآخر، وتوجّه إلى العرب يلفت نظرهم إلى خطة عدوهم المتمثلة بإثارة مشاكل داخلية تشغلهم عن عدوهم الخارجي.⁽²⁾

5

10

أكد السيد رشيد من خلال دراسته لتاريخ اليهود على ما عُهد عنهم من مكر ونقض للعهد، وأطماع رخيصة وعصبية جنسية وحرص على الحياة الدنيا، فقد قال الله تعالى فيهم: ﴿وَلَنَجْذِثَهُمْ أَخْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوتِهِمْ﴾ [البقرة: ٩٦]، فهم شعب قوي العزيمة ممتاز بالوحدة والتكافل لا يتقبلون أحداً من المخالفين، ويعطون أنفسهم من الحقوق ما لا يعطون لغيرهم، ومن ذلك تملكهم أرض فلسطين،⁽³⁾ وكان يرى أنّ تحالفهم مع الإنكليز سيكون سبباً في القضاء عليهم، وعلى النفوذ الإنكليزي في البلاد العربية، وأنهم لا طاقة لهم بالملك؛ إذ ليس لديهم قوة حربية، بخلاف الأمة العربية، فقد كان متفائلاً في اجتماع موقف العرب في الدفاع عن فلسطين،⁽⁴⁾ فقد تعاطفت البلاد العربية والإسلامية مع فلسطين،

15

(1) ينظر: السيد رشيد رضا: ثورة فلسطين - أسبابها ونتائجها (1) / مجلّة المنار / (1348/5/19هـ) - (1929/11/1م) / (388/30).

(2) ينظر: المصدر نفسه / (391-392)، رشيد رضا، العدوي / ص 259-262.

(3) ينظر: السيد رشيد رضا: ثورة فلسطين - أسبابها ونتائجها (1) / مجلّة المنار / (1348/5/19هـ) - (1929/11/1م) / (385/30).

(4) ينظر: السيد رشيد رضا: ثورة فلسطين - أسبابها ونتائجها (1) / مجلّة المنار / (1348/5/19هـ) - (1929/11/1م) / (393/30)، رشيد رضا، العدوي / ص 263-264.

وَجُمِعَت التَّبَرُّعات لمَنكوبي العرب، وأُرسلت البرقيّات المناصرة لهم إلى بريطانيا وفلسطين.⁽¹⁾ كلّ هذا الاندفاع والحماس العربيّ جعل السيّد رشيد يرى نصر العرب على اليهود وشيكاً، فقال: "فهل تظن هذه الطغمة⁽²⁾ من اليهود الصهيونيّين أنّهم ينتزعون من قلب هذه الأمة العزيزة قطراً من أشرف أقطارها وأعزّها بعد أن استيقظت من رقدتها، وشعرت بقيمة نفسها، وهبّت لاستعادة وحدتها، على اختلاف مواطنها وعقائدها وتربيتها؟ وما كان ضعفها الماضي إلّا بتفرّقها وجهلها بقوّتها ومكانتها. ومتى كان الغنى والثراء والمكر والدهاء والكيد والرياء من الضعفاء الجبناء يطرد الأمم القويّة من أوطانها، ويغلبها على ملكها وسلطانها، والحق لها والسيف بيدها؟ وهم إنّما يعتمدون على قوّة غيرهم -ولن يدوم لهم تسخيرهم لهم- وعلى تفرّق خصومهم -وقد زال- ولم يبق لاتّحادهم إلّا النظام وهو إن شاء الله قريب المنال".⁽³⁾

5

المطلب السادس: أسفاره

كان للسيّد رشيد العديد من الرحلات في البلاد العربيّة والأوروبيّة لدراسة مسائل سياسيّة، أو حضور مؤتمرات، أو مشاريع علميّة، ومن هذه الأسفار:

10

1. الهجرة إلى مصر:

بعد أن فشلت محاولات السيّد رشيد للاتصال بالأفغانيّ وجه عزمه تلقاء مصر ليتّصل بالشيخ محمّد عبده، ولينشئ مجلّته الإصلاحية، واستطاع الخروج من لبنان سراً خوفاً من منع الحكومة العثمانية إيّاه، لعلمها بأنّه مفكّر سياسيّ، وصل إلى الإسكندرية (1315هـ/1898م)، ثمّ رحل إلى الشيخ محمّد عبده في القاهرة، فأدناه منه وعامله معاملة الخاصّة، وأنشأ هناك مطبعة ومكتبة ومخزن كتب.⁽⁴⁾

15

(1) ينظر: السيّد رشيد رضا: ثورة فلسطين - أسبابها ونتائجها (2) / مجلّة المنار / (1348/6/30هـ) - (1929/12/1م) / (466-465/30).

(2) الطّغام: أوغاد الناس، والعرب تقول للرجل الأحقق النذل: طغامة ودغامة، وفي المتن اللغة: الطّغمة: جماعة من الناس أمرهم واحد. ينظر: تهذيب اللغة، محمّد بن أحمد الأزهريّ / ط غ م / (64/8)، ومعجم متن اللغة، أحمد رضا / (613/3).

(3) ينظر: السيّد رشيد رضا: ثورة فلسطين - أسبابها ونتائجها (2) / مجلّة المنار / (1348/6/30هـ) - (1929/12/1م) / (465/30).

(4) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا (1000-998/1)، رشيد رضا، الشرباصي / ص 136-137.

وقد اختار مصر دار هجرة له لما فيها من الأمان وسعة الرزق، وحرية الرأي، ولأسبقيتها في مقاومة الاستبداد العثماني، والاحتلال الأوروبي، بالإضافة إلى انفتاحها على الغرب، وكل ذلك لم يكن موجوداً في وطنه الأم،⁽¹⁾ إلا أن الحياة في مصر لم تصف له تمام الصفاء، فقد كان بعض المصريين يعاملونه بالعصبية الجنسية، ويتهمونونه بالغنى في مصر بعد فقر، فكان ينتقد على المصريين هذه الخصلة تصريحاً أو تلميحاً ماضياً فيما جاء لأجله من إصلاح.⁽²⁾

5

2. الرحلة السورية الأولى:

بعد إعلان الدستور (1326هـ/1908م) توجه السيد رشيد إلى سورية، فزار بيروت وطرابلس والقلمون وحمص ودمشق، وألقى في الجامع الأمويّ درسين في تعليم العامة بحضور الآلاف،⁽³⁾ كما ألقى غيرهما من الدروس والخطب السياسية، ودعا إلى وحدة العرب مع الترك، والتنافس الحضاريّ بينهما تمهيداً لاستقلال العرب، واستقبل وفود المسلمين والمسيحيين، وحثّ على إنشاء الجمعيات الخيرية لمساعدة الفقراء وتعليمهم، ووقف على الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية، واستمرت رحلته هذه قرابة ستة أشهر.⁽⁴⁾

10

(1) ينظر: رشيد رضا، الشرياصي / ص 137-813، ورشيد رضا، العدوي / ص 116-118 و 121-122، تاريخ طرابلس، الزين / ص 322.

(2) ينظر: رشيد رضا، الشرياصي / ص 138-139.

(3) ينظر: السيد محمد رشيد رضا: باب الأخبار والآراء، سياحة صاحب المجلة في سورية / مجلة المنار / (1326/9/30هـ) - (1908/10/25م) / (706/11 و 708 و 710-711). السيد محمد رشيد رضا: رحلة صاحب المنار في سورية - 3 / مجلة المنار / (1326/12/29هـ) - (1909/1/22م) / (936/11 و 939-947)، والسيد محمد رشيد رضا: رحلة صاحب المجلة في سورية - 4 / مجلة المنار / (1326/12/29هـ) - (1909/1/22م) / (150/12 و 152 و 159)، ورشيد رضا، الشرياصي / ص 145-146، وإخاء أربعين سنة، أرسلان / ص 147-148.

(4) ينظر: السيد محمد رشيد رضا: باب الأخبار والآراء، سياحة صاحب المجلة في سورية / مجلة المنار / (1326/9/30هـ) - (1908/10/25م) / (706/11 و 709 و 713-716)، والسيد محمد رشيد رضا: رحلة صاحب المنار في سورية - 3 / مجلة المنار / (1326/12/29هـ) - (1909/1/22م) / (936/11 و 938)، والسيد محمد رشيد رضا: رحلة صاحب المجلة في سورية - 4 / مجلة المنار / (1326/12/29هـ) - (1909/1/22م) / (150/12 و 152).

3. رحلة القسطنطينية:

زار السيّد رشيد الأستانة (1327هـ/1909م) لهدفين رئيسين؛ أولهما: التأليف بين العرب والترك، ونبذ العصبية، وثانيهما: إنشاء معهد علمي تقوم عليه جمعية إصلاحية بعيدة عن السياسة، تهدف إلى حفظ الدين وعلومه إلى جانب العلوم العصرية، وتخرج دعاة قادرين على الدفاع عن الدين،⁽¹⁾ بالإضافة إلى سعيه إلى العناية بتعليم اللغة العربية، وجعلها لغة رسمية إلى جانب اللغة التركية،⁽²⁾ فمكث في الأستانة سنة لمتابعة مشروعه، ولكنه لم يحن إلا للوعد، فاستبدل به جمعية الدعوة والإرشاد ومدرستها التي أقامها في مصر.⁽³⁾

5

4. الرحلة الهندية العربية:

وجهت ندوة العلماء في لكةهنؤ⁽⁴⁾ دعوة إلى السيّد رشيد لحضور احتفالها السنوي (1330هـ/1912م) فاستقبله عند وصوله وجهاء البلاد، والتقى علماءها وترأس الاحتفال فألقى فيه خطبة طويلة تحدّث فيها عن واقع التعليم في العالم الإسلاميّ وأساليب النهوض به، وأكد على العناية باللغة العربية.⁽⁵⁾

10

(1) ينظر: السيّد محمد رشيد رضا: رحلة هذا العام إلى القسطنطينية - 1/ مجلّة المنار / (1327/12/30هـ) - (1910/1/11م) / (958-956/12).

(2) ينظر: السيّد محمد رشيد رضا: باب الأخبار والآراء، رحلة صاحب المنار إلى القسطنطينية - 2/ مجلّة المنار / (1328/2/30هـ) - (1910/3/11م) / (149/13).

(3) ينظر: السيّد محمد رشيد رضا: جمعية الدعوة والإرشاد/ مجلّة المنار / (1329/1/29هـ) - (1911/1/30م) / (35/14) - (36)، رشيد رضا، الشرباصي/ ص 149-150.

(4) لكةهنؤ أو لكانا أو لوكنو: عاصمة ولاية أوتربراداش شمال الهند، دخلها الإسلام في القرن الخامس الهجري عن طريق الدولة الغزنوية، فيها متحف تاريخي والعديد من المعاهد والآثار والمساجد، وهي مقرّ ندوة العلماء 1892م، من أبرز علمائها محمد عبد الحليم اللكنويّ 1868م، ومحمد عبد الحي اللكنويّ 1887م. ينظر: موسوعة المدن العربية والإسلامية، د. يحيى الشامي/ ص 354، موسوعة 1000 مدينة إسلامية، عبد الحكيم العفيفي/ ص 427.

(5) ينظر: السيّد محمد رشيد رضا: باب الأخبار والآراء، سفر صاحب المنار إلى الهند/ مجلّة المنار / (1330/3/30هـ) - (1912/3/19م) / (226-225/15)، والسيّد محمد رشيد رضا: الخطبة الرئيسية في ندوة العلماء بلكةهنؤ (الهند) لصاحب المنار/ مجلّة المنار / (1330/5/30هـ) - (1912/5/17م) / (341-321/15)، والسيّد محمد رشيد رضا: الخطبة الرئيسية في ندوة العلماء بلكةهنؤ (الهند) لصاحب المنار/ مجلّة المنار / (1330/8/30هـ) - (1912/8/13م) / (566-561/15).

وطوّف في المدن الهندية واطّلع على آثارها ومعالم الديانات المختلفة فيها ووقف على حال المسلمين، وعلى الأحوال الاقتصادية والاجتماعية فيها رغم ملاحقة عيون الحكومة الإنكليزية له.⁽¹⁾

غادر الهند بعد أكثر من شهر ونصف متوجّهاً إلى عُمان، ثمّ الكويت، فأقام في كل منهما أسبوعاً، التقى فيه بوجهاء البلاد والعلماء، وألقى الدروس في مساجدها.⁽²⁾

5. الرحلة الحجازية:

5

كانت عام (1334هـ/1916م) قاصداً أداء فريضة الحج، وكان لا يأمن على نفسه قبل ذلك لأسباب سياسية،⁽³⁾ وقد تكفّل الشريف حسين بإكرامه، بتأمين الحرس والمسكن والخدمة، وقد التقى به مرّات عدّة خلال حجّه، إذ كانت العلاقة بينهما ما زالت طيبة، وكان إلى حينها مؤيِّداً لثورته ضدّ العثمانيين، حتّى أنّهم بأنّه قصد بسفره مبايعة الأمير، ولكنّه لم يأل جهداً في نصحه، وذلك في خطبة ألقاها في منى يوم العيد.⁽⁴⁾

10

وصف السيّد رشيد رضا رحلته الحجازية بتفصيل دقيق في مجلّة المنار في عشر مقالات، ذكر أموره الخاصة وحالته الروحية، ووصف الطريق والمناسك، وتطرّق إلى بعض الأحكام الشرعية الخاصة بالحج.⁽⁵⁾

6. الرحلة السورية الثانية:

كانت بعد الحرب العالمية الأولى، وبعد محاولات عديدة منه لإيصال إعانات إلى القلمون. حصل

(1) ينظر: السيّد محمّد رشيد رضا: عجالة في رحلة الهند لصاحب المنار - 1/ مجلّة المنار / (1330/6/30هـ) - (1912/6/15م) / (457-451/15)، والسيّد محمّد رشيد رضا: باب الأخبار والآراء، سفر صاحب المنار إلى الهند/ مجلّة المنار / (1330/8/30هـ) - (1912/8/13م) / (627-619/15)، والسيّد محمّد رشيد رضا: رحلتنا الهندية - شكر عليّ - 1/ مجلّة المنار / (1331/1/30هـ) - (1913/1/8م) / (80-78/16).

(2) ينظر: السيّد محمّد رشيد رضا: رحلتنا الهندية العربية شكر عليّ لأهل عمان والكويت/ مجلّة المنار / (1331/5/29هـ) - (1912/5/7م) / (398-396/16)، ورشيد رضا، الشرباصي / ص 151-152.

(3) ينظر: تفسير المنار، رضا / (8/4).

(4) ينظر: رشيد رضا، الشرباصي / ص 152-155.

(5) عنوان المقالات التي كتبها (رحلة الحجاز)، في الجزئين التاسع عشر والعشرين.

بصعوبة على موافقة الإنكليز على السفر؛ ولكن شريطة تجنّب التحريض على أي عمل سياسي، وسافر إلى سورية (1337هـ/1919م)⁽¹⁾ ليطلع على أحوال أهلها، فشاهد ما حلّ بهم من فقر ومجاعة، وانحطاط ديني وعلمي وأخلاقي خلفته الحرب في كلّ من دمشق - وهي أقلها تأثراً - وطرابلس والقلمون وبيروت،⁽²⁾ وفي تلك الأثناء نُصّب فيصل ملكاً للبلاد، فالتقى السيّد به مرّات عدّة، وانتخب رئيساً للمؤتمر السوري العام (مجلس الأمة السوريّة) المكلف بإعلان استقلال سورية استقلالاً تامّاً ناجزاً دون حماية أو وصاية أجنبيّة، ورفض الهجرة الصهيونيّة إلى فلسطين، وتتويج فيصل ملكاً على البلاد؛⁽³⁾ لكنّ خديعة فرنسا وبريطانيا انكشفت في تلك الأثناء، وزحف الجيش الفرنسيّ إلى دمشق تنفيذاً لاتفاقية سايكس-بيكو، وعلى إثر ذلك انحلّ المؤتمر،⁽⁴⁾ كما دُعي إلى تولّي إدارة المصالح الشرعيّة في دمشق من أوقاف ومحاكم شرعيّة وتعليم شرعيّ ومفتين، فاعتذر عن الأعمال الحكوميّة، مبدياً استعداداً للمساعدة.⁽⁵⁾

5

وفي هذه الرحلة التقى بالمندوب السامي الفرنسيّ، وغيره من رجال فرنسا في سورية، وقد تعرّض له الاحتلال الفرنسيّ في أثناء سفره من طرابلس، ففتّشوا متاعه، وصادروا أوراقه، واستطاع العودة إلى مصر بعد أن قضى عاماً كاملاً في سورية.⁽⁶⁾

10

(1) ينظر: السيّد محمّد رشيد رضا: الرحلة السوريّة الثانية - 2/ مجلّة المنار / (1338/9/30هـ) - (1920/6/17م) / (428/21) - 429.

(2) ينظر: السيّد محمّد رشيد رضا: الرحلة السوريّة الثانية - 3/ مجلّة المنار / (1338/11/29هـ) - (1920/8/14م) / (504-498/21). والرحلة السوريّة الثانية - 4/ مجلّة المنار / (1339/4/30هـ) - (1921/1/9م) / (155/22) - 156 و159-160.

(3) ينظر: موسوعة التاريخ الإسلاميّ، شلبي / (675-674/5)، ومحمّد رشيد رضا، الشوابكة / ص 289.

(4) ينظر: السيّد محمّد رشيد رضا: الرحلة السوريّة الثانية - 8/ مجلّة المنار / (1340/5/30هـ) - (1922/2/27م) / (147/23)، والسيّد محمّد رشيد رضا: الرحلة السوريّة الثانية - 10/ مجلّة المنار / (1340/9/30هـ) - (1922/5/27م) / (390/23) - 393 و395، ورشيد رضا، الشرباصي / ص 155-156.

(5) ينظر: السيّد محمّد رشيد رضا: الرحلة السوريّة الثانية - 9/ مجلّة المنار / (1340/7/30هـ) - (1922/3/29م) / (238/23) - 239.

(6) ينظر: السيّد محمّد رشيد رضا: الرحلة السوريّة الثانية - 7/ مجلّة المنار / (1340/2/29هـ) - (1921/10/31م) /

7. الرحلة الأوروبية:

دعا السيّد رشيد - بوصفه نائب رئيس حزب الاتحاد السوري - الأحزاب السوريّة جميعها لحضور المؤتمر السوريّ الفلسطينيّ في مدينة جنيف للمطالبة بالاستقلال التامّ المطلق من أيّ قيد لكلّ من سورية ولبنان وفلسطين، وجلاء الفرنسيين والإنكليز عنها، وحقّها في الاتحاد مع بعضها، ومع باقي البلاد العربيّة، وإلغاء وعد بلفور،⁽¹⁾ ومن ثمّ رفع هذه المطالب إلى عصبة الأمم المتّحدة، (1339هـ/1921م)، وبعد رفع هذه المطالب التقى بعض أعضاء المؤتمر بعض أعضاء العصبة لشرح كنه القضية وتفصيلها، فاستجاب معظمهم، وخاطب كلّاً منهم بما يناسب المقام، وتعاطف عدد منهم مع قرارات المؤتمر.⁽²⁾ ثمّ طوّف في بعض بلاد أوروبا، وعاد إلى مصر بعد اجتماع المؤتمر مدّة شهرين.⁽³⁾

5

8. الرحلة الحجازيّة الثانية:

بدعوة من ملك الحجاز عبد العزيز آل سعود للتنسيق لمؤتمر مكّة المكرّمة السعوديّ (1344هـ/1925م)، ودعوة رؤساء حكومات وجمعيات إسلاميّة مختلفة الجنسيّات، بهدف ترسيخ قدم الملك على الحجاز، ولكنّ السيّد رشيد أصيب بالحمّى، فلم يستطع حضور المؤتمر.⁽⁴⁾

10

9. الرحلة إلى فلسطين:

وجّه مفتي القدس السيّد محمّد أمين الحسينيّ عام (1350هـ/1931م) دعوات إلى أعيان العالم الإسلاميّ - ومنهم السيّد رشيد - لحضور مؤتمر إسلاميّ عامّ يُقام في المسجد الأقصى للبحث في وسائل

15

(785-784, 779-769/21).

(1) ينظر: السيّد محمّد رشيد رضا: الرحلة الأوروبيّة-4/ مجلّة المنار/ (1340/10/29هـ) - (1922/6/25م) / (458-457, 446, 443/23).

(2) ينظر: السيّد محمّد رشيد رضا: الرحلة الأوروبيّة-1/ مجلّة المنار/ (1340/5/30هـ) - (1922/2/27م) / (115/23-116)، والرحلة الأوروبيّة-5/ مجلّة المنار/ (1340/11/30هـ) - (1922/7/26م) / (554-553/23)، وإخاء أربعين سنة، أرسلان/ ص157-158.

(3) ينظر: إخاء أربعين سنة، أرسلان/ ص264-265، ورشيد رضا، الشرباصي/ ص156-158.

(4) ينظر: السيّد محمّد رشيد رضا: المؤتمر السوريّ العامّ في بيت المقدس/ مجلّة المنار/ (1350/10هـ) - (1932/2م) / (116/32)، رشيد رضا، الشرباصي/ ص158-159.

حماية المقدسات في فلسطين من اعتداءات الصهاينة، وواقع المسلمين الحاضر،⁽¹⁾ فترأس لجنة الدعوة والإرشاد المعنوية بإنشاء جامعة إسلامية في القدس (جامعة الأقصى) على غرار مدرسته التي أنشأها في مصر.⁽²⁾

لم تكن رحلات رشيد رضا لأجل الترويج عن النفس، أو ملئ الفراغ، فمقالاته في المنار المتحدثة عن رحلاته قدمت للقارئ شيئاً من أدب الرحلات⁽³⁾ بما حوت من تفاصيل حول أسفاره ومشاهداته فيها، ووصفه لطبيعة البلاد وطبائع أهلها وعمرانها،⁽⁴⁾ ولكن الهدف الأساسي منها بيان أعماله في كل مكان يرحل إليه، من نشاطات سياسية واجتماعية وتعليمية ودينية، وكانت أكبر مساعيه في تحقيق الجامعة الإسلامية، ومقاومة الاستعمار بأشكاله جميعها، كما كان لتلك الرحلات أثرها الواضح في توسيع أفقه وإكسابه خبرات وتجارب جديدة.⁽⁵⁾

5

المطلب السابع: مؤلفاته

10

عُرف السيد رشيد رضا بالدأب والهمة العالية، فقلماً يشغله عن الكتابة شاغل، رغم كثرة مشاغله، فالمتتبع للمجلة والتفسير يجده يشير مراراً إلى أنه أنجز مكتوباته فيهما وهو على سفر،⁽⁶⁾ بالإضافة إلى أنه كان صاحب مطبعة المنار، كل ذلك جعل نتاج الشيخ العلمي وافرأ تأليفاً وتحقيقاً، وتعليقاً على عادة

(1) ينظر: السيد محمد رشيد رضا: المؤتمر السوري العام في بيت المقدس / مجلة المنار / (10/1350هـ) - (2/1932م) / (32/117-118).

(2) ينظر: السيد محمد رشيد رضا: المؤتمر السوري العام في بيت المقدس / مجلة المنار / (10/1350هـ) - (2/1932م) / (32/200 و 203-208)، رشيد رضا، الشرباصي / ص 159-160.

(3) أدب الرحلات: مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، وتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، أو يجمع ذلك كله في آن واحد. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس / ص 17.

(4) ينظر: الشيخ رشيد رضا والخطاب الإسلامي المعتدل، سمير أبو حمدان / ص 54-55.

(5) ينظر: رشيد رضا، الشرباصي / ص 160، تفكير محمد رشيد رضا، المراكشي / ص 46.

(6) ينظر: إحياء أربعين سنة، أرسلان / ص 162-163.

أصحاب المطابع في وقته،⁽¹⁾ مع اختلاف فنونها، فمن الكتب التي حقّقها وطبعها في مطبعته: (أسرار البلاغة) و(فضائل القرآن لابن كثير) و(المغني لابن قدامة المقدسي)⁽²⁾ و(مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية)⁽³⁾ و(رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده) و(إنجيل برنابا)، وله شيء من الشعر كتبه قبل هجرته إلى مصر، وأهمّه (المقصورة الرشيدية) بلغت أربعمئة بيت تحوي موضوعات عدّة في الأدب والاجتماع والإصلاح،⁽⁴⁾ أمّا مؤلفاته فهي:

5

أولاً: مؤلفاته في التفسير وعلوم القرآن:

1. ترجمة القرآن الكريم وما فيها من المفاسد ومنافاة الإسلام: كتبها جواباً على سؤال ورده إلى مجلّة المنار من روسيا حول ترجمة القرآن الكريم، وما يعترضها من معوّقات، وتعدّد الأبحاث فيها، نشر الجواب في المجلّة، ثمّ أودعه تفسيره، ثمّ نشره مستقلاً.⁽⁵⁾

2. تفسير القرآن الحكيم، المسمّى تفسير المنار: سيأتي تفصيل الحديث عنه في مبحث خاص.

10

(1) ينظر: المصدر نفسه/ ص 397.

(2) موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسيّ الدمشقيّ، ولد بمجماعيل 541هـ، طلب العلم في بغداد ودمشق والموصل، فسمع من والده ومن معمر بن الفاخر وأبي المكارم بن هلال، وغيرهم، وأتقن الفقه وأصوله والحديث والتفسير، وحّدث عنه: أبو شامة وابن عبد الدائم وابن نقطة، توفّي سنة 620هـ، له: المغني، والبرهان في مسألة القرآن، ومختصر العلل. ينظر: طبقات علماء الحديث، محمد بن أحمد الصالحيّ/ (156/4-159)، والذيل على طبقات الحنابلة، عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب/ (281/3-283 و297).

(3) أبو العباس تقيّ الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحرّانيّ الدمشقيّ الملقّب بشيخ الإسلام، ولد بحرّان 661هـ، سمع في دمشق من شمس الدين الحنبليّ وابن الصيرفيّ ومجد الدين بن عساكر، عُني بالحديث والعربية والفقه وأصوله والتفسير، توفّي سنة 728هـ بدمشق ودُفن فيها، له: السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، والتوسّل والوسيلة، وشرح أوّل المحصّل للرازيّ. ينظر: طبقات علماء الحديث، الصالحيّ/ (279/4-282 و295-296)، والذيل على طبقات الحنابلة، ابن رجب/ (491/4-494 و521-523 و528)، ومعجم المطبوعات، سركيس/ (55/1).

(4) ينظر: المنار والأزهر، رضا/ ص 194-199.

(5) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (230/9 وما بعدها)، ومعجم التاريخ التراث الإسلاميّ في مكتبات العالم، علي رضا قره بلوط وأحمد طوران قره بلوط/ (3425/5). طُبِع الكتاب في دار المنار بالقاهرة (1344هـ/1926م)، وفي دار النشر للجامعات بالقاهرة 2008م.

3. تفسير سورة الفاتحة وستّ سور من خواتيم القرآن: (العصر والكوثر والكافرون والإخلاص والمعوذتين) مع خمس فوائد للشيخ محمد عبده، وقد اختار هذه السور لكون أكثر المسلمين يحفظها، فإذا قرؤوها في الصلاة أعانهم فهمها على التدبّر والخشوع.⁽¹⁾

ثانياً: مؤلفاته في أصول الدين:

4. الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرافعية:⁽²⁾ أول كتاب ألفه زمن طلبه للعلم قبل هجرته إلى مصر، لشدة ما رأى من خلاف بين الفريقين، وهو كتاب كبير فيه مباحث إصلاحية اجتماعية ودينية، لم يُطبع الكتاب؛ ولكن السيد أورد كثيراً من نصوصه في مجلة المنار.⁽³⁾

5. السنة والشيعية، أو الوهابية والرافضة حقائق دينية تاريخية اجتماعية إصلاحية: كتبه سعيًا للتأليف بين الطرفين لما رأى من تعصّب وشقاق بينهما، وكان بداية مقالات في مجلة المنار؛ ولكن لما رأى الحاجة ماسة إليه طبعه في رسالتين مستقلتين.⁽⁴⁾

6. شبهات النصارى وحجج الإسلام: هو إجابات لأسئلة المسلمين وغيرهم حول ما أثاره التبشيريون من شبه حول الإسلام في مجلته دافعاً شبههم بحجج الإسلام، ثم نشرها في كتاب مستقل، وكان يهدف إلى

(1) ينظر: مقدمة الكتاب/ ص2-3. طُبع الكتاب في دار المنار بالقاهرة مرّات عدّة أولها (1319هـ/1901م)، وفي دار الزهراء بالقاهرة.

(2) القادرية أو الجليلية: مؤسسها الشيخ عبد القادر الجيلاني ت561هـ، امتدّت جذورها إلى العراق واليمن ومصر، وقامت بدور كبير في نشر الدعوة الإسلامية في إفريقيا، والهند وتركيا، وساهمت في الجهاد في سبيل الله، ووقف المدّ الأوروبي إلى المغرب العربي. ينظر: المذاهب الصوفية ومدارسها، قاسم/ ص180، قاموس المصطلحات الصوفية دراسة تراثية مع شرح اصطلاحات أهل الصفاء من كلام خاتم الأولياء، أيمن حمدي/ ص101.

الرافعية: طريقة الشيخ أحمد الرفاعي ت578هـ، لها عشرة قواعد، أولها البيعة، أول أوراها الصلاة على النبي ﷺ، والاستغفار والتوبة، وتركز على حسن الخلق، والتمسك بطرق السلف. ينظر: الموسوعة الصوفية، الحفني/ ص178 و180-181.

(3) ينظر: المنار والأزهر، رضا/ ص203، السيد محمد رشيد رضا: كتاب الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرافعية/ مجلة المنار/ (1316/5/3هـ) - (1898/9/18م) / (519/1-520).

(4) ينظر: مقدّمة الكتاب/ (1-26-27). طُبع الكتاب في المنار بالقاهرة في جزأين (1366هـ/1947م)، وفي غيرها، ولم يُطبع الجزء الثاني إلا بعد وفاته. ينظر: إحياء أربعين سنة، أرسلان/ ص800.

- إثبات: "أَنَّ الديانة النصرانيّة نفسها لا تناقض الديانة الإسلاميّة، وإنّما يناقضها النصارى أنفسهم".⁽¹⁾
7. عقيدة الصلب والفداء: توسّع في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ [سورة النساء: ١٥٧]، وردّ شبهات النصارى في صلب المسيح ﷺ وقتله، ثم رأى طبعها في رسالة مستقلة لتمام الفائدة منها في التصدي للمشروع التبشيري.⁽²⁾
8. المسلمون والقبط والمؤتمر المصري: مجموعة مقالات كتبها في المنار عندما بدأ القبط يتّهمون المسلمين بالظلم لهم والتعصّب الديني ضدهم، واستعان في سبيلها بالاستدلال بسنن الاجتماع، ثم طبعها مستقلة.⁽³⁾
9. الوحي الحمدي (ثبوت النبوة بالقرآن ودعوة شعوب المدينة إلى الإسلام دين الأخوة الإنسانية والسلام): في إثبات أن القرآن الكريم وحي من عند الله تعالى، وأنّ فيه صلاح الأمم من كلّ النواحي، والكتاب موجّه إلى الشعوب الأوروبيّة، مخاطب لعلمائها الأحرار، بهدف دعوتهم إلى الدين، وكان مقررّاً لطلاب دار العلوم.⁽⁴⁾

5

10

ثالثاً: مؤلفاته في الفقه:

10. خطاب عامّ فيما يجب على المسلمين لبית الله الحرام وحرم رسوله عليه الصلاة والسلام: كتبه في عدّة مقالات في مجلّته؛ بسبب مولادة الشريف حسين لبريطانيا ومنحها حقوقاً سياسيّة وعسكريّة في الحجاز، بعد خروجه على الدولة العثمانيّة وتسميته نفسه ملكاً على الحجاز بغير مبايعة، وغرضه من هذه المقالات تغيير المنكر ومنع الخطر. وقد نشرها بعد ذلك مستقلة.⁽⁵⁾
11. الربا والمعاملات في الإسلام: كثرت الأسئلة عن الربا والمعاملات البنكيّة والمشكلات الماليّة، فقامت

15

(1) مقدّمة الكتاب/ ص: ج-د. طُبع الكتاب في دار المنار بمصر مرّات عدّة، وفي دار المنهل بعمّان 2009م، وغيرها.

(2) ينظر: مقدّمة الكتاب/ ص3-4، وتفسير المنار، رضا/ (17/6 وما بعدها). طُبع الكتاب في دار المنار بالقاهرة مع (نظريّتي في عقيدة صلب المسيح وقيامته) لمحمد توفيق صدقيّ.

(3) ينظر: مقدّمة الكتاب/ ص9-10. وطُبع الكتاب في دار المنار بالقاهرة (1329هـ/1911م).

(4) ينظر: مقدّمة الكتاب/ ص26-27. طُبع في دار المنار بالقاهرة مرّات عدّة، أولاها (1352هـ/1933م)، وفي دار الكتب العلميّة ببيروت (1426هـ/2005م)، وغيرها.

(5) ينظر: السيّد محمّد رشيد رضا: خطاب عامّ فيما يجب على المسلمين لبית الله الحرام/ مجلّة المنار/ (1342/6/30هـ) - (1924/1/5م) // (37-36/25). طُبع في دار المنار بالقاهرة، وفي دار النشر للجامعات بالقاهرة 2010م، وغيرها.

حكومة الهند بتوزيع رسالة في حقيقة الربا على العلماء ومنهم السيّد رشيد، فقام بنشرها مع تحليلها وبيان الرأي فيها.⁽¹⁾

12. مناسك الحجّ أحكامه وحكمه: مختصر كتبه السيّد رشيد قبل رحلته إلى الحجّ بأيام، ليوزّعه على الحجاج، ليكون تعليمًا للجاهل وتذكيرًا للغافل.⁽²⁾

5 13. يُسر الإسلام وأصول التشريع العامّ في نهي الله ورسوله ﷺ عن كثرة السؤال: هو دعوة إلى العودة إلى يسر الإسلام وترك ما يراه موقعاً في الحرج والتعسير من كثرة الفروع الفقهية في كتب الفقه، مع بيان قواعد الاجتهاد الصحيحة من وجهة نظره.⁽³⁾

رابعاً: مؤلفاته في التاريخ:

14. تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده: في ترجمة الشيخ وتفاصيل حياته ومقالاته الإصلاحية، وختمه بالمرآة المكتوبة فيه، كتبه عقب وفاته معتمداً على ترجمة الشيخ لنفسه ومؤلفاته، ومجلّي المنار والعروة الوثقى وما بين لديه من وثائق ورسائل من الشيخ وإليه، وخبرته به وطول صحبته له.⁽⁴⁾ 10

15. ذكرى المولد النبويّ خلاصة السيرة المحمدية وحقيقة الدعوة الإسلامية وكلّيات الدين وحكمه: فيه مختصر لقصة المولد النبوي الشريف، أراد أن يكون بديلاً لما يقرؤه الناس من قصص المولد، فجرده من الروايات الضعيفة والموضوعة، واستخلصه من كتب التاريخ والسيرة والتفسير والحديث والعقيدة، مع بيان لحقيقة الإسلام وحكمته.⁽⁵⁾ 15

(1) ينظر: تمهيد الكتاب/ ص15. طبع في دار المنار بالقاهرة، والمكتبة الأزهرية 2012م، وغيرها، ووضع مقدّمته وخاتمته الشيخ بحجة البيطار، ونشر بعد وفاته. ينظر: رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد عبد الوهاب، محمد بن عبد الله السلمان/ ص370.

(2) ينظر: مقدّمة الكتاب/ ص4. طبع في دار المنار بالقاهرة مرّات عدّة، ومعه مناسك شيخ الإسلام ابن تيمية، وفي دار النشر للجامعات بالقاهرة 2009م، وغيرها.

(3) ينظر: السيّد محمد رشيد رضا: مقدّمة كتاب يسر الإسلام وأصول التشريع العامّ/ مجلّة المنار/ (1346/9/30هـ) - (1928/3/22م)/(70-67/29). طبع في دار المنار بالقاهرة (1346هـ/1928م)، ودار النشر للجامعات بالقاهرة 2007م، وغيرها.

(4) ينظر: مقدّمة الكتاب/ (1/س-ع). طبع في ثلاثة أجزاء في دار المنار بالقاهرة مرّات عدّة أولها (1350هـ/1931م)، والهيئة المصرية للكتاب 2012م، وغيرها.

(5) ينظر: السيّد محمد رشيد رضا: مقدّمة لذكرى المولد النبويّ/ مجلّة المنار/ (1335/10/11هـ) - (1917/7/30م)/(31/20).

16. الوهابيون والحجاز: نشر السيد رشيد عدّة مقالات في المنار بيّن فيها تلك الحقبة التاريخية التي ظهر فيها الوهابيون في الحجاز، واشتداد النزاع بين آل سعود والملك فيصل، وقد نشرها بعد ذلك في رسالة مستقلة.⁽¹⁾

خامساً: مؤلفاته في الاجتماع والتربية والإصلاح:

5 17. التربية والتعليم: فيها خطبه التربويّة التي ألقاها في مؤتمر ندوة العلماء خلال رحلته الهندية، جُمعت وطُبعت في الهند مع ترجمتها إلى الأردية.⁽²⁾

18. الخلافة أو الإمامة العظمى: كتبه في بيان حقيقة الخلافة وأحكامها وتاريخها وضرورتها، وسوء تصرف المسلمين فيها،⁽³⁾ وهي مقالات في المنار تحت عنوان (الأحكام الشرعيّة المتعلقة بالخلافة).

10 19. محاورات المصلح والمقلّد: بيّن هدفه من هذه المقالات بقوله: "لا إصلاح إلّا بدعوة، ولا دعوة إلّا بالحجّة، ولا حجّة مع بقاء التقليد"،⁽⁴⁾ وقد بيّن فيها طرق الاستدلال الصحيح، وبطلان التقليد.⁽⁵⁾

20. مساواة الرجل بالمرأة: دُعي للمشاركة في مناظرة في كليّة الحقوق في الجامعة المصرية موضوعها (يجب مساواة المرأة بالرجل)، بصفته معارضاً للفكرة، وتناولت المناظرة جوانب عدّة، كالميراث والاختلاط والحجاب وحق المرأة في التعليم وغيرها، فدوّنها في عدّة مقالات في مجلّته، ثم طُبعت مستقلة.⁽⁶⁾

طُبِعَ دار المنار بالقاهرة (1335هـ/1917م)، وفي دار النشر للجامعات بالقاهرة 2009م، وغيرها.

(1) ينظر: مقدّمة الكتاب / (7-8). طُبِعَ في دار المنار بالقاهرة (1344هـ/1926م)، ودار النشر للجامعات بالقاهرة 2009م، وغيرها.

(2) طُبِعَت في المطبعة الأحمدية في عليكرة في الهند بعد عودته من رحلته الهندية سنة (1330هـ/1912م).

(3) ينظر: مقدّمة الكتاب / ص 11. طُبِعَ الكتاب في دار المنار بالقاهرة (1341هـ/1922م)، وفي مؤسّسة هنداوي 2013م، وغيرها.

(4) مقدّمة الكتاب / ص 8.

(5) طُبِعَ الكتاب في دار المنار بالقاهرة مع الأسئلة الباريّة (1324هـ/1906م)، وأضاف إليها مباحث أخرى في طبقات تالية تحت عنوان (الوحدة الإسلامية والأخوة الدينية)، وطُبِعَ أيضاً في دار الجامعات للنشر في القاهرة 2007م.

(6) ينظر: السيد محمّد رشيد رضا: مناظرة في مساواة المرأة للرجل في الحقوق والواجبات / مجلّة المنار / (1348/10/30هـ) — (2917/1/30م) / (536-535/30). طُبِعَ في دار المنار بالقاهرة، ودار النشر للجامعات بالقاهرة، ونشر بعد وفاته. ينظر:

21. **المنار والأزهر:** قسمه قسمين؛ الأول: في ماضي الأزهر وحاضره وما يتوقعه من مستقبله، وافترأ مشيخة الأزهر على السيّد رشيد ودفاعه عن نفسه، والثاني: في ترجمته لنفسه، ومساعيه في إصلاح الأزهر.⁽¹⁾
22. **نداء للجنس اللطيف، حقوق النساء في الإسلام:** اقترحت جماعة من الهند عليه أن يكتب رسالة في حقوق النساء في الإسلام مستمدة من القرآن والسنة لتنتشر في ذكرى المولد النبوي الشريف من سنة 1251هـ، فجاء فيها تحقيق لعدد من المسائل المتعلقة بالنساء كالْحجَاب وتعدد الزوجات والطلاق والتربية وغيرها.⁽²⁾

5

سادساً: الصحافة:

23. **مجلة المنار:** سبق الحديث عن نشأتها وأهم موضوعاتها مفصلاً.
- بالإضافة إلى كتب أخرى شرع في كتابتها، ولكن عاجلته المنية قبل تمامها، ك(التفسير المختصر)، و(الشرق والشرقيين)، و(الغزالي⁽³⁾ تاريخه)،⁽⁴⁾ وقد جاءت مؤلفات السيّد رشيد استجابة لمتطلبات عصره الدينيّة والاجتماعيّة، فهي إما إجابة لسؤال وردّه، أو بيان لحقيقة خفيت، أو دعوة إلى إصلاح، ومعظم تلك المؤلفات كان عبارة عن سلسلة مقالات في مجلة المنار طبعها مستقلة ليعمّ الاطلاع عليها، بما في ذلك التفسير.

10

رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد عبد الوهاب، السلطان/ص370.

- (1) طبع الكتاب في دار المنار بالقاهرة (1353 هـ/1934م)، ودار النشر للجامعات 2007م، وغيرها.
- (2) ينظر: مقدّمة الكتاب/ (4/1). طبع في دار المنار بالقاهرة (1351 هـ/1932م)، ودار النشر للجامعات بالقاهرة 2007م، وغيرها.

(3) أبو حامد، محمد بن محمد بن محمد الغزالي، حجة الإسلام، شافعيّ تفقه على الجويني، صنف في الأصول والفروع، ودّرس في بغداد، ثم ترك التدريس والرياسة، والتفت إلى الزهد والتصوّف، ثم حجّ وأقام بالشام عشر سنين، ثم دّرس في نيسابور في المدرسة النظاميّة، أنشأ مدرسة ورباطاً للصوفيّة، واشتغل بحفظ القرآن وسمع الصحاح، توفي بطوس أو بالطايران 505هـ، له: البسيط والوسيط والوجيز في الفقه، والمستصفي في الأصول، وتحافت الفلاسفة، وغيرها. ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، عبد الرحمن بن عليّ ابن الجوزي/ (124-126)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلّكان / (216-218/4).

- (4) ينظر: إحياء أربعين سنة، أرسلان/ص801.

المطلب الثامن: وفاته

سافر السيّد رشيد إلى السويس لوداع الأمير سعود بن عبد العزيز⁽¹⁾ 1354/5/23 هـ، الموافق 1935/8/22 م، وإسداء النصح له، وعاد في ظهر اليوم نفسه، وكان يتلو القرآن أثناء عودته، وأصابه الدوار فأتكأ على ظهره داخل السيارة، فلم يشعر من معه في رحلته إلا وروحه قد فاضت إلى بارئها، وفي اليوم التالي دفن -رحمه الله- في القاهرة بجوار شيخه محمد عبده⁽²⁾.

5

أقيمت للسيّد رشيد حفلات تأبين في القاهرة وبغداد وتونس، وأقام الجمع العلمي العربي حفل تأبين له في مدرج جامعة دمشق⁽³⁾.

رحل السيّد رشيد رضا تاركاً تفسيراً لم يكتمل، وكان آخر ما فسّر قوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: 101] قائلاً في آخرها: "فنسأله تعالى أن يجعل لنا خير حظّ منه بالمولود على الإسلام"⁽⁴⁾، ومشروعاً إصلاحياً أفنى فيه عمره حتى آخر ساعاته، ولمّا يكتمل، لم يُردّ منه إلا خيراً للدين والأمة⁽⁵⁾، ولم يترك لأهله شيئاً غير مطبوعة المنار وما عليها من ديون بسبب تقصير مشترك في المجلّة في دفع الرسوم⁽⁶⁾.

10

(1) سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، ولد في الكويت (1319هـ/1902م)، ونشأ في الرياض، تولى الملك بعد أبيه بعهد منه (1373هـ/1953م)، اهتمّ بالتعليم، وفتح المدارس والجامعات، وشارك في مؤتمر القمة العربيّ الأول، وبعد عشر سنوات صدر بيان بلخلة ومبايعة أخيه فيصل بسبب التخطّط في سياسته الخارجيّة والداخليّة، فرحل إلى فينّا وبقي فيها حتى وفاته (1388هـ/1969م)، ودفن في الرياض. ينظر: الأعلام، الزركلي/ (90/3) الموسوعة التاريخيّة الجغرافيّة، الخوند/ (379-380).

(2) ينظر: رشيد رضا، العدويّ/ ص281-283، ومحمد رشيد رضا، الشرباصي/ ص213-214.

(3) ينظر: محمد رشيد رضا، الشرباصي/ ص214-215.

(4) تفسير سورة يوسف، السيّد محمد رشيد رضا/ ص130.

(5) ينظر: رشيد رضا، الشرباصي/ ص224-226.

(6) ينظر: المصدر نفسه/ ص166-169.

المبحث الثالث: التعريف بتفسير المنار

لا بدّ قبل الخوض في تفسير المنار ومنهج مؤلفيه فيه من التعريف بالاتجاه الهدائي الاجتماعي الذي ينتمي إليه، وقصّة تأليفه، ومصادره، ثمّ الانتقال إلى منهج الشيخين عبده ورضا فيه.

المطلب الأوّل: التعريف بالاتجاه الهدائي الاجتماعي

ظهرت قديماً اتجاهات عديدة للتفسير كالاتجاه العقدي والفقهّي، وما زال لهذه الاتجاهات أثرها وامتدادها إلى اليوم، ولكنّ المستجدات السياسيّة والتطوّر العلميّ والانفتاح على الغرب أدّى إلى بروز اتجاهات جديدة في التفسير تتناسب مع هذه التطوّرات، وتهدف إلى ربط القرآن الكريم بالواقع بطريقة عمليّة، وكان تفسير المنار في مقدّمة هذه التفاسير التي اتّجهت إلى إصلاح الواقع من خلال القرآن الكريم، فامتاز بذلك على ما سبقه من التفاسير، وكان له الأثر الواضح في ظهور اتجاهات التفسير المعاصرة والتأسيس لها بما يملكه من خصائص وسمات،⁽¹⁾ وقد برز في العصر الحديث: الاتجاه الهدائي الاجتماعي، والأدبي،⁽²⁾ والعلمي،⁽³⁾ ويرجع هذا التنوّع إلى طبيعة القرآن الكريم، الذي أنزله الله تعالى نظام حياة يجد

5

10

(1) ينظر: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، د. إبراهيم شريف/ ص 187 و190-192 و194.

(2) برز الاتجاه الأدبي في التفسير على يد أ. أمين الخولي الذي دعا إلى تطوير علم التفسير بالاستفادة من مناهج الدراسة النقديّة والأدبيّة عند المحدثين في فهم النصّ القرآني، وارتباط كتب البلاغة ببيان إعجاز القرآن الكريم، وهو الأمر الذي يرى خولي أنّ المفسّرين القدامى قد ابتعدوا عنه، ويرى أنّ إعجاز القرآن الكريم البلاغيّ هو المقصد الأوّل للمفسّر، باعتباره كتاب العربيّة الأكبر وأثرها الأدبيّ الأعظم، وسائر المقاصد الأخرى العلميّة والعمليّة، والدينيّة والدينيّة متشعّبة عنه، -بخلاف الشيخ محمّد عبده الذي جعل هداية القرآن مقصده الأوّل- فالقرآن الكريم يلتفت إلى قيمته اللغويّة مسلمو العرب والعجم، وكلّ من اهتم باللغة العربيّة من غيرهم، لذلك كان لا بدّ عنده من دراسة القرآن الكريم دراسة أدبيّة دون النظر إلى أيّ اعتبار دينيّ، مع التأكيد على علاقة التراكيب بنفسيّة المخاطبين وما تحمله من قيم إنسانيّة مخاطبة وجدانهم بما تحويه من إعجاز بلاغيّ، وقد ظهرت بذور هذا الاتجاه في تفسير المنار، وغيره من تفاسير الاتجاه الهدائي، كالاهتمام بالسياق والوحدة الموضوعيّة وأبحاث البلاغة؛ ولكنّ بالقدر الذي يخدم هداية القرآن، ومن أبرز أعلام هذا الاتجاه: د. عائشة عبد الرحمن، ود. محمّد مهديّ علّام، ومصطفى صادق الرافعيّ. ينظر: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، أمين خولي/ ص 203 و302-304، والفكر الدينيّ، الشرفاوي/ ص 301، واتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، شريف/ ص 197-202 و353-356 و394-395.

(3) يرى المفسّرون العلميّون أنّ قضية العلم من أبرز قضايا القرآن الكريم، وأكثرها انتشاراً في ثناياه، فحوى إشارات إلى بعض غوامض العلوم الطبيعيّة دون بسطها أو تسميتها بأسمائها، يستطيع الوصول إليها المحقّقون في العلوم المختلفة، كخلق الإنسان والنبات والنجوم، وهو يؤكّد على استحالة التعارض بين آيات القرآن وحقائق العلم اليقينيّة، فكلّ حقّ من عند الله، والحقّ لا يتناقض،

فيه كلّ باحث بغيته سواء أفي البيان أم الفقه أم العقيدة أم الاجتماع أم الفلسفة وغيرها من أبواب العلم والبحث،⁽¹⁾ جاءت هذه الاتجاهات في عصر النهضة بعد فترة من الركود أصابت حركة التفسير لتنقيته ممّا مزج به من قصص إسرائيليّ وروايات ضعيفة وموضوعة دون التخلّي عمّا تركه المفسّرون القدامى من إرث علميّ وافر، وقد برزت هذه الاتجاهات عن عدّة عوامل، منها: التوسّع العلميّ، والتأثر بالمذهب والعقيدة، كما ظهرت بعض الاتجاهات الضالّة بسبب الإلحاد الناتج عن حرّية الرأي.⁽²⁾

5

أمّا الاتجاه الهدائيّ الاجتماعيّ فقوامه على جعل هداية القرآن الكريم محوراً لتفسيره وأساساً لدعوته، في آدابه وأحكامه وحكمه وغير ذلك، وبما يكون الإصلاح الذي يسعى إليه هذا الاتجاه عن طريق تربية الأمم والمجتمعات بما حواه من عبر ومواعظ، لذلك حرص أصحاب هذا الاتجاه على العناية بأحوال البشر، لأجل النهوض بالشرق، وتحليصه من ضعفه وتبعيته للغرب، بالاستفادة من الحضارات الأخرى وتطوّر العقل البشريّ، فالإعراض عن هداية القرآن هو سبب انحطاط الأمتة، ولا بدّ من العودة إليه لاستعادة عزّها وكرامتها،⁽³⁾ والمسؤول عن هذا الانحطاط خلّو التفاسير في تلك الفترة من الربط بين القرآن الكريم في عقائده وأحكامه وحكمه وبين أحوال البشر، "فهذا هداية القرآن أساس دعوته، وأصل أصوله، وعنهما تفرّعت آدابه وشرائعه، وبها قامت أركان علومه ومعارفه، وعلى دعائمها نهضت

10

بخلاف النظريّات العلميّة فإنّ المفسّر العلميّ لا يأتي عليها إلّا لعرضها على القرآن الكريم ليحكم عليها بالصحة إن وافقته، أو البطلان إن خالفته، وقد اختلف المفسّرون المعاصرون في حكم التفسير العلميّ، فمنهم من أيّده ومنهم من عارضه كالأستاذ أمين الخولي، والشيخ محمود شلتوت ود. محمد حسين الذهبيّ الذي عرّفه بأنّه: التفسير الذي يحكّم الاصطلاحات العلميّة في عبارات القرآن، ويبتعد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفيّة منها واستدلّوا بما بسطه الشاطبيّ في الموافقات من أدلّة، ولكنّ القائلين به ناقشوا هذه الأدلّة، ووضعوا للتفسير العلميّ ضوابط تتوافق مع قدسيّة القرآن الكريم، وتخرج ما خالفها عن دائرة القبول، أمّا تفسير المنار فقد سبق إلى الاهتمام بالكشف العلميّ وقوانينها من قبيل كونها سنناً إلهيّة في الكون والمجتمعات، معينة على تلقّس العبرة والهداية والموعظة، ومن أبرز أعلام هذا الاتجاه: طنطاويّ جوهرّي، ومحمد الغمراويّ، ود. عبد الرزاق نوفل. ينظر: الموافقات، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبيّ/ (109/2-121 و127-130)، تفسير القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولى، محمود شلتوت/ ص 11-14. والتفسير والمفسّرون، د. محمد حسين الذهبيّ/ (349/2 و356 و359-362)، والتفسير والمفسّرون، أساسيّاته واتّجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، د. فضل حسن عبّاس/ (569/1 و576 و585-587 و623-624)، واتّجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، شريف/ ص 239-240 و459-466 و476-478.

(1) ينظر: التفسير والمفسّرون، عبّاس/ (399/1).

(2) ينظر: المصدر نفسه/ (363/2-364).

(3) ينظر: اتّجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، شريف/ 231-233، والفكر الديني في مواجهة العصر دراسة تحليليّة لاتّجاهات

التفسير في العصر الحديث، د. عقّت محمد الشرقاويّ/ ص 271.

أحكامه وحكمه، وهي دروس في التربية للأفراد والجماعات والأمم والشعوب؛ لأنّها الحقّ الذي نزل به القرآن وإليه قصد، والهداية بلفظها وروح معناها توفيق ورحمة ويقين وإيمان وطمأنينة وسكينة وعلم وعمل، وتحصيل ما يمكن من البرّ والخير، وتحقيق لحكمة الله وسننه في الإفادة من حقائق هذا الكون العظيم".⁽¹⁾

وقد كان الشيخ محمد عبده من أبرز المهتمّين بهذه الفكرة، وتبعه فيها السيّد رشيد، فعمدت مدرستهما إلى جمع وجوه العبرة والهداية من السورة الواحدة، وعرضها في بداية تفسيرها أو نهايتها، وقد هدف هذا الاتجاه إلى تفعيل دور القرآن الكريم في حياة الناس العمليّة ككتاب هداية إلى الصراط المستقيم، ذي أثر في الجوانب السياسيّة والحضاريّة والمدنيّة والحريّة وغيرها، وليس كتاب تلاوة وعبادة وحسب.⁽²⁾

قال الشيخ محمد عبده في مقدّمة التفسير: "والتفسير الذي نطلبه هو فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة، فإنّ هذا هو المقصد الأعلى منه، وما وراء هذا من المباحث تابع له وأداة أو وسيلة لتحصيله"⁽³⁾ وقال بعد بيان شروط المفسّر واصفاً التفسير الذي يرمي إليه الجامع للشروط التي حدّدها: "وهو ذهاب المفسّر إلى فهم المراد من القول، وحكمة التشريع في العقائد والأحكام على الوجه الذي يجذب الأرواح، ويسوقها إلى العمل والهداية المودعة في الكلام، ليتحقّق فيه معنى قوله: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ [سورة الأعراف: 52] ونحوهما من الأوصاف. فالمقصد الحقيقي وراء كل تلك الشروط والفنون هو الاهتداء بالقرآن".⁽⁴⁾

لقد كان لهذا الاتجاه الأثر الظاهر في ضبط حركة الاستمداد الحضاري من الثقافة والقيم والأفكار الغربيّة، وذلك بإبراز الدين عاملاً اجتماعياً لتكوين الشخصية الثقافيّة للأمة الإسلاميّة، لولاه لانصهر المجتمع الإسلاميّ في المدّ الغربيّ الذي اجتاحت المنطقة العربيّة، فاستطاع الموازنة بين الموروث العلميّ الصافي، وبين التطوّر الحضاري المعاصر.⁽⁵⁾

(1) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، شريف/ ص 231. وينظر: الفكر الديني، الشرفاوي/ ص 91.

(2) ينظر: التفسير والمفسّرون، الذهبي/ (401/2)، واتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، شريف/ 233.

(3) تفسير المنار، رضا/ (19/1).

(4) المصدر نفسه/ (23/1).

(5) ينظر: قضايا إنسانيّة في أعمال المفسّرين، د. عتّ محمد الشرفاوي/ ص 86-87.

وأهم القضايا التي ركّز عليها الاتجاه الهدائي:

1. الاجتهاد ونقض التقليد: حرّية الفكر وفتح باب الاجتهاد هما الأساس الأول لتحقيق هدف

الاتجاه الهدائي، وهو التجديد في التفسير حتّى يتناسب مع متطلبات العصر وتحدياته، وهو متوافق مع طبيعة القرآن الكريم التي جعلته صالحاً لكلّ زمان ومكان، فقاوم الاتجاه الهدائي التقليد المبني على الإيمان بعقيدة، ثمّ البحث عن الدليل المؤيّد لها، وقد حمل الشيخان عبده ورضا لواء هذه المعركة ضد المقلّدين ومقاومي التجديد والاجتهاد من خلال تفسير المنار، وجعلوا حقّ الاجتهاد عامّاً لكلّ العصور، ما توفّرت

5

شروطه ودعت الحاجة إليه،⁽¹⁾ يقول الشيخ محمد عبده عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا

كَمَثَلِ الَّذِينَ يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٧١]: "والآية صريحة في أنّ التقليد بغير عقل ولا هداية هو شأن الكافرين، وأنّ المرء لا يكون مؤمناً إلّا إذا عقل دينه وعرفه بنفسه حتّى اقتنع به. فمن ربّي على التسليم بغير عقل، والعمل -ولو صالحاً- بغير فقه، فهو غير مؤمن، لأنّه ليس القصد من الإيمان أن يُدّل الإنسان للخير كما يُدّل الحيوان؛ بل القصد منه أن يرتقي عقله وتنزّكي نفسه بالعلم بالله والعرفان في دينه، فيعمل الخير لأنّه يفقه أنّه الخير النافع المرضي لله، ويترك الشرّ لأنّه يفهم سوء عاقبته ودرجة مضرّته في دينه ودنياه، ويكون فوق هذا على بصيرة وعقل في اعتقاده، فلا يأخذه بالتسليم لأجل آبائه وأجداده".⁽²⁾ كما عقد السيّد رشيد فصلاً كاملاً عند تفسير قوله تعالى:

10

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [سورة

15

المائدة: ١٠٤] بعنوان (فصل في بيان التقليد وشبهات أهله) بين فيه بدايات ظهوره وأثره في فرقة الأمّة،⁽³⁾ وهذا مجرّد مثال من عدد كبير من النماذج في تفسير المنار.

وقد أثبت أصحاب الاتجاه الهدائي أنّ تعاليم القرآن وقيمه تفوق القيم المدنيّة الحديثة؛ ولكن على المفسّر المعاصر إبراز هذه المثل العليا والقيم القرآنيّة والبحث عن حكمة تشريعها، لبيان صلاحية أحكامه للحياة الحديثة بما يضمن تبوّء الإسلام والمسلمين المكانة الأمثل بين المدنيّات الحديثة. وقد جعلوا عمدتهم في الاجتهاد على القرآن الكريم والسنة الشريفة، والإقلال ما استطاعوا من التفريعات الفقهيّة إلّا بقدر ما

20

(1) ينظر: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، شريف/ ص 248-250.

(2) تفسير المنار، رضا/ (67/1-68).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ (149/7-152).

تدعو إليه الضرورة دون المساس بقطعيّات الدين وثوابته، والاعتماد على العقل والأدلة والبراهين في إدراك الأحكام والعقائد بناءً على دعوة القرآن الكريم نفسه في كثير من آياته إلى أعمال العقل والتفكير.⁽¹⁾

فقد كانت مهمّة المفكر الدينيّ في تلك الحقبة التي انفتحت فيها الشرق على الغرب بسبب الغزو الغربيّ أن يعرض الأفكار الغربيّة على المثل الإسلاميّة وقواعد الشريعة، فما وافق منها الدين سمح له بالانتشار في المجتمع الإسلاميّ، وما خالفه منها قوبل بالمقاومة والرفض، على ما في هذه المهمّة من الصعوبة، لمقاومتها تيارين: أحدهما ثابت على القديم لا يرضى له تبديلاً أو تطويراً، والآخر يدعو إلى الانفتاح الشامل على الغرب، ونبذ القديم كلّهُ.⁽²⁾

5

2. السياسة والوطن: اهتم أصحاب الاتجاه المهدائيّ بقضيّة السياسة والوطن، وعالجوها من القرآن الكريم باعتماد المقالات التفسيرية أداة لذلك، وتعدّ مجلّة العروة الوثقى أوّل تلك المحاولات لإيجاد حلول للأزمات السياسيّة من صراع ضدّ الأجنبيّ، ونظام الحكم، والوحدة الإسلاميّة والقوميّات، من تعاليم القرآن الكريم وتشريعاته، فبرز في ذلك الشيخ الأفغانيّ ومحمّد عبده ورشيد رضا، وطنطاوي جوهرى،⁽³⁾ ومحمّد فريد وجدي،⁽⁴⁾ وغيرهم.⁽⁵⁾

10

مثال ذلك قول السيّد رشد رضا: "ولمّا كان تفسيرنا هذا تفسيراً علمياً عملياً أثرياً عصريّاً وجب

(1) ينظر: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، شريف/ ص250-254.

(2) ينظر: الفكر الديني، الشرفاوي/ ص86 و89 و92.

(3) طنطاويّ بن جوهرى المصريّ، باحث مشغول في التفسير والعلوم الحديثة، ولد في قرية عوض الله حجازي (1278هـ/1870م)، تعلّم في الأزهر، ودّرس في المدارس الابتدائية، وألقى محاضرات في الجامعة المصرية، توفّي في القاهرة (1358هـ/1940م)، له: (الجواهر في تفسير القرآن)، و(نخضة الأئمة وحياتهم)، و(جواهر العلوم). ينظر: الأعلام، الزركلي/ (3/230-231)، ومعجم المفسّرين، نويهض/ (1/242).

(4) محمّد فريد بن مصطفى وجديّ، كاتب إسلاميّ، ومصلح اجتماعيّ، ولد بالإسكندرية (1295هـ/1878م)، تعلّم في دمياط، وعاد إلى الإسكندرية ليعمل في الصحافة، فأنشأ مجلّات عدّة منها (مجلة الحياة)، وأصدر في القاهرة مجلّة (الوجدانيّات)، توفّي في القاهرة (1373هـ/1954م)، له: (صفوة العرفان) و(الحديقة الفكرية في إثبات وجود الله بالبراهين الطبيعية)، و(الإسلام في عصر العلم). ينظر: الأعلام، الزركلي/ (6/329)، ومعجم المفسّرين، نويهض/ (2/602-603).

(5) ينظر: اتجاهات التجديدي في تفسير القرآن الكريم، شريف/ ص254-255.

علينا في هذا المقام أن نبين حال مسلمي عصرنا فيه مع مغتصبي بلادهم، والجائنين على دينهم وديناهم، ليكون أهل البصيرة والعلم من الفريقين على بينة من التنازع والتخاصم الواقع بينهما فيجدوا له صلحاً معتدلاً إن أمكن الصلح بالاختيار، فإن لم يفعلوا فلينتظروا حكم الأقدار فيما لسنن الاجتماع من الأطوار، ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [سورة آل عمران: ١٤٠].⁽¹⁾

5 **3. العلم:** أساس قضية العلم في الاتجاه الهدائي قائمة على أن الدين والعلم متصلان لا ينفكان، والدين الحقيقي لا يتعارض مع العلم مطلقاً، ومن ادّعى انفصلاً أو تعارضاً بينهما فذلك إما غافل متجاهل لحقيقة العلاقة بينهما، أو متعصب للعلوم العصرية الطبيعية، فالإسلام روح سارية في جسد العلم، وقد رفع القرآن الكريم مكانة العلم والعلماء في كثير من آياته كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [سورة فاطر: ٢٨] و﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [سورة المجادلة: ١١].⁽²⁾

10 "فروح العلم وطريقته منطبقة تماماً على ما جاء به القرآن الكريم، فأما روح العلم التي هي في صميمها التجرد للحق والصدق فيه فهي روح الإسلام من غير شك... وما لقيه الحق من الإكبار في العلم لا يزيد شيئاً عما لقيه الحق من الإكبار في القرآن... فروح العلم مقصورة -طبعاً- على الميادين التجريبية التي قصر العلم عليها نفسه؛ لكن روح القرآن تشمل بسلطانها كل ميادين حياة الإنسان العلمي (التجريبي) منها والاجتماعي".⁽³⁾

15 ففي تفسير فاتحة سورة العلق يقرر الشيخ محمد عبده ما ذهب إليه المفسرون القدامى في تفاسيرهم، وما صحّ من المأثور فيها، ثم يربط كل آية من آياتها الخمس الأولى بالعلم والقراءة، وإنعام الله تعالى على نبيه الأُمِّيِّ ﷺ بالقراءة بأمر تكويني منه سبحانه،⁽⁴⁾ ثم يقول: "ثمّ إنّه لا يوجد بيان أبرع ولا دليل أقطع على فضل القراءة والكتابة والعلم بجميع أنواعه من افتتاح الله كتابه وابتدائه الوحي بهذه الآيات الباهرات، فإن لم يهتد المسلمون بهذا الهدى، ولم ينبّهم النظر فيه إلى النهوض إلى تمزيق تلك الحجب التي حجبت عن أبصارهم نور العلم، وكسر تلك الأبواب التي غلقتها عليهم رؤساؤهم وحبسوهم في ظلمات من الجهل،

20

(1) تفسير المنار، رضا / (242/10) / [التوبة: ٢٩].

(2) ينظر: قضايا إنسانية، الشرقاوي / ص 214، واتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، شريف / ص 271.

(3) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، شريف / ص 274.

(4) ينظر: تفسير جزء عم، محمد عبده / ص 122-124، قضايا إنسانية، الشرقاوي / ص 216.

وإن لم يسترشدوا بفاتحة هذا الكتاب المبين، ولم يستضيئوا بهذا الضياء الساطع فلا أرشدهم الله أبداً⁽¹⁾.

4. **الحرية:** اهتمّ بها المفسّرون الهدائيون في عصر النهضة متأثرين ببناء المدنيّة الغربيّة عليها، وذلك بالعودة إلى النصوص الإسلاميّة، فالحرية من المفاهيم التي أكّدها الشريعة الإسلاميّة، وسبقت الغرب إليها، وكان اهتمامهم هذا من أجل تخليص الأمة من الاستعمار الأجنبيّ، عن طريق تحريض الشعوب على السعي نحو حرّيتها بدعوة من الدين الذي يقّس حرّية الكلمة والعقيدة والعمل، ويجعل قيمة الفرد وكرامته بمساواته مع الآخرين، في حين أن الحرّية الغربيّة كانت أولاً ثورة على الدين نفسه، وتخلّصاً من ريق الكنيسة، وقد أخطأ بعض مفكرّي العالم الإسلاميّ فجعلوا الحرّية خروجاً عن الدين تقليداً للحرّيات الغربيّة الغارقة في المادّيّة، متجاهلين الفارق بين جمود الكنيسة - إذ ذاك - وأسرها الحرّية العقل، وبين حرّية الفكر الإسلاميّ الناتجة عن الدين نفسه.⁽²⁾

5

وقد وازنت الشريعة الإسلاميّة بين الحرّية الفرديّة والاستقلال الشخصي، وبين الشخصية الروحيّة للمجتمع والتعاون بين أفرادها، وبذلك تتميّز الحضارة الإسلاميّة عن الثقافة العبريّة في تركيزها على المادّيّة والجزاء الجماعيّ في الدنيا، وصرف نظرها عن البعث والجزاء، وتتميّز عن الحضارة المسيحيّة في تركيزها على الحياة الروحيّة للفرد، ومن هنا تظهر خطورة النقل عن الغرب دون دراسة الأسباب التي أوصلتهم إلى محاربة الكنيسة والتحرّر من الدين، وقد دخلت هذه الحرّيات الغربيّة إلى العالم الإسلاميّ مع الاستعمار الغربيّ من خلال الاحتكاك بتلك المدنيّات من جهة، ومن خلال الشعور بالحاجة إلى نيل الاستقلال من جهة أخرى، فكانت مهمّة المفسّر أن يعيد مفهوم الحرّية إلى أصالته الإسلاميّة التي تصوّر جوهرها الحقيقيّ المعتدل.⁽³⁾

10

15

وقد أكّد الشيخ محمّد عبده على حرّية الاختيار في الاعتقاد، بوصفه قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي

الدِّينِ قَدْ بَيَّنَّ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٦] بأنّه "قاعدة كبرى من قواعد دين الإسلام وركن عظيم من أركان سياسته فهو لا يجيز إكراه أحد على الدخول فيه، ولا يسمح لأحد أن يكره أحداً من أهله على

(1) تفسير جزء عمّ، عبده/ ص 124.

(2) ينظر: قضايا إنسانيّة، الشرفاوي/ ص 229-231، واتّجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، شريف/ ص 276-277.

(3) ينظر: قضايا إنسانيّة، الشرفاوي/ ص 234-236.

الخروج منه". (1)

ولكن الحرية السياسية ومقاومة الاستعمار كانت القضية الأساسية التي شغلت الاتجاه الهادي الاجتماعي في التفسير الحديث، الذي وجه جهوده إلى جمع الكلمة في مواجهة الاستعمار من وجهة نظر إسلامية، وأبرز من ربط بين الإصلاح السياسي والنص القرآني الشيخ جمال الدين الأفغاني في العروة الوثقى بخطاباتها الثورية ضد الاستعمار، أما الشيخ محمد عبده فقد حوّل نضاله إلى إصلاح التربية والتعليم، دون أن يُغفل الدعوة إلى الجهاد في كل مناسبة، وتبعه في ذلك كثير من تلامذته كالسيد رشيد وطنطاوي جوهرى وابن باديس (2) الذي حمل راية تحرير الجزائر، وكان يدعو إلى الإصلاح في أثناء تفسيره في كل مكان بإرجاع الناس إلى الكتاب والسنة، (3) "وذلك هو الإسلام الصحيح الذي أنقذ الله به العالم أولاً، ولا نجاة للعالم مما هو فيه اليوم إلا إذا أنقذه الله به ثانياً". (4)

5

5. قضية الاقتصاد الإسلامي: اعتنى التفسير في العصر الحديث بتصحيح مفهوم الاقتصاد والمال، إذ سادت لدى المسلمين في عصر الانحطاط فكرة التضاد بين الدين والمال، والمبالغة في التزهيد والرضا بالفقر، والحق أن القرآن الكريم حارب الفقر، ووضع الحلول والتشريعات التي تحد منه، وتنظم العلاقات المالية العامة والخاصة وراعى الملكية الفردية بنظام وسط يعلو جميع الأنظمة الاقتصادية الوضعية، ودعا إلى العمل بجميع أنواعه، (5) وشرع الزكاة لأجل تكافل المجتمع، وتخليص ذوي المال من بخلهم وتعاليمهم على الفقراء، وإعادة الفقراء إلى السوق، وليست مجرد صدقة أو إحسان فردي يغري أخذه بالكسل وبرود الهمم — كما ادعى أعداء الإسلام — بل هي نظام اقتصادي عصري عام، يحول الواجبات المالية الوطنية إلى

10

15

(1) تفسير المنار، رضا/ (28/3).

(2) عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكّي ابن باديس، رئيس جمعية العلماء المسلمين في الجزائر، ولد في قسنطينة (1305هـ/1887م)، حفظ القرآن، ودرس في جامع الزيتونة، فقيه عالم باللغة والأدب، وتأثر بالشيخين محمد عبده وابن عاشور، أصدر مجلة (الشهاب)، درس في المسجد النبوي، قاوم الاستعمار الفرنسي واضطهد من قبله، توفي في قسنطينة (1359هـ/1940م)، له: (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير) و(مجالس التذكير من حديث البشير النذير). ينظر: الأعلام، الزركلي/ (289/3)، والتفسير والمفسرون، عباس/ (597-595/2).

(3) ينظر: قضايا إنسانية، الشرفاوي/ ص240-239 و245-242.

(4) مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، عبد الحميد بن باديس/ ص225.

(5) ينظر: الفكر الديني، الشرفاوي/ ص255-256، واتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، شريف/ ص293 و298.

طاعات وقربات دينية، ويقدم الحلول لنظّم العالمية الوضعية، ويحقق التكافل الاجتماعي، وحرّم الربا الذي أذاق العالم ويلات بما فيه من استغلال لحاجة الضعيف وصناعة الثروة دون سعي أو جهد.⁽¹⁾ وقد استطاعت بعض الدول المسلمة تحقيق شيء من النظرية الاقتصادية القرآنية التي أبان عن قواعدها المفسرون المحدثون كلّ حسب أسلوبه وعمقه في مثل هذا القضايا.⁽²⁾

5 قال السيّد رشيد عن الإصلاح المالي كمقصد من مقاصد القرآن الكريم بعد أن لخص أصوله في أربعة عشر: "وخلاصة القول في هذه القواعد العلمية في إصلاح ثروة البشر وجعلها خيراً عاماً - كما سمّاها الله تعالى في كتابه - واتقاء شرور التنازع عليها بالوازع الديني، والتشريع الدوليّ أنّها هي التي يصلح بها أمر البشر على اختلاف أحوالهم واستعدادهم، فيكونون سعداء في دنياهم وفي دينهم، ولن تجد مثلها في دين من الأديان، ولا شيء من كتب القوانين والحكمة البشرية، وإنّ البشر لعلّى خطر عظيم ممّا سقطوا فيه من التعادي على المال حتّى أعييتهم الخيل، وسبيل النجاة ممّهدة معبّدة أمامهم وهم لا يبصرونها، وهي الإسلام وهداية القرآن".⁽³⁾

10 -لقد اهتم أصحاب الاتجاه الهدائيّ بقضايا عصرهم جميعها، وحاولوا معالجتها من القرآن الكريم بوصفه كتاب هداية ودستور حياة، راعى الجانب الروحيّ والجانب الجسديّ للبشر، ووازن بينهما، "أصبح من الواضح - كما جاء على لسان الإمام وتلميذه - أنّ محور الفكر الذي دارت حوله أعمالهم التفسيرية هو تلمّس وجوه العظة والاعتبار والتعرّف على جوانب الهداية القرآنية".⁽⁴⁾ وقد برز من مفسري هذا الاتجاه الشيخان عبده ورضا، ومن بعدهما الشيخ محمود شلتوت⁽⁵⁾ في تفسيره، ود. محمد عبد الله دراز⁽⁶⁾

(1) ينظر: قضايا إنسانية، الشرقاوي/ ص261 و264 و266-267، واتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، شريف/ ص300-301.

(2) ينظر: قضايا إنسانية، الشرقاوي/ ص257-258.

(3) الوحي المحمديّ ثبوت النبوة بالقرآن ودعوة شعوب المدينة إلى الإسلام دين الأخوة الإنسانية والسلام، محمد رشيد رضا/ ص317.

(4) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، شريف/ ص193.

(5) محمود شلتوت، فقيه مفسر مصريّ مصلح، ولد في البحيرة (1310هـ/1893م)، تخرّج بالأزهر 1918م، ودرّس فيه، وسعى في إصلاحه، ثمّ صار شيخه حتّى وفاته، وعمل في المحاماة وفي الصحافة، وعضواً في مجمع اللغة العربية ومجمع البحوث الإسلامية، توفّي سنة (1383هـ/1963م)، له: (القرآن والمرأة)، و(الإسلام عقيدة وشريعة)، و(القرآن والقتال). ينظر: الأعلام، الزركلي/ (173/7). مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً (المجمعون)، د. محمد مهديّ علام/ ص210-212.

(6) محمد بن عبد الله دراز، فقيه أديب مصريّ، ولد في كفر الشيخ (1312هـ/1894م)، حفظ القرآن الكريم والتحق بالأزهر، ودرّس

في كتابه (دستور الأخلاق في القرآن الكريم)، ومحمد فريد وجدي في مقاله (الدنيا في نظر القرآن).

المطلب الثاني: قصة تأليف تفسير المنار وطريقته الإجمالية

بيّن السيّد رشيد في مقدّمة التفسير كيف بدأ هذا المشروع الذي عمل عليه هو وشيخه، فقد كان أوّل ما سعى إليه فور وصوله إلى مصر واتّصاله بالشيخ محمد عبده، إذ طلب منه أن يكتب تفسيراً للقرآن الكريم يحقق من خلاله ما هدف إليه من مقالات العروة الوثقى؛ ولكنّ الشيخ اعترض لأسباب عدّة منها ما يتعلّق به شخصياً، ومنها ما يتعلّق بحال المتلقّين، أو بحالة عصره عامّة... إلّا أن السيّد رشيد لم يزل به يقنعه بضرورة وجود تفسير يلبي حاجات العصر، ويدفع الشبهات المتجدّدة عن الإسلام، إلى أن وافق على إلقاء درس في التفسير في الأزهر، بدأه عام (1317هـ/1899م) إلى أن توفاه الله عام (1323هـ/1905م) فكان آخر ما فسّره قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ [سورة

النساء: ١٢٦].⁽¹⁾

كان السيّد رشيد يحضر تلك الدروس، ويدوّن أهمّ ما يقول الشيخ، ليستكمل فيما بعد كلّ ما يتذكّره من درس الشيخ، وقد بدأ السيّد رشيد نشر هذه الدروس في مجلّة المنار (1318هـ/1900م) في مجلّدها الثالث بعد أن عرض ما يكتب على شيخه، ويوافقه عليه، هذا في حياة الشيخ، أمّا ما نشره بعد وفاته فكان يشير إلى أنّه ينقله عنه بالمعنى بقوله: (قال ما معناه، أو ما مثاله، أو ما ملخصه)، وكان كثيراً ما يضيف على تفسير الشيخ تفسيره الخاصّ، فيميّزه بقوله: (أقول، أو وأقول الآن، أو وأزيد الآن).⁽²⁾ ثم تابع السيّد رشيد التفسير إلى أن وافته المنية، فتوقّف عند تفسير قوله تعالى: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي

التفسير فيه بعد أن نال شهادة العالمية 1916م، كان من هيئة كبار علماء الأزهر، حصل على شهادة الدكتوراه من السوربون، كان من أبرز رجال ثورة 1919م، ونشر المقالات السياسيّة والدينيّة، شارك في مؤتمر الأديان بباريس ممثلاً للأزهر 1939م، توفّي في باكستان في أثناء حضوره المؤتمر الإسلاميّ (1377هـ/1957م). له: (النبأ العظيم) و(دستور الأخلاق في القرآن) و(مدخل إلى القرآن الكريم). ينظر: النهضة الإسلاميّة، البيومي / (242-243 و244 و245 و246 و247 و248 و252)، والأعلام، الزركلي / (246/6).

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا / (14-16).

(2) ينظر: المصدر نفسه / (17-18).

بِالصَّلَاحِينَ ﴿سورة يوسف: ١٠١﴾.

وقد طُبِعَ تفسير المنار مستقلاً عن المجلّة في دار المنار في ثلاثة عشر جزءاً،⁽¹⁾ كلّ جزء منها يحوي على تفسير جزء من القرآن الكريم عدا جزئه الأخير إذ توفّي السيّد رشيد قبل إكماله، والتفسير مبدوء بمقدمة بقلم السيّد رشيد، بيّن فيها سبب كتابته للتفسير رغم وفرة التفاسير في المكتبة الإسلامية، ومنهج الشيخين في التفسير، وأوجه الاختلاف بينهما،⁽²⁾ ثمّ مقدّمة الشيخ محمّد عبده التي استهلّ بها دروسه، بيّن فيها أنواع التفسير ومراتبه وواقع التفسير في عصره وقبيله، ليتوصّل من خلال ذلك إلى هدفه من التفسير، وهو تحقيق الهداية من هذا الكتاب الحكيم، ثمّ العلوم التي يحتاج إليها المفسّر.⁽³⁾

5

أمّا طريقته: فهو تفسير يعتمد ترتيب المصحف، ويقسم السورة إلى نصوص يتناول كلّاً منها على حدة، بعد أن يقدّم للسورة بمقدّمة يبيّن فيها مناسبتها لما قبلها، ومكيها ومدنيها، وعدد آياتها، ويختتمها بخلاصة يبيّن فيها موضوعات السورة إلّا سورة البقرة فملخصها في بدايتها، وقد تطول هذه الخلاصة فتصل إلى عدّة أبواب وفصول،⁽⁴⁾ كما تكثّر هذه الفصول الاستطرادية في ثنايا التفسير على اختلاف موضوعاتها وخصوصاً بعد وفاة الشيخ محمّد عبده،⁽⁵⁾ ومما يميّز تفسير المنار وضع عناوين لكلّ صفحة من صفحاته، وفهرس للموضوعات مرتّب ألفبائياً في نهاية كلّ جزء، وقد يضيف فهرساً للألفاظ، بالإضافة إلى فهرس للتصويبات.⁽⁶⁾

10

(1) المشهور أن تفسير المنار مؤلّف من اثني عشر جزءاً، محتومة بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢]، ولكنّ دار المنار طبعت ما تبقي من تفسير السيّد رشيد من سورة يوسف في جزء ثالث عشر، استطعت الحصول على جزء منه إلكترونياً، كما أكمل الشيخ بحجة البيطار تفسير سورة يوسف على منهج السيّد رشيد، وطُبعت مستقلة منسوبة للسيّد رشيد رضا.

(2) ينظر: تفسير المنار، رضا / (18-7/1).

(3) ينظر: المصدر نفسه / (27-19/1).

(4) أطولها خلاصة سورة هود: (172-136/12)، وينظر أيضاً: خلاصة سورة التوبة (105-72/11).

(5) ينظر على سبيل المثال: فصل في الإعجاز / (168-146/1)، وفصل في بشارات التوراة والإنجيل بالنبي ﷺ / (220-172/9)، وفصل في إثبات نبوة محمد ﷺ / (214-110/11).

(6) هذه العناوين والفهارس موجودة في طبعة دار المنار، أما باقي الطباعات فلم تلتزم بها، كطبعة دار الفكر المعتمدة في هذا البحث.

المطلب الثالث: مصادر تفسير المنار

من الصعب جمع المصادر التي اعتمد عليها تفسير المنار وسردها لغزارتها، وعلى وجه الخصوص في القسم الذي تفرّد به السيّد رشيد، إذ أراد أن يضيق مساحة التفسير العقلي التي وسّعها شيخه، ويجعل لتفسيره شرعية بين التفاسير بعودته إلى نصوص السنّة النبوية وتفسير السلف، ليضمن له التأثير والفاعلية اللذين كان يطمح إليهما هو وشيخه،⁽¹⁾ والعامل في ذلك هو التكوين العلمي الذي شكّل السيّد رشيد، إذ كان تكويناً نقلياً أثرياً بخلاف شيخه محمد عبده وجمال الدين الأفغاني، فتكوينهما عقلي نظري.⁽²⁾

5

ولتدرك هذا الصعوبة يُكتفى بالإشارة إلى أهم المصادر التي عاد إليها الشيخان، وتأثر بها تفسير المنار، وهي:

1. تفسير الجلالين، وهو المادّة العلميّة الأساسيّة التي اعتمد عليها الشيخ محمد عبده؛ لإيجاز عبارته.⁽³⁾
2. مؤلّفات الإمام الغزالي، وقد مرّ وصف السيّد رشيد إياه بالمعلّم الأوّل له، وأهمّها: إحياء علوم الدين، وإلجام العوامّ عن علم الكلام، والمقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى.⁽⁴⁾
3. مؤلّفات ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وهما من أشدّ العلماء تأثيراً في شخصيّة السيّد رشيد العلميّة، لمحاربتهما للتقليد والتعصّب المذهبي، ومن أهمّ كتب ابن تيمية التي رجع إليها المنار: مقدّمة في أصول التفسير، والفتاوى، والسياسة الشرعيّة،⁽⁵⁾ ومن كتب ابن القيم: بدائع الفوائد، وزاد المعاد في هدي خير العباد، وإعلام الموقعين عن ربّ العالمين،⁽⁶⁾ وأهمّ ما تعلّمه السيّد رشيد من ابن القيم العناية بالوحدة الموضوعيّة للسورة.⁽⁷⁾
4. تفسير القرآن العظيم لابن كثير، وقد كان السيّد رشيد متأثراً به لكونه محدثاً يدرس الروايات التي يوردها

10

15

(1) ينظر: الإصلاح السياسي، محي الدين/ ص 41-42.

(2) ينظر: التفسير ورجاله، محمد الفاضل بن عاشور/ ص 174-175.

(3) مثاله: [البقرة: 14] [122/1]، [آل عمران: 10] [163/3].

(4) مثاله: [آل عمران: 7] [140-142/3]، [المائدة: 88] [15-23/7].

(5) مثاله: [آل عمران: 7] [142-144/3]، [المائدة: 6] [177-178/6].

(6) مثاله: [الفاتحة: 1] [34/1]، [الأنفال: 69] [74-75/10].

(7) ينظر: محمد الزغلول: الخصائص المميّزة لتفسير المنار. محمد رشيد رضا جهوده الإصلاحية ومنهجه العلمي-بحوث الندوة العلميّة في

جامعة آل البيت في المفرق (1420هـ/1999م) ص 18.

ويرجح بينها، ومؤرخاً يوظف علمه بالتاريخ في تحقيق المسائل التاريخية في تفسيره، وهما جانبان مهمّان في فكر السيّد رشيد وتفسيره، بالإضافة إلى كونه من مدرسة ابن تيمية⁽¹⁾.
5. مقدّمة ابن خلدون، وهو من أهمّ المراجع التي عاد إليها في قواعد العمران وسنن الله تعالى في الأمم والمجتمعات، وأسباب نهوضها وسقوطها، فكان له التأثير الكبير في هذا الجانب⁽²⁾.

ولم يُغفل تفسير المنار العودة إلى أمّهات كتب التفسير من بداية عصر التدوين إلى عصره الذي عاش فيه، وكتب السنّة وشروحها وتخريجها، وكتب العقيدة وعلم الكلام والفلسفة، وكتب اللغة والنحو والبلاغة، وكتب الفقه وأصوله، وكتب السيرة والتاريخ والاجتماع والتصوّف، والكتب المقدّسة، ويجد المتصفّح للمنار حضوراً لمؤلّفات المعاصرين له من مسلمين وغيرهم⁽³⁾.

المطلب الرابع: منهج الشيخين عبده ورضا في تفسير المنار

أولاً: منهج الشيخ محمد عبده في التفسير:

لخص السيّد رشيد الغاية المنشودة من تفسير المنار بعبارة صدر بها أغلفة الكتاب، بعد وصفه بأنّه: (تفسير سلفي أثريّ مدنيّ عصريّ إرشاديّ اجتماعيّ سياسيّ)، ثمّ يقول: "هذا هو التفسير الوحيد الجامع بين صحيح المأثور وصريح المعقول، وتحقيق الفروع والأصول، وحل المشكلات، ودحض شبهات المادّيين والجاحدين، وإقامة حجج الإسلام، وبيان سياسته في إصلاح الأنام، مع حكم التشريع وسنن الله في الاجتماع، وكون القرآن هداية عامة للبشر في كل زمان ومكان، وحجّة الله البالغة وآيته المعجزة الخالدة، ويوازن بين هدايته وما عليه المسلمون في هذا العصر من الضعف والعجز وقد أعرض أكثرهم عنها، وما كان عليه سلفهم من السيادة والعزّة إذ كانوا معتصمين بجليلها، بما يثبت أنّها هي السبيل لسعادة الدنيا والدين، مراعى فيه السهولة في التعبير، مجتنباً كثرة منج الكلام باصطلاحات العلوم والفنون، بحيث تهدّي به العاقمة، وهو منتهى طلبة الخاصّة. وهذه هي الطريقة التي توحّاها في دروسه في الأزهر حكيم الإسلام الأستاذ الإمام"⁽⁴⁾. فهذه الأوصاف التي أطلقها السيّد رشيد على تفسير المنار تدلّ على سعي صاحبيه إلى

(1) مثاله: [المائدة: 89] [26/7]، [الأنعام: 124] [30/8-31].

(2) مثاله: [النساء: 80] [201/5]، [الأعراف: 160] [270/9-271].

(3) ينظر: المنهج التربويّ عند محمد رشيد رضا، السّلاخ/ ص 92-96.

(4) غلاف الجزء الثاني عشر من تفسير المنار، طبعة دار المنار

كتابة تفسير شامل يبرز دور القرآن الكريم في تنظيم نواحي الحياة الإنسانية جميعها بدقة وحكمة بقدر وسعها واجتهادهما.

وقد بنى الشيخ محمد عبده تفسيره على عدة أسس، صارت أساساً لمدرسة المنار عموماً فيما بعد، أهمها:

1. الوحدة الموضوعية للسورة: جعلها أساساً في فهم الآيات ومرجحاً بين المعاني، وروحاً تسري فيها فتعطيها دورها في إحياء المجتمع الإسلامي وبنائه.⁽¹⁾ والوحدة الموضوعية للقرآن الكريم: فيرفض كل معنى لا يلتئم مع النسق القرآني العام،⁽²⁾ قال: "وإن أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ موافقته لما سبق من القول، واتّفاقه مع جملة المعنى، واتّلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته".⁽³⁾
2. محاربة التقليد وفتح باب الاجتهاد: فلا يترك مناسبة إلاّ توجه باللوم على كل من ترك الاستدلال من العلماء، واكتفى بتقليد السابقين، منتقداً ما أصاب الأمة من الركود والتخلف عن ركب الحضارة، داعياً إلى فتح باب الاجتهاد حسب قواعده وأصوله التي قررها العلماء.⁽⁴⁾
3. الاعتماد على العقل في فهم القرآن الكريم: فالوحي والعقل منسجمان معاً، لكونهما أثريين من آثار الله تعالى في الوجود الدالة عليه سبحانه الهادية إلى الإيمان به، وفي ذلك يقترب من مدرسة المعتزلة التي وسّعت دور العقل أكثر من غيرها، ولكن هدفه من استعمال العقل تقريب الدين من العلماء المحدثين في عصر بالغ أهله في رفع مكانة العقل،⁽⁵⁾ ولكنه مع ذلك كان يقدم تفسير القرآن بالقرآن،⁽⁶⁾ والتفسير بصحيح المأثور.⁽⁷⁾

(1) ينظر: منهج الإمام محمد عبده في تفسير القرآن الكريم، عبد الله محمود شحاتة/ ص 35 و 37 و 44، ومنهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، د. فهد الرومي/ (1/222 و 225)، ومثاله: [آل عمران: 37] (3/204-205).

(2) ينظر: منهج المدرسة العقلية الحديثة، الرومي/ (1/231 و 233)، ومثاله: [البقرة: 106] (1/299-300).

(3) تفسير المنار، رضا/ (1/21).

(4) ينظر: منهج الإمام محمد عبده، شحاتة/ ص 53-55، ومنهج المدرسة العقلية الحديثة، الرومي/ (1/368). ومثاله: [البقرة: 111] (1/306)، [البقرة: 170] (2/65).

(5) ينظر: منهج الإمام محمد عبده، شحاتة/ ص 83-84، منهج المدرسة العقلية الحديثة، الرومي/ (1/303) ومثاله: [البقرة: 30] (1/186)، [البقرة: 34] (1/195-198).

(6) مثاله: [البقرة: 164] (2/42) [آل عمران: 13] (3/165).

(7) مثاله: [البقرة: 268] (3/53)، [آل عمران: 103] (4/16).

4. الاقتصاد في بيان مبهمات القرآن: فهو لا يعتمد في بيانها إلا على القرآن الكريم نفسه، معرضاً عن الإسرائيليات والروايات غير الثابتة.⁽¹⁾

5. التحذير من الإسرائيليات⁽²⁾ والروايات الضعيفة: فيرفض التفسير بالروايات المتناقضة، ويقدم عليها الفهم السليم للنص، ولا يقبل من الروايات إلا الصحيح القطعي.⁽³⁾

5 6. الإصلاح الاجتماعي: جاء تفسيره مراعيًا لسنن الله تعالى في المجتمعات وقواعد العمران ومصالح الأفراد والجماعات في كل زمان ومكان، وعلى جميع الأصعدة وفقاً للاتجاه الهادي الاجتماعي الإصلاحية لتفسيره.⁽⁴⁾

لقد هدف الشيخ محمد عبده من خلال تفسيره إلى "فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة، فإنّ هذا هو المقصد الأعلى منه، وما وراء هذا من المباحث تابع له، أو وسيلة لتحقيقه"،⁽⁵⁾ فحاول أن يكون تفسيره مقتصرًا في سائر المقاصد التفسيرية الأخرى من لغة وإعراب وغريب وقصص وفقه وغيرها على قدر الضرورة، فيختصر فيما توسّع فيه السابقون، ويتوسّع فيما يراه بحاجة إلى مزيد بيان، وذلك بما يخدم هداية القرآن الكريم، ومعرفة حكمة التشريع في العقائد والأحكام، بما يدفع إلى العمل بهداية الكتاب العزيز.⁽⁶⁾

وكان يعتمد في تفسيره على تفسير الجلالين، يقرأ عبارته فيقرّها أو ينقدها، ويزيدها وضوحاً بما يراه مناسباً؛⁽⁷⁾ ولكنّ اعتماده عليه لا يعني أنّه لا يطّلع على التفاسير الأخرى مطلقاً، فهو يذكر في بعض

(1) ينظر: منهج الإمام محمد عبده، شحاتة/ ص 137. ومثاله: [البقرة: 58] [235/1]، [آل عمران: 37] [204-205/3].

(2) سيأتي الحديث عن موقف المنار منها مفصلاً. ومثاله: [البقرة: 58] [236/1]، [البقرة: 243] [315/1].

(3) ينظر: منهج الإمام محمد عبده، شحاتة/ ص 161-164. ومثاله: [البقرة: 238] [302/2].

(4) ينظر: المصدر نفسه/ ص 169-170 و 190، ومنهج المدرسة العقلية الحديثة، الرومي/ [384-385/1]. ومثاله: [البقرة: 36] [68-67/5]، [النساء: 5] [269-268/4].

(5) تفسير المنار، رضا/ [19/1].

(6) ينظر: المصدر نفسه/ [16-17 و 19-20 و 23].

(7) ينظر: المصدر نفسه/ [17/1].

المواضع أنّه راجع خمسة وعشرين تفسيراً في مسألة واحدة.⁽¹⁾

ويمكن معرفة الملامح الأساسية لمنهج الشيخ محمد عبده في التفسير من خلال الشروط التي وضعها ليبلغ التفسير مراتبه العليا، وهي خمسة:

1. معرفة حقائق الألفاظ عند أهل اللغة بعيداً عن الاصطلاحات الحادثة بعد نزول القرآن الكريم.
2. معرفة العلوم المتعلقة بالأسلوب من إعراب وبيان وبديع، ومزاولتها للتمكن من فهم كتاب الله تعالى بقدر الطاقة البشرية.
3. العلم بأحوال البشر-وهو من أظهر مميزات تفسير المنار- لفهم سنن الله تعالى في الأمم، والاستفادة من طباعهم وأطوارهم في تفسير أخبار القرآن الكريم وغيرها من الآيات، وتفصيل إجمالها.
4. العلم بأحوال العرب ومعهودهم في عصر التنزيل، وكيف غيّرت الرسالة أحوالهم، لفهم الآيات التي تصف حال البشر حين جاءتهم الرسالة الخاتمة.
5. معرفة السيرة النبوية وأحوال الصحابة رضي الله عنهم، في الأمور الدينية والدنيوية.⁽²⁾

ثانياً: منهج السيّد رشيد رضا في التفسير:

بعد وفاة الشيخ محمد عبده واستقلال السيّد رشيد في التفسير طرأت تغييرات ملحوظة على تفسير المنار، اقتضتها طبيعة المتلقين للتفسير، إذ أصبح موجّهاً إلى شرائح الأمة كلّها بعد أن نشره السيّد رشيد في مجلّة المنار، وكان يحضره في الأزهر من قبل علماء الأزهر ورجال الحكومة والوجهاء،⁽³⁾ ممّا جعل تفسيره أميل إلى البساطة والوضوح في العبارة، وأبعد عن الاصطلاحات العلمية الدقيقة، وجعل من تفسيره تفسيراً إصلاحياً يعالج قضايا المجتمع، ويعرضها على القرآن الكريم في فصول استطرادية يغلب عليها الطول والاسترسال.⁽⁴⁾

وقد بيّن السيّد رشيد في مقدّمة التفسير أهمّ ما يميّز منهجه عن منهج شيخه في التفسير في أربع نقاط:

1. الإكثار من الشواهد القرآنية، واستحضار الآيات في الموضوع الواحد.

(1) ينظر: تفسير المنار / (16/1). ومثاله: [البقرة: 238] [302/1]، [النساء: 43] [87/5].

(2) ينظر: المصدر نفسه / (21-23).

(3) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام، رضا / (769/1).

(4) ينظر: الإصلاح السياسي، محي الدين / ص 40-41.

2. التوسع في التفسير بالمأثور والاعتماد على ماصح منه.

3. التوسع في مسائل اللغة والنحو والغريب والفقه.

وتدلّ هذه الميّزات الثلاث على توسيع مساحة الاعتماد على النصّ والأثر وأقوال السلف على حساب مساحة العقل التي كان يمنحها له الشيخ محمد عبده في تفسيره.⁽¹⁾

5 4. الاستطرادات في المواضيع المختلفة، منها ما يتعلّق بقضايا المجتمع وهداية المسلمين، ومنها ما يتعلّق بمحاجة الكفار والمبتدعة.⁽²⁾

أمّا منهجه التفصيليّ وطريقته فتتلخّص بالأمر الآتي:

1. بعد تقسيم السورة إلى نصوص يبدأ ببيان مناسبة النصّ لسابقه، ويربطه بموضوع السورة كاملة،⁽³⁾ ثمّ يذكر

أسباب النزول، ويناقشها، فلا يقبل منها إلّا ما يتوافق مع السياق والوحدة الموضوعيّة للسورة.⁽⁴⁾

10 2. يبدأ في بيان المعنى بتفسير القرآن بالقرآن، إذ آياته يفسر بعضها بعضاً، فيتطرّق إلى الآيات ذات الموضوع الواحد لبيان مراد القرآن منها، وهو ما يشكّل نواة للتفسير الموضوعيّ.⁽⁵⁾

3. يورد الأحاديث المتعلّقة بمعنى الآية، ويخرّجها-في الغالب-ويحكم على الروايات،⁽⁶⁾ ومّا يؤخذ عليه ردّ بعض الأحاديث الصحيحة لعلّ تظهر له في متنها،⁽⁷⁾ ويورد أقوال الصحابة والتابعين.⁽⁸⁾

(1) ينظر: الإصلاح السياسي، محي الدين/ ص41.

(2) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (18/1).

(3) ينظر: الإصلاح السياسي، محي الدين/ ص42. ومثاله: [المائدة:8] (201/6)، [هود:112] (113/12).

(4) مثاله: [البقرة:191] (149/2)، [النساء:58] (121/5).

(5) ينظر: الإصلاح السياسي، محي الدين/ ص43. مثاله: [النساء:165] (52/6)، [التوبة:128] (63/11-64).

(6) مثاله: [الأنعام:59] (339/7)، [التوبة:4] (127-125/10)، [التوبة:108] (33-31/11). ومثال ما لم يخرّج: [التوبة:36] (316/10)، (160/12).

(7) مثاله: [الأعراف:54] (358-357/8)، [الأعراف:187] (365-357/9).

(8) مثاله: [المائدة:89] (26/7)، [الأعراف:132] (67/9).

4. يبيّن المسائل اللغوية والنحوية والبلاغية بقدر ما تدعو إليه الضرورة لفهم الآيات، فهو يعدّ هذه المسائل من الصوارف عن مراد القرآن وهدايته،⁽¹⁾ ويذكر القراءات-إن وُجدت-ويوجّهها، وكثيراً ما يختتم تفسير الآية بهذه المسائل تحت عنوان (ومن مباحث اللفظ)⁽²⁾ - ومن مباحث الأداء⁽³⁾.
5. يحقّق المسائل الفقهية، ويبين حكمة التشريع، فيعرض آراء الفقهاء، ويناقش أدلّتهم، وربّما خالفها جميعها، ليخرج برأي جديد يملّيه عليه اجتهاده واستدلّاله،⁽⁴⁾ كما يحقّق المسائل الكلامية، ويناقش أدلّتها منتقداً من يجعل من العقيدة حكماً على القرآن، وليس العكس.⁽⁵⁾
6. يربط الآيات بواقع المسلمين، بهدف خدمة مشروعه الإصلاحية الذي كتب تفسيره لأجله، القائم على تفعيل دور القرآن الكريم بوصفه دستوراً شاملاً لتنظيم حياة الفرد والأمة،⁽⁶⁾ ويولي السنن الإلهية في الأمم والمجتمعات الأهمية البالغة، على اعتبارها دروساً تطبيقية لأحكام الله في البشر.⁽⁷⁾
7. ينتقد المفسرين السابقين، ويناقش أقوالهم، ولا تخلو مناقشاته من حدة في بعض الأحيان،⁽⁸⁾ ولا يتحرّج من مناقشة شيخه محمد عبده إذا خالفه في الرأي،⁽⁹⁾ خصوصاً في مسائل العقيدة، إذ كان السيّد رشيد أقرب من شيخ إلى طريقة السلف، ممّا يدلّ على نضوج شخصيته العلمية واستقلاله عن شيخه، وبعده عن التقليد.⁽¹⁰⁾

5

10

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (19/1-20).

(2) مثاله: [المائدة:19] [236-237/6]، [الأنعام:44] [304/7].

(3) مثاله: [الأنفال:65-66] [62/10]، [هود:112-113] [119/12].

(4) مثاله: [البقرة:180] [96-98/2]، [النساء:43] [87-89/5].

(5) مثاله: [البقرة:255] [24/3]، [المائدة:54] [324-325/6].

(6) ينظر: الإصلاح السياسي، محي الدين/ ص45. ومثاله: [النساء:148] [5/6]، [يونس:23] [250-251/11].

(7) سيتبيّن ذلك في عدّة مواطن من البحث. ومثاله: البابان الخامس والسادس من خلاصة سورة الأعراف (426-421/9).

(8) وقد نال الإمام الرازي النصيب الأكبر من شدته في النقد، ومثاله: [الأنعام:132] [89/8]، [الأعراف:138] [84-85/9].

(9) مثاله: [البقرة:21] [138/1]، [آل عمران:83] [246-247/3].

(10) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (185-186/1)، الإصلاح السياسي، محي الدين/ ص44-45.

8. يكثر من النقول الطويلة من كتبه ومجلته وكتب شيخه،⁽¹⁾ وكتب العلماء القدامى والمعاصرين على اختلاف اختصاصاتهم،⁽²⁾ ويكتفي أحياناً بالإحالة إليها،⁽³⁾ أو إلى مواضع أخرى من التفسير سابقة أو لاحقة.⁽⁴⁾
9. يتعرض لهجمات الغربيين وأتباعهم على الإسلام، ويدفع شبهاتهم، ويصحح العقائد والمفاهيم الباطلة،⁽⁵⁾ ويحارب البدع والخرافات المنتشرة بين المسلمين.⁽⁶⁾

5

المطلب الخامس: تقويم تفسير المنار

ما زال تفسير المنار وشيخاه موضع جدل وبحث بين الدارسين، فمنهم من أنصف، ومنهم من تطرف، وذلك لأنه كان نقطة تحوّل في تاريخ التفسير، ومحاولة تجديد جريئة استدعت لفت الأنظار إليها، واستحققت الدراسة وإبداء الرأي فيها، ومن الطبيعي أن تختلف الآراء في المستحدثات على الساحة الفكرية، ومن الطبيعي - كذلك - أن يقع المجدد في الخطأ والصواب.

10

ومما يُحسب لتفسير المنار سعيه الدؤوب للنهوض بالأمة بالدعوة إلى العودة إلى القرآن الكريم، وجعله حاضراً في حياة الفرد والأمة في المجالات جميعها، بإسقاط آياته على واقع المسلمين، ومقارنة حالهم في عصره بأحقاب التاريخ الإسلامي المختلفة صعوداً وهبوطاً، وتواريخ الأمم السابقة لمعرفة سنن الله في خلقه، ووضعها نُصب العين في مسارات الحياة كلّها، ومحاربة التقليد والبدع، فهما من أهمّ عوامل خمول الأمة ودفعها، ودفاعه عن الإسلام ومواجهة ما يثار حوله من شبهات كادت توقع من تأثر بالغرب من المسلمين في شباكها.

15

(1) نقل من كتابه الوحي المحمدي: [يونس:2] [110/11-214]، نقل من مجلّة المنار: [المائدة:5] [136/6-141]، نقل من رسالة التوحيد، عبده: [المائدة:5] [143/6].

(2) مثاله: [الأعراف:157] [173/9-215]، [الأعراف:187] [345/9-348].

(3) مثاله: [التوبة:5] [142/10]، [يونس:60] [297/11].

(4) إحالة إلى سابق: [المائدة:3] [122/6]، إحالة إلى لاحق: [الأنفال:74] [85/10].

(5) مثاله: [النساء:159] [25/6-43] [يونس:2] [186/11-187].

(6) مثاله: [المائدة:3] [110/6]، [الأنفال:34] [482/9].

ولكن هذه النزعة الإصلاحية لدى تفسير المنار متمثلة بشيخيه قد أوقعته في الاستطرادات الطويلة، وساهم في ذلك -أيضاً- كونهما صحفيين، كما أثر الانفتاح على الغرب في بعض أفكار المنار، إذ كان يسعى إلى تقريب الإسلام من الفئة المثقفة والمتعلمة، فكان كثيراً ما يترك منهج السلف (التفويض) إلى منهج الخلف (التأويل)، فأوقعه ذلك -أحياناً- في التأويلات البعيدة غير المقبولة، والانتقاد الأهم الموجه إلى المنار هو منهجه في التعامل مع الحديث، وإعطاء العقل مساحة في الحكم عليه، مما أدى إلى التردد في بعض الأحاديث الصحيحة.

5

فلا بدّ إذاً من الحذر وحضور العقل المتجرد الموضوعي في أثناء قراءة تفسير المنار ودراسته، لمعرفة مواطن الخطأ والحذر منها، ومواطن الصواب والاستفادة منها، ففي تفسير المنار فوائد لم توجد فيما سبقه من التفاسير، جعلته حاضراً مؤثراً في الدراسات القرآنية التي جاءت بعده، وعلى وجه الخصوص ما كان منها باحثاً عن الإصلاح والتجديد الحضاري⁽¹⁾.

10

ومما وصفه به معاصروه: "وقد توسع مؤلفه في البحوث، وأكثر من الاستطرادات والتفريعات والتعليقات، والتزم في كثير منها أسلوب المناظرة، وخاصة بين الإسلام والنصرانية ومبشري النصرى وكتّابهم، بحيث يكاد القارئ ينسى أنّه يقرأ تفسيراً، وبحيث يصعب التفرّغ لقراءته، فأبعده ذلك -فيما نعتقد- عن أن يكون التفسير المثالي، مع أنّ التمحيص والتدقيق في بحوثه غالبان، والتكلف والتهافت فيها قليلان، وقد نمّ عن فهم عميق لأهداف القرآن ومراميه، بحيث يعدّ بحق أحسن المؤلفات الإسلامية القرآنية الكبيرة وأقومها وأقواها وأشدّها حرارة وحيوية. وهو من هذه الناحية معلمة إسلامية قرآنية عظيمة القدر من الخسارة أن يموت مؤلفها قبل إتمامها"⁽²⁾.

15

(1) ينظر: الإصلاح السياسي، محي الدين/ ص46. وقد لحّص محاسن مدرسة المنار ومساوئها بطريقة شاملة د. حسين الذهبي في التفسير والمفسرون / (403-401/2)

(2) التفسير الحديث ترتيب السور حسب النزول، محمد عزة دوزة / (256/1).

الفصل الأول

مفهوم العبرة التاريخية في القرآن الكريم في ضوء تفسير المنار وعلاقتها بالسنن الإلهية

المبحث الأول: معنى العبرة والتاريخ، ومرادفات العبرة وأنواعها في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: مكانة التاريخ، وحدود تأثيره في المعنى في تفسير المنار.

المبحث الثالث: ارتباط التاريخ بالسنن الإلهية تفسير المنار، وتأثير الوعي السنني لدى ابن خلدون فيه.

الفصل الأول: مفهوم العبرة التاريخية في القرآن الكريم في ضوء تفسير المنار وعلاقتها بالسنن الإلهية

قبل الشروع بالبحث لا بدّ من بيان معاني المفردات المتّصلة به، واستعمالاتها في اللغة، وفي القرآن الكريم للتوصّل إلى المفهوم العامّ للعبرة التاريخية في القرآن الكريم، ثمّ في ضوء تفسير المنار.

5 المبحث الأول: معنى العبرة والتاريخ، ومرادفات العبرة وأنواعها في القرآن الكريم

تنوّعت معاني العبرة في اللسان العربيّ، وفي الاستعمال القرآنيّ، وليست جميع هذه المعاني مرادة في هذا البحث، فلا بدّ إذاً من بيان هذه المعاني لتحديد المقصود تناوله منها، كما تنوّع تعبير القرآن الكريم عن العبرة، مستخدماً ألفاظاً عدّة وجب بيانها، ثمّ بيان معنى التاريخ عند المتقدّمين والمعاصرين.

المطلب الأول: معنى العبرة ومرادفات أنواعها في القرآن الكريم

10 أولاً: معنى العبرة في اللغة:

عبّرت النهر عبوراً: إذا قطّعه من جانب إلى آخر، وكذلك الطريق، والمعبر: شطّ النهر المهيّأ للعبور، والمركب الذي يُقَطَّع به من بلد إلى بلد، وبالتأنيث: السفينة التي يُعبر بها النهر، وعابر الكتاب: من يعبره في نفسه؛ أي: يعتبر بعضه ببعض حتّى يفهمه.⁽¹⁾ وعابر السبيل: مارّ الطريق،⁽²⁾ وتأتي العبرة بمعنى العَجَب،⁽³⁾ والاعتبار: الاختبار والامتحان،⁽⁴⁾ "والعبرة: الآية التي يُعبر بها من منزلة الجهل إلى العلم".⁽⁵⁾

15 وعَبَّرَ الرؤيا يعبرها عبارة وعَبَّرَ، ويُعَبَّرُها تعبيراً، إذا فسَّرها، وعَبَّرَ عن فلان: تكلم عنه لضعف

(1) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهريّ/ مادة: عَبَّرَ/ (378/2).

(2) ينظر: العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيديّ/ مادة: عَبَّرَ/ (129/2).

(3) ينظر: لسان العرب، جمال الدين محمّد بن مكرم بن منظور المصريّ/ مادة: عَبَّرَ/ (531/4).

(4) ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعيّ، أحمد بن محمّد بن عليّ المقرئ الفيوميّ/ مادة: عَبَّرَ/ (532/2).

(5) الفروق اللغويّة، أبو هلال العسكريّ/ ص36.

حجته. (1)

والعبرة: الدمعة، عَبَرَ الرجل يَعْبُرُ عَبْرًا إذا حزن، (2) أو هي تردّد البكاء في الصدر أو العين. (3)

فالاعتبار: العبور والمجازة، ولذلك سُمّيت الدمعة عبرة؛ لانتقالها من العين إلى الخد، واعتبار القائس: انتقاله من الأصل إلى الفرع. (4)

5

فالجامع في هذه المعاني كلّها هو العبور والانتقال من طرف إلى طرف، والأصل فيه عبور النهر من شطّ إلى آخر، فمفسّر الرؤيا يأخذ بها من وجه إلى وجه، والمعبر عمّن عيّ بحجته ينفذ بها عنه، أمّا العبرة والاعتبار فهو تسوية أمرين أحدهما بالآخر، (5) كما في قوله تعالى: ﴿فَاعْبِرُوا يَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [سورة الحشر: ٢]؛ أي: "انظروا إلى من فعل ما فعل فعوقب بما عوقب به، فتجنبوا مثل صنيعهم لئلا ينزل بكم مثل ما نزل بأولئك"، (6) وفي تهذيب اللغة: "تدبروا وانظروا فيما نزل بقريظة والنضير، فقايسوا أفعالهم واتّعظوا بالعذاب الذي نزل بهم". (7)

10

وذكر الكفوي (8) تعريف المفسرين للعبرة، قال: "الاعتبار هو النظر في حقائق الأشياء وجهات

(1) ينظر: معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريّا / مادة: عَبَرَ / (209/4).

(2) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري / مادة: عَبَرَ / (379/2-380).

(3) ينظر: جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد / مادة: عَبَرَ / (318/1).

(4) ينظر: صفوة البيان لمعاني القرآن، حسنين محمد مخلوف / ص 711.

(5) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس / مادة: عَبَرَ / (209/4-210).

(6) المصدر نفسه / مادة: عَبَرَ / (210/4).

(7) تهذيب اللغة، الأزهري / مادة: عَبَرَ / (379/2).

(8) أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، من قضاة الأحناف، عاش وولي القضاء في كفه بتركيا، وبالقدس وببغداد، له كتاب الكلّيات والفروق اللغوية، وكتب أخرى بالتركية، توفي في إستانبول أو القدس 1094 هـ. ينظر: الأعلام، الزركلي / (38/2)، ومعجم المؤلفين، كحالة / (4187/1).

دلالته ليعرف بالنظر فيها شيء آخر من جنسها".⁽¹⁾

ثانياً: دلالات العبرة في القرآن الكريم:

ما ورد في الفقرة السابقة هو بعض ما ذكرته كتب اللغة من المعاني للمادة اللغوية تتألف منها (العبرة)، وقد اقتصر القرآن الكريم على ثلاثة معانٍ منها، وهي:

5

1. بمعنى التجاوز من حال إلى حال: ⁽²⁾ في قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾ [سورة النساء: ٤٣]. فـ ﴿عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ هنا إمّا مسافرين لا تجدون ماءً فعليكم التيمم، ⁽³⁾ روي هذا القول عن ابن عباس وعليّ رضي الله عنهما، ⁽⁴⁾ وإمّا لا تقربوا المصلّي حال الجنابة إلا ما زين؛ فيقطعه ولا يقعد فيه، وحذف المصلّي اختصاراً، ⁽⁵⁾ روي هذا القول عن ابن عباس أيضاً وعن جابر رضي الله عنه. ⁽⁶⁾ فسواء أكان المراد التيمم للمسافر، أم النهي عن المكث في

-
- (1) الكلّيات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيّوب بن موسى الحسينيّ الكفويّ/ (147/1).
- (2) ينظر: المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمّد الراغب الأصفهانيّ/ ص320، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمّد بن يعقوب الفيروزآباديّ/ (14/4).
- (3) ينظر: معاني القرآن، أبو زكرياء يحيى بن زياد الفراء/ (270/1).
- (4) مصنف ابن أبي شيبة/ كتاب الطهارة/ الرجل يجنب وليس يقدر على الماء/ (182/2) عن عليّ رضي الله عنه رقم 1675/ وعن ابن عباس رضي الله عنهما رقم 1677، سنن الدارميّ/ كتاب الصلاة/ باب مرور الجنب في المسجد/ (748/1) عن ابن عباس رضي الله عنهما رقم 1208، المعجم الكبير للطبرانيّ/ أحاديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه/ (206/12) رقم 12908، السنن الكبرى للبيهقيّ/ كتاب الطهارة/ باب الجنب يكفيه التيمم إذا لم يجد الماء/ عن عليّ رضي الله عنه/ (216/1).
- (5) ينظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيميّ/ (128/1)، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ معجم لغويّ لألفاظ القرآن الكريم، أحمد بن يوسف السمين الحلبيّ/ (23/3).

(6) مصنف ابن أبي شيبة/ كتاب الطهارة/ باب الجنب يمرّ في المسجد قبل أن يغتسل/ (144/2) عن جابر رضي الله عنه رقم 1560، صحيح ابن خزيمة/ كتاب الصلاة/ باب الرخصة في مرور الجنب في المسجد من غير جلوس فيه/ (286/2) عن جابر رضي الله عنه رقم 1331، السنن الكبرى للبيهقيّ/ كتاب الصلاة/ باب الجنب يمرّ في المسجد ما زلاً ولا يقيم فيه/ عن ابن عباس وعن جابر رضي الله عنهما/ (443/2)، والسنن الصغير للبيهقيّ/ كتاب الطهارة/ باب كيفية غسل الجنابة/ (69-78/1) عن ابن عباس رضي الله عنه رقم 151-152/ وعن ابن مسعود وجابر وأنس رضي الله عنهم رقم 153، وينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمّد بن جرير الطبريّ/

المسجد للمحدث فهو بمعنى المرور والاجتياز المكاني.

2. تعبير الرؤيا: بالعبور من ظاهرها إلى باطنها،⁽¹⁾ في قوله تعالى في سورة يوسف **﴿وَقَالَ**

الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ

يَأْتِيهَا أَمْلَأُ افْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ **﴿﴾** [يوسف: ٤٣-٤٤]؛ أي: تقدرون على معرفة ما يؤول

إليها أمرها بإخراجها من حالة النوم إلى حالة اليقظة.⁽²⁾ قال الإمام البيضاوي: (3) "إن كنتم عالين بعبارة

الرؤيا؛ وهي الانتقال من الصور الخيالية إلى المعاني النفسانية التي هي مثالها، من العبور؛ وهي المجاوزة".⁽⁴⁾

3. بمعنى الاتعاظ والتدبر: وهو "الحالة التي يتوصل بها من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد"،⁽⁵⁾

وقد وردت في سبعة مواضع، وهي:

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا ثَغُورًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ

يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي

الْأَبْصَارِ **﴿﴾** [سورة آل عمران: ١٣]. فالعبرة: الآية التي يُعبر بها من منزلة الجهل إلى العلم.⁽⁶⁾ قال الإمام الطبري: (7)

(55,50/7).

(1) ينظر: المفردات الراغب/ ص320، عمدة الحقاظ، السمين الحلبي/ (23/3).

(2) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن السري/ (11/3)، معاني القرآن الكريم، أبو جعفر النحاس/ (431/3).

(3) أبو الخير القاضي عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، ناصر الدين البيضاوي، كان إماماً مبرزاً نظاراً، برع في الفقه والأصول،

ولي قضاء القضاة بشيراز، ودخل تبريز وناظر بها، من مصنفاته: تفسيره أنوار التنزيل، والطوالع في علم الكلام، وشرح المصباح في

الحديث، ت691 أو 685هـ. ينظر: طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن محمد تقي الدين ابن قاضي شهبة/ (220/2)-

(221)، وطبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي/ ص254-255.

(4) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، أبو الخير عبد الله بن عمر الشيرازي الشافعي البيضاوي/ (165/3).

(5) المفردات، الراغب/ ص320، وعمدة الحقاظ، السمين الحلبي/ (23/3)، بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي/ (15/4).

(6) ينظر: التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي/ (89/5).

(7) أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد الطبري، من آمل طبرستان، سمع من يونس بن عبد الأعلى وأحمد بن منيع وأبي كريب وغيرهم،

"يعني: لَمُتَفَكَّرًا وَمُتَعَطِّيًا لِمَنْ عَقِلَ وَادَّكَرَ فَأَبْصَرَ الْحَقَّ... عن قتادة: (1) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ يقول: لقد كان لهم في هؤلاء عبرة وتفكر، أيدهم الله ونصرهم على عدوهم". (2) فالعبرة في نصر المؤمنين على الكافرين رغم قلة العدد والعدد لمن كان ذا عقل وبصيرة، وقيل: إنَّ العبرة لمن أبصر الجمعين. (3)

﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]؛ أي: في قصة يوسف عليه السلام مع إخوته خصوصاً، أو قصص الرسل جميعهم مع أقوامهم عموماً -على خلاف بين المفسرين- (4) لفكرة وبصيرة مُخرِجة من الجهل والحيرة، يأخذها العاقل من أخبار الماضين لينزلها على حاضره فيميّز الحق من الباطل في الحوادث والأعمال. (5) وإنما خصَّ العبرة بأولي الألباب والعقول الراجحة لأنهم هم الناظرون فيما وراء الأخبار الباحثون عن العظات دون سفهاء العقول. (6)

5

وحدّث عنه أحمد بن كامل القاضي والطبرائي ومحمد بن جعفر وغيرهم، أقام ببغداد، كان حافظاً للقرآن عالماً بالقراءات بصيراً بالمعاني، عالماً بالسنة والتاريخ وأصول الفقه وفروعه، وكان شافعيّاً ثمّ تفرّد بمذهبه، من كتبه: تفسيره جامع البيان، وتاريخ الأمم والملوك، وتهديب الآثار ولم يتمّه. توفي ببغداد 310 هـ. ينظر: تاريخ مدينة السلام وأخبار محدّثيها وذكر قُطّانها العلماء من غير أهلها ووارديها، أبو بكر أحمد بن عليّ الخطيب البغداديّ/ (548/2-550 و553)، وطبقات المفسرين، الأدنه ويّ/ ص 48-51.

(1) أبو الخطّاب، قتادة بن دعامة السدوسيّ ثقة مأمون حجّة في الحديث، سمع أنساً وأبا الطفيل وسعيد بن المسيّب، وروى عنه هشام وشعبة وسعيد، توفيّ بواسط 117 أو 118 هـ. ينظر: الطبقات الكبير، محمد بن سعد الزهريّ/ (228/9 و230). والتاريخ الكبير، البخاريّ/ (مج 4/7-185-187).

(2) تفسير الطبريّ/ (253/5).

(3) ينظر: تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف أبو حيّان الأندلسيّ/ (413/2).

(4) ينظر: الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشريّ/ (331/3).

(5) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن عليّ بن أحمد الواحديّ النيسابوريّ/ (638/2-639). وزهرة التفاسير، محمد أبو زهرة/ (3881/7).

(6) ينظر: تفسير المراغيّ/ (56/13).

- ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۚ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ ۚ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِعًا لِشَرِبِينَ ۚ﴾
[سورة النحل: ٦٦]؛ أي: دلالة واضحة على عظيم قدرته في خلقه ووحدانيته؛ في استحالة الفرث والدم لبناً،
ووجه آخر للعبرة: أن الله سبحانه سخر الدواب لابن آدم طائعة له وهو يعصي الله ويستكبر.⁽¹⁾

- ومثلها قوله تعالى ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۚ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [المؤمنون: ٢١]. جاءت في معرض ذكر نعم الله تعالى في السماوات والنبات ثم الحيوان مفصلاً ما في
الأنعام من وجوه النفع للإنسان.⁽²⁾

5

- ﴿يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [النور: ٤٤]؛ أي: إن فيما تقدم من آيات
في السماوات والأرض وما بينهما وإنزال المطر بهذه الصورة الدقيقة لدلالة توصل ذوي الأبصار والبصائر
إلى حقيقة وحدانية الله تعالى وكمال قدرته.⁽³⁾

- ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا
وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَلْنَاهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ
يُخْرِجُونَ يَدِيَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا بِأَوَّلِ الْأَبْصَارِ﴾ [سورة الحشر: ٢]؛ أي: اتعظوا بما حلَّ
بكفار أهل الكتاب جزاءً لكفرهم وعصيانهم وغدرهم، فأتاهم العذاب من حيث لم يحتسبوا رغم
أخذهم بالأسباب، فاحذروا أن تعملوا عملهم أو تعتمدوا على غير ربكم فيصيبكم ما أصابهم
من الدلّ والخذلان، فإن العاقل من يتعظ بغيره،⁽⁴⁾ وفيها قياس حال أعداء المسلمين اليوم بحال
أهل الكتاب المذكورين في الآية؛ إذ ظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم عذاب الله من
حيث لم يحتسبوا، وكذلك حال أعداء المسلمين اليوم في الاستكبار، وحال المسلمين في الضعف،

10

15

(1) ينظر: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنته من السنة وآي الفرقان، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي/ (12/350 و352).

(2) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي/ (6/129).

(3) ينظر: تفسير البضاوي/ (4/111)، البحر المحيط، أبو حيان/ (6/427).

(4) ينظر: تفسير أبي السعود/ (8/226)، وعمدة الحفاظ، السمين الحلبي/ (3/22).

فلا بد أن تكون عاقبتهم كعاقبتهم.⁽¹⁾

- ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ (٢٥) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [النازعات: 25-26]، بعد سرد موجز لقصة موسى ﷺ مع فرعون واستكباره وعاقبته. ففيها من العظات الكثيرة التي يتعظ بها من يخشى الله، فهم الذين يستنبطون دلالات الأشياء، ويفهمون مراد الله، فيقيسون ما يأتيهم من أخبار من سبق على أحوالهم، فيجتنبون موجبات العقاب ويتبعون موجبات النصر والثواب.⁽²⁾

5

وهذه الدلالة الأخيرة (الاعتاظ والتدبر) هي المقصودة في هذا البحث في الدراسة، دون المعنيين الآخرين.

ثالثاً: مرادفات (العبرة) في القرآن الكريم:

لم يقتصر القرآن الكريم على التعبير عن عبره ودروسه على مفردة واحدة (العبرة)؛ بل تنوعت الألفاظ التي فسرها العلماء بـ(العبرة)، ومنها:

10 1. آية: (3) كقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [سورة العنكبوت: ٣٥] قال الطبري:

"عبرة بيّنة وعظة وعظة".⁽⁴⁾ وقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾ [سورة يوسف: ٧]، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَنِي مَرْيَمَ وَآمَةَ آيَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠].

2. بصيرة: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ﴾ [سورة القصص: ٤٣]؛ أي: عبرة لهم.⁽⁵⁾ ومثلها تبصرة في قوله تعالى: ﴿تَبَصَّرْهُ وَذَكَرْهُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [سورة ق: ٨].⁽⁶⁾

(1) ينظر: التفسير الحديث، دروزة/ (305/7).

(2) ينظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، فخر الدين بن ضياء الدين عمر الرازي/ (44/31)، والتحرير والتنوير، حمد الطاهر بن عاشور (83/30).

(3) ينظر: بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي/ (66-65/2).

(4) تفسير الطبري/ (396/18).

(5) ينظر: المفردات، الراغب/ ص 49، وعمدة الألفاظ، السمين الحلبي/ (197/1)، وبصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي/ (223/2).

(6) ينظر: تفسير الطبري/ (410/21).

3. تذكرة: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكُرَةً وَتَعِبَاءَ أُذُنٍ وَعِيَةً﴾ [سورة الحاقة: ١٢]، أي: عظة. ⁽¹⁾ ومثلها (ذكرى) كما في قوله تعالى: ﴿وَذِكْرِي لَأَوْلَىٰ مِنَ الْأَلْبَابِ﴾ [سورة ص: ٤٣]، و﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ ﴿٢٠٨﴾ ﴿ذِكْرِي وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [سورة الشعراء: ٢٠٨-٢٠٩]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: (موعظة مئي). ⁽²⁾
4. مثل: قال ﴿كَذَلِكَ﴾ ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سُلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ [سورة الزخرف: ٥٦]. أي: عبرة وعظة. ⁽³⁾
5. موعظة: قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَابِينَ يَدِيهَا وَمَا خَلَفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة: ٦٦]. عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَمَوْعِظَةً﴾ يقول: وتذكرة وعبرة للمتقين. ⁽⁴⁾

رابعاً: أنواع العبرة في القرآن الكريم:

أنزل الله تعالى القرآن الكريم كتاب هداية ونظام حياة، فجاء مشتملاً على أوامر ونواه، ولكي يلتزم الإنسان ما جاءه من تكاليف لا بد له من زواجر عن المعصية ومرغبات في الطاعة، لذلك كان القرآن الكريم يقرن أحكامه بالعبر والمواعظ، وعبره هذه على نوعين:

10

1. **عبر طبيعية:** وذلك بالنظر في الكون، ومشاهدة إعجاز الله تعالى في خلقه عن طريق التفكر في السماوات والأرض وما فيها من إنسان ونبات وحيوان وجمادات.

وقد جاء السياق القرآني مفصلاً لدقائق الكون تارة، يسلط الضوء على مراحل تشكّل المخلوقات، ومجماً تارة أخرى مكتفياً بالإشارة السريعة إلى الآيات الكونية، أو بالأمر بالتفكر والنظر في الآفاق.

فمن الآيات التي جاءت بالتفصيل: وصف تشكّل الغيوم وإنزال المطر بأسلوب بديع في قوله:

15

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ اللَّهُ

(1) ينظر: معاني القرآن، الفراء / (181/3).

(2) التفسير البسيط، الواحدي / (135/17)، وينظر: بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي / (12/3 و14).

(3) ينظر: معاني القرآن، النحاس / (373/6).

(4) ينظر: تفسير الطبري / (73/2).

الَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾ [سورة النور: ٤٣-٤٤] ومّا جاء مجملاً قوله: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [سورة النحل: ٦٥].

ومن الآيات الداعية إلى النظر في الكون وما فيه من آيات قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة يونس: ١٠١]، فإنّ فيهما من الأجرام والمخلوقات والعجائب ما يعتبر به كل متدبّر، ويستدل على وحدانيّة الله وعظيم قدرته. (1)

5

والآيات في هذا المضممار أكثر من أن تحصى في هذا البحث، وما سبق منها مجرد تمثيل لها.

2. عبر تاريخية: وهي مجال هذا البحث وموضوعه، وقد جاءت على ثلاثة أقسام:

- أولاً: قصص الأنبياء عليهم السلام: وقد تكرّرت معظم هذه القصص في عدّة سور لتسلّط الضوء في كلّ مرة على زاوية معيّنة من مسيرة النبيّ الدعوية يستنبط منها القارئ عبراً متنوّعة، فلا يغني موضع عن موضع، إذ كلّ له خاصّيته من حيث الألفاظ والتراكيب، والموضوعات والأحداث، والسياق العامّ للسورة التي ذُكرت فيها القصّة. (2)
- ثانياً: أخبار الأمم السابقة من غير الأنبياء كأصحاب الكهف وقارون وأصحاب الأخدود.
- ثالثاً: الحوادث التي حصلت مع المؤمنين زمن البعثة: فهي بالنسبة لنا تاريخ، وفيه من العبر ما لا يخفى نفعه، وزادها أهميّة كونها حدثت مع نبينا ﷺ وصحابته . وذلك كغزوتي بدر وأحد.

10

وشغل هذا النوع حيناً كبيراً من القرآن الكريم معظمه في السور المكيّة، فكان ثالث ثلاثة أقسام لموضوعاته، والقسمان الآخران هما العقيدة والتشريع. (3)

15

أمّا العبر المتعلّقة بسنن الله تعالى في الكون، وما فيها من دلالة على وحدانيّة الله تعالى وقدرته، فهي خارجة عن مضمون البحث، ويقتصر على العبر المتعلّقة بسنن الله تعالى في المكلفين وأمهم ومجتمعاتهم.

(1) ينظر: تفسير الطبريّ/ (301-300/12).

(2) ينظر: القصص القرآنيّ إيحاؤه ونفحاته، د. فضل حسن عبّاس/ ص 25-26.

(3) ينظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمّد بن عبد الله الزركشيّ/ (1/188 و445).

المطلب الثاني: معنى التاريخ في اللغة والاصطلاح

أولاً: معنى التاريخ في اللغة:

التأريخ: تعريف الوقت، و(التؤريخ) مثله.⁽¹⁾ و(أَرَخَ) الكتاب و(أَرَحَهُ) و(أَرَحَهُ): وَقَّتَهُ،⁽²⁾ وتأريخ كل شيء غايته ووقته الذي ينتهي إليه، ومنه: فلان تأريخ قومه في الجود.⁽³⁾

وقيل: هي كلمة معربة، لم تسمع من فصيح،⁽⁴⁾ وقيل: عربيّ مشتقّ من (الأَرخ) بفتح الراء وكسرهما؛ وهو أنثى ولد البقرة الوحشية؛ كأنه شيء حدث كما يحدث الولد، فالتاريخ وقت من الزمان،⁽⁵⁾ وفيه لغتان: (وَرَّخْتُ) الكتاب (تَوْرِيخًا)، و(أَرَّخْتُه) (تَأْرِيخًا).⁽⁶⁾

5

ثانياً: معنى التاريخ في الاصطلاح:

تحتمل كلمة (التاريخ) عند القدامى معاني كثيرة، من أبرزها:

1. التطوّر التاريخي؛ أي: سَير الزمان والأحداث، كقولهم: التاريخ الإسلامي.
2. عمليّة التدوين التاريخي، ووصف تطوّر التاريخ وتحليله.
3. تحديد زمن الواقعة باليوم والشهر والسنة.⁽⁷⁾

10

والتاريخ في العرف: "تعيين وقت لينسب إليه زمان يأتي عليه أو مطلقاً؛ يعني سواء كان ماضياً أو

(1) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل حماد الجوهري/ مادة (أَرخ) (418/1).

(2) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي/ مادة (أَرخ) (225/7).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ مادة (أَرخ) (226/7)، أدب الكتاب، أبو بكر محمد بن يحيى الصولي/ ص178.

(4) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس/ مادة (أَرخ) (94/1).

(5) ينظر: في التعريب والمعرّب (حاشية ابن بري على كتاب المعرّب لابن الجواليقي)، عبد الله بن بري/ (56/1-57).

(6) ينظر: أدب الكتاب، الصولي/ ص178.

(7) ينظر: التاريخ العربيّ والمؤرّخون دراسة في تطوّر علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، شاعر مصطفى/ (50/1-51).

مستقبلاً⁽¹⁾. وقد اصطلح على تعريفه تعريفات عدّة، منها:

- "ذكر ابتداء مدّة الشيء ليُعرّف به مقدار ما بين ذلك الابتداء وبين أيّ وقت أريد منه".⁽²⁾
- "تعريف الوقت بإسناده إلى أوّل حدوث أمر شائع؛ من ظهور ملّة أو دولة أو أمر هائل من الآثار العلويّة والحوادث السفليّة ممّا يندر وقوعه، جعل ذلك مبدأ لمعرفة ما بينه وبين أوقات الحوادث والأمور التي يجب ضبط أوقاتها في مستأنف السنين".⁽³⁾
- "جملة الأحوال والأحداث التي يمرّ بها كائن ما، ويصدق على الفرد والمجتمع، كما يصدق على الظواهر الطبيعيّة والإنسانيّة".⁽⁴⁾

5

ومن أبرز تعريفات علم التاريخ عند علماء التاريخ:

- تعريف ابن خلدون: "هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأوّل، تنمو فيها الأقوال، وتضرب فيها الأمثال، وتُطرّف بها الأنديّة إذا غصّها الاحتفال، وتؤدّي لنا شأن الخليقة كيف تقلّبت بها الأحوال، واتّسع للدول فيها النطاق والمجال، وعمرّوا الأرض حتّى نادى بهم الارتحال، وحان منهم الزوال، وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيّات الوقائع وأسبابها عميق".⁽⁵⁾
- وتعريف السخاوي: ⁽⁶⁾ "فنّ يبحث فيه عن وقائع الزمان من حيثيّة التعيين والتوقيت، بل عمّا كان في

10

(1) أبجد العلوم، صديق بن حسن القنوجي / (137/2).

(2) التوقيف على مهمّات التعاريف، عبد الرؤوف بن المناوي / (89/1).

(3) أبجد العلوم، القنوجي / (137/2).

(4) ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربيّة/ مادّة (أَرَجَ) / (13/1).

(5) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن خلدون، (6/1).

(6) أبو الخير محمّد بن عبد الرحمن بن محمّد الحافظ شمس الدين السخاوي الشافعيّ، ولد بالقاهرة 831هـ، من أبرز تلاميذ ابن حجر، حفظ القرآن الكريم، وعدداً من الكتب كالمناهج وألفيّة ابن مالك، ومن شيوخه أبو إسحاق اللخميّ والعزّ بن الفرات، وتفقه على ابن حجر والشريف المناوي وصالح البلقينيّ، وغيرهم، وأخذ عن مشايخ مكّة والمدينة في أثناء حجّه، توفّي بمكّة أو المدينة 902هـ، له: الضوء اللامع في أخبار أهل القرن التاسع، والجواهر المكلّلة بالأحاديث المسلسلة، وتحرير الميزان. ينظر: الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، نجم الدين محمّد بن محمّد الغزيّ/ ص53-54، والبدر الطالع، الشوكاني/ (187-184/2).

العالم".⁽¹⁾

- وعُرفَ بأنه "معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائع أشخاصهم وأنسابهم ووقاياهم إلى غير ذلك".⁽²⁾

- ومن التعريفات المعاصرة له: "حكاية الحوادث الماضية" وتقتصر هذه الحوادث على ما يتعلق بحياة الإنسان على الأرض، وخصوصاً الأحداث البارزة منها، كالمعارك والموتان وتعاقب الحكام.⁽³⁾

5

يُلاحظ أن تعريف السخاوي وتعريف المعاصرين يراد بهما تحديد مدّة زمنيّة بين حدثين، أو معرفة وقت حدوث أمر معيّن من خلال ربطه بحدث تاريخيّ بارز، أمّا التعريف ابن خلدون والتعريف الثالث فيراد بهما الحوادث التاريخية نفسها وتعاقبها على الفرد أو المجتمع أو الطبيعة، ويقتصر تعريف المعاصرين من الحوادث على ما يتعلق بالإنسان، ومثله السخاوي، إلّا أن السخاوي بيّن في موضع آخر أنّ من فوائد التاريخ إصلاح الدين والدنيا من خلال أخبار الأنبياء مع أقوامهم والحكماء والعلماء، وأخبار الملوك وسياساتهم وأسباب نشوء الأمم وتقدمها ثمّ سقوطها.⁽⁴⁾

10

أمّا تعريف ابن خلدون: فقد جعل لعلم التاريخ مستويين؛ ظاهر: يُعنى بالحوادث وضبطها، وحركة تطوّرها، وباطن: يبحث في كنه الحوادث، وغرضه التمهيد والتحقيق، والبحث عن عللها، وكيفيات حدوثها، فالفارق بين تعريفه وتعريف السخاوي أنّه جعل الاستخراج العلميّ النقديّ للقوانين التاريخية من حركة التاريخ وأحداثه جزءاً من ماهيّة التاريخ متّصلاً به، لا عرضاً من أعراضه، وبذلك كان تعريف ابن خلدون هو الأنسب من بين التعريفات، لأجل هذه الفائدة الجليّة، فهي أساس العبرة من التاريخ.

15

أمّا الحدث التاريخيّ، فيجب أن يكون له ثلاثة أبعاد لتجري عليه السنن الإلهية: الأول: السبب أو المقدّمة المؤدّيان إلى المسبّب أو النتيجة—وهذا البعد موجود في كلّ الحوادث الطبيعيّة منها والاجتماعيّة—وهو علاقة الحاضر بالماضي، والثاني: الهدف أو الغاية المترقّب حدوثهما—وهذا البعد مفقود في الحوادث الطبيعيّة—فهو علاقة مع المستقبل، والثالث: وجود أرضيّة تتجاوز الذي قام بالحدث؛ أي: أن يمتدّ تأثير

20

(1) الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ، محمد بن عبد الرحمن شمس الدين السخاوي/ ص7.

(2) أبعاد العلوم، الفتوّجي/ (137/2).

(3) ينظر: كلمة في تحليل التاريخ، د. عمر فروخ/ ص5.

(4) ينظر: الإعلان بالتوبيخ، السخاوي/ ص13-14.

الحدث إلى الجماعة ولا يقتصر على الفرد الذي أحدثه.⁽¹⁾ فإذا تخلف بُعد من هذه الأبعاد لا يعدّ الحدث حدثاً تاريخياً يمكن تعميمه على شكل سنّة مطّردة متوقّعة الحدوث في المستقبل، فسنّة الله في الأفراد تختلف عن سنّته في الأمم والمجتمعات.

كما أنّ نسبة هذه السنن إلى الله تعالى لا تعني بحال انقطاع صلة الحوادث التاريخية ببعضها، وانفصامها عن القوانين الموضوعيّة الحاكمة لساحة التاريخ؛ بل تعني الإيمان بوجود أسباب أدّت إلى مسبّاتها، ولكنّ هذه الأسباب من وضع الله تعالى، وهي تعبّر عن حكمته وتديره لشؤون خلقه.⁽²⁾

5

فالسنن القرآنيّة في التاريخ "ذات طابع علمي؛ لأنّها تتميّز بالاطراد الذي يميّز القانون العلمي، وذات طابع ربّاني؛ لأنّها تمثّل حكمة الله وحسن تديره على الساحة التاريخية، وذات طابع إنساني؛ لأنّها لا تفصل الإنسان عن دوره الإيجابي، ولا تعطلّ فيه إرادته وحرّيته واختياره، وإنّما تؤكّد أكثر فأكثر مسؤوليته على الساحة التاريخيّة".⁽³⁾

10

المطلب الثالث: تفسير التاريخ بين المسلمين والغربيين

شغلت قضية التاريخ العقل البشريّ منذ القديم، فلم يقتصر على قضية جمع الأحداث وترتيبها؛ بل سعى المؤرّخون إلى التطلّع إلى ما وراء الحدث والبحث في جوهره؛⁽⁴⁾ ولكن كان للدين الأثر الأكبر في فهم التاريخ بعيداً عن المفاجأة والحظّ والغموض التي صبغ بها مؤرّخو اليونان والرومان التاريخ، فقد بيّنت الرسائل السماويّة أنّ للتاريخ هدفاً حدّدته العناية الإلهيّة، ومنحت التاريخ مكانته بين العلوم،⁽⁵⁾ وأخذت العبرة التاريخيّة بالبروز في العصور الإسلاميّة الوسيطة عند الفلاسفة من المؤرّخين، متأثرين باهتمام القرآن الكريم بها، فمنهم من جعل العبرة من التاريخ هي العدل، كالمسعوديّ،⁽⁶⁾ ومنهم من جعلها تجارب الأمم

15

(1) ينظر: التفسير الموضوعي والفلسفة الاجتماعيّة، الصدر/ ص78-82.

(2) ينظر: المصدر نفسه/ ص69-70.

(3) المصدر نفسه/ ص74.

(4) ينظر: بحث في مفهوم التاريخ، الخالديّ/ ص14-15.

(5) ينظر: المصدر نفسه/ ص15-16.

(6) المسعوديّ: أبو الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ، مؤرّخ رحالة بختّة، من أهل بغداد، عاش في مصر، وكان معتزليّاً، توفيّ 346، له:

السياسية، كمسكويه،⁽¹⁾ ومنهم من جعلها علم العمران،⁽²⁾ فالتاريخ ليس مجرد سرد للأخبار والقصص؛ بل هو دروس وعبر للحدّر ممّا وقعت فيه الأمم السالفة من خلال تفسير الأحداث وتقويمها.⁽³⁾

فاحتواء القرآن الكريم على بعض الأخبار لم يكن من أجل تقديم مادّة تاريخيّة على طريقة المؤرّخين؛ بل لارتباط هذا النوع من الأخبار بكونه كتاب هداية جاء لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، فقدم منها ما يخدم في القيام بعملية التغيير التي أنزله الله لأجلها على يد نبيّه ﷺ.⁽⁴⁾

وقد تنوّعت التفسيرات الغربية للتاريخ، فمن الفلاسفة من اهتمّ بالدور الإنسانيّ في سير التاريخ مُلغياً الدور الإلهيّ تماماً، مثل فولتير⁽⁵⁾ الذي قال بأنّ الأمم تتدرّج من طور الجهل والخرافة والفقر، إلى طور العلم والتّرف اتّفاقاً دونما قانون يحكمها،⁽⁶⁾ على عكس هيغل⁽⁷⁾ الذي فسّر التاريخ تفسيراً ماورائياً فلسفياً

مروج الذهب، ومعادن الجوهر في تحف الأشراف والملوك، والتاريخ في أخبار الأمم من العرب والعجم. ينظر: معجم الأدباء، ياقوت الحمويّ / (1705/4-1706)، والأعلام، الزركلي، (277/4).

(1) مسكويه: أبو عليّ أحمد بن محمّد بن يعقوب، مؤرّخ بحاث، من الرّيّ، سكن أصفهان وتوفّي بها، اشتغل بالفلسفة والكيمياء والتاريخ والأدب، له تجارب الأمم وتعاقب الهمم، وتهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، وآداب العرب والفرس، توفّي 421هـ. ينظر: معجم الأدباء، ياقوت الحمويّ / (493/2-499)، الأعلام، الزركلي / (211/1-212).

(2) ينظر: بحث في مفهوم التاريخ، الخالديّ / ص17.

(3) ينظر: لمحات في التفسير الإسلاميّ للتاريخ، عبد الرحمن التركيّ / ص15-16 و47.

(4) ينظر: التفسير الموضوعيّ والفلسفة الاجتماعيّة، الصدر / ص42-43 و47.

(5) فرانسوا ماري آروويه فولتير، فيلسوف وأديب فرنسيّ، ولد 1694م ونشأ في باريس، هاجم سلطة الكنيسة، ودعا إلى الفلسفة المادّيّة، هاجر إلى إنكلترا، ثمّ سويسرا، ثمّ عاد إلى فرنسا، وتوفّي فيها عام 1778م، له: (كنديد) و(زاديج) و(قرن لويس الرابع عشر). ينظر: معجم أعلام المورد، البعلبكيّ / ص332-333، وموسوعة أحداث وأعلام مصر والعالم، موسى / (768/2-769).

(6) ينظر: كلمة في تحليل التاريخ، فروخ / ص19.

(7) جورج وهلم فريدريك هيغل، فيلسوف ألمانيّ، ولد 1770م، عمل مدرّساً للفلسفة في جامعتي هيدلبرج وبرلين، صاحب الجدليّة الديالكتيكية، ويرى أنّ التاريخ هو قصّة تقدّم المجتمع الإنسانيّ، وقال بالثلاثيّة المطلقة، وأنّ العقل هو الحقيقة الوحيدة في العالم. توفّي 1831م، له: (ظاهريّات الروح) و(المنطق) و(فلسفة اليمين). ينظر: معجم أعلام المورد، البعلبكيّ / ص489، وموسوعة أحداث

ودينياً مسيحياً، فكان يرى أنّ أحداث التاريخ تجري بطريقة عقلية منطقية حتمية، وأغفل الأثر الاجتماعي الإنساني في سير الأحداث،⁽¹⁾ أمّا أوغست كونت⁽²⁾ فقد جعل العلوم الطبيعية والاجتماعية أساسية في تفسير التاريخ، فالمجتمع يتطور في أطوار منهجية متعاقبة قليلة الشذوذ، وأحداث التاريخ محكومة بقوانين طبيعية اجتماعية، فحيث وجدت أسباب متماثلة في زمنين أو بيئتين مختلفتين أدت إلى نتائج متماثلة،⁽³⁾ ومن المؤرخين من اعتمد التعليل البطولي، فجعل من الأبطال وعظماء الرجال صانعين للتاريخ، بسبب تأثيرهم في شعوبهم، وجمهم لشملهم، وتغلبهم على أعدائهم،⁽⁴⁾ أمّا المادية الماركسية التاريخية فكان قوامها على ربط الإنتاج بدرجة النمو التي حققتها القوى المنتجة المادية، فهي قائمة على الصراع الطبقي،⁽⁵⁾ ثم جاءت مدرسة الحوليات التي جعلت من المعتقدات وأشكال التدبّر مؤثراً في مسلكيات رجال الأعمال، وأشكال الثروة، واهتمت بال تحليل لنفسي وعلم النفس الاجتماعي في فهم الظواهر الاجتماعية.⁽⁶⁾

5

أمّا التعليل الغربي الحديث فيرى أنّ الجانب الاجتماعي أهمّ التعليلات للتاريخ، وهو يُعنى بالإنسان ككائن اجتماعي يتصل بما حوله، وبالعواد والحضارات واختلاط الشعوب فيما بينها، بعيداً عن حياة الملوك والعظماء وما يتعلّق بأخبارهم، فمحوره الجماعات لا الأفراد، والأصل في هذا التفسير الاجتماعي للتاريخ عائد إلى ابن خلدون الذي جعل علم العمران مدخلاً لفهم التاريخ،⁽⁷⁾ فتويني⁽⁸⁾ -على سبيل

10

وأعلام مصر والعالم، موسى / (1191/2).

(1) ينظر: كلمة في تعليل التاريخ، فروخ/ ص 19 و 23.

(2) أوغست كونت، رياضي وفيلسوف فرنسي، ولد 1798م، مؤسس الفلسفة الوضعية التي تعنى بالظواهر اليقينية، تأثر في بدايته بالفلسفة الاشتراكية، ودعا إلى دين جديد سماه دين الإنسانية، توفي 1857م، له: (مباحث في الفلسفة الوضعية) و(منهج الفلسفة الإيجابية). ينظر: معجم أعلام المورد، البعلبكي/ ص 377، وموسوعة أحداث وأعلام مصر والعالم، موسى / (894/2).

(3) ينظر: كلمة في تعليل التاريخ، فروخ/ ص 23-24.

(4) ينظر: كلمة في تعليل التاريخ، فروخ/ ص 16-17.

(5) ينظر: تاريخ التأريخ اتجاهات مدارس مناهج، وجيه كوثراني/ ص 181، لمحات من التفسير الإسلامي للتاريخ، التركي/ ص 30-31.

(6) ينظر: تاريخ التأريخ اتجاهات مدارس مناهج، وجيه كوثراني/ ص 203 و 205.

(7) ينظر: كلمة في تعليل التاريخ، فروخ/ ص 29، وبحث في مفهوم التاريخ، الخالدي/ ص 34-36.

(8) آرنولد جوزيف تويني، مؤرخ وفيلسوف بريطاني، ولد 1889م، عمل أستاذاً في جامعة أوكسفورد ولندن، وفي وزارة الخارجية خلال

المثال- الذي تميّز باهتمامه بتاريخ الحضارة العالميّ الواسع، لا السياسيّ أو الإقليميّ الضيق وافق ابن خلدون في العديد من أفكاره قبل أن يطّلع عليها، كإعجابه بفكرة تفاوت الجماعات البشرية في البداوة والحضارة في الزمن الواحد؛ معتقداً أنّها من اكتشافات علماء الغرب الجديدة، وانتقاده تفسير هيغل، وعودته إلى تفسير ابن خلدون الذي أخذ بتأثير عوامل العمران المتعدّدة في مجرى التاريخ، وكذلك وافقه في مسألة تشابه النتائج إذا تشابحت المقدمات مع اختلاف البيئة والزمان، وأنّ التاريخ قائم على عاملين: الجنس البشريّ والبيئة، وعبر عنهما ابن خلدون بـ(الاجتماع الإنسانيّ، والعمران الطبيعيّ).⁽¹⁾

5

لو اطّلع توينبي وأمثاله على فكر ابن خلدون وتاريخه لاختصروا على أنفسهم دراسة فلاسفة الغرب ونقدها، ليعودوا بعد ذلك إلى تاريخ ابن خلدون مرة أخرى، ويجمعوا على أنّه صاحب التعليل الاجتماعيّ للتاريخ، فيكون محوراً لعدد جمّ من الدراسات والأبحاث العالمية،⁽²⁾ فلا بدّ إذاً من العودة إلى تفسير ابن خلدون-الذي يعدّ أرقى التفسيرات وأشملها-ليختتم المطلب بما انتهى إليه مطاف فلاسفة التاريخ.

10

يرى ابن خلدون أنّ حقيقة علم التاريخ تقوم على تمحيص الأخبار، ومعرفة أسباب وقوعها وكيفيّتها، وأحوال العمران، ومظاهر الحضارة في كلّ المجالات، فالتاريخ ليس مجرد أخبار تُروى وقصص تُحكى،⁽³⁾ وقد بنى تفسيره للتاريخ على أساسين:

1. استقراء القوانين الداخلية المسيطرة على التاريخ من خلال حوادثه نفسها.
2. الإلمام بالعوامل المؤثرة بتضافرها في تطور المجتمع، ومنها البيئة الطبيعيّة الجغرافيّة، والعصبيّة الجنسيّة، والعمران أو البيئة الاجتماعيّة، والعامل النفسيّ والمادّي، والحميّة التاريخيّة.⁽⁴⁾

15

فالبينة الجغرافيّة والمناخ والتربة توجّه تطوّر الإنسان بما يتناسب معها، والبيئة الاجتماعيّة تورثه من

الحرب العالميّة الأولى، صاحب نظريّة التحدي والاستجابة، القائمة على أنّ التقدّم راجع إلى ما تلاقيه الشعوب من صعوبات توفّي 1975م، له: (دراسة للتاريخ). ينظر: معجم أعلام المورد، البعلبكيّ/ ص147، وموسوعة أحداث وأعلام مصر والعالم، موسى/ (233-234).

(1) ينظر: كلمة في تعليل التاريخ، فروخ/ ص29-32.

(2) ينظر: المصدر نفسه/ ص29 و32، بحث في مفهوم التاريخ، الخالديّ/ ص34.

(3) ينظر: كلمة في تعليل التاريخ، فروخ/ ص11-12.

(4) ينظر: المصدر نفسه/ ص12-16.

عاداتها وتقاليدها، حتى تصبح طبيعة تصطبغ بها أهل تلك البيئة، والإنسان بدوره يحاول التأثير في البيئتين ويدلّل صعابهما، كما يرى أنّ العوامل المتشابهة تؤدّي إلى نتائج متشابهة، فالماضي أشبه بالآتي من الماء بالماء، ولكن قد يطرأ على الأمة عوامل عارضة تسارع في نشوئها أو سقوطها، وقد حدّد عمر الدولة في أربعة أجيال؛ أي: مئة وعشرين سنة تقريباً، وقد يطول عمرها باتساع رقعتها، أو قيام حاكم قويّ فيها، أو يقصر بانتشار الظلم والمجاهرة بالمعاصي، كلّ حسب عوامله المؤثرة به.⁽¹⁾

5

وأهمّ ما يقوم عليه تعليل ابن خلدون للتاريخ:

1. تعدّد العوامل المؤثرة في مسيرة التاريخ، مع تفاوتها في التأثير فيه.⁽²⁾
2. أهميّة الخصائص المادّية من عدد وعُدّد ومال وعلم -وهي ما سمّاه (العصبية)- في أحداث التاريخ، وظفر الأمم ببعضها، وكذلك تأثير طبيعة البيئة التي يعيش فيها المجتمع.
3. لا بد للمؤرّخ من تناول الأوجه الحضارية كافة لفهم التاريخ، واستنتاج نتائجها الصحيحة،⁽³⁾ وعليه تمحيص الأخبار، ونبد المستحيل منها عقلاً وعادة.⁽⁴⁾

10

إنّ محور التاريخ عند ابن خلدون ليس الصراع بين الخير والشر، أو سيرّ العظماء وأخبارهم؛ بل هو سنن طبيعيّة ناتجة عن التفاعل بين البشر والبيئة، يمكن الكشف عنها عن طريق علم العمران،⁽⁵⁾ فحوادث التاريخ خاضعة لقوانين صارمة ثابتة مطّردة إلهيّة المصدر، لا تسير خبط عشواء، مرتبطة بأسباب محدّدة، شأنها في ذلك شأن الظواهر الطبيعيّة، فالسنن الإلهيّة هي المحور الأساسيّ للتفسير الإسلاميّ للتاريخ، والمقصد الأسمى الذي سعى إليه ابن خلدون من دراسة التاريخ، متعرّضاً للظواهر الحضارية المختلفة، السياسيّة والاقتصاديّة والفكريّة وغيرها،⁽⁶⁾ فمن خلالها يبرز دور الإنسان في حركة التاريخ ضمن قدر الله تعالى، وجدّيّة الحياة الإنسانيّة وخلوّها عن العبث، ولذلك أرسل الله الرسل؛ لعمارة الأرض إضافة إلى

15

(1) ينظر: كلمة في تعليل التاريخ، فروخ / ص 16.

(2) ينظر: بحث في مفهوم التاريخ، الخالديّ / ص 35-36.

(3) ينظر: المصدر نفسه / ص 36.

(4) ينظر: المصدر نفسه / ص 33، بحث في مفهوم التاريخ، الخالديّ / ص 35-37.

(5) ينظر: بحث في مفهوم التاريخ، الخالديّ / ص 38.

(6) ينظر: مفهوم السنن الإلهيّة، محي الدين / ص 75-77.

عقيدة التوحيد، لذلك كان المسلمون أولى بفهم التاريخ وبذل الجهد في استنباط سننه اتّباعاً لكتّابهم وسنّة نبيّهم ﷺ، فهما المصدر الأساس في تقرير تلك السنن الحاكمة للتاريخ.⁽¹⁾

يقول ابن خلدون: "اعلم أنّ الحوادث في عالم الكائنات - سواء كانت من الذوات أو من الأفعال البشريّة أو الحيوانيّة - فلا بدّ لها من أسباب متقدّمة عليها، بما تقع في مستقرّ العادة وعنّها يتمّ كونه. وكلّ واحد من هذه الأسباب حادث أيضاً فلا بدّ له من أسباب أخرى، ولا تزال تلك الأسباب مرتقبة حتّى تنتهي إلى مسبّب الأسباب وموجدّها وخالقها سبحانه لا إله إلا هو".⁽²⁾

5

وقد توجّه ابن خلدون إلى مؤرّخي عصره بالنقد لجهلهم بالسنن التي تميّز الحقّ من الباطل، والذي أوقعهم في ذلك اهتمامهم بالحوادث الفرديّة، ونظمها في سلسلتها الزمنيّة، دون اهتمام بطبائع العمران التي تحكم تلك الحوادث مجتمعة.⁽³⁾ وقد تضاعف اليوم الاهتمام بعبر التاريخ وتفسير أحداثه، وانصبّ اهتمام المؤرّخين على ترتيب الأحداث وتمحيصها إلّا قليل منهم.⁽⁴⁾ فقد ظهرت بعد ابن خلدون محاولات أوروبّيّة في تفسير التاريخ، واستنباط سننه بتفسيرات عدّة، أصاب منها ما تقاطع مع هدي القرآن الكريم، وأخطأ ما خالفه، فتلقّاه العلماء بالنقد والتفنيد.⁽⁵⁾

10

فالتفسير الإسلاميّ للتاريخ هو الأجدى والأنفع، وهو التفسير الوسط بين التفاسير، فلا هو تفسير غيبيّ لا يعلم أحد أين يمضي، فيجعل الإنسان كآلة مسيرة لا خيار لها، ولا هو تفسير مادّيّ خالص يركّز على الدور الإنسانيّ متجاهلاً دور الإله الذي سنّ سننه بحكمته وعدله؛ فجاء وسطاً يقرّر أنّ الله تعالى بيّن قواعده في كتابه، ووضع للإنسان علامات على الطريق ليختار سبيله ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [سورة

15

الإنسان: ٣].

(1) ينظر: لمحات في التفسير الإسلاميّ للتاريخ، التركيّ/ ص 18 و 52 و 58-59.

(2) مقدّمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون/ (580/1).

(3) ينظر: بحث في مفهوم التاريخ، الخالديّ/ ص 55.

(4) ينظر: المصدر نفسه/ ص 18.

(5) ينظر: التفسير الموضوعيّ والفلسفة الاجتماعيّة، الصدر/ ص 62-64.

المطلب الرابع: مفهوم العبرة التاريخية في القرآن الكريم في ضوء تفسير المنار

أولاً: تعريف العبرة التاريخية:

عُرِّفت العبرة التاريخية بأنها: "منظومة من الأحداث تشكّل وحدة تتكرّر بين الماضي والمستقبل".⁽¹⁾ والمراد بهذا التعريف بيان أنّ للتاريخ قوانين تُكسب الإنسانية مجموعة من الخبرات يمكن أن يبني عليها علم الاجتماع، ويجعل من علم التاريخ بعداً هاماً لفهم مشكلات الحياة حسب تلك المنظومة والقوانين.⁽²⁾

5

والمنظور الإسلامي لتلك المنظومة يجعل مصدرها الأساسي هو القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بما تضمّناه من أخبار في نصوصهما، أو من خلال الدعوة إلى طلب تلك العبر من خلال النظر والبحث، فتكون كتب التاريخ مصدراً ثانياً ومهماً لاستكمال منظومة الأحداث شريطة تحري الصادق منها، لضمان تكرارها كلما تكرّرت ظروفها المسببة لها، لتشكّل بذلك السنن الاجتماعية بخصائصها الداعية إلى الاعتبار بها، وهي (الربانيّة والحاكميّة والاطراد والثبات والعموم)،⁽³⁾ لذلك جاء خطاب القرآن الكريم عامّاً غير مختصّ بزمان التنزيل، وخاطب خلف الأمة بأفعال سلفها، ليقع في نفس السامع أنّ ما حلّ بمن سبق لا بدّ من حلوله به إذا اتّبع سنّته، وبذلك تتشكّل الوحدة المتكرّرة بين الماضي والحاضر.

10

ولكن لا يكون ذلك إلّا بمعرفة العلّة المسببة للعاقبة التي ختم بها الحدث التاريخي، للانتقال به إلى غايته وهدفه، فلن يستطيع الإنسان التحكّم بالأحداث ما لم يعرف الأسباب والمقدمات التي استدعت تلك النتائج، لتؤثّر في المستقبل.

15

فالخطوة الأولى في عملية استنباط العبر من التاريخ هي اختيار الحدث التاريخي، وقد اختار القرآن الكريم من الأحداث لبّها وما يؤخذ منه الدروس، وما يعلم بحكمته تأثيره بنفس المتلقّي، ثمّ البحث عن السبب الذي أدّى إلى حدوث ذلك الحدث من بين الظروف المحيطة به، وقد كفانا القرآن الكريم هذه المهمة فيما روى لنا من أخبار، فجاءت مقرونة بأسبابها وسننها، سابقة لها أو لاحقة بها، أو ضمن ثناياها، على شكل قاعدة كلّية ترتّب الجزاء على العمل، بأساليب مختلفة غالباً ما تكون جملة شرطية تجعل حادثة أو وصفاً ما سبباً وشرطاً لحادثة أخرى تكون نتيجة لها، أو قضية فعلية ناجزة بأن يخبر بما سيحدث بناء

20

(1) بحث في مفهوم التاريخ ومنهجه، د. طريف الخالدي/ ص22.

(2) ينظر: المصدر نفسه/ ص22-23.

(3) سيأتي الحديث عن هذه الخصائص بشيء من التوضيح.

على مقدماته وشروطه، أو غيرها من الأساليب؛⁽¹⁾ ولكن لا بدّ لتمام ذلك من تتبّع آيات القرآن الكريم في القضية الواحدة وجمعها في سلسلة واحدة ليفسّر بعضها بعضاً تفسيراً موضوعياً، ثمّ تعميم النتيجة المشروطة كلّما وجد الشرط أو السبب، والخطوة الأخيرة تطبيق هذه المنظومة على مشكلات العصر، بتوفير الشروط لتحصيل النتيجة، أو تلافيها لدرء نتيجة غير مرجوة.

لقد أعطانا القرآن الكريم نماذج دقيقة، تشتمل على أهمّ السنن التي تضمن سعادة الأمم في دنياها وآخرتها، فكانت بمثابة مفتاح لقراءة التاريخ كما أمرنا الله تعالى، قراءة لها هدف سام يرتقي بالأمة بإعمال العقل والجوارح، والإفادة من خبرات الأمم جميعها على امتداد الزمان والمكان، وسيبيّن هذا البحث الكثير من هذه العبر التاريخية القرآنية، ومعالجة تفسير المنار لها في فصوله القادمة.

مما سبق يمكن تحديد مفهوم العبرة التاريخية في القرآن الكريم بأنّها: مجموعة الدروس والمواظظ المستفادة من قصص القرآن الكريم وأخباره، المبنية على السنن الإلهية الثابتة، عن طريق إعمال النظر لقياس واقع أيّ مجتمع إنسانيّ عليها، بهدف النهوض به، أو درء السقوط عنه.

ثانياً: حكم الاعتبار بالتاريخ وقصصه:

لا بدّ من الإشارة إلى أن القرآن الكريم قد أكثر من دعوة المسلمين إلى اكتساب الوعي التاريخي لم يكتف بعرض العبر التاريخية والإشارة إليها، أو مجرد الدعوة إلى الاعتبار والسير في الأرض والبحث في التاريخ طلباً لهذه الدروس؛ بل أمر بذلك أمراً صريحاً، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [الأنعام: ١١]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فسيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [الحل: ٣٦]، وغيرها، وبذلك يكون الاعتبار والتفكير في سنن الله تعالى في الأمم، وتوظيف العبر في خدمة المجتمع الإسلامي، والتخطيط لمستقبله جزءاً من الدين، إنّما يلتزم به المتقون، كما بيّن ذلك في قوله: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا

(1) ينظر: التفسير الموضوعي والفلسفة الاجتماعية في المدرسة القرآنية، باقر الصدر/ ص 88 و 91-92، مفهوم السنن الإلهية في الفكر

الإسلامي السيد محمد رشيد رضا نموذجاً، حازم زكريّا محي الدين، رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية، كليّة

الإمام الأوزاعي-بيروت/ 2002م، إشراف د. زكريّا المصري/ ص 44.

﴿فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (١٣٧) هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿

[آل عمران: ١٣٧-١٣٨].

ثالثاً: منهج تفسير المنار في استخراج العبرة:

كان تفسير المنار من أبرز التفاسير التي اعتنت بالعبر التاريخية ودروس القصص القرآني، وقد اتبع في ذلك منهجاً دقيقاً لاستخراج العبرة المبتغاة من النصوص القرآنية:

5

1. فبعد تفسير الآية أو المجموعة من الآيات، يناقش الروايات الواردة فيها، ويعتمد ما يراه الأصح منها، وينتقد ما يراه مستحقاً للنقد من آراء المفسرين.
2. يحدد السنن الإلهية الحاكمة لأحداث القصة أو الخبر التاريخي من خلال الآيات ببيان مسبباتها، فيبسطها بسطاً وافياً، قد يكون في فصل مستقل.
3. ينتقل من تلك الأخبار الماضية إلى الأحداث المعاصرة له، فيحكم سننها فيها، فيُنذر ويُسّر، ويبين الأسباب التي أدت إلى هذه الأحداث للدلالة على الحلول المناسبة.
4. يعالج الشبهة التي توهم بتخلف السنن وعدم اطّرادها، مبيناً أنّ سبب تغير النتائج إنّما هو تغير في المقدمات.⁽¹⁾

10

وقد نوع تفسير المنار في أسلوبه في عرض العبر التاريخية، فهو يستعمل الأسلوب العقلائي المنطقي في أثناء طرح جوانب الموضوع، وبسطه، وترتيب السنّة على الحدث وتطبيقها على الواقع، فإذا ما اتّضح للقارئ ختم بأسلوب وجدائي أدبي صحفي يتناسب مع مشروعه الإصلاحية الذي يستنبطه من القرآن الكريم، ولأجله كتب تفسيره، ليصل مراده إلى كلّ القراء من كلّ المستويات.

15

ولا بدّ من التوسّع في الأخبار التاريخية، فلا يكتفى بالخبر القرآني، فيسوق تفسير المنار شواهد تاريخية أخرى، ويطبّق عليها،⁽²⁾ وذلك تطبيقاً منه لدعوة القرآن الكريم إلى البحث عن العبر من مصادرها وهي: قراءة أخبار الأمم الخالية والسير في الأرض، والمنوط بهم هذا العمل —حسب تفسير المنار— هم العلماء المختصّون، فما كلّ امرئ قادر على استنباط دقائق العبر، فلا بدّ للباحث فيها من توفرّ العديد من العلوم إلى جانب علم التاريخ كعلم النفس والاجتماع والأخلاق والسياسة والمِلل والنحل والجغرافيا واللغات، وذلك لتحقيق التفسير الاجتماعي للتاريخ، الذي قرّر أنّه لا بدّ للمؤرخ من الإحاطة بكلّ

20

(1) مثال ما يوهّم تخلف السنّة الإلهية: [البقرة: 174] (74-73/2).

(2) مثاله: [البقرة: 253] (253-8/3).

العوامل المحيطة لتقديم تفسير صحيح للحدث، وتكون هذه العملية تحت رعاية أهل الحل والعقد ومعاونتهم على تنفيذ ما يتوصل إليه المختصون، كي تؤدي أكلها المرجوة منها.

مثال ذلك تفسير السيد رشيد لقوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٣٧]، جاءت خاتمة لقصة سيدنا موسى عليه السلام في سورة الأعراف، إذ قام السيد رشيد بتفسير الآية مبيناً غريبها، وساق الروايات الواردة فيها ورجح بينها، ثم عرض أسباب ما حلّ بفرعون وقومه؛ وهو جحودهم وإعنائهم رغم الآيات التي جاءهم بها موسى عليه السلام،⁽¹⁾ ثم جاء بوجهين للعبرة من الآيات:

5

الأول: التفكير بحال موسى وهارون -عليهما السلام- مع فرعون، وصمودهما في وجه أعظم طاغية، "فجدير بالمؤمنين بالله تعالى ورسله من المسلمين أن ينتقلوا من التفكير في هذا إلى التفكير في وعد الله تعالى للمؤمنين بالنصر، كما وعد المرسلين إذا هم قاموا بما أمرهم تعالى به على ألسنتهم، وألا يستعظموا في هذه السبيل قوة الدولة الظالمة لهم، فإنّ قوة الحق التي نصرها الله تعالى برجل أو رجلين على أعظم الدول لا تغلب إذا نصرناها، ونحن مئات الملايين، والله تعالى يقول: ﴿إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ [سورة محمد: ٧]، ويقول: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الروم: ٤٧]".⁽²⁾

10

والثاني: محاولة اليهود انتزاع الأراضي المقدسة من أصحابها، وادّعاء كل فريق أحقيته فيها، وقد حلّ السيد رشيد النزاع من خلال الآية التي يفسرها، فقرّر أن الأرض يرثها المتّقون الذين يتّبعون سنن الله تعالى، فهي كانت تُنتزع من يد الظالم منهم لتكون في يد الفريق الآخر عبر التاريخ، إلى أن تدخل الإنكليز وأغروا بين الفريقين -بنو إسرائيل وبنو إسماعيل- وطرح الحلّ الأمثل لوقاية الفلسطينيين من الشرّ المحدث بهم، وهو الوحدة مع سائر الشعوب العربيّة في طلب الحقّ والدفاع عنه،⁽³⁾ يقول: "ولا منجاة لعرب فلسطين من هذا الخطر العظيم... إلّا باتّحادهم مع سائر الشعوب والقبائل العربيّة على الاستبسال، والاستقلال في

15

20

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (76-72/9).

(2) المصدر نفسه/ (76/9).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ (77-76/9).

الدفاع الحقيقي عن أمتهم وبلادهم، ومع سائر الشعوب الإسلامية في الدفاع المعنوي عن الأرض المقدسة، والحرمين الشريفين".⁽¹⁾

وكذلك تفسير قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَفْلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣١]، التي جعلها السيد رشيد قاعدة من قواعد علم الاجتماع، وسنة من سنن الله تعالى في قوة الأمم والشعوب وضعفها، ومفادها أنّ الله تعالى لم يكمل لئيزل عذاب الاستئصال أو فقد الاستقلال في أمة بظلم منه لهم، أو بظلم منهم وهم غافلون لم يبين لهم ما يتقون، ولذلك أرسل الرسل عليهم السلام إقامة للحجة عليهم، وهو لمشار إليه في الآية السابقة: ﴿يَمْعَشِرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [الأنعام: ١٣٠]، ثم أتى بآراء المفسرين بمعنى الظلم، وناقشها ورجح بينها وساق الشواهد القرآنية، وختم ببيان أنواع العذاب الذي ينزله الله بالأمم وأسبابه، وتفيد هذه القاعدة الاجتماعية الربانية.⁽²⁾

5

10

ومن يتتبع تفسير المنار يجد الكثير من النماذج التي تثبت اهتمام شيخ المنار بتحليل الحدث التاريخي، والإفادة منه في إصلاح الأمة بناء على كون القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد، جاء لإصلاح البشرية والارتقاء بها، بما حوى من سنن تتسم بالعموم والموضوعية والعدالة، دون تحكيم للهوى والمحابة التي لا تخلو منها القوانين البشرية.

فالعبرة التاريخية في تفسير المنار ماهيتها دروس مبنها على السنن الإلهية، مصدرها الكتاب والسنة ثم ما صحّ من كتب التاريخ، القائم بها طائفة من العلماء تتوفّر فيهم شروط معينة، هدفها النهوض بالأمة وإصلاح حالها، طريقة تطبيقها القياس؛ إذ حيث وجدت علة الأصل طبق الحكم على الفرع، وينتفي حكم الأصل عن الفرع بغياب العلة عنه.

15

(1) تفسير المنار، رضا/ (9/ 77).

(2) المصدر نفسه/ (8/ 86-88).

المبحث الثاني: مكانة التاريخ، وحدود تأثيره في المعنى في تفسير المنار

اهتمّ صاحب المنار بالتاريخ وجعل له مكانة بارزة في تفسيرهما، وفي هذا المبحث بيان لمكانة التاريخ، ومدى تأثيره في التفسير لدى الشيخين، وعرض لأهمّ الشبه المتعلقة بالتاريخ التي تصدّيا لها.

المطلب الأول: مكانة التاريخ عند الشيخين عبده ورضا

اشترط الشيخان عبد ورضا ففي المفسر الإمام بعدة علوم، منها العلم بأحوال البشر -قوة وضعفاً- وطباعهم وقصصهم، ولا يتم ذلك إلا بدراسة التاريخ، والتنقيب في صحيحه وسقيمه، فكيف يفهم قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢١٣] من لم يطلع على أحوال البشر، وكيف كانت وحدتهم، ثم تفرقهم، وتأثير بعث الأنبياء فيهم؟ فالعلم بالتاريخ من شروط المفسر عندهما.⁽¹⁾

5

وقد تحقّق الشيخان بهذا الشرط الذي اشترطاه وبرز ذلك من خلال تفسيرهما، واستعراضهما لكثير من الوقائع التاريخية، سواء منها ما كان قبل الإسلام، كتاريخ اليهود والنصارى، وعقائد قوم سيّدنا إبراهيم عليه السلام قبيل بعثته،⁽²⁾ أو بعد الإسلام كالفتوح الإسلامية، والفتن، وتاريخ نظام الشورى.⁽³⁾

10

وقد عدّ الشيخ محمد عبده قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٤٩] نصّاً صريحاً يوجّه المخاطبين إلى استحضار تاريخ أمّتهم، فيعتبروا بما أصابهم من تقلّبات أحوالهم، فجهل الأمة في ماضيها يجعلها في حيرة من حاضرها، لا تعرف أسباب بلائها، ولا طريقة علاجه، وتكتفي من ذلك بعزوها إلى القضاء والقدر، فيقوِّض بنيانها، وتتفكّك الروابط بين أفرادها،⁽⁴⁾ قال: "لا أقول: إنّ هذا الخطاب إيماء أو إشارة للمخاطبين بأن يستحضروا تاريخ أمّتهم الماضي؛ يتذكروا صنع الله تعالى فيهم، فيعتبروا بما أصابهم

15

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (21-22/1)، والتفسير والمفسرون، الذهبي/ (192/1-193).

(2) مثاله: [النساء: 171] [63-69/6]، [الأنعام: 79] [415-417/7]، [الأعراف: 145] [146/9].

(3) مثاله: [البقرة: 253] [8/3]، [آل عمران: 159] [144-146/4] [159] [180/8-181].

(4) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (226/1-227).

من نعماء وضراء، وسعادة وشقاء، ويتفكروا فيما حلّ بهم من بعدهم، وما ينتظر أن يحلّ بهم، وإثماً الكلام نصّ صريح لا يحتاج إلى التأويل؛ فالروابط الاجتماعية بين أفراد الأمم وجماعاتها كالروابط الحيوية بين أعضاء الشخص الواحد بلا فرق⁽¹⁾، فقد جاءت هذه الآية وما بعدها من أخبار بني إسرائيل زمن سيدنا موسى ﷺ لتربط بين ما كان من شأنهم، وما كان من شأن يهود المدينة الذي مرّ ذكره في الآيات السابقة لها من قوله تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة البقرة: ٤٠] وما بعدها، إذ دأبوا على تعطيل الدعوة وعداء الإسلام، فأندرهم عاقبة تكرار تاريخ أجدادهم، كيلا يصيبهم ما أصابهم من نقمة الله، ومن ثمّ كانت إنذاراً للمسلمين ليتّخذوا من أمر اليهود دروساً وعبراً⁽²⁾.

5

وقد بيّن تفسير المنار عناية الأمة الإسلامية بالتاريخ ما لم تكن به أمة من الأمم من قبل، فأدخلته طوراً جديداً اتسم بالدقة وتحري الصّحة، وتفتّنت في مصنّفاته، فظهر علم الرواية والطبقات، وتواريخ البلاد والشعوب، ثمّ استنبط علم الاجتماع والعمران منه، فلم يضع شيء من التاريخ بعد ذلك، وما اختلف فيه من الجزئيات تسهل تصفيته⁽³⁾، كما قال السيّد رشيد بعد وصفه أهمية علم التاريخ وعلم الرواية والجرح والتعديل، ثمّ اقتداء أصحاب العلوم والفنون الأخرى بالمسلمين: "فلم يضع شيء من العلوم والفنون، ولا من الحوادث والوقائع التي جرت في العالم بعد الإسلام، وما اختلف الرواة والمصنّفون في جزئياته من تاريخ الإسلام وغيره يسهل تصفيته في جملة، وأخذ المصنّف منه؛ لأجل الاعتبار به، وعرفان سنن الاجتماع منه جرياً على هدي القرآن فيه"⁽⁴⁾، وقال الشيخ محمّد عبده: "فالتاريخ هو المرشد الأكبر للأمم العزيزة اليوم إلى ما هي فيه من سعة العمران وعزّة السلطان، وكان القرآن هو المرشد الأوّل للمسلمين إلى العناية بالتاريخ ومعرفة سنن الله في الأمم منه، وكان الاعتقاد بوجوب حفظ السنّة وسيرة السلف هو المرشد الثاني إلى ذلك"⁽⁵⁾.

10

15

(1) تفسير المنار / (226/1).

(2) ينظر: التفسير الحديث، دروزة / (169-170 و 172-173).

(3) ينظر: تفسير المنار، رضا / [البقرة: 49] (227/1)، [البقرة: 246] (326/2).

(4) المصدر نفسه / [البقرة: 246] (326/2).

(5) المصدر نفسه / [البقرة: 49] (227/1). وينظر: [البقرة: 246] (326/2)، ومفهوم السنن الإلهية، محي الدين / ص 126-

ثم إنَّ السيّد رشيد أخذ على الأمة جهلها بالتاريخ، الذي أدّى بأعداء الإسلام إلى الحكم بفساد هذا الدين بناء على سوء حال أهله، وإصااق تهمة الضعف والجهل بالدين نفسه، ولو علم أتباعه حقيقة دينهم وتاريخهم لما صاروا إلى ما صاروا إليه، ولدفعوا عن دينهم أيّ شبهة توجّه إليه، ولأثبتوا أنّ الإسلام دين السعادتين الدنيا والأخرى؛⁽¹⁾ قال السيّد رشيد: "ولكنّ أعداء الجاحدين لهذا علم قد شوّهوا تاريخه، وصدوا الناس عنه بالباطل، وأنّ أهله قد هجروا كتابه، وتركوا هدايته، وجهلوا تاريخه، ثمّ صاروا يقلّدون أولئك الأعداء في الحكم عليه، حتّى زعموا أنّه هو سبب جهلهم وضعفهم، وزوال ملكهم".⁽²⁾

5

أمّا غياب السنن الإلهية في الأمم عن التفاسير المتقدّمة فقد اعتذر له بأنّ علم الاجتماع لم يكن قد دُوّن بعد، فلم يلتفتوا إلى قواعده، وهذا ما كان يسعى إلى تلافيه في تفسير المنار،⁽³⁾ وإذا كان السيّد رشيد يرى ذلك ميزة في تفسيره، فيمكن أن يضاف إليها ميزة ثانية؛ وهي ربط تلك السنن بعصره محاولاً تحديد المشكلة، واستنباط الحلول من خلال القياس على سنن الله في الأمم المبينة في القرآن، وقد تكرر منه ذلك مراراً يصعب حصرها،⁽⁴⁾ كما أنّه أقرب تاريخ إلى عصرنا الحاليّ، ولا تزال أصداء أحداثه تتردّد في أجوائنا.

10

ولم يخفَ على شيخي المنار أنّ من المفسّرين من يعدّ من كبار المؤرّخين كالإمام الطبريّ، ولكنّه مع ذلك انتقده في مسائل تاريخية منها ما أورده في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَاسْمُ مَنْ سَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾ [سورة البقرة: ١١٤] إذ ذكر رواية تاريخية ظهر للشيخ محمّد عبده بطلانها لما فيها من تناقض، فردّها ولام الإمام على إيرادها لها، وهو من هو في التاريخ والتفسير.⁽⁵⁾

15

ومن أجلّ الفوائد التي يجنيها المفسّر من علم التاريخ كما جاء في المنار:

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (202/8) و(469/9).

(2) المصدر نفسه/ (469/9).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ (171/12).

(4) ينظر على سبيل المثال: المصدر نفسه/ (184-186/8).

(5) ينظر: تفسير الطبريّ/ (443-444)، وتفسير المنار، رضا/ (310/1). وهذه الروايات تتعلّق بإعانة النصارى مختصّرة على تخريب بيت المقدس بسبب بغضهم لليهود، وردّها الشيخ محمّد عبده بأنّ حادثة تخريب بيت المقدس كانت قبل مبعث المسيح عليه السلام سنة 633.

1. الإعانة على فهم الآيات: وذلك كقوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ

مَا جَاءَهُمْ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [سورة آل عمران: ١٩] فالآية تتحدث عن تفرق أهل الكتاب في دينهم، فمن يعلم تاريخ نشوء المذاهب، وانتصار الرؤساء والوجهاء لبعضها على بعض يفهم مرادها، ثم ينتقل بها من سياقها التاريخي، فيسقطها على واقعه سعيًا في نبذ الخلاف، وتوحيد الكلمة.⁽¹⁾ قال الشيخ محمد عبده: "ومن كان على علم بالتاريخ وخاصة نشأة المذاهب في كل أمة، وفشو البدع في كل ملّة، فهو الذي يفهم كنه المراد من هذه الآية".⁽²⁾

5

2. إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ: فإنّ العرب زمن البعثة لم يكن يخطر على بال أحدهم أنّ كتب أهل الكتاب قد طالها التحريف والتبديل والفقد والنسيان؛ ولكنّ علم التاريخ بعد عدّة قرون أثبت صحّة ما جاء به القرآن على لسان أمّي لم يطلّع على كتب التاريخ والكتب المقدّسة،⁽³⁾ كما أنّ أخبار الكتاب العزيز كثيراً ما كانت تخالف ما تعارف عليه أهل الكتاب من روايات، فيبطل بذلك ادّعاء أنّ القرآن مأخوذ من التوراة أو الإنجيل.⁽⁴⁾

10

3. معرفة أسباب سقوط الأمم ونهوضها: فأساس النهوض الاستعداد الإنسانيّ وصلاح الدين والتربية، ويتبع ذلك العلوم والفنون المعينة على ذلك، والتاريخ الإسلاميّ يشهد بذلك؛ بل التاريخ الإنسانيّ، فصلاح الإنسان وفساده محور صلاح الأرض وفسادها، لا الثروة ولا الملك،⁽⁵⁾ وقد كان نهوض العرب لما التزموا

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (181/3). وقد استثمر المراغيّ هذه الآية في الإشارة إلى تاريخ أهل الكتاب -يهوداً ونصارى- ثمّ استخراج العبرة منها بالنهي عن الخلاف والتفرّق، والعودة إلى وحدة الإسلام كما كانت في عصر النبوة. ينظر: تفسير المراغيّ/ (117-116/3).

(2) تفسير المنار، رضا/ (181/3)، وينظر أيضاً: (11-10/1)، [البقرة: 172] (69/2).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ [المائدة: 13] (210/6)، [الأنعام: 25] (253/7) [الأنعام: 79] (417/7)، وينظر أيضاً: تفسير المراغيّ/ [المائدة: 13] (76-75/6).

(4) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [المائدة: 22] (246/6). وسيأتي تفصيل هذه الشبهة.

(5) ينظر: المصدر نفسه/ (10-9/1).

هداية القرآن الكريم، فلمّا ترك العلماء التذكير به هجره عوامّ الناس، وجهله الملوك والأمراء.⁽¹⁾ قال الشيخ محمد عبده عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٧]: "إنّ النظر في التاريخ الذي يشرح ما عرفه الذين ساروا في الأرض ورأوا آثار الذين خلوا يعطي الإنسان من المعرفة ما يهديه إلى تلك السنن [أي: سنن النصر والخذلان]، ويفيده عظة واعتباراً... وأنّ من يتبع تلك السنن فلا بدّ أن ينتهي إلى غايتها سواء كان مؤمناً أو كافراً، كما قال سيّدنا عليّ: (إنّ هؤلاء قد انتصروا باجتماعهم على باطلهم، وحُذِلتم بتفرّقكم عن حقكم)".⁽²⁾ وقال ابن عاشور:⁽³⁾ "وفي الآية دلالة على أهميّة علم التاريخ لأنّ فيه فائدة السير في الأرض، وهي معرفة أخبار الأوائل، وأسباب صلاح الأمم وفسادها".⁽⁴⁾

5

4. معرفة الأمة بنفسها: وهي مبنية على سابقتها، فجعل الأمة بنفسها جزءاً أعداءها على إقناع أفرادها أنّ الدين عائق عن الترقّي، ولو عرفت الأمة نفسها لعرفت ماضيها كما تعرف حاضرها، ولما وقعت فيما هي فيه من البلاء "فهي لا تدري من أين أخذت، ولا كيف سقطت بعد ما ارتفعت" كما قال الشيخ محمد عبده،⁽⁵⁾ وإنّما ارتفعت بالدين وسقطت بتركه، ومُنيت بجهل مركّب أفضى بها إلى ما أقنعها به أعداؤها، كما علّق السيّد رشيد.⁽⁶⁾

10

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [الأعراف: 4-5] [252-253/8].

(2) المصدر نفسه/ (102/4). وقول الإمام عليّ عليه السلام رواه ابن أبي شيبة في مصنّفه بلفظ: (إني لا أرى هؤلاء القوم إلّا ظاهرين عليكم لتفرّقكم عن حقكم واجتماعهم على باطلهم) كتاب الفتن، باب من كره الخروج في الفتنة وتعوّذ منها/ (95/21).

(3) محمد الطاهر بن عاشور، ولد بتونس (1296هـ/1879م)، مفسّر نحويّ لغويّ أديب، من دعاة الإصلاح الاجتماعيّ والدينيّ، رئيس المفتين المالكيين، تعلم بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقيّة، وعيّن شيخاً للإسلام على مذهبه عام 1932م، شيخ جامع الزيتونة، من أعضاء المجمع العربيّ في دمشق والقاهرة، توفّي بتونس (1393هـ/1973م)، له: مقاصد الشريعة الإسلامية، والتحرير والتنوير، وموجز البلاغة. ينظر: الأعلام، الزركلي/ (174/6)، ومعجم المفسّرين، نويهض/ (541/2-542).

(4) التحرير والتنوير، ابن عاشور/ (97/4).

(5) تفسير المنار، رضا/ [البقرة: 281] [75/3].

(6) ينظر: المصدر نفسه/ [البقرة: 281] [75/3].

5. الإعانة على الدعوة: ملئ القرآن الكريم بعبر التاريخ للتنبيه على أهمية معرفة طبائع الأمم، وأخلاقها، وما فسدت به عقائدها، لأجل إقامة الحجّة عليهم، ودعوتهم بما يؤثر فيهم أبلغ تأثير، فقد قرّر الشيخ محمّد عبده ألا شيء أضرّ بالأمة من جهلها بالتاريخ، لما في ذلك من قطع الصلة بالقدوة الصالحة، وقطع الصلة بالفقهاء، والجهل بأسباب اختلافهم وكيفية تكوّن مذاهبهم،⁽¹⁾ "وجملة القول: أنّ الجاهل بالتاريخ لا يصلح أن يكون فرداً من الأمة الداعية إلى الإسلام الأمرة بالمعروف الناهية عن المنكر في الأمور العامة على الوجه الذي يرجى قبوله"،⁽²⁾ كما جعل الشيخ أحمد المراغي من شروط الداعية إلى الخير العلم بالسيرة النبوية وسير الخلفاء الراشدين عليهم السلام، ومعرفة الملل والنحل ومذاهب الأمم؛ لإعلام المدعوّ بطلان ما هو عليه، فيسهل عليه تركه إلى الصواب.⁽³⁾

5

المطلب الثاني: منهج القرآن الكريم في عرض التاريخ في ضوء تفسير المنار

القرآن الكريم إلهي المصدر، وأخباره أصدق الحديث، لا يعتريه كذب ولا خطأ، محفوظ بحفظ الله له بما ميّزه من تواتر إسناده، بخلاف كتب التاريخ التي جمعتها جهود بشرية محدودة القدرة معرضة للهوى، وهي في معظمها مبنية على الظنّ، حتّى الكتب السماوية السابقة تعرّضت للعوارض نفسها، رغم أنّها إلهية المصدر؛ ولكنّها - كما قال السيّد رشيد -: أولاً "ليس لها أسانيد متّصلة متواترة، وثانياً: إنّ القرآن إنّما أثبت أنّ الله تعالى أعطى موسى عليه السلام التوراة وهي الشريعة، وأنّ أتباعه قد حفظوا منها نصيباً ونسوا نصيباً، وأنّهم حرّفوا النصيب الذي أوتوه، وأنّه أعطى عيسى عليه السلام الإنجيل - وهو مواعظ وبشارة - وقال في أتباعه مثل ما قال في اليهود: ﴿فَسَوْأَ حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٤]"،⁽⁴⁾ فقد دوّنت في عصر الظلمات الذي لا يوثق بشيء من أخباره إلّا بعد التنقيب والبحث العلميّ الدقيق، ومن هنا كانت مخالفة بعض أخبار القرآن لأخبار كتب التاريخ والكتب المقدّسة السابقة له أمراً وارداً ومعقولاً، وبناء على هذا

10

15

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا / [آل عمران: 104] (29-30/4).

(2) المصدر نفسه / [آل عمران: 104] (30/4).

(3) تفسير المراغي / [آل عمران: 104] (22-23/4).

(4) تفسير المنار، رضا / [البقرة: 246] (327/2).

يكون القرآن هو الحاكم والمهيمن على هذه الكتب، وما عارضه منها يُحكم بخطئه قطعاً.⁽¹⁾

وإنّ من دقة القرآن الكريم إعراضه عن الجزئيات التاريخية التي لا طائل منها، واقتصاره على موطن العبرة والموعظة، فهو ليس ككتب التاريخ التي يؤلفها البشر -وقد أكّد المنار على هذا في مواطن كثيرة- أمّا المؤرّخون فقد غنّوا قديماً بضبط تلك الجزئيات وجمعها، ممّا أوقعهم في الخطأ والخلاف، ومن ثمّ كان من الخطأ قياس قصص القرآن على أخبار كتب التاريخ، وتفسيرها بها، فالظنّيات المتناقضة لا يمكن أن تبين

5

قطعياً متواتراً، بين الشيخ محمد عبده ذلك في مستهلّ تفسيره قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِإِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ [سورة البقرة: ٢٤٦] في مقدّمة معنونة بـ(تمهيد في نسبة قصص القرآن إلى التاريخ، والفرق بينهما، وبيان حال الأمم قبل القرآن وبعده)، وأشار إلى تعلّم بعض الراقيين من المؤرّخين المتأخّرين هذه الطريقة القرآنية في اختيار الأخبار الكلية، والابتعاد عن الجزئيات المختلف فيها رغم سهولة التوصل وتنقل الأخبار اليوم، وهي مع ذلك متناقضة لا يوثق بمعظمها،⁽²⁾ ولعل هذه السرعة هي السبب في تناقض الأخبار وفقدانها الدقة والموضوعية، ولو جاء القرآن الكريم بالتفاصيل والجزئيات لما ارتاب عاقل منصف في صدقها وتوافقها فيما بينها؛ ولكن تركها تعليماً للبشرية أن لا تشغل وقتها إلّا بما فيه النفع والفائدة.

10

مثال ذلك انتقاد الشيخ محمد عبده للمفسّرين تكلفهم في تحديد الكلمات التي ابتلى بها الله تعالى

سيدنا إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [سورة البقرة: ١٢٤]، قال: "ولم يذكر الكلمات ما هي ولا الإتمام كيف كان؛ لأنّ العرب تفهم المراد بهذا الإبهام والإجمال، وأنّ المقام مقام إثبات أنّ الله تعالى عامل إبراهيم معاملة المبتلي؛ أي: المختبر له، لتظهر حقيقة حاله، ويترتب عليها ما هو أثر لها، فظهر بهذا الابتلاء والاختبار فضله بإتمامه ما كلفه الله تعالى إياه... والحق أنّ مثل هذا يؤخذ كما أخبر الله تعالى به ولا ينبغي تعيين المراد به إلا بنصّ عن المعصوم عليه السلام".⁽³⁾

15

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا / [البقرة: 24] [157/1-158]، [البقرة: 67] [252/1]، [البقرة: 246] [325/2].

(2) ينظر: المصدر نفسه / [البقرة: 246] [325/2-326].

(3) المصدر نفسه / (1/ 326). ومن أقوال المفسّرين في معنى (كلمات): أنّها شرائع الإسلام، أو سنن من خصاله، أو مناسك الحجّ، أو بعض الأدعية الواردة على لسانه عليه السلام في سورة البقرة، ومال الطبريّ إلى ما مال إليه الشيخ محمد عبده من إبهام هذه الكلمات، وعدم تحديدها ما لم يرد حديث صحيح فيها. ينظر: تفسير الطبريّ / (2/ 498-508).

بنى تفسير المنار بيانه للقصص القرآني على تعميم العبرة ولو حُصص السبب، أو كما قال: (إياك أعني واسمعي يا جارة)،⁽¹⁾ فالأمة كلها كالجسد من أولها إلى آخرها، معيار فساد أوائلها وصلاحهم هو نفسه معيار فساد أوآخرها وصلاحهم، وهذا من مقتضى حكمة الله تعالى وعدله،⁽²⁾ وقال السيّد رشيد عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا

5

يَبَيِّنُهُمْ﴾ [سورة آل عمران: ١٩]: "ويجب على المسلم ألا ينظم الآية في سمط أخبار التاريخ، ولا في سلك علم الملل والنحل، أو علم المناظرة والجدل؛ بل يتلوها متذكراً أنّها ما أنزلت إلا هداية وعبرة لمن يؤمن بالقرآن، ليتقوا الخلاف في الدين والتفرّق فيه إلى شيع ومذاهب اتّباعاً لسنن من قبلهم".⁽³⁾ وقد دأب تفسير المنار على مخاطبة قومه بعبّر هذه القصص حتّى اعترض عليه بعض المشايخ لاستعانتّه بالآيات التي نزلت في المشركين والمنافقين في تذكير المسلمين، فردّ عليهم بحديث جابر ؓ أنّ رسول الله ﷺ قال لما نزلت ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ

10

عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ [سورة الأنعام: ٦٥] ((أَعُوذُ بِوَجْهِكَ)). قال: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: ((أَعُوذُ بِوَجْهِكَ))، ﴿أَوْ يَلْسَكُمُ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال رسول الله ﷺ: ((هذا أهون، أو: هذا أيسر)).⁽⁴⁾ فاستدلّ باستعاذة النبي ﷺ على عموم الآية، وإمكانية وقوع العذاب بالمسلمين إذا عملوا بعمل المشركين والمنافقين، فهم في حكم الله سواء لا يشفع لإنسان منهم اندراجه تحت مسمّى معيّن،⁽⁵⁾ وحضّ المسلم على ملئ وقته بقراءة سنن الله في حياة الأمم وموتها، وتطبيق ذلك على أمته، وعدّ

(1) عجز بيت من الرجز، صدره (أصبح يهوى حرّة معطاره)، قاله سهل بن مالك الفزاريّ، ويضرب لمن يتكلّم بكلام ويريد به شيئاً غيره. ينظر: الفاخر، أبو طالب الفضل بن سلمة بن عاصم/ ص 158-159، ومجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمّد الميدانيّ/ (49/1).

(2) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [البقرة: 49] (226/1)، [البقرة: 174] (73/2).

(3) المصدر نفسه/ (181/3).

(4) صحيح البخاريّ، كتاب التفسير، باب: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]/ (1694/4) رقم: 4352.

(5) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [الأنعام: 65] (361/7)، [الأنعام: 159] (173/8-174).

ذلك من أشرف الأعمال وأنفعها،⁽¹⁾ وقد قرّر القرآن الكريم أنّ أخبار الذين خلوا فيها بيان للناس كافة -مؤمنهم وكافرهم- وحجة عليهم، ولكن موعظته مختصة بالمؤمنين، الذين بين لهم كتابهم هذه المواعظ أبلغ بيان وأتمّه، إذا أقاموا سننه والتمزوا هديّه، بيّن الشيخان عبده ورضا ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٨].⁽²⁾

وخلاصة ما سبق تتمثل بالنقاط الآتية:

5

- عرض القرآن الكريم الصادقة المقطوع بصحتها ووقوعها، ثم اعتبار العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب: فإذا وُجدت المقدمات ترتبت عليها نتائجها بغض النظر عن الزمان والمكان والأشخاص، ومن ثمّ قياس الحوادث اللاحقة على السابقة وإلحاقها بها.
- حاكمية القرآن على باقي الكتب: فيقف المفسّر عند نصوصه، ولا يوضّحها إلّا بما يوافقها من الروايات الصحيحة، فليس بالضرورة أن تتفق نصوص القرآن الكريم مع الكتب المقدسة والنصوص التاريخية.
- لا يوثق بما زاده المؤرّخون والمفسّرون إلّا بعد البحث والتمحيص، ولا يؤخذ من الروايات إلّا الصحيح.
- لا يمكن عدّ التاريخ مصدراً أساسياً من مصادر التفسير رغم ضرورة إلمام المفسّر به، فهو أداة تعينه على إظهار المعاني، وتطبيقها على أرض الواقع باستحضار الوقائع التاريخية.
- الاستعانة بالتاريخ عنده لا تقتصر على بيان المبهمات، والتوسّع في الأحداث؛ بل وظّفه في أعماق من ذلك، فيستعين به على استجلاء العبر والحكم الكامنة وراء النصّ، وعلى فهم بعض الأحكام الفقهية، وغير ذلك.

10

15

المطلب الثالث: شبهات حول دراسة التاريخ

تعرّض تفسير المنار لعدّة شبهات متعلّقة بالتاريخ من حيث دراسته، ومن حيث علاقته بالقرآن الكريم، بالإضافة إلى بعض التفاصيل التاريخية التي أثّرت حولها الشبهات في التاريخ الإسلامي، وسيعرض هذا المطلب الشبهات المتعلّقة بدراسة التاريخ، وعلاقته بالقرآن الكريم.

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [النساء: 32] (44/5).

(2) ينظر: المصدر نفسه/ (102/4-103).

أولاً: التنفير من قراءة التاريخ بالكلية:

تعرض الشيخ محمد عبده إلى هذه القضية عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٤] فقال بعد حديثه عن إمام الصحابة رضي الله عنه: يعلم التاريخ وما يتبعه من علم البلدان بأنّ من الناس من ينهى عن قراءة التاريخ والاشتغال به،⁽¹⁾ فمن الكتاب المسلمين من نهي عنه بحجة أنّه دراسة عقيمة لا جدوى لها، وأنّ غايتها سرد القصص والتسامر بها؛ بل ذهب بعضهم إلى أنّها نوع من الغيبة المحرمة، كما تعرض المؤرّخون في العصر الحديث -سواء منهم المسلمون أو الغربيون- إلى النقد والسخرية بدعوى أنّها دراسة لا تحقّق نفعاً واضحاً، إلّا للمشتغل بالتدريس،⁽²⁾ فردّ الشيخ هذه الدعوى ببيان مضارّ الإعراض عن التاريخ، وهي:

1. قطع الصلة بالقدوة الحسنة والسلف الصالح، فلا يعلمون مبدأ الإسلام، ولا كيفية نشوئه وانتشاره، ولا كيف انتسبوا هم إليه، فمن عرف تاريخه عرف نفسه.
2. الإضرار بالفقه الإسلامي: فمن عرف طبائع الناس وأعرافهم ومصالحهم تبعاً للمكان والعصر الذي يوجد فيه الفقيه يعلم سبب الاختلاف بين الفقهاء، لذلك كان للإمام الشافعي -رحمه الله- مذهباً؛ قديم وحديث، وهذا متناسب مع صلاحية الدين لكلّ الأزمنة والشعوب.
3. ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: فهو يرى أن هذه المهمة لا تكون إلّا لعالم بالتاريخ مطّلع على أحوال الأمم السابقة وطبائع البشر.⁽³⁾
4. الإعراض عن أوامر القرآن الكريم بالنظر في أحوال الأمم وسنن الله فيها، وقد قال واصفاً التاريخ بالمرشد الأكبر للأمم العزيزة إلى التطوّر العمرانيّ وعزة السلطان: "وكان القرآن هو المرشد الأوّل للمسلمين إلى العناية بالتاريخ ومعرفة سنن الله في الأمم منه، وكان الاعتقاد بوجوب حفظ السنّة وسيرة السلف هو المرشد الثاني إلى ذلك، فلمّا صار الدين يؤخذ من غير الكتاب والسنّة أهمل التاريخ؛ بل صار ممقوتاً عند أكثر المشتغلين

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا، [آل عمران: 104] [30-29/4].

(2) ينظر: الإعلان بالتوبيخ، السخاوي/ ص 50-51، والتاريخ والمؤرّخون دراسة في علم التاريخ ماهيته وموضوعاته ومذاهبه ومدارسه عند أهل الغرب وأعلام كلّ مدرسة وبحث في فلسفة التاريخ ومدخل إلى فقه التاريخ، د. حسين مؤنس/ ص 26 و29-30.

(3) ينظر: تفسير المنار، رضا، [آل عمران: 104] [30-29/4].

بعلم الدين، فإن وجد من يلتفت إليه، فإتّما يكون متّبعاً في ذلك سنّة قوم آخرين".⁽¹⁾

ثمّ إنّ التاريخ ونقد رجاله - سواء في علم الجرح والتعديل أم غيره - لا يدخل في باب الغيبة؛ بل النصيحة الواجبة.⁽²⁾

وكذلك السيّد رشيد رضا أكثر من الحثّ على قراءة التاريخ والاستفادة منه، كما استفاد هو منه كثيراً في توضيح معاني كثير من الآيات، من ذلك قوله: "فهو يرشدهم بهذا النهي إلى تحكيم الإرادة في خواطرهم التي تتحدّث بها أنفسهم، لتصرفها عن الجولان فيما هو لغيرهم... وتوجهها في وقت الفراغ من الأعمال إلى ما هو أنفع وأشرف كالتفكّر في ملكوت السماوات والأرض، وسنن الله تعالى في هذا الخلق، ولا سيما سننه في حياة الأمم وموتها وقوّتها وضعفها، وتطبيق ذلك على أمّتهم، والتفكّر في أمر الآخرة، ونسبته إلى هذه الدنيا الفانية، وهو الذي يخفف عن النفس ما تحمله من أثقال الحياة وتكاليفها".⁽³⁾

5

ثانياً: دعوى اقتباس قصص القرآن الكريم من الكتب المقدّسة:

10

أصحاب هذه الشبهة هم أهل الكتاب ومن تبعهم فيها من الملاحدة، يرون أن القرآن الكريم قد أخذ قصص الأنبياء من الكتب السابقة له، وأنّه ﷺ تعلّمها في بعض أسفاره إلى الشام،⁽⁴⁾ أمّا ما خالف به تلك المصادر - كما يدّعون - فهو إمّا سوء حفظ منه، أو خطأ ممّن لقنه تلك القصص، أو غشّ منهم له.

15

وقد ردّها السيّد رشيد بأنّ النبيّ ﷺ لم يلتق قبل هجرته بأهل الكتاب لقاءً يمكن أن يتعلّم فيه كلّ هذه القصص، وبيان ذلك: أنّه ﷺ رحل إلى الشام رحلتين: أولاً برفقة عمّه أبي طالب وقد كان وقتها صبيّاً لم يتجاوز الثانية عشرة، والثانية في تجارة السيّدة خديجة رضي الله عنها وكان قد بلغ الخامسة والعشرين، إلّا أن رحلته كانت أياماً معدودة لا يتّسع فيها الوقت لتعلّم هذا الكمّ من القصص.

أمّا ما ادّعاه أهل مكّة من تعلّمه ﷺ القرآن من حدّاد روميّ، كان النبيّ ﷺ يقف عنده ويحادثه فقد

(1) تفسير المنار، رضا / [البقرة: 49] (227/1).

(2) ينظر: الإعلان بالتوبيخ، السخاوي / 51، والتاريخ والمؤرّخون، مؤنس / ص 30-31.

(3) تفسير المنار، رضا / [النساء: 32] (44/5)، وينظر أيضاً: [الأنعام: 118] (14-15)، [الأنفال: 28] (469/9).

(4) صاحب هذه الشبهة المستشرق جولدزيهر. ينظر: إتقان البرهان في علوم القرآن، د. فضل حسن عبّاس / (80/1).

ردّه القرآن الكريم نفسه بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [سورة النحل: ١٠٣]، ولا تخفى فصاحة القرآن الكريم وبلاغته على أصحاب الشبهة أنفسهم. وبذلك تثبت استحالة كون النبي الأمي ﷺ تعلّم القرآن الكريم من أحد من البشر عربيّ أو أعجمي، وتثبت نسبته إلى ربّ البشر ﷻ. (1)

وإنّ العلم ليثبت اليوم أنّ ما جاء في القرآن الكريم هو أوثق من أيّ كتاب آخر يعني بأخبار الأنبياء والأمم، سواء كان سماوياً أم أرضياً؛ بل أخباره صفوة تلك الأخبار وأصدقها. (2)

5

ثالثاً: ترتيب الأحداث التاريخية:

يأخذ أعداء القرآن عليه تقديم بعض الأحداث التاريخية وتأخيرها، فلا يراعي الترتيب الزمني لوقوعها، ومثال ذلك مقارنة قصة سيدنا صالح في سورتي الأعراف وهود، ففي الأولى ذكر أنّه ﷺ أتاهم بالمعجزة قبل ظهور إعراضهم عن الدعوة ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوَّمُ عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾ [سورة الأعراف: ٧٣]، إلى أن قال: ﴿قَالَ الَّذِينَ أَسْتَكَبُّرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَفِرُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٧٦]، وفي الثانية أحرّ المعجزة عن الإعراض، فبعد أن دعاهم إلى عقيدة التوحيد ردّوا عليه: ﴿قَالُوا يَصْلِحْ فَدَكَّنْتَ مِنَّا مَرْجُوءًا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [سورة هود: ٦٢]، ثمّ جاء ذكر الناقة ﴿وَيَتَقَوَّمُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾ [سورة هود: ٦٤]. (3)

10

15

والجواب عليه: بأنّ القرآن الكريم ليس مصدراً تاريخياً أو كتاب قصص تؤخذ منه الأخبار وحوادث الزمان؛ بل هو كتاب عبرة وموعظة تذكر فيه النعم مقرونة بأسبابها ليؤخذ بها، والنقم مقرونة بأسبابها — كذلك — لتتقى، إنذاراً للكافرين، وتثبيتاً للنبي ﷺ والمؤمنين، وإنّما يقدّم ويؤخّر بين الأحداث بما يضمن التأثير في السامع بأبلغ أسلوب يبيّن الحكم الإلهية والأحكام العملية دون أن يقع تعارض يخلّ بنظم

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [البقرة: 24] [158/1].

(2) ينظر: المصدر نفسه/ [البقرة: 24] [159/1]، [الأنعام: 25] [253/7-254].

(3) ينظر: المصدر نفسه/ [البقرة: 60] [238/1]، [الأعراف: 73] [397/8].

القصّة. (1)

ففي قصّة بقرة بني إسرائيل -مثلاً- كانت القضية مقتل رجل منهم لم يُعلم قاتله ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمُ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٧٢]، وقد بدأ القرآن القصّة بذكر وسيلة الخلاص ممّا هم فيه، وهو الأمر بذبح البقرة، وأرجأ ذكر سبب ذبحها -وهو حادثة القتل- خلافاً للترتيب المعهود من تقديم العلة على المعلول لما في المقدّم من العبرة، وهو الحوار الدائر بين سيّدنا موسى ﷺ وبني إسرائيل، وما فيه من تنطّعهم وتشديدهم على أنفسهم. (2)

5

قال الشيخ محمد عبده: "جاءت هذه الآيات على أسلوب القرآن الخاصّ الذي لم يُسبق إليه، ولم يُلحق فيه، فهو في هذه القصص لم يلتزم ترتيب المؤرخين، ولا طريقة الكتاب في تنسيق الكلام وترتيبه على حسب الوقائع حتّى في القصّة الواحدة، وإنّما ينسّق الكلام فيه بأسلوب يأخذ بمجامع القلوب، ويحرّك الفكر إلى النظر تحريكاً، ويهزّ النفس للاعتبار هزّاً". (3)

10

وقد أشار الشيخ محمد عبده إلى أنّ المؤرخين في العصر الحديث قد اهتموا إلى أسلوب القرآن هذا، فعرفوا أنّ الاهتمام بالجزئيات، وترتيب الحوادث أمر عسير، ويزداد عسره مع تقادم التاريخ وتكاثر النقول، وأنّه من الزينة في الوضع والتأليف، فيكتفى من التاريخ عرض الأحداث الكلّية، مع التركيز على ما يحتاجه الناس منها من أسباب ونتائج، وكذلك الروائيون والقصّاص، تنبّهوا إلى طريقة التقديم والتأخير حرصاً على جانب التشويق لدى القارئ. (4)

15

ومن أدلّ الأمثلة على ارتقاء قصص القرآن وإعجازها لكلّ أديب وقصّاص وروائي قصّة سيّدنا يوسف ﷺ، فقد تجلّت فيها كلّ المزايا الآنفة الذكر في ترتيب أحداثها العقلي المنطقي، واختيار أحداثها،

(1) ينظر: تفسير المنار / [البقرة: 60] (238/1)، [البقرة: 189] (145/2).

(2) ينظر: المصدر نفسه / (251/1) [الأأنفال: 5] (438/9).

(3) المصدر نفسه / [البقرة: 67] (251/1).

(4) ينظر: المصدر نفسه / [البقرة: 60] (238/1)، [البقرة: 67] (251/1).

وبراعة مطلعها وبراعة مقطعها،⁽¹⁾ فكانت بذلك دليلاً على إعجاز القرآن، ونبوة سيدنا محمد ﷺ.⁽²⁾

أراد شيخنا المنار من استعراض هذه الشبهة وتفنيدها إثبات أن القرآن الكريم وحي خالص من عند الله تعالى، وترفعه عن عقول البشر معارضةً وتقليداً، وانتقاداً وإساءة، وذلك لمواجهة الدعوات التبشيرية التي كانت منتشرة في زمنهما، ومهاجمتها للقرآن الكريم بتشكيكها بمصداقيته ومصادقية النبي ﷺ، وتأثر المسلمين بالدعوات الغربية إلى المدنية المحاربة للدين بشكل عام، وللإسلام بشكل خاص، فالحق أن الإسلام يمثل جوهر المدنية الحقّة التي ترتقي بالبشرية جمعاء.

5

(1) براعة المطلع: ويسمى (حسن الابتداء)، وهي رقة الكلام وسهولته في أوله، مع وضوح المعاني واستقلاله عمّا بعده، ومناسبته للمقام بحيث يجذب السامع، وتزداد براعة المطلع حسناً ببراعة الاستهلال وهي الإشارة إلى المقصود من الكلام في بدايته دون التصريح به. براعة المقطع: ويسمى (حسن الانتهاء) و(حسن الختام) وهو أن يكون آخر الكلام مستعدباً حسناً صحيح المعنى مشعراً بالتمام لتبقى لذته في الأسماع. ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب النويري/ (110/7 و113)، وجواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي/ ص341-343.

(2) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (178/12).

المبحث الثالث: ارتباط التاريخ بالسنن الإلهية في تفسير المنار، وتأثير الوعي السنني

لدى ابن خلدون فيه

التاريخ لا يمضي خبط عشواء، ولا تحكمه المصادفة؛ بل هو مبني على قواعد دقيقة من وضع الله تعالى، وسيبين هذا المبحث كيف توصل العلماء إلى هذه القواعد، وعلاقة المنار بمكتشف هذه القواعد والمنظر لها، وهو ابن خلدون.

5

المطلب الأول: ارتباط التاريخ بالسنن الإلهية في تفسير المنار

أبدى تفسير المنار اهتمامه بالسنن الإلهية كافة، سواء منها ما يتعلق بالتاريخ أم المجتمع أم الكون، فتعرض السيّد رشيد عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٧] إلى المعنى اللغوي للسنّة، وهو الطريقة المعبّدة والسيرة المتّبعة، أو المثل المتّبع، وهي من سنّ الماء إذا ولى صبه، لتوالي أجزائه على نهج واحد،⁽¹⁾ ثم قال: "ومعنى ﴿خَلَتْ﴾: مضت وسلفت؛ أي: إنّ أمر البشر في اجتماعهم وما يعرض فيه من مصارعة الحق للباطل، وما يتبع ذلك من الحرب والنزال والملك والسيادة وغير ذلك قد جرى على طرق قديمة وقواعد ثابتة اقتضاها النظام العام"،⁽²⁾ ونفى بذلك أن تكون مصائر الأمم تسير أنفأ تحكمها المصادفة، أو تحكماً استبدادياً لا حكمة فيه ولا عدالة قد يستثني الله تعالى بعضاً من خلقه من أحكامه - كما كان يرى بعض الفلاسفة - فيعذب أماً ويغفر لأخرى، ويثيب أماً ويحرم أخرى؛ ولكنّ القرآن الكريم بيّن أنّ الله تعالى قد سنّ بحكمته وعدله سنناً تجري على المؤمن والفاجر؛ بل على النبيّ والملحد، كما جرى مع المسلمين في أحد، وما طال النبيّ ﷺ من الأذى، ولأنّ من آمن بهذا الكتاب هو أحقّ الناس بفهم تلك السنن، أرشدنا إلى وجوب السعي في تحصيلها وبذل الجهد في البحث عنها، باستخدام الوسائل التعليميّة الأجدى والأكثر تأثيراً، فأمرنا بالسير في الأرض واستعمال النظر بالعين والعقل.⁽³⁾

10

15

(1) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري/ مادة (سَنَ)/ (301/12)، والمفردات، الراغب/ ص 244-245، وتفسير المنار، رضا/ (101/4).

(2) تفسير المنار، رضا/ (101/4).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ (102-101/4).

وقد قدّم الشيخ محمد عبده تعريفاً للسنن الإلهية في كتابه (الإسلام دين العلم والمدنية)، قال: "والسنن الطرائق الثابتة التي تجري عليها الشؤون، وعلى حسبها تكون الآثار، وهي التي تسمى شرائع أو نواميس"⁽¹⁾ وسياق كلامه في هذا الموضع يدلّ على أنّه قصد سنّة الله في الأمم والمجتمعات التي لا تتبدّل ولا تتحوّل، وهذا الثبات والاطّراد هو أصل العبرة بها، ووحدة نظام الجمعيّة البشريّة هو الضامن —لا سواه من أحساب وأنساب— لسعادة من نظر في أصوله، وشقاء من أعرض عنه.⁽²⁾

5

أمّا السيّد رشيد فلم يأت بتعريف دقيق للسنن الإلهية بسبب تركيزه على الجوانب التطبيقية، وتفعيل دور آيات أخبار السابقين في أحوال الحاضرين، ولكن تفسيره يبيّن مفهومه للسنن وهو: "قوانين الله تعالى الجارية في الكون، وفي البشر أفراداً وجماعات وأممّاً وفق نظام ثابت لا يتغيّر".⁽³⁾ فالسنن الإلهية تشمل عندهما نواميس الكون الطبيعية وقوانين الاجتماع في اعتمادها على قانون السببية؛⁽⁴⁾ ولكن تجدر الإشارة إلى أن لفظ (السنّة) في القرآن الكريم لم يأت إلّا في سياق الحديث عن الأوّلين والذين خلوا، على سبيل المثال قوله: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾ [سورة فاطر: ٤٣] ﴿سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾ [سورة

10

غافر: ٨٥]، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [سورة النساء: ٢٦]، ولذلك كان اهتمامهما منصباً على هذا النوع من السنن، لأنّه هو المتوافق مع اتّجاههما الهدائي الاجتماعيّ الإصلاحيّ في التفسير، أمّا سنن الكون والطبيعة فمجالها كتب العلوم، وإن أشار إليها القرآن الكريم فلا ثبات أنّه وحي معجز من الله تعالى.

15

وقرّر الشيخ محمد عبده أنّ السنن الإلهية من أهمّ العلوم التي دعا إليها القرآن الكريم، وبيّن أن القرآن حدّد مأخذها وهو أحوال الأمم السابقة، فيجب أن يكون في الأمة طائفة تبين تلك السنن، وتقوم على تدوينها تحت مسمّى (علم السنن الإلهية، أو علم الاجتماع، أو علم السياسة الدينيّة)،⁽⁵⁾ قال بعد بيان أسباب نصر الحقّ على الباطل: "وكان ذلك يجري بأسباب مطّردة وعلى طرائق مستقيمة، يُعلم منها

(1) ص 132.

(2) ينظر: الإسلام دين العلم والمدنية، محمد عبده/ ص 131-132، ومفهوم السنن الإلهية، محي الدين/ ص 84-85.

(3) مفهوم السنن الإلهية، محي الدين/ ص 115.

(4) ينظر: الإسلام دين العلم والمدنية، عبده/ ص 208-209، ومفهوم السنن الإلهية، محي الدين/ ص 85 و 114.

(5) ينظر: المصدر نفسه/ (4/100)، ومفهوم السنن الإلهية، محي الدين/ ص 85-86.

أنَّ صاحب الحقّ إذا حافظ عليه يُنصر ويرث الأرض، وأنّ من ينحرف عنه ويعيث في الأرض فساداً يُخذل وتكون عاقبته الدمار، فسيروا في الأرض واستقروا ما حلّ بالأمم ليحصل لكم العلم الصحيح التفصيلي بذلك، وهو الذي يحصل به اليقين ويترتب عليه العمل⁽¹⁾. فالكافر العارف بالسنن والأسباب الآخذ بها أولى بالنصر من مسلم متواكل جاهل بسنن الله يعتمد على خوارق العادات، وإن كان الأول يعلم أنّ هذه السنن والقوانين من وضع الله تعالى أو لا، وبالمقابل لو أنّ فريقين تساويا في الأخذ بسنن الله تعالى؛ ولكنّ أحدهما توجّه استعداده بالإيمان بالنصر للمؤمن منهما دون الكافر في الدنيا، فضلاً عن نجاته في الآخرة⁽²⁾.

5

ويرى السيّد رشيد أنّ العلم بالسنن الإلهية من أهمّ العلوم بعد العلم بالله تعالى وصفاته، فيجب أن لا تقلّ العناية به عن العناية بأيّ فرع من فروع الشريعة الأخرى التي أولاها العلماء كلّ اهتمامهم، وغفلوا عن هذا العلم الذي به حفظ دين الأمة ودنياها، وفيه ما ينمّي فيها الأمل بروح الله وتحقيق ما وعد به من نصر دينه وعلوّ كلمة المسلمين واستخلافهم في الأرض، فهو غاية ووسيلة في آن واحد؛ غاية لبلوغ الرقيّ الإنسانيّ إذا نظر فيه إلى الجانب الإنسانيّ والجانب الربانيّ، ووسيلة لكمال العلم بالله تعالى وصفاته، وأقرب الطرق إليه، إذ به تعرف حكمة الله تعالى وعدله في خلقه⁽³⁾.

10

لقد صرّح السيّد رشيد بأنّ من سنّة القرآن الكريم أن يقرن قصصه بسنن الاجتماع الحاكمة على أحداث تلك القصص، لأجل استفادة العبرة والموعظة، كختمه قصص سورة الأعراف بتسع آيات بين فيها خلاصتها والدروس المرادة منها مبدوءة بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٩٤]، إلى قوله: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٠٢] هذه الآيات توبيخ لأقوام الأنبياء لجهلهم بسنن التاريخ، وادّعاءهم أنّ أحداث التاريخ لا يمكن إدراكها، لأنّها تجري كيفما اتفق، فهم لا يعلمون أسباب السراء والضراء التي أصابت أسلافهم، فيقفون منها موقف المتفرّج الذي لا يملك من أمره شيئاً، فكان

15

(1) تفسير المنار، رضا/ (102/4).

(2) ينظر: المصدر نفسه/ [الأنعام: 165] (201/8-202).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ [الأنعام: 65] (366/7-367) ومفهوم السنن الإلهية، محي الدين/ ص 129-130 و133.

عاقبتهم ﴿فَاخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٩٥] (1) "لأنهم كانوا يجهلون سنن الله تعالى في الاجتماع البشري فلا عرفوها بعقولهم، ولا هم صدّقوا الرسل في نُذُرهم، وهذا معنى قوله تعالى في سياق سورة الأنعام الذي ذكرناه آنفا: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٤٤]". (2)

5

وقد جعل السيّد رشيد للسنن الإلهية في الكون والأمم خصائص، تعطىها السلطة لتحكم تحركات الأمم، وتنظّمها، وهذه الخصائص هي:

1. الربانيّة: فقد نسبها الله تعالى إلى ذاته في مواضع عدّة منها: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٨]، فإنّ واضعها هو الله تعالى بحكمته وإرادته، ولا يمكن أن تفعل في الكون من تلقاء نفسها، ولذلك فإن الإحاطة بهذه السنن والعمل بها لا ينفع دون الإيمان بواضعها ومسببها. (3)

10 2. الحاكمية: فلا يستثنى أحد من أحكام تلك السنن، حتى الأنبياء عليهم السلام، فالميزان واحد يوزن به البشر جميعهم، ومن هذه الخاصيّة يتجلّى عدل الله تعالى في معاملة خلقه. (4) قال تعالى مبيناً جزاء ركون النبي ﷺ إلى المشركين -لو فعله- ﴿إِذَا لَاقَ فَجْكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْهَا نَصِيرًا﴾ [سورة الإسراء: ٧٥]، ولو لم تتّصف السنن بهذه الصفة لضاع الناس في متاهة الاستثناءات والمحاباة، ولما استطاعوا معرفة تلك السنن، ثمّ تعميمها على الأحوال المشابهة.

15 3. الثبات: فهي سنن لا تتغيّر ولا تتحوّل -كما وصفها الله تعالى بقوله: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [سورة فاطر: ٤٣] - ففهي مستمرة لا يطرأ عليه تغيير أبداً، فلو كانت متغيّرة متقلّبة لكان ذكرها في القرآن الكريم لغواً، ولانعدمت الاستفادة منها فس عمارة الأرض

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (12/9-14).

(2) المصدر نفسه/ (14/9).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ [آل عمران: 151] [127/4]، [الأعراف: 95] [16/9-17]، ومفهوم السنن الإلهية، محي الدين/ ص116-117.

(4) ينظر: المصدر نفسه/ [آل عمران: 126] [83/4]، [النساء: 49] [111/5]، ومفهوم السنن الإلهية، محي الدين/ ص117.

وأحوال الأمم متشابهة على مرّ العصور، وشرع الله فيها جاء على ألسنة الرسل جميعهم.⁽¹⁾ وهذا الثبات والبقاء هو الداعي -أيضاً- إلى النظر في أخبار التاريخ، والإفادة منها.

4. العموم: فهي تشمل الكون ونواميسه، وعالم الروح، وكذلك البشر والمجتمعات وعلاقاتها بالدرجة نفسها، على اختلاف السنن الخاصة بكلّ عالم من العوالم، وهي تدلّ بذلك على وحدانية الله تعالى وقدرته.⁽²⁾

5. الاطراد: وهو قابلية السنن للتكرار إذا توفّرت شروطها، وانتفت الموانع من حدوثها، وهي بذلك منضبطة

بخطّة ربّانية واضحة المعالم، يمكن التنبؤ بها حسب المعطيات، أساسها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا

بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [سورة الرعد: ١١]، وحسب النماذج التي قدّمها القرآن الكريم، والتاريخ عموماً؛ بل

يمكن التحكّم بها بتوفير شروطها، وإزالة موانعها،⁽³⁾ أمّا معجزات الأنبياء فقد رفع الله تعالى الاطراد عن

سننه -وهو واضعها- في حالات خاصّة ولمدّة محدودة، اقتنضتها حكمة الله تعالى في تأييد أنبيائه، وبيان

إحاطة قدرته تعالى بالكون ونواميسه، وتحكّمه بها.⁽⁴⁾

10

فهذه السمات للسنن الإلهية في الأمم والأقوام تحدّد جدوى دراسة هذا العلم، وتأثيره في تسيير

حياة البشرية إذا نظر الباحث فيه نظرة مستفيد معتبر، يقيس الحاضر على الماضي ليصل إلى النجاة في

المستقبل.

لذلك أكّد تفسير المنار في مواضع كثيرة على أنّ قصص القرآن الكريم وأخباره لا تهدف إلى سرد

أحداث تاريخية مفصّلة؛ بل إلى استنباط سنن الله في الأمم الخالية من خلال تلك الأخبار، فإذا ثبت أنّ

القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد، نزل ليدلّ الناس على سبل السعادة في الدنيا والآخرة تبين وجوب

البحث عن سنن الله في أخبار كتابه، لتحقيق مراد الله منه، ومن قرأ أخبار القرآن معرضاً عن هدايته، لا

يسعى إلى استنباط سننها ودروسها كان كالطفل المشاهد لأفلام الرسوم المتحركة، لا يملك تجاهها أمراً،

15

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [النساء: 60] [161/5]، [الأنعام: 123] [28/8]، ومفهوم السنن الإلهية، محي الدين/ ص 118-119.

(2) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [آل عمران: 163] [156/4]، [المائدة: 97] [88/7]، ومفهوم السنن الإلهية، محي الدين/ ص 119-120.

(3) ينظر: العروة الوثقى، الأفغانيّ وعبدّه/ ص 213-214، تفسير المنار، رضا/ [آل عمران: 138] [100/4] و(33/10)،

ومفهوم السنن الإلهية، محي الدين/ ص 120-121.

(4) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [178/11]، ومفهوم السنن الإلهية، محي الدين/ ص 121-122.

ولا يعي منها شيئاً، ونصيبه منها التسلية فحسب،⁽¹⁾ لذلك دعا تفسير المنار إلى ضرورة وجود طائفة من علماء الاجتماع الساعين نحو الإصلاح بإخلاص وصدق، ليرثوا مهمة الأنبياء في التماس سنن الله تعالى في أخبار كتابه لأجل الاعتبار بها.⁽²⁾

ويتجلى الجانب العملي التطبيقي في تفسير المنار لاستنباط السنن من مصدرها الأساسي الذي حدّده الشيخ محمد عبده -وهو أحوال الأمم الماضية- في إسقاطاته على الواقع عند كل مناسبة تقتضي ذلك، وقياس حال الأمة في عصره على أحوال تلك الأمم، فينتقل من صورة الأحداث الحالية إلى صورة الزمن الراهن، مؤكداً على أن ما وُجّه إليهم من خطاب إنما هو موجه إلى كل من طرق سمعه في كل زمان أصالة وليس بالتبع، ومخاطباً بذلك من بيده أمر الإصلاح من الحكّام والعلماء والدعاة، مقدّماً استطرادات تاريخية مصحوبة بالأسباب والسنن التي أدّت إلى حدوثها، ساعياً إلى التماس الحلول العقلية العملية في مواجهة الأزمات التي كانت تجتاح الأمة آنذاك، وقد برز أسلوب المنار الصحفيّ الإصلاحيّ -وخصوصاً السيّد رشيد رضا- في ختام مناقشاته العقلية والعلمية، وذلك لأجل استنهاض الهمم وتحريك المشاعر، وكثيراً ما يستعمل أسلوب التوكيد اللفظي⁽³⁾ والاستفهام بأغراضه المتنوعة، كإشارة السيّد رشيد بعد تفسير

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ ۖ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [سورة النساء: ٤٩] إلى وجوب اتّقاء الغرور بالدين الذي وقع فيه أهل الكتاب في عصر النبوة وقبله وبعده بقرون، واطّراد سنّة الله فيهم حتّى المسلمين منهم، ثمّ قال: "فإلى متى -أيّها المسلمون- هذا الغرور بالانتماء إلى هذا الدين، وأنتم لا تقيمون كتابه ولا تهتدون به، ولا تعتبرون بما فيه من النذر؟ ألا ترون كيف عادت الكثرة إلى تلك الأمم عليكم بعد ما تركوا الغرور، واعتصموا بالعلم والعمل بما جرى عليه نظام الاجتماع من الأسباب والسنن، حتّى ملكت دول الأجانب أكثر بلادكم، وقام اليهود الآن ليجهزوا على الباقي لكم، ويستردّوا البلاد المقدّسة من أيديكم وقيموا فيها ملكهم؟"⁽⁴⁾ ثمّ تبنّيه ثانية إلى ضرورة الالتزام بهدي القرآن الكريم، والإعراض

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [البقرة: 211] [218-189/2]، [الأنعام: 25] [253/7] [الأنعام: 165] [232-233/8].

(2) ينظر: المصدر نفسه/ [المائدة: 26] [250/6]، [الأنفال: 26] [469/9].

(3) التوكيد اللفظي: هو اللفظ المكرر به ما قبله كقوله تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ فَأُولَىٰ ۖ ثُمَّ أَوَلَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ﴾ [القيامة: ٣٤-٣٥]. وكذا ضربت زيداً (زيداً)، ويكون مقترناً بعطف وغير مقترن، ويكون للكلمة وللجملة. ينظر: أوضح المسالك إلى شرح ألفية ابن مالك، جمال الدين عبد الله بن يوسف ابن هشام/ (338-336).

(4) تفسير المنار، رضا/ (111/5).

عن المضلّين المتبطّين، الذين وصفهم بقوله: "وما غرضهم بذلك إلّا سلب أموالكم، وحفظ جاههم الباطل فيكم، أفيقوا أفيقوا، تنبهوا تنبهوا، واعلموا أنّ الله لم يظلم ولا يظلم أحداً فتيلاً، فما زال ملككم، وذهب عزكم، إلّا بترك هداية ربكم، واتّباع هؤلاء الدجالين منكم".⁽¹⁾

فملاح ارتباط التاريخ بالسنن التي يمكن استنتاجها من تفسير المنار تتلخّص بما يأتي:

- 5 1. معرفة سنن الله في الأمم غاية في ذاتها، ووسيلة لمعرفة عدد من صفات الله تعالى كحكمته وعدله بين خلقه.
2. تعدّد الإشارة إلى سنن الاجتماع من سنّة الله في قصص القرآن الكريم.
3. التعويل في الاعتبار بالسنن على اتّصافها بالحكمة والثبات والاطّراد.
4. اقتصار القرآن الكريم على الأحداث المبيّنة للسنّة الإلهية المعينة على الاعتبار، وترك ما زاد عن ذلك.
5. الخطاب في قصص القرآن موجّه لكلّ البشر، ليقيسوا حالهم على حال من سبقهم، ويُنزلوا ما حلّ بهم على أنفسهم، ويجعلوا الماضي مرآة للحاضر.

10

بقي الإشارة إلى أنّ السيّد رشيد يرى أنّ الله تعالى أرجأ الحديث عن سننه في الأمم إلى اكتمال العقل البشريّ، وبلوغه النضج، فلم يأت في كتاب قبل القرآن ذكر لهذا الجانب، قال: "هذا إرشاد إلهيّ، لم يعهد في كتاب سماويّ، ولعلّه أرجى إلى أن يبلغ الإنسان كمال استعداداته الاجتماعيّ، فلم يرد إلّا في القرآن، الذي ختم الله به الأديان"،⁽²⁾ فقد امتاز القرآن الكريم على باقي الكتب السماويّة السابقة بتنظيمه لمفهوم السنن الإلهيّة، وأعطاه المكانة الخاصّة به، وإن كانت الرسائل السابقة كلّها راعت السنن الإلهيّة

15

ودعت الناس إلى مراعاتها على لسان أنبيائهم، كقوله تعالى على لسان سيّدنا شعيب عليه السلام: ﴿وَيَقَوْمٍ لَا يُجْرِمَكُمُ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمُ نُوحٍ أَوْ قَوْمُ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ [سورة هود: ٨٩]، وقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمٍ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ (٣٠) مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ [سورة غافر: ٣٠-٣١] ففي هذه الآيات إشارة إلى الاعتبار بأخبار الأمم السابقة على لسان الأنبياء والصالحين قبل عصر النبوة.

20

(1) تفسير المنار، رضا/ (111/5). وينظر أيضاً: (226/1-227) و(86/4). ومفهوم السنن الإلهيّة، محي الدين/ ص242-243.

(2) المصدر نفسه/ [آل عمران: 137] (101/4).

المطلب الثاني: أثر الوعي السنني لدى ابن خلدون في تفسير المنار

بعد أن كان ابن خلدون رائداً—وهو من أعلام القرن الثامن— في التفسير الإسلامي للتاريخ المبني على السنن الإلهية أصيب الفكر الإسلامي بحالة من الجمود ذهبت بالتاريخ الاجتماعي الذي تبناه، واستمرت هذه الحالة حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، إذ عاد الفكر الإسلامي إلى النشاط استجابة لحاجات ذلك العهد، وفيها ظهر الشيخ محمد عبده الذي حمل هم الأمة وسعى في إصلاحها معتمداً في جانب واسع من خطته الإصلاحية على السنن الإلهية بطريقة ابن خلدون نفسها، وتبعه تلميذه السيد رشيد رضا.⁽¹⁾

5

وكان لابن خلدون حصّة في تفسير المنار، فقد استشهد بعدد من آرائه في عدد من المواضع، ونوّه صاحبه بتاريخه الذي يعدّ نقطة تحوّل وتحديد في كتابة التاريخ، فكان أوّل من جعل من السنن الإلهية علماً مدوّناً، إذ نقل التاريخ من مجرد نقل للأخبار مسندة بأسانيدھا إلى طور جديد قام فيه باستنباط قواعد العمران وأصول الاجتماع—الذي اعتبره السيد رشيد من ثمرات علمي التاريخ والأخلاق—من خلال الوقائع المروية في صفحات الزمان، بعد أن كان المسلمون في غفلة عن قواعده الماثلة في القرآن، التي ربّ عليها سيّدنا محمد ﷺ أصحابه ﷺ، وكان الشيخ محمد عبده يدرّس مقدّمة ابن خلدون في الأزهر على اعتبارها الكتاب العربي الوحيد في بابہ ممّا يرغب طلاب الأزهر بقراءته، فكان موحياً له بتأليف كتابه المفقود (فلسفة الاجتماع والتاريخ).⁽²⁾

10

15

وقد أشار تفسير المنار إلى عدم استفادة المسلمين ممّا كتبه ابن خلدون، وأرجع السبب في ذلك إلى تدوينه في عصر انحطاطهم، فما زالوا في تراجع وتدهور حتى اكتشف الغربيون الفكر الخلدوني، وترجموه واستفادوا منه، وبنوا عليه أصول الاجتماع الغربي الحديث التي يتعلّمها منهم المسلمون اليوم،⁽³⁾ وإذ نحن أولى بهذا الإمام المؤرّخ المسلم فقد أشار الشيخان عبده ورضا إلى ضرورة العودة إلى نتاجه والإفادة منه، وتحقيق ما كان يأمل ممّن يأتي بعده من العلماء بإكمال ما بدأ به سلفنا وأضعناه، والعمل على توسيعه

20

(1) ينظر: مفهوم السنن الإلهية، محي الدين/ ص 83-84.

(2) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [البقرة: 49] [227/1]، [آل عمران: 104] [31/4]، [يونس: 14] [230/11]، وتاريخ الأستاذ الإمام، رضا/ [777-778].

(3) ينظر: المصدر نفسه/ [الأنعام: 132] [88/8]، [يونس: 14] [230/11].

وتطويره، بإعداد علماء حاذقين في علمي التاريخ والأخلاق، يكونون أهلاً لاستنباط قواعد العمران والاجتماع منهما مقتدين بابن خلدون، معتمدين على القواعد العمرانية الكثيرة التي أودعها الله تعالى في كتابه، وفي سنة نبه عليه ﷺ، فقد كان هذا العلم وقتئذ في طور التدوين والوضع لما يكتمل بعد.⁽¹⁾

قال السيد رشيد متحدثاً عن أهمية علم الاجتماع: "وفي القرآن الحكيم أهم قواعد وأصوله، وقد سبق بعض الحكماء المسلمين إلى بيان بعضها، وبدأ ابن خلدون بجعله علماً مدوناً يرتقي بالتدريج كغيره من العلوم والفنون؛ ولكن استفاد غير المسلمين مما كتبه في ذلك، وبنوا عليه ووسعوه فكان من العلوم التي سادوا بها على المسلمين الذين لم يستفيدوا منه كما كان يجب؛ لأنه كتب في طور تدليهم وانحطاطهم؛ بل لم يستفيدوا من هداية القرآن العليا في إقامة أمر ملكهم وحضارتهم على ما أرشدهم إليه من القواعد وسنن الله تعالى فيمن قبلهم".⁽²⁾

5

ويرى السيد رشيد أنّ جهود ابن خلدون في السنن وطبائع العمران بمنزلة المنقذ للأمة إذا ما تركت ما هي فيه من الدعة وانتظار المعجزات، وبذلت جهدها بالاستعداد للنهوض بشئ الوسائل، قال في سياق حديثه عن أحاديث المهديّ في فصل عقده في قرب الساعة وأشراتها: "وقد جاءهم النذير، ابن خلدون الشهير، فصاح فيهم أنّ الله سنناً في الأمم والدول والعمران، مطّردة في كلّ زمان ومكان، كما ثبت في مصحف القرآن، ومصحف الأكوان، ومنها أنّ الدول لا تقوم إلّا بعصبية... ولو سمعوا وعقلوا لسعوا وعملوا، ولكان استعدادهم لظهور المهديّ بالاهتداء بسنن الله تعالى رحمة لهم".⁽³⁾

10

لم يكن السيد رشيد مصنفّاً بين علماء التاريخ وفلسفته بالمعنى الأكاديمي للكلمة، وإنّما كانت بضاعته في هذا العلم مستمدة من القرآن الكريم ودروسه، وقراءاته للواقع وللتاريخ؛⁽⁴⁾ ولكنّه استطاع أن ينقد بعض أفكار ابن خلدون ويناقشها، وقد صرح بأنّ علم الاجتماع والعمران قد تطوّر من بعده، فكشف عن خطئه في بعض المسائل بعد أن بلغ القمة في عصره في اختصاصه،⁽⁵⁾ وتلك هي طبيعة العلوم

15

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [البقرة: 49] [227/1]، [آل عمران: 104] [31/4]، [يونس: 14] [230/11-231].

(2) المصدر نفسه/ [الأنعام: 132] [88/8].

(3) المصدر نفسه/ [365/9].

(4) ينظر: مفهوم السنن الإلهية، محي الدين/ ص 243-244.

(5) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [النساء: 82] [207/5].

فلا يغضّ ذلك من قيمة كتابات ابن خلدون وأفكاره.

والمسألة التي خالفه فيها هي مسألة تحديد عمر الأمم بمئة وعشرين سنة تقريباً (ثلاثة أجيال)، ساقها في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٣٤]، فبين أنّ الفساد إذا استشرى في الأمة عجز عنه علماء الاجتماع، أمّا إذا تداركوه فقد يتمكنون من استئخار هلاكها أو منعه، كالأفات التي تصيب الأبدان، وقد أصاب ابن خلدون في حديثه عن هرم الأمة، وأنّه إذا وقع لا يرتفع، وخطؤه كان في تحديد الأجل بالسنوات، فقال السيّد رشيد: "ولو قال: عمر الدولة ثلاثة أيام من أيام الله؛ طفولية، وبلوغ أشدّ ورشد، وشيخوخة وهرم، ولم يقدرها بالسنين لسدّد وقارب".⁽¹⁾

5

ومثال ما وافقه به ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ [سورة النساء: ٨٠]، إذ اقتبس من ابن خلدون المقارنة بين تأثير التحضّر والبداءة في نفوس الأفراد، فأهل الحضرة الذين يؤخذون بقوة السلطة وشدة الأحكام يذهب بأسهم، ويغلب عليهم الجبن، بخلاف الناشئين في حرّية البداءة البعيدة عن أحكام السلطان، لذلك جعل الإسلام الوازع في طاعته نفسياً لا إكراه فيه، مبنياً على عقيدة راسخة - كما كان شأن الصحابة - لا عن تأديب تعليمي صناعي.⁽²⁾ فلم يسلم السيّد رشيد لابن خلدون - رغم إعجابه بفكره بصورة عامّة - بل ناقشه فيما لم يقتنع به، مستفيداً ممّا اطلع عليه من علم الاجتماع والتاريخ وفلسفته، وممّا شاهده أو قرأه من أحداث تاريخية حدثت بعد ابن خلدون.

10

15

(1) تفسير المنار، رضا/ (324/8).

(2) ينظر: المصدر نفسه / [النساء: 80] (201/5).

الفصل الثاني

موارد العبرة التاريخية في القرآن الكريم في ضوء تفسير المنار

المبحث الأول: الاعتبار بأخبار الأمم السابقة وقصصها.

المبحث الثاني: الاعتبار بالأخبار المتعلقة الدعوة الإسلامية.

الفصل الثاني: موارد العبرة التاريخية في القرآن الكريم في ضوء تفسير المنار

تعددت الموارد التي استقى منها تفسير المنار عبر التاريخ ودروسه خلال تناوله آيات القرآن الكريم، وفي المبحثين الآتيين تقسيم لهذه الموارد تقسيماً زمنياً، مع ما يتصل بها من مسائل كما وردت في تفسير المنار.

المبحث الأول: الاعتبار بأخبار الأمم السابقة وقصصها

5

شغلت أخبار الأمم السابقة المكان الأول والمورد الأغزر في القرآن الكريم لالتماس العبر من التاريخ من بين موارد العبرة، فهي تلخص لنا تجارب البشرية منذ بدايتها إلى ختم الرسالات بالإسلام، لذلك كانت معظم العبر التاريخية في تفسير المنار مستقاة من تلك الأخبار، وسيتناول هذا المبحث طريقة القرآن الكريم في عرض الخبر التاريخي، ثم موقف المنار من حقيقة أخبار القرآن الكريم.

المطلب الأول: تأصيل طريقة القرآن الكريم في عرض العبر التاريخية من القصص القرآني

10

تنوعت طرق القرآن الكريم في عرض العبر المستخلصة من أخبار الأمم السابقة، فتارة يقصّ القصة متناولاً من أحداثها وشخصياتها ما يعزّز العبرة ويُجلبها للقارئ، وتارة يذكر المسلم بالأمم السالفة، فيحيله إلى البحث في تاريخها وما حلّ بها، وتارة أخرى يأمره بالسير في الأرض، لمشاهدة آثار الذين خلوا، وفيما يأتي تفصيل هذه الطرائق الثلاثة مستفادة من تفسير المنار.

أولاً: التفصيل في أحداث وشخص القصص بما يعزّز العبرة ويُجلب فوائدها ومزاياها:

15

اهتم القرآن الكريم بقصص الأنبياء والأمم السابقين؛ ولكنه لم يأت بقصصهم لتدوين تاريخهم؛ بل لأجل الاعتبار بما حلّ بهم، والاعتداء بصالحهم، بمعرفة أسباب قوّتهم وعلمهم وعزّهم، واجتناب أسباب الضعف والجهل والذلة، فلا شيء يهدي الإنسان كالمثّلات⁽¹⁾ والوقائع⁽²⁾ وقد جعل الشيخ محمد عبده القصص القرآنيّ خامس خمسة أمور اشتمل عليها القرآن، أشار إليها في الفاتحة، فجاءت بعد التوحيد،

(1) المثّلات: بضمّ الميم وفتحها جمع مثّلة، وهي العقوبة، ومثّل به: نكّل به وجعله مثلاً يردع به غيره. ينظر: الصحاح، الجوهري، (مثل)/ (1816/5).

(2) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [الفاتحة:7] (53/1)، [البقرة:125] (330/1-331).

والوعد والوعيد، والعبادة، وبيان أسباب سعادة الإنسان في الدنيا الآخرة، قال: "خامسها: قصص من وقف عند حدود الله تعالى وأخذ بأحكام دينه، وأخبار الذين تعدوا حدوده ونبدوا أحكام دينه ظهرياً؛ لأجل الاعتبار، واختيار طريق المحسنين ومعرفة سنن الله في البشر"،⁽¹⁾ أشار إليها في قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [سورة الفاتحة: ٧]، ففيها دعوة إلى اتباع صراط الذين أنعم الله عليهم بالهداية، واجتناب سبيل الضالين والمغضوب عليهم وفق ما فصله القرآن الكريم من أخبارهم في ثنايا سورة وآياته.⁽²⁾

5

- فوائد القصص القرآني التي أشار إليها تفسير المنار:

أهم الحكم والفوائد التي سيقّت لأجلها القصص في القرآن الكريم، وأولها تفسير المنار اهتمامه:

1. العبرة والموعظة: صرح القرآن الكريم أنّ أصل الدين وعقيدة التوحيد متّحدان في كلّ الرسالات السماوية، وكذلك عبادة الله وحده، والسعي في عمل البرّ وترك الشرّ، والتخلّق بالأخلاق الفاضلة، ولا تكون الفائدة من هذه القصص إلّا من خلال إعمال العقل، والبحث عن الأدلّة، وترتيب المسبّبات على أسبابها.⁽³⁾

10

وقد أُنذر الله ﷻ عاقبة الجهل بسنن الله في أسباب الصلاح والفساد في البشر بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾^(٩٤) ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَىٰ ءَابَاءُنَا الضَّرَّاءِ وَالسَّرَّاءِ فَأَخَذْنَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٩٤-٩٥] فإنّما أخذهم الله في غفلتهم لجهلهم بقوانين الاجتماع البشريّ رغم دلالة العقل عليها وإرسال الرسل بها؛ وغفلتهم عن أنّ ما أصاب أجدادهم من سرّاء فهو مثوبة من الله، وما أصابهم من ضرّاء فهو عقوبة منه تعالى.⁽⁴⁾

15

وعند تفسير قوله تعالى على لسان سيّدنا صالح عليه السلام: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾

(1) تفسير المنار، رضا/ (31/1).

(2) ينظر: المصدر نفسه/ (30-32/1).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ (53/1).

(4) ينظر: المصدر نفسه/ (14/9).

[سورة الأعراف: ٧٣] في بداية قصته قال السيّد رشيد: "قد علمنا من سنّة القرآن وأساليبه في قصص الأنبياء مع أقوامهم أنّ المراد بها العبرة والموعظة ببيان سنن الله تعالى في البشر وهداية الرسل عليهم الصلاة والسلام؛ لا⁽¹⁾ حوادث الأمم وضوابط التاريخ مرتبة بحسب الزمان أو أنواع الأعمال".⁽²⁾

2. إثبات نبوة سيّدنا محمد ﷺ: لم يكن أهل مكّة -وهم المخاطبون أولاً بالقرآن الكريم- أهل ثقافة ولا علم بقصص الأمم السابقة، إلّا بعض إشارات في أشعارهم، أو معلومات ممّن خالطوهم من أهل الكتاب،⁽³⁾ فعلم النبي الأمي ﷺ بتفاصيل أخبارهم، وشؤون كتبهم، وحقائق تاريخهم، وتحريفهم كتبهم ونسيان بعضها، دليل كاف على أنّ القرآن الكريم وحي من عند الله ﷻ، وحجّة دامغة على عناد أهل الكتاب فضلاً عن عناد أهل مكّة، ولكن قال الله فيهم: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [سورة المائدة: ٦٤]، إلّا أنّ بعضاً من رجال الدين في أوروبا اليوم قد اكتشفوا صدق القرآن الكريم فيما صححه من عقائدهم.⁽⁴⁾ قال السيّد رشيد في تفسير هذه الآية: "أي: إنّ هذا الذي أنزلناه عليك من خفيّ أمور هؤلاء اليهود المعاصرين لك، ومن أحوال سلفهم وشؤون كتبهم وحقائق تاريخهم هو من أعظم الحجج والآيات على نبوتك، فكان ينبغي أن يجذبهم إلى الإيمان بك؛ لأنك لولا النبوة والوحي لما علمت من ذلك شيئاً؛ لا من ماضيه لأنك أمّي لم تقرأ الكتب... ولا من حاضره لأنّه من خفايا مكرهم وأسرار كيدهم".⁽⁵⁾

فقصة سيّدنا يوسف عليه السلام على سبيل المثال جاءت على نسق منطقيّ عقليّ بديع في نظمها وسرد أحداثها وبراعة مطلعها ومقطعها، ورسول الله ﷺ لم يكن عنده شيء من علوم الأدب شعراً ولا نثراً... ولم

(1) في طبعة دار الفكر (لأنّ) ولا يستقيم المعنى -حسب السياق ومراد المؤلف- إلّا أن تكون خطأ طباعياً تصحيحه: (لا أنّ)، وما أثبت في النصّ منقول عن طبعة دار المنار: (502/8).

(2) تفسير المنار، رضا/ (397/8). ينظر مثال آخر: [البقرة: 246] (325/2). وينظر: المعجزة الكبرى القرآن، محمّد أبو زهرة/ ص 203، ومناهج المفسّرين في بحث القصص القرآنيّ، زكريّا هاشم حبيب الخولي، أطروحة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية، جامعة القاهرة-كلية دار العلوم/ (1425هـ/2005م)، إشراف: أ.د. محمّد نبيل غنيم، وأ.د. محمّد شفيع السيّد/ ص 35.

(3) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [الأعراف: 59] (389/8).

(4) ينظر: المصدر نفسه/ [البقرة: 24] (157/1-158) [المائدة: 64] (337/6-338).

(5) المصدر نفسه/ (337/6-338). وينظر: مناهج المفسّرين في بحث القصص القرآنيّ، حبيب الخولي/ ص 31.

يتعلم التاريخ ولا القراءة ولا الكتابة، فمن أين يأتي بما على هذا النحو إلّا وحياً من عند الله تعالى؟⁽¹⁾

3. تثبيت قلب النبي ﷺ والمؤمنين: مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا

نُثِبْتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [سورة هود: ١٢٠] جاءت هذه الآية في خواتيم السورة لتبشر النبي ﷺ والمؤمنين بأنّ العاقبة لهم إن التزموا سنة الله في رسله وأقوامهم الوارد ذكرها، وتنذر الكافرين المعاندين أن يحلّ بهم ما حلّ بسلفهم وفق سنة الله -أيضاً- ما داموا على كفرهم، قال السيّد رشيد: "نقصّ منها عليك ما ثبتّ به فؤادك؛ أي: نقوّه ونجعله راسخاً في ثباته كالجبل في القيام بأعباء الرسالة، ونشر الدعوة بما في هذه القصص من زيادة العلم بسنن الله في الأقوام، وما قاساه رسلهم من الإيذاء فصبروا صبر الكرام".⁽²⁾ ففي اطلاع النبي ﷺ والمؤمنين على قصص الأقوام السابقين وعنادهم ومكابرتهم رغم ما أنعم الله عليهم، ومقارنتهم بقومهم الحاضرين تسلية لهم وإزالة لتعجبهم من كفرهم رغم وضوح الأدلّة والبراهين،⁽³⁾ لذلك اقتضت حكمته تعالى أن تتكرّر هذه التسلية في مواطن عدّة من القرآن بصيغ عامّة، بإخباره ﷺ بسنة الله في نصرته أنبيائه، كقوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ (٧١) ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ (٧٢) ﴿وَلَنْ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [سورة الصافات: ١٧١-١٧٣]، وصيغ خاصّة بنصرته ﷺ، كقوله: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [سورة الحجر: ٩٥]،⁽⁴⁾ كرّرها بتكرار المواقف المسيّبة لحزن قلبه الشريف ﷺ، فمن طبيعة البشر التأثير بالتأسي بمن سبق.⁽⁵⁾

وللقصص القرآنيّ فوائد وحكم كثيرة إضافة إلى ما ذكر، اهتمّ العلماء بدراستها وجمعها، منها بيان قدرة الله تعالى على خوارق العادات وبيان بعض الأحكام الفقهيّة ممّا وافق شرعنا، وإبراز فنية القرآن الكريم ورونق أسلوبه وبتدريج نظمه وغيرها.⁽⁶⁾

وقد اختار القرآن الكريم من قصص الأمم ما يحقق تلك الغايات والحكم، وهم الأمم الذين جاوروا

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا / [يوسف: 7] (178/12-179).

(2) المصدر نفسه / (134/12).

(3) ينظر: المصدر نفسه / [المائدة: 19] (236/6) [المائدة: 27] (250/6-251).

(4) ينظر: المصدر نفسه / [الأنعام: 114] (10/8).

(5) ينظر: المصدر نفسه / [الأنعام: 34] (274/7)، ومباحث في علوم القرآن، مناع قطّان / ص 301، ومناهج المفسّرين في بحث القصص القرآني، حبيب الخولي / ص 34-35.

(6) ينظر: مباحث في علوم القرآن، قطّان / ص 301-302، ومناهج المفسّرين في بحث القصص القرآني، حبيب الخولي / ص 31-39.

العرب وسمعوا شيئاً من أخبارهم، وأعرض عن ذكر أنبياء البلاد النائية عن العرب وجيرانهم من أهل الكتاب؛ لأنه أرجا في تحقيق الغاية منها، من إثبات نبوة النبي ﷺ، وتثبيت قلبه والاعتبار والاتعاظ، فهم قد طُبعوا بنفس الخصال في تكذيب الرسل ومعاندتهم، فالعبرة في هذه القصص واحدة.⁽¹⁾

- مزايا القصص القرآني التي أشار إليها تفسير المنار:

5

امتازت القصّة القرآنيّة بالعديد من المزايا والخصائص، وأبرز منها تفسير المنار:

1. الإعجاز: يرى السيّد رشيد أنّ السور العشر المقصودة بالتحدي في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ﴾ [سورة هود: ١٣] هي السور التي تحوي على قصص الرسل عليهم السلام، فالافتراء الذي ادّعوه على وجهين: أوّلهما: افتراء القرآن بجملته على الله سبحانه، والثاني: أنّه افترى ما فيه من أخبار، إذ منها ما لا يعلمها غيره ﷺ، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾^(٤) وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً^(٥) قل أنزله الذي يعلم السرّ في السموات والأرض إنّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [سورة الفرقان: ٤-٦]، والعجز عن معارضتها أقوى حجة على أنّها من عند الله تعالى، فالكلام فيها عن غير علم مظنة للوقوع في الخطأ من الناحية اللفظيّة، وكذلك المعنويّة؛ إذ التكرار مظنة الوقوع في التعارض والتفاوت البياني، ويسهل على أمثالهم التنبّه على أخطاء كهذه، فهي من صلب ثقافتهم، ولكن أتى لهم أن يجدوا فيها خطأ وهي من عند عالم الغيب والشهادة؟⁽²⁾

10

15

أمّا إعجازها اللفظي: فيظهر في اختلاف أوزانها وفواصلها، واختصاص كلّ منها بنغم خاصّ يوقع في نفس القارئ أثراً لا يوقعه الآخر، وهي مع ذلك متّصفة جميعها بأعلى درجات البلاغة والفصاحة في كلّ أبواب البيان والنحو والقراءات، مترقّعة عن كلام أبلغ بلغاء البشر فضلاً عن أمّي لم يعرف عنه شعر ولا نثر ﷺ.

20

وأما إعجازها المعنوي: ففي بيانه عدّة أمور، منها: وحدة أصول الدين بين الرسالات جميعها، ومهمّة التبليغ من قبل الرسل عليهم السلام، وتشابه افتراءات الأقوام على أنبيائهم، وصبر الأنبياء على

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [النساء: 164] [50/6-51] [الأعراف: 101] [25/9].

(2) ينظر: المصدر نفسه/ [27/12-28].

ذلك وتأييد الله لهم بالحجج والبراهين والمعجزات، ثم بيان سنن الله في أخذ تلك الأمم كل حسب ذنبه وسنن العمران والاجتماع، والاحتجاج بكل ذلك على قوم النبي ﷺ على كون العاقبة له ولمن تبعه. ووجه الإعجاز بما سبق: أنّ هذه القصص تدلّ على أنّ أولئك الرسل كانوا خير البشر في دعوتهم إلى عقيدة التوحيد والفضيلة وعمارة الأرض، وأن رسالة محمد ﷺ هي عين رسالتهم؛ بل أتمّ وأكمل، فإن كان مفترياً بحديثه - كما يدّعون - فهو أكمل من هؤلاء الرسل، لإتيانه بما يجاري رسالتهم أو يفوقها، ومن ثمّ هو أحقّ بالاتباع، ولن يكتشف افتراءه إلّا من استطاع أن يفترى حديثاً مثله خالياً من التعارض والتناقض والتفاوت اللغوي، وهو ما عجز عنه كبار الفصحاء والبلغاء والدهاة، فثبتت عجزهم، وثبتت علويّته على ما سبقه ثبت أنّه وحي من الله تعالى.⁽¹⁾

5

فسورة يوسف على سبيل المثال: جاءت على أبداع ما تكون عليه القصّة، فقد بدأت بمقدّمتين في تنزيل القرآن وعروبه وحجّيته على العرب، والأخرى في رؤيا سيّدنا يوسف عليه السلام وتحذير سيّدنا يعقوب عليه السلام له من حسد إخوته، ثمّ شرعت في سرد أحداث القصّة في ترتيب بديع منطقيّ ونظم بديع بين السيّد رشيد ذلك لقارئ تفسيره "ليفطن لدلالة السورة بنظمها وبلاغتها على إعجاز القرآن اللفظي، وبما فيها من التشريع وعلم الغيب على إعجازه المعنوي، وبالإعجازين كليهما على نبوة محمد ﷺ ورسالته".⁽²⁾

10

2. الخلو من الحشو: اهتمّ تفسير المنار كثيراً ببيان أنّ القصص القرآني جاء لأجل العبرة والموعظة، ولذلك أوجز في الجزئيات والتفاصيل التي لا فائدة منها، وقد تشغل القارئ عن العبرة المرادة من الآيات، فالقرآن ليس كتاب تاريخ تدوّن فيه الأحداث، ولا قصص تُقرأ للتفكّه والتسلية،⁽³⁾ فأخباره جاءت خالية من الحشو والتطويل، دون إخلال بالفكرة أو العبرة.⁽⁴⁾

15

فعند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ رَوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ [سورة يوسف: ٢٦] قال السيّد رشيد: "فامتنعُ وفررتُ - كما ترى - فصارت النازلة أو القضية باختلاف قوليهما موضوع بحث وتحقيق وتشاور بين زوجها وأهلها لم يبين لنا التنزيل تفصيله، لأنّ المقصود من القصّة فيه بيان نزاهة يوسف وفضائله للعبرة لها، وإنّما

20

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا / [هود: 13] [29/12-32].

(2) المصدر نفسه / [يوسف: 7] [12/179].

(3) ينظر: المصدر نفسه / [البقرة: 246] [2/325].

(4) ينظر: المصدر نفسه / [الأعراف: 138] [9/78].

علمنا أنّ هذا وقع بالفعل، كما نعلم أنّه كان متوقعاً بحكم العادة والعقل، ومن قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [سورة يوسف: ٢٦]؛ أي: أخبر عن مشاهدة أو علم كالمشاهدة⁽¹⁾، وكذلك لم يبيّن لنا عدد النسوة اللاتي تحدّثن في أمر امرأة العزيز واكتفى من ذلك باستخدام صيغة جمع القلّة.⁽²⁾

3. التكرار والتنويع والتكامل: تكرّرت معظم القصص في القرآن الكريم، ولكنها جاءت في كل مرة بأسلوب مختلف حسب ما يقتضيه المقام، إيجازاً وإطناباً،⁽³⁾ وتتضمن في كل مرة من المعاني والعبر ما يختلف عن الأخرى، وذلك حسب السياق الذي نزلت فيه الآيات.⁽⁴⁾ فقد فرق السيّد رشيد بين آيتين متشابهتين هما قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَهُم بِالْبَاسِ وَأَلْصَقْنَا لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٤٢]، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَاسِ وَأَلْصَقْنَا لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٩٤] فكلاهما لها المعنى نفسه، إلّا أن السياق مختلف، يقول في تفسير آية الأعراف: "فلما كان ما هنا قد ورد عقب قصص طائفة من الرسل جعل هذا المعنى قاعدة كليّة وستّة مطّردة في الرسل مع أقوامهم، ليعتبر به كل من سمعه أو قرأه في عصر التنزيل وما بعده، ولما كان ما هنالك قد ورد في سياق تبليغ خاتم الرسل للدعوة ومحاجة قومه، لجعل خطاباً خبيراً له، لتسليته وتثبيت قلبه من جهة، ولتخويف كفار قريش وإنذارهم من جهة أخرى، وهذا ملاحظ هنا أيضاً؛ ولكن بالتبع للاعتبار بالسنة العامة لا بالقصد الأول".⁽⁵⁾

وقد يبدو تعارض من خلال المقارنة بين قصّة سيّدنا صالح عليه السلام في سورة الأعراف وهود والشعراء،

(1) تفسير المنار / (197/12).

(2) ينظر: المصدر نفسه / [يوسف: 30] (199/12).

(3) الإيجاز: العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف، وهو نوعان: إيجاز حذف وإيجاز قصر. ينظر: نهاية الأرب، النويري / (74/7) - (75).

والإطناب: تأدية المعنى بعبارة زائدة عن متعارف أوساط البلغاء لفائدة تقويته وتوكيده، نحو ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَسْتَعْلُ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مریم: ٤]؛ أي: كبرث، من أنواعه: ذكر الخاصّ بعد العام، وعكسه، والإيضاح بعد الإبهام، والتكرار. ينظر: جواهر البلاغة، الهاشمي / ص 181-183.

(4) ينظر: تفسير المنار، رضا / [الأعراف: 20] (279/8).

(5) المصدر نفسه / [الأعراف: 94] (12/9)، وينظر: [الأنعام: 42] (301/7).

فالأولى منها ترتيباً—وهي الأخيرة نزولاً— جاءت مجملة لما فُصل في سابقتها، وكلّ المعاني في السور الثلاثة مراد لا تعارض بينها؛⁽¹⁾ بل إنّ هذا التكرار يعطي صورة متكاملة للقصة، فلا شك أنّ الأنبياء عليهم السلام قد تكرر منهم الجدل مع قومهم في سبيل تبليغ الدعوة، ففي كلّ مرة يبين الله لنا جانباً من حوارهم ومعاندهم، لتنويع الفوائد اللفظية والمعنوية لدفع السامة عن القارئ.⁽²⁾

ويمكن تلخيص أسس القرآن الكريم في تكرار قصصه بالنقاط الآتية:

5

1. لم يلتزم القرآن الكريم طريقة واحدة في قصصه من حيث الطول والقصر، فمنها ما جاء مفصلاً، ومنها ما جاء مجملاً.
2. وفاء القصة القرآنية بالغرض الذي سبقت لأجله، سواء أكانت مفصلة أم مجملة.
3. القصص المكررة في القرآن هي القصص المتعلقة بالدعوة إلى الدين، أمّا القصص غير المكررة فتناولت جوانب وأهدافاً أخرى غير الدعوة.
4. الترتيب البديع للقصص القرآنية غير المكررة الواردة في سورة واحدة، بهدف تكوين منهج متكامل لحياة المسلمين أفراداً وجماعات، كسورة الكهف وما ضمته من قصص.
5. تنوع طرق القرآن الكريم وأساليبه في عرض القصص المكرر، من حيث الجزئيات والمشاهد والأحداث، ومن حيث اختصاص كل سورة بما جاء فيها من هذه الجزئيات، ومن حيث الألفاظ والتراكيب.⁽³⁾

10

4. الاستطراد:⁽⁴⁾ يكون بالانتقال من قصص الرسل عليهم السلام إلى الرسالة الخاتمة، وفقاً لسنة القرآن الكريم في ذلك، إذ هي مقصودة أصالة وبالذات من ذكر قصص الأنبياء، ففي قصة سيدنا موسى عليه السلام من سورة الأعراف قال تعالى: ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف: 156-157] وصف السيد رشيد الانتقال من الآية الأولى إلى الثانية بقوله: "ويليه بيان أحق الأمم بهذه الرحمة، ذكر

15

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا / [الأعراف: 73] [397/8].

(2) ينظر: المصدر نفسه / [الأعراف: 66] [394/8]، [الأعراف: 82] [406/8]، [الأعراف: 122] [52/9-53].

(3) ينظر: القصص القرآني، عباس / ص 22-25، منهاج المفسرين في بحث القصص القرآني، حبيب الخولي / ص 48-50.

(4) الاستطراد: هو خروج المتكلم من الغرض الذي هو فيه إلى غرض آخر لمناسبة بينهما، ثم الرجوع إلى إتمام الأول. ينظر: نهاية الأرب، النويري / (99/7)، جواهر البلاغة، الهاشمي / ص 290.

على سبيل الاستطراد المقصود بالذات على سنة القرآن في الانتقال من قصص الرسل إلى أمة خاتم الرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام⁽¹⁾، فمعناه: أن رحمة الله مكتوبة للمتصفين بالتقوى وإيتاء الزكاة والإيمان بالآيات، وهم المؤمنون بالنبي الأمي ﷺ، إذ لم يوصف نبي بالأمية غير سيدنا محمد ﷺ، وقد دل على أنهم هم المرادون الفصل في قوله ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ﴾ ولو وصله بالعطف لاقتضى التغاير. ثم تابع في الحديث عن عموم رسالة الإسلام للناس كافة⁽²⁾.

5

ثانياً: التذكير بأخبار الأمم السابقة دون تفصيل بما يحيل إلى البحث في تاريخها للاعتبار:

قد يأتي القرآن الكريم بالخبر التاريخي دون تفاصيل، من حوار وشخصيات وأحداث متوالية؛ ولكن يذكر بها بطريقة تثير ذهن القارئ إلى البحث في أخبار تلك الأقوام وما حل بهم من سنن الله في عباده، وقد مثل السيد رشيد لهذه الأخبار بما جاء في الحواميم والنجم والبروج والفجر، وما في أخبارها من العبر؛ ولكنها لا تبلغ أن تكون قصصاً، فمنها ما جاء في الآية والآيتين والثلاث، وهي لا تخلو من الإعجاز اللفظي والمعنوي⁽³⁾، ومعظمها مما فصله القرآن الكريم في مواضع أخرى، فقد سرد في سورة الأنعام ثمانية عشر نبياً، وأجل العبرة من إيرادهم في آية واحدة، وهي قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٨٩]؛ أي: فإن يكفر أهل مكة بنبوّة هؤلاء الأنبياء وحكمهم وكتبهم فقد وكلنا بأمر رعايتها قوماً ليسوا بها بكافرين، وقد اختلفوا في القوم المقصودين في الآية على عدّة أقوال: كالأنبياء الثمانية عشر المذكورين، أو الأنصار، أو الملائكة⁽⁴⁾، واختار السيد رشيد أنهم الصحابة جميعهم، وعلل اختياره بقوله: "ولا ينافي ذلك وقوعه في سياق الكلام عن الأنبياء، فإنّ قصص الأنبياء لم تُذكر إلّا لإقامة الحجة بها على الكافرين، والهداية والعبرة للمؤمنين. ووصفهم بأنهم ليسوا بها بكافرين وُصف لقوم حاضرين منهم المؤمن بالقوّة والمؤمن بالفعل، ووصف الأنبياء السابقين

10

15

(1) تفسير المنار، رضا/ (167/9-168).

(2) ينظر: المصدر نفسه/ (167/9-168)، [الأعراف: 158] (220/9).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ [هود: 13] (29/12).

(4) ذهب الطبري والزمخشري إلى أنّ المراد بهم الأنبياء الثمانية عشر، وذهب القرطبي وابن كثير إلى أنّهم الصحابة ﷺ، ينظر: تفسير الطبري/ (388/9-391) الكشف، الزمخشري/ (369/2)، تفسير القرطبي/ (451/8)، تفسير ابن كثير/ (299/2).

بذلك لا يظهر له وجه".⁽¹⁾

وفي هذه العبارات الموجزة يقتصر القرآن الكريم على موطن العبرة، ويُعرض عما يصرف عنها، لأنّ القرآن كتاب موعظة وهداية لا تاريخ، فيكتفي بما تكمل به العبرة وتُقام به الحجّة على المخاطبين.⁽²⁾

لم يأل صاحب المنار جهداً في استخلاص العبر من هذا النوع من الأخبار، مع مراعاة الربط بينها وبين واقعهما لأجل الاستفادة منها في مشروعهما الإصلاحي الذي كانا يسعيان إليه، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [سورة البقرة: ٢١٤]، حيث تحدّث الشيخ محمد عبده عن سنّة الله في تحمّل دعاة الحق الإيذاء والشدائد في سبيله، ولام المؤمنين على عدم مراعاة هذه السنّة، ثمّ توجّه باللوم إلى مسلمي زمانه لعدم اقتدائهم بالصحابة الكرام ﷺ، مخاطباً فئات الأُمّة كلّها؛ عوامّ وعلماء وأمراء،⁽³⁾ ومن ذلك ما توجّه به إلى الفرد المسلم بقوله: "فيا أيّها المسلم المقلّد لوالديه ومعاشريه وأقرانه، الذي يحسب أنّه من أهل الجنة؛ لأنّه ولد وربّي بين المسلمين، ورضي ببعض ما هم عليه من رسوم الدين، أو اتكالا على شفاعة الأولين، اقرأ أو اسمع وتأمل ما عاتب الله تعالى به أفضل سلفك الصالحين، وما ذكره عمّن سبقهم من أتباع النبيّين".⁽⁴⁾

وقد خصّ المفسّرين باللوم في موضع آخر لتخصيصهم ما جاء من سنن الله تعالى بالأقوام التي نزلت فيهم، ولا يحملونها على عمومها؛ وإنّما يركّزون على مباحث الألفاظ وعلوم اللغة فيها، والحقيقة أنّ سنّة الله لا تتبدّل ولا تتحوّل، ولا تحايي قوماً دون قوم.⁽⁵⁾

ثالثاً: الحثّ على السير في الأرض للنظر في آثار الأمم السابقة:

حثّ القرآن الكريم على السير في الأرض، والرحلة للبحث في أسباب هلاك الأمم السابقة، والاعتبار بعاقبة الماضين، ومعرفة سنن الله تعالى فيهم كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَسْهَزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ

(1) تفسير المنار، رضا/ (436/7-437).

(2) ينظر: المصدر نفسه/ (249/1) و(431/7).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ (210/2-213). وينظر مثال آخر: [الأعراف: ٤] (251/8-253).

(4) المصدر نفسه/ (213/2).

(5) ينظر: المصدر نفسه/ [الأعراف: 100] (24/9).

يَا الَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿سورة الأنعام: ١٠-١١﴾، وهو خطاب لمشركي مكة كثيري الأسفار؛ ولكن أسفارهم
كانت على غفلة منهم عن شؤون الأمم، جُلَّ اهتمامهم بتجارهم وقد استدلل السيد رشيد بعموم الآية
على وجوب السياحة والسفر، ووجوب النظر والاعتبار، ثم فصل في ذلك، فذهب إلى أن السفر لطلب
العلم الكفائي كالصناعات والفنون فرض كفاية، وإذا كان لأمر مكروه فهو مكروه، أو محرم فهو محرم،
فحكمه يتبع الغاية منه. (1)

5

وتنبه إلى مقاصد السياحة في الإسلام من خلال آيات الأمر بالسير في الأرض في القرآن الكريم،
فذكر منها: تكميل النفس بالنظر والاكتشاف، وهو ما عبّر عنه بـ(طريق الدراية)، والتلقي عن أهل العلم
والبصيرة، وهو ما عبّر عنه بـ(طريق الرواية)، واستفاد هذا المعنى من قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَتَكُونَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي
الْصُّدُورِ﴾ [سورة الحج: ٤٦]، ومنها العلم بسنن الله تعالى في البشر والأمم -سقوطها ونحوضها- وهو المعبر عنه
بـ(علم الاجتماع)، واستفاد هذا المعنى من قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَانظُرُوا﴾ [سورة آل عمران: ١٣٧]، ومنها أن القوة الحربية والاقتصادية والتطور العمراني لا يقي من الهلاك إذا
فشأ الظلم وكفر النعمة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ

10

15

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (232/8).

يقسم الحنفية السفر إلى ثلاثة أقسام: سفر طاعة: كالحج والجهاد، وسفر مباح: كالتجارة، وسفر معصية: كقطع الطريق. وعند
المالكية السفر قسمان؛ سفر هرب: إذا كان في بلد يكثر فيه الحرام، أو يذل فيه نفسه، أو بلد لا علم فيه، أو بلد يسمع فيه سب
الصحابه ﷺ، وسفر طلب: وهو على أقسام: واجب كسفر الحج والجهاد، ومندوب كالسفر لبرّ الوالدين أو للتفكر في مخلوقات
الله تعالى، ومباح وهو سفر التجارة، ومكروه كسفر صيد اللهو، وممنوع كسفر المعصية. وعند الشافعية والحنابلة: سفر واجب كسفر
الحج وقضاء الدين، وسفر مندوب كسفر حج التطوع، وسفر مباح كسفر التجارة والتنزه، وسفر مكروه كسفر المنفرد، وسفر المعصية
كالسفر لقطع الطريق، أو سفر المرأة من غير محرم. ينظر: حاشية الطحطاوي على مراقبي الفلاح شرح نور الإيضاح، أحمد بن محمد
بن إسماعيل الطحطاوي/ ص419، ومواهب الجليل لشرح مختصر خليل، محمد بن محمد بن عبد الرحمن الخطّاب الرُّعيني/
(487/2)، وكفاية الأخيار في حلّ غاية الاختصار، أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن تقي الدين الحصني/ (137/1)، وكشاف
القناع عن متن القناع، منصور بن يونس البهوتي/ (615/1).

بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿سورة الروم: ٩﴾، وغيرها من الآيات التي تختص كل واحدة منها بمعنى لا يوجد في الأخرى، وكلها تصب في إرشاد البشر كافة إلى أسباب السعادة في أمري المعاش والمعاد.⁽¹⁾

قال الشيخ محمد عبده: "والعلم بسنن الله تعالى من أهم العلوم وأنفعها، والقرآن يحيل عليه في مواضع كثيرة، وقد دللنا على مأخذه من أحوال الأمم، إذ أمرنا أن نسير في الأرض لأجل اجتلائها ومعرفة حقيقتها"،⁽²⁾ وأشار إلى أن العلم بالتجربة متمثلة بالسياحة ومعاينة آثار الأقوام، وتطبيق أحوال السابقين على اللاحقين أنفع وأدعى للاعتبار من العلم النظري عن طريق القول دون تطبيق على الواقع، فقد كان بعض أهل الشرائع السابقة يعتقدون أن حكم الله المطلق يقتضي محاباته ناساً بسبب انتماءاتهم وألقابهم، فهو يعفو عن قوم ويعذب آخرين لا عن حكمة أو سنة عادلة؛ ولكن القرآن بيّن أن الله سنناً ثابتة حكيمة، من سار عليها نجا، ومن حاد عنها خسر بغض النظر عن دينه، كسنت الحرب -مثلاً- وما أصاب المسلمين من شدة في أحد، لذلك كان المؤمنون المتقون أولى الناس بالانتفاع بهذا الأمر الرباني والاهتداء به، والاستقامة على طريقه، مع أنه بيان لكل عاقل مستعد لفهمه، لذلك قال تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ

وَهَدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٨]،⁽³⁾ وفي هذا السياق نبّه السيّد رشيد المسلمين إلى ضرورة التزام الأمر الوارد في الآيات، مقارنة بين المسلمين وأعدائهم في هذا المجال، فقال: "أما إنهم لو فعلوا فبدؤوا بالسير في الأرض لمعرفة أحوال الأمم البائدة وأسباب هلاكها، ثم اعتبروا بحال الأمم القائمة وبحثوا عن أسباب عزّها وثباتها، لعلموا أنهم أمسوا من أجهل الناس بسنن الله، وأبعدهم عن معرفة أحوال خلق الله، ولرأوا أن غيرهم أكثر منهم سيرة في الأرض، وأشدّ منهم استنباطاً لسنن الاجتماع، وأعرق منهم في الاعتبار بما أصاب الأولين، والاتعاظ بجهل المعاصرين، فهل يليق بمن هذا كتابهم أن يكون من يسمونه بسمة العداوة له أقرب إلى هدايته هذه منهم؟".⁽⁴⁾

لقد كشف اهتمام تفسير المنار بالوقائع التاريخية على امتداد أزمنتها إلى يوم كتابته عن ضرورة المراقبة

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (232-233).

(2) المصدر نفسه/ [آل عمران: 137] (100/4).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ (100/4-103).

(4) المصدر نفسه/ [آل عمران: 138] (103/4).

والمتابعة للأحداث، لا لأجل تدوينها والتوقف عند توثيقها، ثم تحويلها إلى مراثي أو مدائح شعريّة أو نثريّة؛ ولكن للوقوف على دقائق أسبابها، وتحويلها إلى نقطة بداية جديدة، بعلاج أسباب النكسات، وبناء الانتصارات على الانتصارات، فالإكتفاء بالنصر يكاد يتحوّل إلى هزيمة.

المطلب الثاني: العلاقة بين العبرة والحقيقة التاريخية

5 إنّ صدق القرآن الكريم من المسلّمات لدى كلّ من آمن به، فهو كتاب ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت: ٤٢]، وقد أكّد تفسير المنار على هذا في كثير من المواضع؛ بل هو حكم على كتب التاريخ والكتب المقدّسة يصحح ما حُرّف منها، ومن هذه المواضع:

10 - قال الشيخ محمّد عبده: "إنّ محاولة جعل قصص القرآن ككتب التاريخ بإدخال ما يروون فيها على أنّه بيان لها هي مخالفة لسنته، وصرف للقلوب عن موعظته، وإضاعة لمقصده وحكمته، فالواجب أن نفهم ما فيه، ونعمل أفكارنا في استخراج العبر منه... وإذا ورد في كتب أهل الملل أو المؤرّخين ما يخالف بعض هذه القصص، فعليّنا أن نجزم بأنّ ما أوحاه الله إلى نبيه ونقل إلينا بالتواتر الصحيح هو الحقّ، وخبره هو الصادق، وما خالفه هو الباطل، ونقله مخطئ أو كاذب، فلا نعدّه شبهة على القرآن، ولا نكلّف أنفسنا الجواب عنه".⁽¹⁾ ثمّ تابع منوهاً بتأثير الإسلام في تجديد تاريخ البشريّة، ونقله من الظلمة إلى النور، مشيراً إلى ما أضافه من علم الإسناد والجرح والتعديل.

15 وقد جعل العلم بأحوال البشر وتاريخهم شرطاً للمفسّر، فقال: "... فقد أنزل الله هذا الكتاب... بين فيه كثيراً من أحوال الخلق وطبائعهم والسنن الإلهيّة في البشر، وقصّ علينا أحسن القصص عن الأمم وسيرها الموافقة لسنته فيها. فلا بد للناظر في هذا الكتاب من النظر في أحوال البشر في أطوارهم وأدوارهم، ومناشئ اختلاف أحوالهم، من قوّة وضعف، وعزّ وذلّ، وعلم وجهل، وإيمان وكفر... ويحتاج في هذا إلى فنون كثيرة من أهمها التاريخ بأنواعه"⁽²⁾ فلو لم تكن أخبار القرآن حقيقيّة موافقة لسنن الله تعالى فلا معنى لاشتراطه العلم بالتاريخ وأخبار الأمم وأحوال العمران للمفسّر.⁽³⁾

5

10

15

20

(1) تفسير المنار، رضا/ (236-325/2). وينظر أيضاً: [آل عمران: 44] (210/3-211).

(2) المصدر نفسه/ (22/1).

(3) ينظر: مناهج المفسّرين في بحث القصص القرآنيّ، حبيب الخولي/ ص 426.

- وعند مناقشة السيّد رشيد للاختلاف في تسمية والد سيّدنا إبراهيم عليه السلام، إذ سمّاه الله تعالى (آزر) ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَسْرَءُ أَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ [سورة الأنعام: ٧٤]، ووردت تسميته في التوراة وعند بعض المؤرّخين (تارحاً أو تارخاً)،⁽¹⁾ قال: "فإن أمكن الجمع بين القولين فيها، وإلاّ ردّدنا قول المؤرّخين، وسفر التكوين؛ لأنّه ليس حجّة عندنا حتّى نعتدّ بالتعارض بينه وبين ظواهر القرآن؛ بل القرآن هو المهيمن على ما قبله، نصدّق ما صدّقه، ونكذّب ما كذّبه، ونلزم الوقف فيما سكت عنه حتّى يدلّ عليه دليل صحيح".⁽²⁾

5

وقال مقارناً بين كفار قريش ومعاندي عصره الذين ينكرون نبوّة سيّدنا محمد صلى الله عليه وآله وصدق ما جاء به: "فإنّ كفّار قريش لم يكونوا يستطيعون إنكار كون محمد صلى الله عليه وآله كان أمّياً مثلهم، وأنّه لم يكن يعرف شيئاً من أخبار الرسل مع أقوامهم، ولا كان ممتازاً بالبلاغة والفصاحة فيهم؛⁽³⁾ ولكن كان بعضهم يجهل ما يعرفه أهل هذا العصر من كون تلك القصص كانت صحيحة لا من أساطير الأوّلين وأوضاعهم الخرافيّة التي لا يثبت لها أصل، ولأجل هذا سأل بعضهم اليهود عنها".⁽⁴⁾ فمعنى كلامه: إنّ معاندي عصره ادّعوا اطلاعهم صلى الله عليه وآله على كتب التاريخ والكتب المقدّسة، وبذلك علّلو صدق القصص القرآنيّ، على عكس كفّار قريش الذين أقرّوا بأمره صلى الله عليه وآله، وجعلوا صدق قصصه، ونسبوا إلى الأساطير، وفي هذا إقرار من السيّد رشيد بنزاهة القرآن الكريم والنبّي صلى الله عليه وآله عمّا نُسب إليهما.

10

(1) من ذهب إلى أنّ (آزر) ليس اسم أبي سيّدنا إبراهيم عليه السلام: ابن عبّاس ومجاهد والسديّ، وروي عنه أيضاً أنّه أبوه، واختار الطبريّ أنّه أبوه. ينظر: التاريخ الكبير، محدّد بن إسماعيل البخاريّ/ (مع 1/ ج 1/ ص 5). وتفسير الطبريّ/ [الأنعام: 74] (342/9-344)، تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وآله والصحابّة والتابعين، عبد الرحمن بن محمّد ابن أبي حاتم/ [الأنعام: 74] (1324/4-1325).

(2) تفسير المنار، رضا/ (393/7).

(3) في كلام السيّد رشيد ها مبالغة، فإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أمّيّ بنصّ القرآن الكريم لم يكتب ولم يقرأ، ولم ينظم شعراً، ولكنّه من أفصح العرب، كما جاء في الصحيحين: ((بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ...)). صحيح البخاريّ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبيّ صلى الله عليه وآله: بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ/ (2654/6) رقم: 6845، وصحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، (237/1) رقم: 6-523).

(4) تفسير المنار، رضا/ [الأنعام: 27] (253/7-254).

وقد دافع السيّد رشيد رضا عن القرآن الكريم وصدق أخباره ضدّ افتراء د. طه حسين⁽¹⁾ عليه في كتابه (في الشعر الجاهليّ) صاحب نواة فكرة الأساطير في القرآن الكريم، وذلك في سلسلة من المقالات في مجلّة المنار، فضح فيها ما يرمي إليه من تكذيب القرآن والسنة وعلماء الدين، عن طريق التشكيك في كلّ ما يروى عن المتقدّمين، وتجريد النابذة من دينها ولغتها وتاريخها، ودمجها بالثقافة الأوروبيّة، ومّا جاء في أحدها: "تجرأ على التصريح بتكذيب القرآن المجيد فيما أثبتته من بناء إبراهيم وإسماعيل لبيت الله الحرام بمكة المكرمة، وشكك في آيات أخرى وفي أحاديث وروايات كثيرة من صدّقه فيها من تلاميذ الجامعة أو غيرها من الدهماء ينبذ الدين وراء ظهره ويمشي عارياً مجرداً من الوازع النفسيّ الذي ينهى عن الفواحش والمنكرات، فيستحلّ جميع ما قدر عليه من أموال الناس وأعراضهم إذا عتت له وأمن العقاب عليها في الدنيا"⁽²⁾، ويبيّن أنّ فلسفته في الوصول إلى العلم هي تكذيب الله ورسوله وكبار العلماء والصحابة، والتسليم لما فيه طعن بالدين.

5

10

ورغم ثبوت صدق كلّ ما جاء في القرآن الكريم من قصص، ووضوح عبارة المنار في تأكيد إيمان شيخه بهذه الحقيقة، إلّا أنّ أحد الباحثين المعاصرين، وهو محمّد أحمد خلف الله⁽³⁾ ادّعى في كتابه (الفن القصصيّ في القرآن الكريم) أنّ القرآن الكريم فيه ثلاثة أنواع من القصص: القصّة التاريخية، والقصّة التمثيلية، والقصّة أسطورية، وهذا النوع الأخير لا يشترط في الصدق، فلا مانع من اشتماله على أخبار لا تطابق الواقع—من وجهة نظر حلف الله—واستشهد على ذلك بأقوال لقدامى المفسّرين ومعاصريهم، ثمّ نسب هذه الدعوى إلى الشيخ محمّد عبده، وسيناقش هذا المطلب آراء هذا الباحث من ناحيتين: صدق

15

(1) طه بن حسين بن عليّ، ولد (1307هـ/1889م) في المنيا، فقد بصره في صغره، تخرج من الأزهر 1908م، ونال الدكتوراه من الجامعة المصريّة 1914م، ثمّ من السوربون 1918م، درّس بكلّيّة الآداب في جامعة القاهرة، ثمّ عيّن عميداً لها، فوزيراً للمعارف، عمل في الصحافة، كان عضواً في المجمع العلميّ العربيّ بدمشق والمجمع العلميّ العراقيّ، ورئيس مجمع اللغة بمصر، توفّي بالقاهرة (1393هـ/1973م)، له: (في الأدب الجاهلي) و(فلسفة ابن خلدون) و(مع أبي العلاء) وغيرها. ينظر: المجمعون/ ص 79-81، الأعلام، الزركليّ/ (3/231-232).

(2) محمّد رشيد رضا: الدعوة إلى الإلحاد بالتشكيك في الدين/ مجلّة المنار/ (29/4/1345هـ) - (5/11/1926م) / (27/619-620).

(3) محمّد أحمد خلف الله، أديب مصريّ ولد 1916م، درس بالأزهر، وبكلّيّة الآداب بالقاهرة، له: رسالته في الدكتوراه (الفن القصصيّ) بإشراف أ. أمين خولي التي رفضتها الجامعة المصريّة، ولكنّه طبعها فيما بعد، توفّي 1997م، له أيضاً: (القرآن ومشكلات حياتنا المعاصرة) و(القرآن والدولة). ينظر: موسوعة أحداث وأعلام مصر والعالم، موسى/ (2/351-352)، الإنسان والقرآن وجهاً لوجه، حميدة النيفر/ ص 127، اتّجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د. فهد الروميّ/ (3/957).

أخبار القرآن الكريم، ورأي تفسير المنار في ذلك.

أولاً: بيان رأي خلف الله في الحقيقة التاريخية في القرآن الكريم وردّه:

- رأي خلف الله: بين أنّ القصص في القرآن لم يأت لأجل التاريخ، وإنما لأجل العبرة والموعظة، ولذلك لا تتطابق تلك القصص عند التكرار؛ بل تأتي بما يعزّز العبرة التي سبقت لأجلها، ويستعمل من الألفاظ في كلّ مرّة ما يثير الانفعالات النفسية المناسبة للمقام،⁽¹⁾ ولأجل هذا الاختلاف ادّعى أنّ في القصص القرآنيّ شيئاً من الأساطير، وهو يرى أن هذا ليس مغمراً في حقّ القرآن الكريم؛ بل مفخرة له أن يؤصّل لفنّ القصّة الحديثة، قال: "إنّ هذه النظرة تفسّر لنا جانباً من جوانب الإعجاز في القرآن الكريم، فقد وضع تقليداً جديداً في الحياة الأدبيّة العربيّة، وهو بناء القصص الدينيّ على بعض الأساطير، وهو بذلك قد جعل الأدب العربيّ يسبق غيره من الآداب العالميّة في فتح هذا الباب، وجعل القصّة الأسطوريّة لوناً من ألوان الأدب الدقيق الرفيع".⁽²⁾ واستدلّ على ذلك بسرد الآيات المتضمّنة ذكر الأساطير في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [سورة النحل: ٢٤]، و﴿قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [سورة الفرقان: ٥-٦]، و﴿إِذَا تَنَزَّلَ عَلَيْهِ إِيْنُنًا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [سورة القلم: ١٥]، ويرى أنّ القرآن الكريم لم ينف وجود الأساطير فيه، وهذا -بحد ذاته- افتراء على القرآن الكريم، وعدم تبصّر بسياق الآيات التي جاء فيها ذكر الأساطير في القرآن الكريم، وهو سياق ناف ورافض بوضوح لفكرة نسبة الأساطير إلى القرآن الكريم؛ ولكنّ خلف الله يرى أنّ القرآن الكريم إنّما نفى أن تكون هذه الأساطير هي الدليل على أنّ القرآن الكريم من عند رسول الله ﷺ، وليس وحياً سماوياً من عند الله سبحانه وتعالى،⁽³⁾ قال: "وإذا كان القرآن لا ينفي ورود الأساطير فيه، وإنّما ينفي أن تكون هذه الأساطير هي الدليل على أنّه من عند محمد ﷺ، وليس من عند الله، إذا كان هذا ثابتاً فإنّنا

5

10

15

(1) ينظر: الفن القصصيّ في القرآن الكريم، محمّد أحمد خلف الله/ ص34-35.

(2) المصدر نفسه/ 208.

(3) ينظر: المصدر نفسه/ ص201-202 و204-207.

صاحب هذه الأفكار هو د. طه حسين في كتابه (في الشعر الجاهليّ)، ص26، الذي أخذها بدوره عن المستشرق الألمانيّ نولدكه.

ينظر: منهج المدرسة العقلية، الروميّ/ (739/2-740)، ومناهج المفسرين في بحث القصص القرآنيّ، حبيب الخوليّ/ ص421.

لا نتحرّج من القول بأنّ في القرآن أساطير، لأنّا في ذلك نقول قولاً لا يعارض نصّاً من نصوص القرآن".⁽¹⁾

- ردّ رأيه: لقد خالف خلف الله في رأيه هذا إجماع الأمة كلّها على صدق القرآن الكريم في أخباره وقصصه وآياته جميعها، حتّى الشيخ محمّد عبده الذي نسب إليه خلف الله هذه الشبهة، كما خالف - أيضاً- ما أثبتته العلم الحديث في بحوثه واكتشافاته.⁽²⁾

وأول ما أخطأ به صاحب الفنّ القصصيّ هو حمله قصص القرآن الكريم على القصّة الأدبيّة بمفهومها المعاصر، وقياسها على قصص الكتاب في الشرق والغرب في حرّيتها الفنيّة، وافتراض الأحداث والشخصيّات من خيال الكاتب، ولا بدّ أنّ هذا المعنى للقصّة لم يكن موجوداً زمن نزول القرآن.⁽³⁾

أمّا الآيات التي استشهد بها على ذكر الأساطير: فكّلها قد جاءت أخباراً على لسان المشركين، ولم تردّ آية منها وصفاً للقرآن ابتداءً، كما أنّها كلّها قد جاءت في معرض التوبيخ لهم على مقاتلتهم هذه، فهي أدلّة ضدّ الباحث نفسه، لا معه، فالآية التالية لآية سورة النحل التي استشهد بها هي قوله:

﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ [سورة النحل: ٢٥]، وآية القلم جاءت في سياق من الذمّ بشرّ الصفات: ﴿فَلَا تَطْعَمُ الْمَكِيدِينَ﴾

﴿٨﴾ وَذُوَا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تَطْعَمُ كُلُّ حَلَاكِ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَزَ مَشَاءَ بَنِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَاعَ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عَتَلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِفُهُ عَلَى الْحُطُومِ ﴿١٦﴾ [سورة القلم: ٨-١٦]،⁽⁴⁾ فقد نحى الله تعالى النبي ﷺ عن اتّباعهم للأوصاف التي وصفهم بها في هذه الآيات، مبدوءة بالكذب، محتومة برمي القرآن الكريم بسرد الأساطير، ثمّ شبههم بأصحاب الجنّة تحذيراً لهم أن يطأهم عذابهم، فكيف يحذرون ما لا يصدّقون أو يعتبرون به؟! فذلك دأب القرآن، أن يمثّل يقصص السابقين، لبيان التشابه بينهم وبين المخاطبين، ليعرفوا مآلات أفعالهم، فلو كانت تلك القصص مفتراة لما آتت أكلها،⁽⁵⁾ أمّا آية الفرقان التي ادّعى أنّها لم تنف وجود الأساطير في القرآن

(1) الفنّ القصصيّ، خلف الله/ ص 206-207.

(2) ينظر: مناهج المفسّرين في بحق القصص القرآنيّ، حبيب الخولي/ ص 417 و423.

(3) ينظر: الفكر الدينيّ في مواجهة العصر، الشرفاوي/ ص 317-319.

(4) ينظر: مع المفسّرين والكتاب، جمال/ ص 81-82، والقصص القرآنيّ، عباس/ ص 428.

(5) ينظر: مع المفسّرين والكتاب، جمال/ ص 75، ومناهج المفسّرين في بحث القصص القرآنيّ، حبيب الخولي/ ص 414-415.

فإنَّها من أدل ما يكون على صدق قصص القرآن الكريم، فقد نصّت على أنّ مُنزل هذه القصص هو عالم السرّ فضلاً عن الجهر، فهي ردّ على من قال بوجود أساطير في القرآن،⁽¹⁾ فإنّ من كانت هذه صفته ﷺ لا يتعامل بالأساطير ولا يعوّل عليها، فهي سلاح من لا يستطيع الوصول إلى الحقائق وكنه الأشياء،⁽²⁾ "إنّ القول الذي يقوله المشركون في نسبة القرآن إلى محمد، وأنّ محمداً استمدّه من أساطير الأولين هو أقلّ شناعة من هذا القول الذي يجعل القرآن الكريم منزلاً من عند الله، ثمّ يجعل في القرآن أساطير منزلة من عند الله أيضاً".⁽³⁾

5

ومن ناحية أخرى إنّ دعوى الأسطورية التي وجهها المشركون إلى القرآن الكريم لم يقصدوا بها قصصه فقط؛ ودليل ذلك سياق الآيات التي استشهد بها صاحب الفنّ القصصيّ، فمنها ما جاء في سياق الحديث عن وحدانيّة الله تعالى أو قدرته وحكمته في خلقه أو البعث؛ بل إنّ سورة الفرقان التي استشهد بآية منها ليس فيها شيء من القصص، ومن ثمّ فإنّ المقصود بالأساطير عندهم القرآن الكريم كاملاً، ولا يمكن لمؤمن بالقرآن الكريم أن يعتقد أنّه بكامله أساطير باطلة، لا يتحرّى الدقّة والصدق.⁽⁴⁾

10

بل تردّ عليه أيضاً آيات صريحة في كتاب الله تعالى تنصّ على صدق القرآن الكريم، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [سورة آل عمران: ٦٢]، و﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة هود: ١٢٠]، و﴿نَقْصُ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ [سورة الكهف: ١٣]، فهي آيات صريحة قطعية لا يساورها احتمال تخصيص ولا تقييد بأن قصص القرآن الكريم هي أصدق القول.⁽⁵⁾

15

صحيح أنّ القرآن الكريم ليس كتاب تاريخ يحفل بأدقّ التفاصيل، وأنّه كتاب هداية اقتصرت قصصه على مواطن العبرة، وأنّه لم يعن بالترتيب الزمني للقصص، ولكنّ هذا لا يتعارض أبداً مع الحقيقة التاريخية في قصصه؛ بل هو من كمال إعجازه؛ فهو يأتي بالألفاظ المناسبة للمقام والسياق بما يضمن التأثير في

(1) ينظر: مع المفسرين والكتّاب، أحمد محمد جمال/ ص 81-82، والقصص القرآني، عباس/ ص 428.

(2) ينظر: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، عبد الكريم الخطيب/ ص 313-315.

(3) المصدر نفسه/ ص 314.

(4) ينظر: القصص القرآني، الخطيب / (308-313)، مناهج المفسرين في بحث القصص القرآني، حبيب الخولي/ ص 409-410.

(5) ينظر: مع المفسرين والكتّاب، جمال/ ص 96، والقصص القرآني، عباس/ ص 429-430.

نفس السامع، ويراعي العبرة في ترتيب الأحداث، دون أن يتعارض مع صدق أخباره، وتطابقها مع الواقع، فلا مسوغ للاستعانة بالأساطير والأكاذيب، والتاريخ حافل بالأخبار الحقيقية المملوءة بالعبر المبنية على سنن الله تعالى في الأمم والمجتمعات.⁽¹⁾

لقد أوقعت هذه الشبهة صاحبها في مغالطات وزلات آخر، منها ما طال العقيدة ومقام الأنبياء عليهم السلام،⁽²⁾ ولو أنه اتبع السلف الصالح في فهم نصوص القرآن الكريم مسلماً بصدق كلام الله في الأخبار وغيرها لكان أسلم له ولكتاب الله، الذي زعم أنه بهذه الأفكار ينقذه من شبهات المستشرقين،⁽³⁾ فما كان منهم إلا أن اتخذوا من بحثه (الفن القصصي) مغمزاً جديداً ينالون به من القرآن الكريم، لولا أن قيس الله من العلماء من يرد شبه خلف الله جملة وتفصيلاً؛⁽⁴⁾ بل إن القارئ لهذه الرسالة لا بد أن يلمح روح الاستشراق فيها، وقد صرح صاحبها في مقدمتها بتأثره بالغرب وطريقتهم في دراسة الأدب والتاريخ.⁽⁵⁾

5

ثانياً: رأي تفسير المنار في الحقيقة التاريخية في القرآن الكريم:

10

بنى خلف الله دعواه بأن الشيخ محمد عبده يجوز أن يكون في القرآن الكريم أثر للأساطير على ربط الشيخ بين عدم مراعاة القرآن الكريم للتسلسل الزمني للحوادث وبين الهدف من القصص، وهو العبرة والموعظة، ففهم من ذلك أن القصص القرآنية صور فنية لا علاقة لها بالواقع،⁽⁶⁾ واتكأ على نصوص من المنار في عدة مواضع، واستشهداته هذه إما مبنية على فهم خاطئ، أو مجتزأة من سياقها، ومن هذه النصوص قول السيد رشيد: "كأنه يقول: أدع لكم ما في سور القصص من الإخبار عن الغيب، وأتحدّاكم أنتم وسائر الذين تستطيعون الاستعانة بهم على الإتيان بعشر سور مثل سور القرآن في قصصها، مع

15

(1) ينظر: تفسير القرآن الكريم، محمود شلتوت/ [الأنفال: 1] ص413، الفكر الديني في مواجهة العصر، الشرقاوي/ ص318.

(2) من ذلك اتّهامه الأنبياء -عليهم السلام- بمخالفة مبادئ الدين وتعاليم العلي العظيم بدافع من بشريتهم، ومثل لذلك بأكل سيدنا آدم عليه السلام من الشجرة، وادّعائه احتيال سيدنا سليمان عليه السلام على بلقيس لتكشف عن ساقية. ينظر: الفن القصصي، خلف الله/ ص308-309.

(3) ينظر: الفن القصصي، خلف الله/ ص36.

(4) ينظر: الفكر الديني في مواجهة العصر، الشرقاوي/ ص320.

(5) ينظر: الفن القصصي، خلف الله/ ص37-38، ومناهج المفسرين في بحث القصص القرآني، حبيب الخولي/ ص421.

(6) ينظر: اتجاهات التجديد، شريف/ ص217.

السماح لكم يجعلها قصصاً مفتراة من حيث موضوعها".⁽¹⁾ ساقه صاحب الفن القصصي ليستدل به على أنّ (العقل الإسلامي) توصل إلى أنّ أخبار القرآن ليست هي محل الإعجاز، وإنما الإعجاز في قوة التأثير وسحر البيان.⁽²⁾

- مناقشة نسبة القول بوجود شيء من القصص الأسطورية في القرآن الكريم إلى شيخي المنار:

أما السيّد رشيد فقد قال قوله السابق عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٣]، وأراد به أنّ القرآن تحداهم بقصصه من ناحية بلاغتها وفصاحتها، ولكنّه سمح لهم تخفيفاً وزيادة في التبكيث أن لا يتقيّدوا بالصدق في الإتيان بعشر سور تضاهي القرآن في بلاغته وأسلوبه ونظمه، أمّا آية سورة يونس: فقد تحدّتهم بسورة واحدة على أن يلتزموا فيها الصدق على ما اختاره السيّد رشيد،⁽³⁾ ولقد أثبت السيّد رشيد أنّ إعجاز القرآن الكريم في قصصه لا يقتصر على المادّة اللغويّة؛ بل يشتمل أيضاً على الإخبار بالغيب،⁽⁴⁾ قال: "والظاهر أنّ التحديّ في سورتي يونس وهود خاصّ ببعض أنواع الإعجاز، وهي ما يتعلق بالأخبار، كقصص الرسل مع أقوامهم، وهو من أخبار الغيب الماضية التي لم يكن لمن أنزل عليه القرآن علم بها ولا قومه، كما قال تعالى عقب قصة سيّدنا نوح عليه السلام من سورة هود: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ [سورة هود: ٤٩]".⁽⁵⁾

ثمّ جاء خلف الله في السياق نفسه بعدّة نصوص من المنار للشيخين عبده ورضا، ليتوصّل من خلالها إلى إهمال الأخبار التاريخية في طائفة من قصص القرآن الكريم، وعدم وجوب الإيمان بها على أنّها دين يتّبع، وبذلك علّل إهمال القرآن الزمان والمكان وترتيب الأحداث،⁽⁶⁾ ورّتب على الإيمان بهذه القصص

(1) تفسير المنار، رضا/ [البقرة: 23] (143/1).

(2) ينظر: الفن القصصي، خلف الله/ ص 70.

(3) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (143/1).

(4) ينظر: المصدر نفسه/ (150/1).

(5) المصدر نفسه/ (143/1).

(6) ينظر: الفن القصصي، خلف الله/ ص 72-73. ومواقعها في المنار على ترتيب استشهاد خلف الله بها: [البقرة: 37] (204/1)،

[آل عمران: 96] (6/4)، (71/12)، [البقرة: 189] (145/2).

على أنّها للعبر والاتّعاظ دون الالتفات إلى قيمتها التاريخية عدّة فوائد أخطرها قوله: "أصبح (العقل الإسلاميّ) غير ملزم بالإيمان برأي معيّن في هذه الأخبار التاريخية الواردة في القصص القرآنيّ، وذلك لأنّها لم تبلّغ على أنّها دين يتّبع وأنّها بلّغت على أنّها المواعظ والحكم والأمثال التي تضرب للناس، ومن هنا يصبح من حقّ (العقل البشريّ) أن يهمل هذه الأخبار، أو يجهلها أو يخالف فيها أو ينكرها".⁽¹⁾

والحقيقة أن هذه النصوص ما كانت إلّا مؤكّدة على أن القرآن ليس كتاب تاريخ، وتشير إلى إغراضه عن تفاصيل الأحداث التاريخية من زمان ومكان وغيرها، وتقارن بين القرآن والتوراة وما وقع فيها من أخطاء تاريخيّة كشف عنها العلم الحديث، وكانت سبباً في إغراض الناس عنها، لذلك كان الهدف من أخبار القرآن العبرة والموعظة المبنية على سنّة الله تعالى في الأمم، تلك السنن التي وصفها الله بأنّها ثابتة لا تتبدّل ولا تتحوّل، ولو كانت مبنية على أساطير كاذبة لوقع التعارض بين ثبوتها وكذبها، ومن ثمّ بطل الاعتبار بها والاستفادة منها، فالآداب الإنسانيّة مملوءة بالقصص والأساطير الفنيّة؛ ولكنّ المتلقّي لا يعتدّ بدرس من دروسها ما لم يعلم أنّها أحداث حقيقة، حدثت لأشخاص حقيقيّين.

جاء في (إنّجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم): "ولسنا ندري كيف فات على مدّعي فنيّة القصّة القرآنيّة... أنّ تصريح الإمام في أكثر من موضع في تفسيره بأنّ التاريخ غير مقصود في القرآن لا يستلزم أن يكون ما ورد منه للعة والعبرة والهداية غير صادق تاريخيّاً مع الواقع"،⁽²⁾ كما انتقده لتفويته بعض النصوص الصريحة للشيخ التي تؤكّد حاكميّة القرآن الكريم على حوادث التاريخ، ويشكّك فيما يزيد عليه، رغم حرصه على تتبّع نصوص الشيخ محمّد عبده في الموضوع.⁽³⁾

أمّا الأخبار التاريخية التي يرى السيّد رشيد أنّها لم تبلّغ على أنّها دين يتّبع، فهي مجموعة من الروايات أوردها المفسّرون في مسألة بناء الكعبة من قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ [سورة آل عمران: 96]، فانتقد تلك الروايات وأشار إلى وجود الضعف فيها، ولم يقصد بكلامه عموم أخبار القرآن الكريم.⁽⁴⁾

(1) الفنّ القصصيّ، خلف الله/ ص74.

(2) إنّجاهات التجديد، شريف/ ص218.

(3) ينظر: المصدر نفسه/ ص218.

(4) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [آل عمران: 96] (6/4).

وقد أورد خلف الله نصاً على لسان الشيخ محمد عبده واستشهد به مرّات عدّة، وهو: "بيّنا غير مرّة أنّ القصص جاءت في القرآن لأجل الموعظة والاعتبار، لا لبيان التاريخ ولا للحمل على الاعتقاد بجزئيات الأخبار عند الغابرين، وإنّه ليحكى من عقائدهم الحقّ والباطل، ومن تقاليدهم الصادق والكاذب، ومن عاداتهم النافع والضارّ، لأجل الموعظة والاعتبار، فحكاية القرآن لا تعدو موضع العبرة ولا تتجاوز موطن الهداية..."⁽¹⁾ وبالرجوع إلى النصّ في المنار يتبيّن أنّ الشيخ محمد عبده قاله في حديثه عن قصّة هاروت وماروت، وأنّه عني بالباطل المروي عن الغابرين: ما حكاه عنهم القرآن الكريم من تحريفهم في العقائد والشرائع، وتحليل الحرام وتحريم الحلال، فهذه أعمال ظاهرة البطلان، وليس مقصود الشيخ أنّه يروي خبراً لم يقع.⁽²⁾ كما أنّ الشيخ محمد عبده قد نبه إلى أنّ القرآن الكريم عندما يحكي خرافات الوثنيين والمشرّكين أو ينقل العبارات والتعابير التي يستعملها المخاطبون ويخاطبهم بها لا يعني هذا أنّه يوافقهم عليها أو يقبل بها؛ بل ينقلها عنهم في معرض التوبيخ لهم وانتقادهم، أو يستعمل بعض عباراتهم الجارية على ألسنتهم وضمن ثقافتهم الشائعة ليؤثر بهم ويخاطبهم بما يعرفونه فقط، لا ليحملهم على الاعتقاد بها، يؤكّد ذلك ما حُتم به النصّ السابق: "فحكاية القرآن لا تعدو موضع العبرة ولا تتجاوز موطن الهداية، ولا بدّ أن يأتي في العبارة أو السياق وأسلوب النظم ما يدلّ على استحسان الحسن واستهجان القبيح"،⁽³⁾ ويضاف إلى ذلك أن النصّ جاء في معرض الحديث عن السحر، ويرى الشيخ أنّ السحر عبارة عن تخيّل يعتمد على الحيلة والشعوذة، أو صناعة علميّة خفيّة، وأراد بيان فساد عقيدة من يتوهّم تأثير السحر من منتحلي السحر.⁽⁴⁾

5

10

15

والنصوص الواردة في بداية المطلب عن الشيخين تثبت أنّهما كانا على يقين تامّ بصدق أخبار القرآن الكريم كلّها، ويتّضح ذلك لكلّ من تتبّع قصص القرآن في تفسير المنار، ومناقشته الروايات الواردة فيها، فقد أخطأ من وجّه تلك التهمة إلى الشيخ محمد عبده،⁽⁵⁾ والصواب أنّه لم يقل بالخيال في قصص

(1) تفسير المنار، رضا/ [البقرة: 102] (288/1). وينظر: الفن القصصي، خلف الله/ ص74 و200 و274.

(2) ينظر: مع المفسرين والكتاب، جمال/ ص77-78.

(3) تفسير المنار، رضا/ (288/1).

(4) ينظر: المصدر نفسه/ [البقرة: 102] (288/1-289).

(5) ذهب أيضاً د. فهد الروميّ إلى تحميل الشيخ محمد عبده القول بالتخيّل في قصص القرآن الكريم، وذلك بناء على تقديم كتبه أ. أمين الخولي لكتاب الفن القصصي، وآتبعه في ذلك عدد من الكتاب، سواء من قال بأسطوريّة القصص القرآنيّ منهم، ومن ردّها. ينظر: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، الروميّ/ (448-449).

القرآن؛ بل اتّبع طريقة التأويل، وهي مبنية على الإيمان بصدق أخباره وواقعيتها، وإن كانت قد أدّت به في بعض المواضع إلى تأويلات مردودة، لا تتفق مع أصول الدين واللغة وصحيح المأثور والسياق.⁽¹⁾ كما أنّه لم يتّبع هذه الطريقة إلّا في القصص التي يرى أنّ العقل البشري لا يقبلها على ظاهرها، فيصرفها عن هذا الظاهر،⁽²⁾ ومن ذلك تأويله قصة خلق آدم ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] إلى قوله: ﴿فَنَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَلَبَّاهُ وَنَبَّأَهُ بِالْحَقِّ إِنَّهُ هُوَ الْوَأْبُ

5

الرَّحِيمِ﴾ [البقرة: ٣٧]،⁽³⁾ أولها تأويلات بعيدة لا تحتملها وصلت به إلى الإشارات الرمزية الخفية، رغم وضوح عبارات القرآن، وقطعية دلالتها المكتسبة من تكرار ذكر القصة في القرآن الكريم، وقد لجأ إلى هذا الأسلوب من أجل تقريب المعنى إلى البعيدين عن الدين، وإن كان الشيخ يرى إبقاء النصّ على ظاهره مؤمناً بوجود الملائكة، ولم يقل بأنهم قوى غير عاقلة. قال السيّد رشيد معلّقاً على كلام شيخه في الاختيار بين المذهبين: "فظواهر الآيات في خلق آدم -مثلاً- مقدّم في الاعتقاد على النظريات المخالفة لها من أقوال الباحثين في أسرار الخلق وتعليل أطواره ونظامه ما دامت ظنيّة لم تبلغ درجة القطع".⁽⁴⁾ فهما يؤوّلان لمن لا يطمئن قلبه إلى التفويض، لا على اعتبار أنّ التأويل هو المراد دون غيره؛ وقد بيّن أنه يأتي بالتأويل على سبيل الجواز والإمكانية، لا الإلزام، كقوله بعد تأويل سجود الملائكة بتسخير الكون للإنسان لآدم ﷺ: "ولو أنّ نفساً مالت إلى قبول هذا التأويل لم تجد في الدين ما يمنعها من ذلك، والعمدة على اطمئنان القلب وركون النفس إلى ما أبصرت من الحق"،⁽⁵⁾ ثمّ بيّن السيّد رشيد غرض أستاذه من التأويل، وهو إقناع منكري الملائكة بوجودهم بما هو مألوف عندهم وتقبله عقولهم، وقد اهتدى قوم منهم بذلك للإيمان بوجود الملائكة، أمّا مذهب الشيخين فقد أقرّ صراحة أنّهما يميلان إلى حمل النصّ على ظاهره.⁽⁶⁾

10

15

وإن كانت طائفة من البعيدين عن الدين قد آمنت بالملائكة على هذا التأويل، إلّا أنّه يفتح أبواب

(1) ينظر: تفسير القرآن الكريم، شلتوت/ ص 40-41، والقصص القرآني، عباس/ ص 432-433.

(2) ينظر: مناهج المفسرين في بحث القصص القرآني، حبيب الخولي/ ص 426.

(3) تفسير المنار، رضا [البقرة: 37] [205/1-207].

(4) المصدر نفسه/ [البقرة: 30] [185/1-186]. وينظر: القصص القرآني، عباس/ ص 433-435.

(5) المصدر نفسه/ [البقرة: 34] [197/1].

(6) المصدر نفسه/ [البقرة: 30] [185/1]، [البقرة: 34] [198/1].

التأويل للذين في قلوبهم مرض، فألفاظ القرآن الكريم واضحة المفاهيم، وتأويلات كهذه تفقدها ماهيتها، وتفتح أبواب الفوضى.⁽¹⁾

ولا بد من الإشارة إلى أنّ الشيخ محمد عبده لم يعتمد هذا الأسلوب في كلّ القصص، فالغالب أن يترك النصّ على ظاهره، ويسلم بمراده، وهذا هو المنهج الوسط الذي يجب اتّباعه، ويقوم على الاحتفاظ بظاهر دلالات ألفاظ القرآن، وتعبيرها عن الواقع بصدق دون الاعتماد على روايات لا سند لها.⁽²⁾

5

المطلب الثالث: العلاقة بين العبرة والروايات الإسرائيلية

أفرد هذا النوع من الروايات بالدراسة لشدة عناية تفسير المنار بتتقيقه وتمحيصه، حتّى شغل جانباً مهماً منه، سواء منه ما رواه من أسلم من أهل الكتاب، وما ثقل من الكتاب المقدّس مباشرة، كما أنّ من المفسّرين المعاصرين من توسّع فيها، واعتبرها باباً للتوسّع في الاستشهاد والاعتبار بأخبار القرآن،⁽³⁾ فالهدف من دراستها بيان مدى استفادة تفسير المنار منها في هذا الجانب.

10

أولاً: تعريف الإسرائيليات وأقسامها:

الإسرائيليات: اللون اليهودي واللون النصراني للتفسير، وما تأثر به التفسير من الثقافتين اليهودية والنصرانية، وأطلق عليه هذا الاسم رغم اشتماله على الأخبار النصرانية تغليباً لكثرة الرواية عن اليهود، وكثرة اختلاطهم بالمسلمين.⁽⁴⁾ وتكثر الروايات الإسرائيلية في التفسير في بيان ما أبهمه القرآن من تفاصيل في قصصه، فكثيراً ما تحتوي قصص كتبهم على تفاصيل دقيقة تخلو في الغالب عن فائدة -بخلاف قصص القرآن التي تقتصر على ما يؤدّي العبرة المرجوة من القصة- وذلك كأسماء أهل الكهف ولون كلبهم،⁽⁵⁾

15

(1) ينظر: القصص القرآني، عباس/ ص436.

(2) ينظر: تفسير القرآن الكريم، شلتوت/ ص44.

(3) منهم جمال الدين القاسمي في تفسيره (محاسن التأويل). ينظر: (44-45/1)، وممن توسّع أيضاً: عبد الحميد الفراهي في تفسيره (نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان). ينظر: ص37-38 و48-50.

(4) ينظر: التفسير والمفسرون، الذهبي/ (121/1).

(5) ينظر: المصدر نفسه/ (122-123/1)، الموضوعات والإسرائيليات في كتب التفسير، د. محمد بن محمد أبو شهبه/ ص12-13.

أما مصادرها التي أخذت منها فهي كتب أنبيائهم كالتوراة والإنجيل والزبور وشروحها.⁽¹⁾

وقد دخلت الروايات الإسرائيلية إلى التفسير منذ عهد الصحابة رضي الله عنهم عن طريق مسلمي أهل الكتاب، وأشهرهم كعب الأحبار ووهب بن منبه،⁽²⁾ ثم تزايدت هذه الروايات في عهد التابعين مع تزايد المسلمين من أهل الكتاب وتزايد الرغبة في سماع ما عندهم من تفاصيل، إلى أن ملئت بها كتب التفسير في عصر التدوين، وضُغِفَ الانضباط بالشروط التي كانت على عهد الصحابة،⁽³⁾ ثم جاء فيما بعد من المفسرين من نظر في كتب أهل الكتاب، واستفاد منها في تفسير كتاب الله، إلى أن جاءت مدرسة المنار، وأصبح النقل عن الكتاب المقدس سمة عامة وأساساً من أسسها، وتابعها من تأثر بها من المفسرين، رغم محاربتهم للإسرائيليات المروية عن مسلمي أهل الكتاب.⁽⁴⁾

5

قسّم العلماء الإسرائيليات إلى ثلاثة أقسام: فما وافق القرآن منها لا بأس في روايته استئناساً، وإن كان في القرآن غنى عنه، وما خالفه لا تجوز روايته إلا على سبيل التنبيه إليه،⁽⁵⁾ وأما ما سكت عنه فقد شرطوا لقبوله ألا يخالف القرآن والسنة، على ألا يُجزم بتصديقه والإيمان بكونه وحياً، ولا بتكذيبه وعده

10

(1) التفسير والمفسرون، الذهبي/ (121/1-122)، والإسرائيليات والموضوعات، أبو شهبه/ ص 13-14.

(2) كعب الأحبار: هو أبو إسحاق، كعب بن ماته الحميري ت 32 أو 34 هـ، كان يهودياً، وأسلم في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وقيل: عمر رضي الله عنه وحسن إسلامه، سمي كعب الأحبار لكثرة علمه، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم مراسلاً وعمر وصهيب وعائشة رضي الله عنهن، وروى عنه أبو هريرة ومعاوية وابن عباس رضي الله عنهما وعدد من التابعين، اتفقوا على توثيقه وعلمه، توفي في حمص. ينظر: تهذيب الأسماء واللغات، محي الدين يحيى بن شرف النووي/ (68/2-69)، تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني/ (471/3).

وهب بن منبه: ابن كامل، أبو عبد الله الصنعائي ت 110 أو 113 أو 114 هـ، من أبناء الفرس، عالم بكتب أهل الكتاب، ولد 34 هـ، ولي قضاء صنعاء، روى عن ابن عباس وأبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهم وغيرهم، وروى عنه ولده عبد الله وعبد الرحمن وعاصم بن رجاء بن حيوة، ثقة صدوق، وضعفه عمرو بن الفلاس لكتاب كتبه في القدر، ثم ندم عليه، وله كتاب في ملوك حمير، روى له ابن ماجه في التفسير والباقون. ينظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، جمال الدين يوسف المزي/ (140/31-142 و141)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، شهاب الدين عبد الحي بن أحمد ابن العماد/ (73/2-74).

(3) ينظر: التفسير والمفسرون، الذهبي/ (97/1 و128-129 و123-124).

(4) ينظر: اتجاهات التفسير، الرومي/ (754/2 و755 و762-763).

(5) ينظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير/ (9/1)، التفسير والمفسرون، الذهبي/ (130/1-131).

من تحريفات أهل الكتاب، وأن تذكر للاستشهاد لا الاعتضاد،⁽¹⁾ وألا يكون من لهو الحديث.⁽²⁾ أمّا النظر في كتب أهل الكتاب والنقل عنها، فمن العلماء من ذهب إلى كراهته كالإمام ابن حجر،⁽³⁾ بدليل نقل الأئمة قديماً عنها، ومنهم من ذهب إلى تحريمه كالإمام الزركشي،⁽⁴⁾ على أنّ الأولى -على القول بالكراهة- أن يراعى حال المطلع في الرسوخ في العلم وعدمه،⁽⁵⁾ وهو -أيضاً- مشروط بشروط روايات مسلمي أهل الكتاب، ولا يُذكر ما عُلم كذبه إلاّ للتحذير منه.⁽⁶⁾

5

والحقيقة أن هذه الروايات صارت سبباً في دخول الضعف على التفسير بالمأثور؛ بسبب عدم التمحيص في صحيحها وضعيفها، فضلاً عن إيقالها كتب التفسير؛ وذلك لحذف أسانيدها، وولوع بعض المفسرين بها، فأتجه العلماء إلى التحذير من الغلو فيها.⁽⁷⁾

ثانياً: منهج تفسير المنار في الإسرائيليات:

اعتمد السيّد رشيد على نصّ لابن تيمية في موضوع الإسرائيليات، إذ قسّم التفسير إلى قسمين: منقول ومعقول. وأمّا المنقول فقسمان: ما روي عن النبي ﷺ، أو غيره، ومنه ما يمكن معرفة صحيحه من ضعيفه، ومنه ما لا يمين معرفته. ومن هذا القسم الأخير جعل الإسرائيليات التي لا فائدة في معرفتها، وهو

10

(1) ينظر: مقدمة في أصول التفسير، أحمد بن تيمية/ ص42-43، تفسير ابن كثير/ (9/1)، دراسات في مناهج المفسرين، د. إبراهيم عبد الرحمن خليفة/ ص340-341.

(2) ينظر: دراسات في مناهج المفسرين، خليفة/ ص344-346.

(3) أبو الفضل أحمد بن عليّ بن محمد الكناي ابن حجر العسقلاني، ولد في القاهرة 773هـ، ولع بالأدب والشعر، ثمّ اشتغل بالحديث، ولي القضاء بمصر، ثمّ اعتزل، توفّي بالقاهرة 852هـ، له: لسان الميزان، ونزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، وفتح الباري في شرح صحيح البخاري. ينظر: الضوء اللامع، السخاوي/ (2/36-40)، والأعلام، الزركلي/ (1/178-179).

(4) أبو عبد الله محمد بن محمد بن بادر بدر الدين الزركشري المصري الشافعي، ولد 745هـ، أخذ عن الإسنوي وابن كثير ومغلطاي، فقيه أصولي مفسر أديب، ولي مشيخة خانقاه كريم الدين، توفي 794هـ، له: البرهان في علوم القرآن، وتفسير القرآن العظيم، والنكت على ابن الصلاح. ينظر: طبقات المفسرين، الداودي/ (2/162-163)، والأعلام، الزركلي/ (6/60-61).

(5) ينظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني/ (17/606-607).

(6) ينظر: الأقوال القويمة في حكم النقل عن الكتب القديمة، أبو الحسن البقاعي/ ص179.

(7) ينظر: التفسير والمفسرون، الذهبي/ (1/155-157)، التفسير والمفسرون، عباس/ (1/171).

النوع الذي يجب التوقّف فيه إلّا أن يرد فيه نصّ صحيح مرفوع، ويليه الموقوف على الصحابة لقلة نقلهم عن أهل الكتاب وقوة احتمال سماعهم من النبي ﷺ، فهو ممّا يصدّق أيضاً، بخلاف أقوال التابعين إذ كثر فيهم النقل عن أهل الكتاب، فيجب التوقّف فيما يروونه ما لم يتفقوا عليه، فإذا اتفقوا فإنّه يكون أبعد عن روايات أهل الكتاب،⁽¹⁾ أمّا روايات أهل الكتاب أنفسهم، فلا تُصدّق لئلا تكون من تحريفهم وزياداتهم، ولا تُكذّب لئلا تكون ممّا حُفظ من كتبهم، إلّا أن يكون مخالفاً لنصوص القرآن أو السنّة.⁽²⁾

5

ويمكن إجمال أسس تعامل تفسير المنار مع الإسرائيليات بما يأتي:

1. التحذير من رواية الإسرائيليات، والاكتفاء بنصّ القرآن الكريم، واعتبارها من الصوارف عن هداية القرآن الكريم،⁽³⁾ وقد كان الشيخ محمد عبده أكثر التزاماً بهذه القاعدة من تلميذه، مع أنّ السيّد رشيد كان أشد لهجة في التحذير منها.⁽⁴⁾

2. التأكيد على أهمية علوم الحديث في نقد الروايات الإسرائيلية، والنعي على من ينقل كلّ الروايات دون تمييز بين مقبولها ومردودها من عصر التابعين فمن بعدهم.⁽⁵⁾ وعدم مخالفة أصول الدين والنصوص القطعية، وعدم مخالفة السنن الإلهية.⁽⁶⁾

10

3. استعان السيّد رشيد بنقول من الكتاب المقدّس في بيان مبهمات القرآن، ومناقشة الروايات المذكورة في كتب التفسير والحكم عليها قبولاً أو ردّاً، بخلاف الشيخ محمد عبده الذي التزم بالاكتفاء بنصوص القرآن، والإقلال من النقل الحرفي من الكتب المقدّسة،⁽⁷⁾ فقد كان يرى ضرورة الامتناع عن بيان مبهمات

15

(1) ينظر: مقدّمة في أصول التفسير، ابن تيمية/ ص20-22، وتفسير المنار، رضا/ (11/1-12)، [الأعراف:27] (286/8-287).

(2) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [الأعراف:27] (286/8-287).

(3) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (11/1) [البقرة:68] (252/1)، التفسير والمفسّرون، الذهبي/ (401/2-402 و410-411)، التفسير والمفسّرون، عباس/ (35/2-36)، مناهج المفسّرين في بحث القصص القرآني/ حبيب الخولي/ ص159.

(4) ينظر: التفسير والمفسّرون، عباس/ (179/2)، مناهج المفسّرين في بحث القصص القرآني، حبيب الخولي/ ص157.

(5) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [الأعراف:27] (286/8)، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، أبو شهبة/ ص37.

(6) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (370/9-371).

(7) ينظر: التفسير والمفسّرون، الذهبي/ (432/2)، التفسير والمفسّرون، عباس/ (33/2-35).

القرآن، فلو كانت بحاجة إلى بيان لبينها النص القرآني.

4. لا يلتزم تفسير المنار حكم الجمهور؛ بل يخالفهم إلى ما يرى فيه الصواب ولو كان مخالفاً لمذهبهم.⁽¹⁾
5. لا يلتزم تفسير المنار طريقة معينة في عرض الإسرائيليات، فقد يذكرها باللفظ، أو يذكرها بالمعنى، وقد يردّها جملة، أو يردّها تفصيلاً، إلّا أنّه لا يتركها دون تعليق.

5

ثالثاً: أسباب رواية الإسرائيليات في تفسير المنار، ومكانتها كمورد للعبرة:

—أسباب رواية الإسرائيليات في المنار:

امتاز القرآن على الكتب السابقة بأنّه لا يقصّ القصّة حكاية تاريخيّة بتفاصيلها؛ بل يقتصر على موضع العبرة، بخلاف التوراة التي بين أيدي اليهود اليوم، فلا يصحّ أن تفسّر الآية بروايات إسرائيلية لمجرد ورود ما في معناها في كتب أهل الكتاب؛⁽²⁾ لكن من المسوّغات لإيراد الإسرائيليات في تفسير المنار:

10

1. الاستئناس: وافق المنار العلماء في جواز رواية أخبار أهل الكتاب في ما وافق شرعنا استئناساً بها، وليبيان أنّ تلك الكتب أصلها من عند الله تعالى —مثل القرآن— واعتماداً على أنّهم كما حرّفوا نصيباً منها بقي عندهم نصيب كما أنزله الله عليهم، كما يحرص على أن تكون الرواية المنقولة عن مسلمي أهل الكتاب موافقة للكتاب المقدّس.⁽³⁾

15

2. شرح مبهمات القرآن: استعان السيّد رشيد في تفسير بعض مبهمات القرآن بنصوص الكتب المقدّسة في مواضع قليلة، لأجل ردّ ما اشتهر في التفاسير من روايات عن مسلمي أهل الكتاب أو الترجيح بينها، إذ كان يرجّح أنّ روايتها أرادوا بها خداع المسلمين، وفتح باب الطعن على القرآن من قبل اليهود.⁽⁴⁾ والسبب في ذلك ما رجّحه من جرح رواة مسلمي أهل الكتاب ككعب الأحبار ووهب بن منبّه، ومبالغته في ذلك حتّى نسب إليهما تعمّد الكذب والصدّ عن الدين.⁽⁵⁾ مخالفاً بذلك ما ذهب إليه علماء الجرح

(1) ينظر على سبيل المثال: [المائدة: 31] [256/6].

(2) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [البقرة: 37] [204/1].

(3) ينظر على سبيل المثال: [الأعراف: 142] [90/9-91].

(4) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [البقرة: 248] [332-333/2]، وينظر على سبيل المثال: [الأعراف: 133] [66/9-67].

(5) من المواضع التي جرح فيها السيّد رشيد كلاً من كعب ووهب: [الأعراف: 108] [34/9]، [364/9]، [يونس: 88]

والتعديل من عدالتهم، وكوئهما من كبار مسلمي علماء أهل الكتاب؛ ولكن الحق أن من ثبتت عدالته منهم، وتميز بغزارة علمه بالكتب السماوية السابقة فالأخذ عنه أولى من الأخذ عن الكتب السماوية مباشرة.

3. إقامة الحجّة على أهل الكتاب: يورد تفسير المنار شبهات اليهود والنصارى وتحريفاتهم في

دينهم، ويردّها من كتبهم نفسها، سواء منها ما يتعلّق بعقيدة التوحيد، أو ما كتموه من بشارات برسول الله محمد ﷺ، وقد توسّع المنار في موضوع البشارات، فلا يخلو جزء من أجزائه منها.⁽¹⁾ ذلك أن القرآن صحيح الإسناد متواتر إلى وقت إنزاله، بخلاف التورا، فأسانيدها مختلف فيها، وقد تأخّر تدوينها عن نزولها قرونًا.⁽²⁾

5

4. التحذير من الروايات المردودة: قلّما يترك تفسير المنار الخبر الإسرائيليّ دون تعليق وترجيح،

فإن تركه يكون متوقّفًا فيه غير مصدّق أو مكذّب، وقد يورده أو يشير إليه ليحدّر منه مبينًا سبب حكمه عليه، كأن يكون مخالفًا لصحيح القرآن والسنة، أو العلم والعقل، أو مخالفًا لكتب أهل الكتاب والتاريخ، أو لضعف في سنده أو اضطراب في متنه؛ بل إن صحّة السند لا تمنعه من ردّ الرواية إذا اشتبه فيها بعلّة إسرائيلية، كاعتراضه على أحاديث كطلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال.⁽³⁾

10

لقد استوفى القرآن الكريم العبرة كاملة في قصصه، فلا حاجة إلى التماسها في تفاصيل كتب أهل

(340/11)، وتبعه في تضعيفهما: الشيخ المراغي، وأ. أحمد أمين، د. بشّار معروف، والشيخ شعيب الأرناؤوط. ينظر: تفسير

المراغي/ [الأعراف: 107] [24-25/9]، وفجر الإسلام، أحمد أمين/ ص 160-161، وتحرير تفريب التهذيب، د. بشّار عوّاد معروف والشيخ شعيب الأرناؤوط/ (198/3).

وأهم أسباب طعنه بوهب قوله بالقدر -كما قال الفلاس- ولكنّه رجع عنه كما تبين في ترجمته، وسبب طعنه في كعب قول سيّدنا معاوية ؓ فيه: (وإن كنّا مع ذلك لنبلو عليه الكذب) وقد رواه البخاريّ في تفسيره تعليقاً في كتاب الاعتصام، باب قول النبيّ ﷺ: ((لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء)) (2679/6)، وقد بيّن العلماء أن المقصود بالكذب هنا الخطأ، أو أن الكذب ناجم عمّن روى عنهم من أهل الكتاب، أو قرأه في كتبهم. ينظر: تفسير ابن كثير/ [الكهف: 84] (190/5)، والإسرائيليات والموضوعات، أبو شهبة/ ص 102-104.

(1) ينظر: الفهارس الألفبائية للكتاب من طبعة دار المنار.

(2) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [آل عمران: 44] [210-211/3]، وينظر على سبيل المثال: [آل عمران: 64] [226-227/3].

(3) ينظر: المصدر نفسه/ [الأنعام: 158] [169/8]، [الأعراف: 187] [364/9].

الكتاب والتواريخ، فالسؤال الآن: هل استفاد تفسير المنار من الإسرائيليات المروية عن أهل الكتاب - مسلميهم أو غيرهم- وعن الكتب المقدسة في استخلاص العبر، فيعتبر ذلك سبباً من أسباب روايتها في تفسير المنار؟ والجواب عليه فيما يأتي.

● مكانة الإسرائيليات في استخراج العبر:

5 من خلال استقراء الأمثلة لم أجد أنّ السيّد رشيد استعان بتلك الكتب في تعزيز العبرة إلّا في موضع واحد، في ختام تفسيره لقصة دخول بني إسرائيل الأرض المقدسة، وتأديبهم بالتّيّه في سورة المائدة: [20-26]؛ فقد أورد عدّة نصوص من سفر العدد الإصحاحين (13-14) في غضب الربّ عليهم إزاء معاندتهم وجبنهم، وفيها ما فيها من عبارات تخلّ بالعقيدة،⁽¹⁾ ثمّ قال: "لا نبحت هنا في هذه العبارات التي أثبتناها، ولا في ترك ما تركناه من الفصل في موضوعها، لا من حيث التكرار، ولا من حيث الاختلاف والتعارض، ولا من حيث تنزيه الربّ تعالى، ولا نبحت عن كاتب هذه الأسفار بعد سبي بني إسرائيل؛ وإمّا نكتفي بما ذكرناه شاهداً، ونقول كلمة في حكمة هذا العقاب، تبصرة وذكرى لأولي الألباب..." ثمّ تحدّث عن مفساد النشأة في الظلم والاستبداد، وما ينبي عليها من فساد في الأخلاق، وركون إلى المهانة والمذلة والمسكنة، حتّى تصير كالعرائز الفطريّة والطبائع الخلقية، فلا يكون لها علاج إلّا هلاك ذاك الجيل واستبدال جيل آخر به يجمع بين حرّيّة البداوة والعلم بالشرعية والعمل بها.⁽²⁾ وهذا المعنى مستفاد من النصّ الذي أورده من الكتاب المقدّس، وفيه: "29... جميع المعدودين منكم حسب عددكم، من ابن عشرين سنة فصاعداً، الذين تدمّروا عليّ 30 لن تدخلوا الأرض التي رفعت يدي لأسكنكم فيها ما عدا كالب بن يفنة ويشوع بن نون 31 وأما أطفالكم الذين قلت: يكونون غنيمة فإني سأدخلهم، فيعرفون الأرض التي احتقرتموها..."⁽³⁾.

20 إذّا يمكن تلخيص مكانة الإسرائيليات سواء منها المرويّة عن مسلمي أهل الكتاب، أو المنقول من كتب التاريخ أو الكتب السماوية بما يأتي:

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (248/6-249).

(2) ينظر: المصدر نفسه/ (249/6-250).

(3) الكتاب المقدّس، العهد القديم، سفر العدد: 14.

أولاً: إنَّ كلا الشيخين عبده ورضا يعتبر أنَّ البحث في التفاصيل التي أغفلها القرآن الكريم مشتتة عن العبرة، ومضيعة للوقت، ولو كان في التفاصيل التي أغفلها القرآن الكريم فائدة لما ضنَّ بها علينا، وقد أشارا إلى هذا المعنى كثيراً،⁽¹⁾ وذهب إليه الإمام ابن كثير أيضاً، فقال فيما حكمه التوقف فيه من الأخبار الإسرائيلية: "وكثير من ذلك ممَّا لا فائدة فيه، ولا حاصل له ممَّا ينتفع به في الدين، ولو كانت فيه فائدة تعود على المكلفين في دينهم لببنته هذه الشريعة الكاملة الشاملة، والذي نسلكه في هذا التفسير الإعراض عن كثير من الأحاديث الإسرائيلية، لما فيها من تضييع الزمان، ولما اشتمل عليه كثير منها من الكذب المروج عليهم"،⁽²⁾ وقد عزا الشيخ محمد عبده ضياع عبر أخبار الكتب المقدسة إلى تحاؤون مدوَّنيها في تدقيقها وتحري الصدق في أخبارها، قال في تفسير قصَّة طالوت وجالوت: "وكما فات مؤرَّخي بني إسرائيل تحرير الوقائع والحوادث بالتدقيق فاتهم ما فيها من العبر والحكم، فأين ما نقلناه في تفسير هذه القصة عنهم ممَّا تجده في عبارة القرآن من صنوف العبرة؟"⁽³⁾ فشتان بين عبرة أخذت من حادثة وقعت يقيناً، وأخرى مصدرها خبر نھينا عن الجزم بصحَّته أو خطئه.

5

10

وقال الشيخ في عدم تعيين القرآن الكريم الذين أخرجوا من ديارهم: "ولو علم لنا خيراً في التعيين والتفصيل لتفضّل علينا بذلك في كتابه المبين، فنأخذ القرآن على ما هو عليه، لا ندخل فيه شيئاً من الروايات الإسرائيلية التي ذكروها، وهي صارفة عن العبرة لا مزيد كمال فيها".⁽⁴⁾

وقال السيّد رشيد: "والقرآن يبيّن صفوة الوقائع، ومحلّ العبرة فيها، لا ترجمة جميع الأقوال بحروفها، وشرح الأعمال ببيان جزئياتها، فما يقصّه من أمور بني إسرائيل هو الواقع وروح ما صح من كتبهم، أو تصحيح ما حرّف منها".⁽⁵⁾

15

ثانياً: استخلص السيّد رشيد عبرة عامّة من الكتب المقدسة، وهي إثبات نبوة سيّدنا محمد ﷺ، ودحض فرية الملحدين وأهل الكتاب بادّعاء أن القرآن الكريم مأخوذ من الكتب السابقة له، وليس وحياً منزلاً عليه من الله. ويردّ عليهم بأنّه لو كان كذلك لوافقها في كلّ ما أتى به من أخبار؛ ولكنّ الحقّ أنّه

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (11/1).

(2) تفسير ابن كثير/ [الأنبياء: 51] (347/5-348).

(3) تفسير المنار، رضا/ [البقرة: 250] (337/2).

(4) المصدر نفسه/ (325/2).

(5) المصدر نفسه/ [المائدة: 24] (247/6)، وينظر أيضاً: [يوسف: 18] (184/12-185).

مهيمن عليها مقوم لما اعوجج منها بالتحريف والتبديل، فهو ممتاز عليها بصحة سنده وتواتره، بالإضافة إلى أن معظم القصص في القرآن المبكي، حيث لا وجود لأهل الكتاب، فكيف يرويه عنهم؟⁽¹⁾

ثالثاً: العبرة الخاصة التي أخذها السيد رشيد من صريح النص السابق من العهد القديم: هي ثبوت

سنة الاستبدال، وقد أشار القرآن الكريم إليها في آية ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ

فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [سورة المائدة: ٢٦]، فإنهم بعد أربعين سنة لا يبقى منهم في الغالب إلا صغارهم، وعبرة التوراة صريحة بإبقاء أطفالهم ذوي الفطرة السليمة حتى يدخلوا الأرض التي امتنع عنها آبائهم، فزادت عبرة القرآن الكريم وضوحاً ولم تأت بعبرة جديدة.

5

فما جاء من هذه الروايات موافقاً لكتاب الله تعالى لا بأس بروايته، مع لاقتصاد فيه، والاقتصار على ما تقتضيه الضرورة والفائدة، أما ما لم يأت مصدقاً ولا مكذباً من الروايات فالأفضل ألا تُقرن بآيات القرآن الكريم، وتجعل تفسيراً لها، لأن ذلك يوحى بتصديقها، وقد ورد النهي عن تصديق ما لم يرد فيه شيء من القرآن الكريم، وقد ذهب إلى ذلك الشيخ أحمد شاکر،⁽²⁾ فإن كانت روايتها لغايات أخرى غير تفسير كلام الله تعالى كالأخبار، ورد الشبهات، ومناقشة أهل الكتاب فتذكر في كتب مستقلة عن كتب التفسير، إلا أن يكون بقدر الضرورة، كبيان تصديق القرآن الكريم لما بين يديه من الكتاب وهيمنته عليه، فلا مانع من ذكرها في مواضعها من التفسير، والباحث عن العبرة يكفيه نص القرآن الكريم، فلا يحتاج إلى البحث عنها فيما سبقه من كتب، والله أعلم.

10

وينطبق هذا الكلام على تفسير المنار، الذي أكثر من مناقشة الإسرائيليات في أسانيدھا ومتونها، وإن كان قد رد أكثرها، كما أكثر من النقول من الكتب المقدسة، وأعطاه حقه في النقد، فرفض منها ما خالف نصوص الشريعة أو العقل والعلم، واستفاض في بيان ضعف تاريخ تدوينها، والشك في عدالة مدوّنيها، والقرآن في غنى -مع ذلك- عنها.

15

فالخلاصة أن العبر التاريخية في الأمم والمجتمعات لا بد أن تؤخذ من موارد موثوقة صحيحة، لتورث علماً يقينياً يمكن قياس الأحوال الراهنة عليه، والاستفادة منها في إيجاد الحلول، فكيف يمكن التنبؤ بنتائج الأحداث الراهنة من خلال أحداث مشكوك في صحتها؟

20

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [المائدة: 22] (246/6)

(2) ينظر: عمدة التفاسير عن الحافظ ابن كثير، أحمد شاکر/ (14/1).

المبحث الثاني: الاعتبار بالأخبار المتعلقة بالدعوة الإسلامية

اقتضت حكمة الله تعالى أن يُنزل عدداً من آيات القرآن الكريم بسبب أحداث حصلت في أثناء عصر الدعوة، أو تعقياً عليها، ليقعد على أساسها قواعد ومرتكزات تقوم عليها الأمة الإسلامية في مجالات مختلفة من حياتها، فتحدث القرآن عن غزوات الرسول ﷺ، وأجاب عن أسئلة الصحابة رضي الله عنهم، وتولّى توجيههم في مواقف كثيرة، ونالت هذه الأخبار اهتمام تفسير المنار، كما اهتم بأحوال أهل الكتاب والمنافقين، وربطها بعصره الحاضر، كما طبّق عبر القرآن التاريخية على مراحل التاريخ الإسلامي من عصر النبوة إلى العصر الحديث.

5

المطلب الأول: الاعتبار بأخبار عصر النبوة

تنوعت الدروس المستمدّة من غزوات النبي ﷺ بتنوع نتائجها وأحوال المسلمين فيها؛ وقد عرض القرآن الكريم أهمّها لتكون دروساً للبشرية من بعدهم، وأثبت جانباً من أخبار الصحابة رضي الله عنهم، ممّا يصلح أن يكون قدوة يُقتدى بها، وقد اهتم تفسير المنار بها، وأرشد إلى أسس تُعين على تعميم العبرة، وحسن الاقتداء بالنبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم.

10

أولاً: الاعتبار بأخبار الصحابة رضي الله عنهم، واعتبارهم بسنن الله تعالى في الأمم من الناحية الحربية:

اهتمّ تفسير المنار في معرض تناوله للآيات النازلة في شأن غزوات المسلمين بكبر وأحد وحنين بالدروس الحربية المستفادة منها، ويرجع ذلك إلى الواقع الذي كان يعيش فيه الشيخان عبده ورضاء، وما اعتراه من أزمات سياسية، واضطرابات وحروب، أهمّها الحرب العالمية الأولى، فعزما على تسخير جزء من هذا التفسير لتوجيه الأمة للاستفادة ممّا وقع للصحابة رضي الله عنهم من نصر وهزيمة، وشدة ورخاء، وبيان أسباب كلّ من ذلك في مواضعه كالطاعة أو المخالفة، والاستعداد المادّي والروحي، وربطها بالواقع، والتأكيد على توافيقها مع القواعد العسكرية الحديثة، والمعطيات الحضارية اليوم.⁽¹⁾

15

1. الاعتبار بأخبار الصحابة رضي الله عنهم:

20

إنّ المسلم العارف بتاريخ دينه هو الذي يعتبر بما خاطب به الله الصحابة رضي الله عنهم، وبقيس الدروس الموجهة إليهم على نفسه وأمتّه، فإنّ أولى من يقتدى به خيرة السلف الصالح؛ قرن النبي ﷺ، سواء في ذلك

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [التوبة: 29] (242/10).

عامة المسلمين وعلمائهم وأمرائهم وسلاطينهم، بل الأمراء هم المخاطبون بالأصالة بهذه الآيات، والأمة بالتبع لهم؛ فهم أصحاب الحل والعقد في أمور الحرب والسلم، وييدهم توعية العامة وتعليمهم.⁽¹⁾

قال الشيخ محمد عبده مبيناً سبيل الاستفادة من أخبار الصحابة رضي الله عنهم في تفسيره قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [سورة البقرة: ٢١٤]: "المسلم العارف بتاريخ دينه يعرف قيمة أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، والمسلم العامي المقلد يعظمهم في خياله وشعوره أشد مما يعظمهم العارف في فكره وقلبه... ولكن ما بال هؤلاء وأولئك لا يعتبرون بما خاطبهم الله تعالى به في مثل هذه الآية، ولا يتأملون كيف عاتبهم الله تعالى هذا العتاب الشديد على ظنهم وحسبانهم أنهم يدخلون الجنة وهم لم يقاسوا من البأساء والضراء واحتمال الشدائد في سبيله ما قاسى الذين سبقوهم بالإيمان، حتى استحَقُّوا الجنة؟"⁽²⁾

5

2. اعتبار الصحابة رضي الله عنهم بسنن الله تعالى في الأمم:

10

وقد سبق الصحابة رضي الله عنهم إلى هذه الهداية، فاستفادوا مما وردهم من أخبار قبائل العرب وحروبها، وعلموا سنن الله فيهم، وطبقوها في حروبهم وفتوحاتهم. وإن لم يصل إلينا شيء مدون من ذلك، فذلك لأن عصر الصحابة لم يكن عصر تدوين لأي من العلوم فضلاً عن علم السنن الإلهية،⁽³⁾ وقد أرشدهم الله إليه في خاتمة الحديث عن غزوة أحد بقوله: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ

كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٧].

15

وإنما انتصرت القرون الأولى باتباعهم سنن الله تعالى في الاجتماع، من إعداد القوى المادية من سلاح وعتاد ونظام حربي، إلى جانب القوة المعنوية من اتكال على الله والضراعة إليه بالدعاء، ولما ضعف الاستعداد المادي اليوم بتقصير المسلمين وتواكلهم، واعتماد طائفة منهم على خوارق العادات وقراءة الأوراد دون سعي لتحصيل العلوم، وتطوير الصناعات الحربية والمدنية فقدوا كثيراً من ممالكهم، وظنوا أن العلة في الإسلام نفسه، فاعتمدت طائفة أخرى على نظم إلحادية مدنية تناهض الإسلام، وقد أجاب السيد رشيد

20

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [البقرة: 214] [210/2-213].

(2) المصدر نفسه/ [البقرة: 214] [210/2-213].

(3) ينظر: المصدر نفسه/ (100/4).

عن هذا الاعتراض بوصفه: "حجة على المسلمين المتأخرين لا على الإسلام، فالإسلام يأمر بإعداد القوى المادية، ويضيف إليها القوى المعنوية، ومنها -بل أعظمها- الإيمان بالله ودعاؤه، والاتكال عليه باتفاق العقلاء حتى الماديين منهم، ولم يشرع للناس الاتكال على خوارق العادات، حتى في أيام الرسول المؤيد بالآيات البينات، ولما غلب المسلمون في وقعة أحد لتقصيرهم في الأسباب، وتعجبوا من ذلك أنزل الله

تعالى: ﴿أَوَلَمَّْا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [سورة آل عمران: ١٦٥]،⁽¹⁾ لذلك أكد تفسير المنار على ضرورة الموازنة بين التقدم العلمي والصلاح العقدي والاجتماعي،⁽²⁾ وقد ضرب السيّد رشيد مثلاً على ذلك: ضعف الترك والمصريين في زمنه بسبب استبداد حكامهم، وهدر أموال الأمة فيما حرم الله، مقابل اتباع الإفرنج لما دعا إليه القرآن من سنن في العمران والاجتماع.⁽³⁾

5

ثانياً: اعتبار النبي ﷺ بأخبار القرآن الكريم، والاعتبار بأخباره ﷺ:

10

انصفت سنة الله تعالى بالحاكمة؛ أي: إنّ كلّ فئات البشر خاضعة لحكمها لا يُستثنى من ذلك نبي ولا صالح، فمتى روعيت شروطها ترتبت آثارها على الجميع، وذلك من عدالة الله المطلقة في خلقه، فالله سبحانه لا يحابي أحداً لنسبه ولا لقبه؛ بل سننه سارية على المسلمين وغيرهم مهما كانت طبقتهم.⁽⁴⁾

قال السيّد رشيد: "وليعلموا أنّ الله العظيم الحكيم لا يحابي في سننه المطردة في نظام خلقه مسلماً ولا يهودياً ولا نصرانياً؛ لأجل اسمه ولقبه، أو لانتسابه بالاسم إلى أصفائه من خلقه؛ بل كانت سننه حاكمة على أولئك الأصفاء أنفسهم حتى إنّ خاتم النبيين -صلى الله عليه وعليهم أجمعين وسلم- قد شجّ رأسه وكُسرت سنّه، وردّي في الحفرة يوم أحد لتقصير عسكره فيما يجب من نظام الحرب".⁽⁵⁾

15

فرسول الله ﷺ لا يملك رفع سنة الله تعالى عن قومه إن اقتضت عذابهم أو حلول شدة فيهم؛ بل لا يملك رفعها عن نفسه، قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [سورة آل عمران: ١٢٨]، فهو ﷺ بشر لا يملك

(1) تفسير المنار، رضا/ [الأنفال: 40] (488/9).

(2) ينظر: مفهوم السنن الإلهية، محي الدين/ ص 263.

(3) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [الأنفال: 40] (489-488/9).

(4) ينظر: المصدر نفسه/ [النساء: 54] (111/5)، مفهوم السنن الإلهية، محي الدين/ ص 117-118 و 255.

(5) تفسير المنار، رضا/ [النساء: 54] (111/5).

من أمر الخلق شيئاً سوى تنفيذ أمر الله تعالى فيهم، والله يقضي فيهم بما يشاء حسب حكمته وسننه التي بينها لهم، لذلك عندما قصّر الصحابة في الأخذ بالأسباب في غزوة أحد، وخالفوا أمر النبي ﷺ ظهر عدوّهم عليهم، ولم يسلم رسول الله ﷺ من أذاه رغم التزامه ﷺ بسنن الله وثباته، ولكن ذلك مصداق لسنة اجتماعية أخرى بينها قوله: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [سورة الأنفال: ٢٥].⁽¹⁾

وفي ذلك أيضاً توجيه إلى عدم الاعتماد على وجود الرسول أو المعلم أو الرئيس في معرفة الحق ونصرتهم؛ بل لا بدّ للأمة من إعداد رجال كثيرين لكلّ عمل من أعمالها فإذا فقد واحد وجد البديل فوراً، فلا ينحصر استعدادها بفرد من الأفراد،⁽²⁾ فقد كان الصحابة ﷺ مرتبطين بالنبي ﷺ أشدّ الارتباط، حتّى أسقطوا من حساباتهم أن يفارقوه يوماً أو يتوفاه الله، فلمّا أصابه ما أصابه يوم أحد، وأشيع خبر وفاته ﷺ استيقظوا من غفلتهم، وأصبح لديهم الاستعداد النفسي لوفاة النبي ﷺ الحقيقية.⁽³⁾

5

ثالثاً: الاعتبار بأحوال النبي ﷺ مع الصحابة ﷺ ممّا يمسّ الدعوة:

10

1. خطاب الله تعالى للنبي ﷺ خطاب لأُمَّته:

جاء الخطاب في القرآن الكريم موجّهاً للنبي ﷺ في كثير من المواضع، ولكن الحقيقة أنّ الله تعالى يخاطب الناس جميعهم في شخصه الكريم ﷺ، فهو خطاب للصحابة ﷺ أولاً، ثمّ للمؤمنين من بعدهم، ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ أَتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [سورة البقرة: ١٢٠]، فاتّباع الهوى ينافي العصمة، وذلك مستحيل في حقّ النبي ﷺ؛ ولكنه إرشاد لمن يأتي بعده إلى نصرة الحقّ دون خوف من لوم اللائمين، أو إنكار العوامّ، قال الشيخ محمّد عبده: "من تدبّر هذا الإنذار الشديد الموجه من الله تعالى إلى نبيّ الرحمة، المؤيّد منه بالكرامة والعصمة، علم أنّ المراد به الوعيد والتشديد على الأُمّة، على حدّ (إياك أعني واسمعي يا جارة) فإنّ الله تعالى يخاطب الناس كافّة في شخص النبي ﷺ، كما جرى عرف التخاطب مع الرؤساء والزعماء"،⁽⁴⁾ فكلّ خطاب في القرآن للنبي ﷺ - إلّا ما كان من خصوصياته - أو للصحابة ﷺ هو خطاب لنا على حدّ سواء، لذلك دأب تفسير المنار على ربط تعاليم

15

20

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا / [آل عمران: 124] [83/4 و 85-86].

(2) ينظر: المصدر نفسه / [آل عمران: 144] [116/4 و 118].

(3) ينظر: فقه السيرة النبويّة مع موجز لسيرة الخلفاء الراشدين، د. محمّد سعيد رمضان البوطي / ص 267-268.

(4) تفسير المنار، رضا / (320/1).

القرآن بالواقع، والمقارنة بين عصره وعصر الصحابة رضي الله عنهم بقصد الاقتداء بهم، والاستفادة من الدروس الموجهة إليهم.

ف عند تفسير ﴿ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ﴿٢٥٢﴾
 تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ
 الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا
 يُرِيدُ ﴿ [البقرة: ٢٥٢-٢٥٣] تَحَدَّثَ السَّيِّدُ رَشِيدٌ عَنِ الْخِلَافِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ عَهْدِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم إِلَى عَصْرِهِ،
 وَدَعَا إِلَى قِرَاءَةِ التَّارِيخِ، وَالْإِعْتِبَارِ بِمَا فِيهِ مِنْ طَائِفَاتٍ؛ إِلَّا أَنَّ عَصْرَ الصَّحَابَةِ يَخْتَلِفُ عَنِ الْعَصْرِ الْحَدِيثِ
 بِوُجُودِ أَهْلِ الرَّأْيِ وَالْمَشُورَةِ فِيهِمْ، تَرَدَّدَ إِلَيْهِمُ الْأُمُورُ الْعَظَامُ، وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَرَى السَّيِّدُ رَشِيدٌ أَنَّ الْأُمَّةَ يَزِيدُ
 فَقَرَاهَا إِلَيْهِمْ جَيْلًا بَعْدَ جَيْلٍ عَلَى الْأَصْعَدَةِ الدِّينِيَّةِ وَالْدُنْيَوِيَّةِ. (1)

5

10

2. طاعة الصحابة رضي الله عنهم للنبي صلى الله عليه وسلم كانت عن علم وبصيرة:

فالتطاعة واجبة في أمور العقيدة والعبادات والمعاملات وكل ما ورد فيه نص، أمّا الإرشادات والعادات
 وما شابهها فلا وجوب فيها، لذلك فتح لهم صلى الله عليه وسلم باب المناقشة والمراجعة في هذه الأمور، كاختيار منزله يوم
 بدر، (2) وهذا ما يجب تعلّمه من الصحابة رضي الله عنهم في مسألة الطاعة، فلا يصحّ أن تؤخذ آراء الفقهاء والعلماء
 على أنّها دين يتّبع، أو نصّ قطعي؛ بل لا بدّ من المراجعة والتّابع عن علم ودليل، لا عن تقليد أعمى. (3)
 وقد نبّه السَّيِّدُ رَشِيدٌ عَلَى أَدَبِ مُجَادَلَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِقَوْلِهِ: "كِرَاهَةُ مُجَادَلَتِهِ صلى الله عليه وسلم فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ وَيُحَاوِلُهُ

15

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (9-8-3).

(2) عن حباب بن المنذر الأنصاري قال: أشرّث على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر بخصلتين فقبلهما مئتي، خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة بدر فحسب خلف الماء، فقلت: يا رسول الله أبوحى فعلت أو برأى؟ قال: ((برأى يا حباب)) قلت: فإنّ الرأي أن تجعل الماء خلفك، فإن لجأت لجأت إليه فقبل ذلك مئتي. الحاكم في المستدرک، کتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، ذکر مناقب الحباب بن المنذر بن الجموح رضي الله عنه / (524/3) / رقم: 5872، وقال الذهبي: منكر، وذكر هذا المعنى في حديث طويل في غزاة بدر في دلائل النبوة للبيهقي، جماع أبواب غزوة بدر العظمى، باب ذكر سبب خروج النبي صلى الله عليه وسلم ورؤيا عاتكة بنت عبد المطلب في خروج المشركين وما أعده الله صلى الله عليه وسلم لنبيه من النصر في ذلك ببدر / (35/3).

(3) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (9-222-223) و(10-98-99)، فقه السيرة النبوية، البوطي/ ص 238 و240-241.

ويرغب فيه من أمور الدين أو مصالح المسلمين؛ ولكن يشترط في هذه أن تكون المجادلة بعد تبين الحق للمسلمين في المسألة، وذلك قوله تعالى: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ﴾ [سورة الأنفال: ٦]، وهي في أمر الخروج إلى بدر، ووعد الله تعالى للمؤمنين على لسانه ﷺ بإحدى الطائفتين من المشركين - طائفة العير وطائفة النفير؛ أي: الحرب - على الإبهام، ثم زال الإبهام بتعين لقاء الثانية، وأما المجادلة والمراجعة في المصالح الحربية والسياسية قبل أن يتبين الحق فيها فهو محمود مع الأدب اللائق، إذ هي مقتضى المشاورة التي عمل بها النبي ﷺ في غزوة بدر، وفي غيرها⁽¹⁾.

5

وفي المقابل كان ﷺ يعذر صحابته على اجتهداهم - ما لم يرد نص في بيان المراد - إذا أخطؤوا، فقد جاء في التفسير المأثور في تحريم الخمر: (أول ما نزل تحريم الخمر) ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [سورة البقرة: ٢١٩] الآية، قال بعض الناس: نشرها لمنافعها التي فيها، وقال آخرون: لا خير في شيء فيه إثم، ثم نزلت ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ [سورة النساء: ٤٣] الآية، فقال بعض الناس: نشرها ونجس في بيوتنا، وقال آخرون: لا خير في شيء يحول بيننا وبين الصلاة مع المسلمين، فنزلت ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ [سورة المائدة: ٩٠] الآية، فانتهوا، فنهاهم فانتهوا⁽²⁾. وقد اقتدى السلف بمثل هذه الحوادث، فعذر بعضهم بعضاً في اختلافهم ما دام عن دليل، ولم يلزم أحد الناس بمذهبه⁽³⁾.

10

3. علوم جعلت من الصحابة قدوة يحتذى بهم:

15

ذكر الشيخان عبده ورضا هذه الأسباب عند تفسير قوله: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٤]، فلا بد لهذه الأمة المذكورة في الآية من التكاتف والاتحاد في خدمة الدين مقتدين بالصدر الأول من المسلمين، ولتحقيق ذلك لا بد من توفر عدد من العلوم العصرية فيهم، وقد صرحا بإمام الصحابة ﷺ بكثير منها، ومن ذلك:

1. علما التاريخ وتقويم البلدان (الجغرافيا)، فقد كان الصحابة أعلم أهل زمانهم بهما، فمن الأول تؤخذ العبر

20

(1) تفسير المنار، رضا / (99-98/10).

(2) عن عبد بن حميد عن عطاء. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي / (460/5).

(3) ينظر: تفسير المنار، رضا / [المائدة: 90] (51-49/7).

- والسنن الإلهية، وما يتفرّع عنه من علمي الاجتماع والأخلاق، ويستفاد منه بقوة التأثير ونقل المخاطبين من حال إلى حال، ومن الثاني تعلم مسالك البلاد ومعالمها، وبذلك تيسر عليهم ما أنجزوه من فتوح.
2. علم النفس، وقد اكتسبه الصحابة من سلامة فطرتهم، وتوجيه القرآن والنبّي ﷺ لهم، وإن لم يتلقّوه بطريقة صناعية، ويظهر ذلك من خلال قراءة تاريخ حروبهم، وخطبهم الدعوية.
3. علم اللغات، فقد ثبت في صحيح البخاري أن النبي ﷺ أمر بعض الصحابة بتعلم اللغة العبرانية لأجل التواصل مع جيرانهم من اليهود.⁽¹⁾

5

بالإضافة إلى علوم أخرى كالسياسة، والملل والنحل، وعلى رأسها علوم القرآن والسنة والسيرة.⁽²⁾

4. التعليم المباشر من القرآن الكريم للصحابة ﷺ:

- تنوّعت أساليب القرآن الكريم في خطاب المؤمنين وتعليمهم، فقد يخاطبهم بشخص النبي ﷺ - كما سبق - وقد يكون الخطاب عاماً موجّهاً إلى كل من سمعه مباشرة، وقد يكون موجّهاً إلى الصحابة ﷺ لسبب أو لحادثة جرت، ثمّ يعمّم حكم الله فيها متجاوزاً خصوص السبب، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِن بُدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ [سورة المائدة: ١٠١]، ذكر السيّد رشيد العبرة منها بقوله: "والعبرة في هذه الآية أنّ كثيراً من الفقهاء وسّعوا بأقيستهم دائرة التكاليف وانتهوا بها إلى العسر والخرج المرفوع بالنصّ القاطع، فأفضى ذلك إلى ترك كثير من أفراد المسلمين وحكوماتهم للشرعة بجملتها، وفتح لهم أبواب انتقادها والاعتراض عليها، فاتّبعوا بذلك سنن من قبلهم"،⁽³⁾ وفقاً لقوله تعالى: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُم ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ [سورة المائدة: ١٠٢] وذلك يتعارض مع كمال الدين ويسره، ولو أنّ الرسول ﷺ أجاب عن كلّ سؤال كان ذلك نصّاً واجب الاتّباع، وبذلك يضيق الأمر على العصور اللاحقة، فيتعارض ذلك مع صلاحية الدين لكلّ زمان ومكان، ويوقع الناس في الخلافات الكثيرة التي

10

15

(1) عن زيد بن ثابت أنّ النبي ﷺ أمره أن يتعلّم كتاب اليهود، حتّى كتبث للنبي ﷺ كُتبه، وأقرأه كُتُبهم إذا كتبوا إليه. رواه البخاري تعليقاً، كتاب الأحكام، باب ترجمة الحكام وهل يجوز ترجمان واحد/ (2631/6).

(2) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (32-28/4).

(3) المصدر نفسه/ (101/7).

أدت فيما بعد إلى التعصّب للمذاهب وفشو التقليد، لذلك ذمّ السلف الابتداع والسؤال عمّا لم يقع.⁽¹⁾

ثمّ أورد السيّد رشيد طائفة من الأحاديث من صحيح البخاري في كراهة السؤال، ونقل تعليق فتح الباري عليها، وخلاصته وجوب الاعتدال في المسألة، فمن امتنع عنه مطلقاً فاته كثير من العلم، وقلّ فهمه، ومن توسّع فيه-ولا سيّما لغرض المغالبة والمباهاة-فقد وقع في المنهي عنه، والوسط بين ذلك التزام نصوص كتاب الله والسنة المطهرة وفهم الصحابة ﷺ حسب القواعد الأصولية التي وضعها العلماء، ولمن وجد من نفسه الكفاءة لذلك.⁽²⁾

5

من خلال ما تقدّم يمكن اعتبار حياة الصحابة ﷺ دورة تدريبية لمجموعة هامة من العبر التي يمكن أن تنتفع بها البشرية، فهي عبارة عن قواعد نظرية جاء بها القرآن الكريم والسنة المطهرة، مع تطبيق عملي محسوس، وتحت إدارة مدرب أهله العناية الإلهية وعينته في هذا المقام الخطير، لأجل ذلك كانت حركة الدعوة الإسلامية مورداً هاماً من موارد العبرة التاريخية كمّاً وكيفاً.

10

وقد أبرز تفسير المنار دروس القرآن الكريم التي جاءت بها سورة الأنفال في خبر غزوة بدر، وقرّرت العديد من القواعد العسكرية، فكانت نموذجاً متكاملاً للدروس التي علّمها القرآن الكريم للصحابة ﷺ، وقد استغلّ السيّد رشيد ذلك، فلخصّ قواعدها العسكرية في سبع وعشرين، متضمنة أسباب النصر الواجب اتّباعها، التي كانت سبباً في نصره المسلمين في أولى غزواتهم، مع بيان طريقة تفعيلها مع واقعه المعاصر، وهي ثمانية أسباب:

15

1. الثبات: في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾ [سورة الأنفال: ٤٥]، فالثبات هو السبب الأخير للنصر، عندما يبلغ الجهد من الفريقين مبلغه، ولا بدّ أن يهلك أحدهما، يكون النصر لمن يثبت إلى اللحظة الأخيرة التي ينهار فيها خصمه، وهو المعبر عنه اليوم بالقوة الروحية أو المعنوية، وبه انتصر الحلف الفرنسي البريطاني على الألماني لما نفذت القوى والعتاد.⁽³⁾

2. ذكر الله: في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٤٥]؛ أي: بقلوبكم،

20

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (101/7-105).

(2) ينظر: فتح الباري، ابن حجر/ (157/17-158)، وتفسير المنار، رضا/ (107/7 و110). وينظر مثال آخر: [المائدة: 41] (286/6).

(3) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (17/10-18 و115).

وذلك بتذكّر وعده بالنصر لمن نصر دينه واتبّع سننه والتوكّل عليه، وبألسنتكم، كالتكبير الذي يستصغر به ما عداه، والدعاء والتضرّع، وقد أصبح معلوماً في علوم الاجتماع والنفس وفلسفة التاريخ والسياسة أنّ التدبّر من أهمّ أسباب النصر، وضرب مثلاً عليه ضعف الجيش التركيّ بعد إبطاله الأذان والصلاة، واعتراف بعض قوّد ألمانيا بضرورة الإيمان بوحى سماويّ وجزء بعد الحياة الدنيا بحث العساكر على الاستبسال في حروبهم.⁽¹⁾

5

3. طاعة الله ورسوله: في قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [سورة الأنفال: ٤٦]، ويدخل فيه طاعة الإمام والقائد، لقوله ﷺ: ((مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي))،⁽²⁾ فلولا وجوب الطاعة المطلقة لما ثبت حكم ولا سلطان في العالم.⁽³⁾

4. اتقاء النزاع والخلاف: في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا أَنْفُسَكُمْ فَيُضْلَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [سورة الأنفال: ٤٦]، فالدول القائمة على الشورى تبطل التنازع زمن الحروب، مكتفية بالشورى العسكرية، كما فعل رسول الله ﷺ في بدر وأحد.⁽⁴⁾

10

5. الصبر: في قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة الأنفال: ٤٦]، ولا أدلّ على فائدته في النصر من معية الله للصابرين، بتشبيته ومعونته وتأنيده.⁽⁵⁾

6. التوكّل على الله: في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَابْتَغِ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة الأنفال: ٤٩] مع وجوب الأخذ بالأسباب ومراعاة سنن الله تعالى، فالتوكّل له جانبان: اعتقاد وجدائيّ؛ بأن يرى المخلوقات أسباباً سخر الله بعضها لبعض، وعمل إيجابيّ أو سلبيّ؛ بطلب كلّ شيء من سببه خضوعاً

15

(1) ينظر: السيّد محمّد رشيد رضا: بسمارك والدين/ مجلّة المنار/ (1316/9/9هـ) - (1899/1/21م) / (847-846/1)، تفسير المنار، رضا/ (18/10-19 و115).

(2) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، (2611/6)/ رقم: 6718، وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير المعصية وتحريمها في المعصية، (891/2)/ رقم: 33-1835.

(3) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (19/10-20 و115-116).

(4) ينظر: المصدر نفسه/ (10/20 و116).

(5) ينظر: المصدر نفسه/ (10/20 و116).

لسنن الله تعالى في خلقه، والتزاماً لأمره.⁽¹⁾

7. الاستعداد حسب الوسع والطاقة: في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [سورة الأنفال: ٦٠]، فالاستعداد بالعناد والقوة، ووجود جنود مرابطة على الثغور مما تعول عليه الدول الحربية اليوم، ولا بد أن يكون الاستعداد متلائماً مع الزمان والمكان، فإنه لا يكفي في عصرنا ما هو دون المدافع والدبابات والطائرات والنظم الحربية المتطورة لتكون الحرب متكافئة.⁽²⁾

5

8. تألف المسلمين واتحادهم: في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأنفال: ٦٢-٦٣]، فالنصر لا يُنال إلا بالأسباب، وإن هذه الأسباب متوقفة على ما يكون بين أفراد الجيش من الألفة والمودة.⁽³⁾

المطلب الثاني: الاعتبار بأحوال أهل الكتاب والمنافقين

يتناول هذا المطلب أحوال أهل الكتاب وأحوال المنافقين، بوصفهم الفئتين المجاورتين للمسلمين في عهد النبوة، ففي احتكاكهم بهم دروس وعبر كثيرة.

10

أولاً: الاعتبار بأحوال أهل الكتاب:

اهتم القرآن الكريم بأحوال أهل الكتاب، ونقل كثيراً من أخبارهم للاعتبار بها، ونظم طريقة التعامل معهم، وبيان ذلك فيما يأتي.

15 1. سياسة القرآن الكريم في التعامل مع أهل الكتاب:

اتخذ القرآن الكريم سياسة خاصة في التعامل مع أهل الكتاب مختلفة عن باقي الخارجين عن دين الإسلام- كمشركي العرب مثلاً- فقد كان يطيل الحجاج في مخاطبتهم، ويتبع أسلوب الإطناب، والسبب في ذلك أنهم كانوا غلاظ القلوب ضعاف الأفهام كثيري الجدل والمماراة-اليهود منهم على وجه الخصوص- وقد شهدوا على أنفسهم بذلك ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [سورة البقرة: ٨٨]، ويرجع ذلك إلى غرورهم

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (10/24-25 و102 و116).

(2) ينظر: المصدر نفسه/ (10/46-47 و113).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ (10/53-55).

بما لديهم من علم وإن كان محرّفاً، بخلاف العرب الذين كانوا على ذكائهم الفطريّ، فتكفيهم الإشارة اللطيفة الموجزة.⁽¹⁾ قال الشيخ محمّد عبده: "لاحظ بعض البلغاء والمفسّرين أن القرآن يطنب ويبيد ويعيد في خطاب اليهود خاصّة، وذلك لما كانت شُحنت به أذهانهم ممّا يسمّى علماً أو فقهاً، فأبعدهم عن أن يصل شعاع الحقّ إلى ما وراء ذلك في نفوسهم، ويكتفي بالإيجاز؛ بل بالإشارة الدقيقة في خطاب العرب، لما كانوا عليه من سرعة الفهم ورقة الإحساس لقربهم من السذاجة الفطريّة، فالإشارة إلى البرهان في ضمن تمثيل يغني عن الإسهاب والتطويل، ولذلك خاطبهم بمثل قوله في الأصنام: ﴿وإن يسئلوهم الذُّكَّابُ

5

شَيْئاً لَا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ. [سورة الحج: ٧٣]"،⁽²⁾ وبالمقابل كان إيمان أهل الكتاب أرجا من غيرهم لموافقة أصل العقيدة في الأديان السماويّة كلّها، وتصديق القرآن لأنبيائهم وكتبهم جملة، لذلك أولاهم القرآن الكريم اهتماماً خاصّاً، ونبّأهم بما حرّفوا أو نسوا من كتبهم، ليقيم الحجّة عليهم.⁽³⁾

10

وقد صرّح القرآن الكريم أنّ المسلمين يجتمعون مع أهل الكتاب في عبادة الربّ الواحد، والإيمان بالبعث والجزاء، وجوهر الكتب المنزلة من الله تعالى كلّها واحد، واستشهد الشيخ محمّد عبده على ذلك بطائفة من الآيات، منها ﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٣٩]، و﴿وَلَا تُجَدِّلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٦]،

15

ولكنّهم حرّفوا، وحادوا عن الشريعة اتّباعاً لأخبارهم ورهبانهم، وضيّعوا كتبهم، وقد حفظ أصل ديننا عن التحريف والتبديل، وفي هذه المناسبة ينعي الشيخ محمّد عبده على المسلمين في زمانه قال: "وقد طرأ شيء من ذلك على من اتّبعوا سننهم منا شبراً بشبر وذراعاً بذراع، مع أنّ أصل الدين عندنا قد حُفظ بعناية لم يكن لهم مثلها، وصرنا في حاجة إلى من يدعوننا إلى إقامة الأصل كما دعاهم داعي الإسلام، لا فرق في ذلك إلّا أنّ الأصل الذي يجب أن يدعى إليه الجميع موجود محفوظ كما هو لا ينقص الجميع إلّا إقامته

20

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [البقرة: 83] (264/1).

(2) المصدر نفسه/ [البقرة: 83] (264/1).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ [البقرة: 124] (324-325/1).

والعمل به، وهو القرآن الذي اتَّخذه المسلمون في عصرنا آلة هو وسلعة تجارة"؛⁽¹⁾ بل منعهم الاهتداء به بحجة إغلاق باب الاجتهاد، والاستغناء عنه بكتب الفقه والكلام، متبعين بذلك من سبقهم من أهل الكتاب.⁽²⁾

وقد اختصَّهم الإسلام بأحكام دون غيرهم، كجَلِّ ذبائحهم ونكاح نسائهم، وقبول شهادتهم، ومعاملتهم بالعدل والعفو، وإقرارهم على دينهم مقابل الجزية، وأوصى بمجادلتهم بالتي هي أحسن في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٦]، ولم يطلق عليهم لقب الكفر كالمشركين؛ بل سَمَّاهم أهل الكتاب ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعَابًا مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ﴾ [سورة المائدة: ٥٧].⁽³⁾ رغم فساد عقيدتهم، وانحرافهم عن التوحيد الخالص، وقد صرَّح القرآن بذلك كما في قوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧].

5

10

2. إظهار القرآن الكريم لما يضمّره أهل الكتاب تجاه المسلمين:

لقد أطلعنا عالم الغيب والشهادة على مكونات صنفَي أهل الكتاب -اليهود والنصارى- تجاه المسلمين فقال: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيكَ ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [سورة المائدة: ٨٢]، وأشار السيّد رشيد إلى أنّ العامل في المودة والعداوة هو الحالة الروحية والتربوية لدى الطرفين، أمّا سبب مودة النصارى فتولّي قسيسيهم ورهبانهم مهمّة تعليمهم دينهم، وتربيتهم على الزهد والتسامح، والخضوع للحق، وأمّا اليهود فقد كانت شريعتهم خاصّة بهم، واقتضت حكمته تعالى أن لا يخالطوا غيرهم في الأرض المقدّسة التي نجاهم الله إليها، لما غلب عليهم من الخضوع والمذلة فصاروا بذلك أتباعاً لا متبوعين، بسبب اضطهاد الفراعنة لهم، لئلا تغلب عليهم صفات الكافرين إن خالطوهم، فرَبَّت هذه العزلة في نفوسهم الكبر والعتوّ والأثرة والقسوة والعصبية الجنسية، وما زالت تلك

15

20

(1) تفسير المنار، رضا/ [البقرة: 221] [247/2-248].

(2) ينظر: المصدر نفسه/ [البقرة: 221] [247/2-248] [الأعراف: 158] [227/9].

(3) ينظر: المصدر نفسه/ [المائدة: 57] [329/6]، (205/7).

صفاتهم حتى اليوم، لذلك كان الداخلون في الإسلام من النصارى أكثر من اليهود.⁽¹⁾

"وما ضعفت هذه المودة في بلد إلا بفتن السياسة، وعصبيات أهل الرياسة، فلعنة الله على مثيري العداوة والبغضاء بين عباد الله أتباعاً لأهوائهم، وإرضاء لرؤسائهم".⁽²⁾

3. عناية تفسير المنار بأخبار أهل الكتاب، وربطها بواقع الأمة:

5

لأجل هذا التقارب بين المسلمين وأهل الكتاب، والامتيازات التي امتازوا بها على المشركين، ولجأورهم للمسلمين منذ الصدر الأول إلى اليوم، وبسبب اتباع المسلمين لهم في كل صغيرة وكبيرة كما أُنذر رسول الله ﷺ بقوله: ((لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، شِرْراً بَشِيراً وَذِراعاً بِذِراعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ)) قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، آلِيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قال: ((فَمَنْ؟))،⁽³⁾ لأجل ذلك كله أولى تفسير المنار أخبارهم رعاية خاصة، ودأب على ربطها بواقع المسلمين في عصره منبهاً إلى ما آل إليه المسلمون من ضعف بسبب وقوعهم فيما نهي عنه النبي ﷺ، في حين أن أهل الكتاب قد تنبّهوا إلى ضرورة مراعاة سنن الله في الاجتماع، فحسنت أخلاقهم، فنهضت مجتمعاتهم حتى فاقوا المسلمين وتغلبوا عليهم.

10

مثال ذلك تعليق الشيخ محمد عبده بعد تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ [سورة البقرة: ١٤٥] بأن السبب في خلافهم معزو إلى تقليدهم عن غير دليل، ثم قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ أَلْعَلِمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٤٥]، فبيّن الشيخان عبده ورضا أن النهي الموجه للنبي ﷺ في الآيات موجه في الحقيقة للمسلمين من بعده، "ليتنبه الغافل ويعلم المؤمنون أن اتباع أهواء الناس - ولو لغرض صحيح - هو من الظلم العظيم الذي يقطع طريق الحق، ويردي الناس في مهاوي الباطل، كأنه يقول: إن هذا ذنب عظيم لا يُتسامح فيه مع أحد، حتى لو فرض وقوعه من أكرم الناس على الله تعالى لسجل عليه الظلم، وجعله من أهله الذين صار وصفاً لازماً لهم"،⁽⁴⁾ فالحق قوي بذاته غني بمن ثبت عليه،

15

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا / (8-6/7).

(2) المصدر نفسه / (9/7).

(3) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ ((لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ))، رقم: 6888 / (2669/6). وصحيح مسلم، كتاب العلم، باب اتباع اليهود والنصارى، (2/1230) / رقم: 6-(2669).

(4) تفسير المنار، رضا / (14/2).

ومن حاد عنه فقد ظلم نفسه وظلم غيره، لذلك توجّه الشيخ محمّد عبده باللوم على المسلمين لا تّباعهم أهواء الناس محتجّين بالحجج الواهية؛ بل إنهم ينكرون على من ينكر عليهم ظلمهم وبدعهم، وأخطر من ذلك اتّباع العلماء لأهواء السلاطين في إصدار أحكامهم وتأليف كتبهم، وما يترتّب على ذلك من تسلّط العدو على الأمة، والوقوع في الظلم المنبّه عليه في الآية.⁽¹⁾

5

أما مراعاة أهل الكتاب اليوم للسنن الإلهية فقد أشار إليها السيّد رشيد عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ [سورة النساء: ٤٩]، والحديث فيها عن أهل الكتاب، فقد كانوا في عصر التنزيل على غرور بدينهم، محتقرين لغيرهم من مسلمين ومشرّكين، فعلا عليهم المسلمون حينها وفقاً لسنن الله تعالى في الأمم؛ ولكنهم لما تركوا الغرور بدينهم، والتفتوا إلى تحصيل العلوم، والتزموا سنّة الله تعالى بما بيّن لهم علم الاجتماع عادت الكثرة لهم على المسلمين، وملكوا أكثر بلادهم، وظهرت مطاعم اليهود في الأراضي المقدّسة، فالمسلمون أولى بالتزام هدي القرآن، ومراعاة سننه، والانزعاج إلى العمل والعلم، وترك التواكل.⁽²⁾

10

لقد نظّم القرآن الكريم علاقة المسلمين بأهل الكتاب مراعيّاً وجه العدالة وحفظ الحقوق لكلا الطرفين بطريقة تتناسب مع كلّ زمان ومكان، وفي حال السلم والحرب، والقوّة والضعف، فلو روعي هذا النظام القرآنيّ لاحتلّت كثير من النزاعات التي روتها كتب التاريخ، والتي يشهدها واقعنا اليوم.

ثانياً: الاعتبار بأحوال المنافقين:

15

كانت بداية ظهور المنافقين في المدينة بعد هجرة النبي ﷺ إليها، وتكاثر المسلمين فيها، وتمكّن دولتهم واشتداد قوّتهم، ولم يظهروا في مكّة فقد كان أهلها مجاهرين بالعداوة للدين الذي ساوى بين وجهائهم ودهمائهم ما استوتوا في الصلاح أو الفساد، وهم أصحاب الثروة والجاه وسدانة البيت الحرام، بخلاف أهل المدينة الذين آثروا اتّباع الحقّ على مصالحهم الدنيويّة، وآمنوا مع النبي ﷺ، فلما أسلم أكثرهم اضطر بعضهم إلى إظهار الإسلام نفاقاً واتباعاً للأقوى، وهم -مع ذلك- موجودون في كل زمان ومكان، وقد قسم السيّد رشيد النفاق إلى قسمين:

20

1. نفاق خاصّ: وهو معاملة الناس بالتملّق وإظهار الموافقة للصالح في صالحه، وللفساق في فسوقه، وخصوصاً

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (13/2-15).

(2) ينظر: المصدر نفسه/ (111/5).

لأصحاب المناصب والثراء تحصيلاً للمصالح.

2. نفاق عامّ: وهو ما يكون خيانة للدين والدولة، وهو الذي ظهر في المدينة بعد الهجرة.⁽¹⁾

1. سياسة القرآن الكريم في التعامل مع المنافقين:

نظّم القرآن الكريم طريقة التعامل مع المنافقين بالاعتماد على أصول ثلاثة ذكرها السيّد رشيد:

- 5 1. حرّية الاعتقاد، وعدم تدخّل الحاكمين والمعلّمين فيها إلّا بالتعليم والإرشاد، ولا يجوز اتّهام مظهر للإسلام بإضمار عداوة له، ولا عقوبته ما لم يظهر شيئاً من ذلك.
2. لا يجوز لمضمر الكفر أن يسعى في فتنة الناس عن دينهم، أو يطعن في عقيدتهم، وإلّا حُكم برّدته، وطُبقت عليه أحكامها.
3. لوليّ الأمر أن يردع من ظهر منه نفاق أو خيانة بما يراه مناسباً بالتعريض، ثمّ التصريح، ثمّ ما يراه مناسباً من تأديب، أو تعنيف، أو حرمان من مظاهر التشريف، أو غيرها ما لم يرتكب ما يوجب عقوبة منصوبة من حدّ أو تعزير.⁽²⁾

والقاعدة العامة كما قال السيّد رشيد: "ولا يثبت الكفر على من ظاهره الإسلام إلّا بإقرار صريح منه، أو صدور قول أو فعل يدلّ عليه دلالة قطعية لا تحتمل التأويل كتكذيب القرآن أو النبي ﷺ، أو جحود كونه خاتم النبيّين لا نبيّ بعده، والشرك بالله بدعاء غيره، وغير ذلك مما هو مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة لا يقبل فيه تأويل، كجحود فرضيّة الصلاة والزكاة والصيام والحجّ، أو استحلال الزنى والربا وشرب الخمر".⁽³⁾ فلم يطالب الإسلام بالتحقّق من حقيقة إيمانهم، وإثبات ما يبتنون من الكفر؛ بل يكتفى بظاهر ما يدّعون، فيعاملون على أساسه، وأمرهم إلى الله.⁽⁴⁾

والهدف من معاملته معاملة المسلمين ما دام أمره مستتراً أن يألف شعائر الإسلام، ولو دون إيمان،

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (100/11-101).

(2) ينظر: المصدر نفسه/ (104/11-105).

(3) المصدر نفسه/ (102/11).

(4) ينظر: فقه السيرة النبويّة، البوطي/ ص449.

رجاء أن يطمئن قلبه إليه.⁽¹⁾

2. معنى جهاد المنافقين الذي أمر به النبي ﷺ:

وذلك في قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَصِيرُ﴾ [سورة التوبة: ٧٣] التي نزلت بعد افتضاح أمر المنافقين فهي أمر للنبي ﷺ بتقطيب الجبين وإظهار الجفاء لهم عقوبة لهم بعد أن كان يعاملهم باللين والرحمة، فتمادوا وتناولوا وقالوا: هو أذن،⁽²⁾ روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في تفسيرها: (فأمره الله بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان، وأذهب الرفق عنهم)،⁽³⁾ والهدف من ذلك أن يعودوا إلى أنفسهم ويحاسبوها إذا رأوا أنفسهم منبوذين من قومهم، فيثوبوا إلى رشدهم، ويسلموا لربهم، وقد كان ذلك.⁽⁴⁾

5

وهنا يوجّه السيّد رشيد إرشاده إلى الأئمة والأمراء، منبّهاً إلى خطورة مساواة المنافق بالمخلص في المعاملة، فضلاً عن إثارهم في حين وجوب الأثرة عليهم، فهي تثير حفيظة الفضلاء، وتفسد أخلاق الدهماء، فتفسد بذلك أمور الرعية ويضيع الملك من أصحابه.⁽⁵⁾

10

3. عموم صفات المنافقين في كلّ زمان ومكان:

أكد تفسير المنار أنّ ما جاء في القرآن الكريم من صفات للمنافقين عامّ وإن اختصّ سببه في قوم

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (102/11).

(2) الأذن: الجراحة، ويستعار لمن يكثر استماعه وتصديقه لما يسمع. ينظر: معاني القرآن، الفراء/ (444/1)، والمفردات، الراغب/ ص14.

(3) السنن الكبرى للبيهقي، كتاب السير، باب ما جاء في نسخ العفو عن المشركين ونسخ النهي عن القتال حتى يقاتلوا والنهي عن القتال في الشهر الحرام/ (11/9)، وهو حديث حسن. ينظر: المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني/ (705/14).

ذهب ابن مسعود رضي الله عنه إلى جهادهم باليد واللسان وبكلّ ما أطاق جهادهم به، وذهب الضحاك إلى ما ذهب إليه ابن عباس رضي الله عنهما، وقال الحسن وقتادة: بإقامة الحدود عليهم، ورجح الطبري قول ابن مسعود رضي الله عنه، بشرط ظهور كفره وإقراره به، وذهب الزمخشري إلى قول ابن عباس رضي الله عنهما، ينظر: تفسير الطبري/ (568-566/11) والكشاف، الزمخشري/ (68/3).

(4) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [التوبة: 73] (413-414/10)، وتفسير المراغي/ [التوبة: 73] (164/10).

(5) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (414/10).

معينين، فأحكامه لا تنتهي بموت من نزل فيهم، فهو الكتاب الباقي الخالد، وأحكامه منوطة بالصفات والأعمال، لا بالشخص والذوات، فلا يصح أن يتلو القرآن تالٍ مستثنياً نفسه من أحكامه وكأنه رواية تاريخية قد مات أبطالها، وبطلت أحكامها، كما ذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿يُخَذِّعُونَ اللَّهَ وَلَٰذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَذِّعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [سورة البقرة: ٩]،^(١) وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّا كُنَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرَجُوا مِن دِينِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [سورة النساء: ٦٦].^(٢)

5

ومن أمثلة تأكيد تفسير المنار على ضرورة الاعتبار بحال المنافقين في زمن النبوة ما جاء فيه عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَذِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة النساء: ١٤٢]، إذ نبه السيد رشيد إلى وجود هذه الفئة من الناس في كل زمان ومكان، وأن وظيفتهم المكر والخداع، وموالاته أعداء الأمة واتخاذ الأيدي لديهم، وأنهم بذلك يسعون في هلكة أنفسهم بفقدان ثقة الطرفين بهم، ثم قال: "والناس يقرؤون أخبار هؤلاء الأشرار في كتب التاريخ ولا يعتبرون، ويكثر هؤلاء المنافقون في طور ضعف الأمة وقوة أعدائها، لأنهم طلاب المنافع-ولو فيما يضر أمتهم والناس أجمعين- وإنما تلتبس المنافع من الأقوياء، وإن اقترن التماسها بالعار والذل والصغار".^(٣) ثم أشار إلى أن منافقي العصر الأخير شر من منافقي عصر النبوة، فهم لا يقومون إلى الصلاة مطلقاً، لأنهم لا يقيمون للمؤمنين وزناً فيراؤهم في صلاتهم إلا في بعض المحافل والمواسم الدينية.^(٤)

10

المطلب الثالث: الاعتبار بالتاريخ الإسلامي بعد عصر النبوة

15

أولاً: ما بعد عصر البعثة إلى عصر تأليف المنار:

يكتسب هذا المورد أهميته من ارتباطه بالشعوب المؤمنة بالشريعة الإسلامية الخاتمة، وكونها بعد عصر النبوة، فالعصر الأول كان متصلاً بالوحي، معتمداً على توجيه النبي ﷺ في الأمور جميعها، أما الذين يلونهم فقد كانوا يعتمدون على اجتهادهم فيما يطرأ عليهم، مستندين إلى سنن القرآن الكريم التاريخية الخالدة،

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (115/1).

(2) ينظر: المصدر نفسه/ (172/5).

(3) المصدر نفسه/ (337/5).

(4) ينظر: المصدر نفسه/ (338-337/5).

وكَلِّمًا بَعْدَ عَهْدِ النَّبَوَّةِ الموصوف بالخيريَّة ازدادت الأزمات وكثر الشقاق بين المسلمين، وقد دأب تفسير المنار على تطبيق سنن القرآن الكريم على العصور الإسلامية المختلفة للاعتبار بها وفق الآتي:

1. ارتباط التاريخ الإسلامي بالعصر الحاضر:

ما زالت الأمة تعاني- إلى اليوم- تبعات الفتن التي كانت مشتعلة في عصر تأليف المنار، من تفرقة وشقاق أدى بها إلى الضعف، رغم تطاول العمر عليها، فقد بدأ الأمر من القرن الهجري الأول بظهور جمعيَّات الجوس والسبئية السريَّة وسعيها للانتقام من الإسلام، وأوقعت بين الفرق الإسلامية آنذاك بشكل فائق المنهجية والنظام لنشر العداوة بين أهل السنة والشيعة.⁽¹⁾ فتوالى الفتن من مقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه، ثمَّ سيدنا الحسين رضي الله عنه، فنجم عن ذلك فتن كثيرة، أكبرها فتنة الخلافة والملك وافتراق المذاهب، الذي أدى إلى تفرق الأمة، وتطاول الإفرنج عليها واستعبادها على اختلاف مذاهبها، وزوال الخلافة الإسلامية عقوبة لها على التنازع في المصالح العامة، والتفرق الديني والسياسي، قال السيّد رشيد: "أضعفوا الإسلام بهذا التفرق الذي نحى عنه القرآن، وجعل الرسول ﷺ بريئاً من أهله، وكل شيعة وفرقة تظنّ أنّها بهذا التفرق والخلاف تنصر الإسلام وتؤيده، فكانت عاقبة أمر المسلمين أن ضعف ملكهم على اختلاف مذاهبهم، وكادت الإفرنج تستعبد الدول والإمارات الإسلامية كلّها... ونحمد الله أن عرف جمهورهم بهذا الخطر حقيقة ما بيناه مراراً، وهو أنّ ذلك التفرق كان من فساد السياسة، وستجمعهم السياسة كما فرقتهم السياسة، إلّا من ارتدّوا بالعصبية القومية الجاهلية".⁽²⁾ جاء ذلك في معرض تفسيره قوله تعالى: ﴿إِنَّ

الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٩]، وقوله: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [سورة الأنفال: ٢٥].⁽³⁾

كما علّق السيّد رشيد على هدم الأمويين لمبدأ الشورى الذي سار عليه الصحابة رضي الله عنهم التزاماً لقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩]، وذلك لأجل الحفاظ على الملك في أسرهم، ولكنهم أبقوا

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [الأنعام: 159] [180/8-181].

(2) ينظر: المصدر نفسه/ (181/8).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ (181/8)، (467/9-468).

على حريّة الرأي وانتقاد الحُكّام إلى عهد عبد الملك بن مروان⁽¹⁾ الذي قال: "والله لا يأمرني أحد بتقوى الله إلّا ضربت عنقه"،⁽²⁾ ولخصّ العبرة في هذا بقوله: "ولولا هذا لكان ذلك الملك الذي وسّعوا دائرته بالفتوحات أثبت في نفسه ولهم، ولكان شأن الإسلام أعظم، وانتشاره أكثر وأعم"،⁽³⁾ وقال في موضع آخر: "الحقّ أقول: إن هذه الأمة ما فتئت خير أمة أخرجت للناس حتّى تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما تركتهما رغبة عنهما أو تهاوناً بأمر الله تعالى بإقامتهما؛ بل مكرهة باستبداد الملوك والأمراء من بني أميّة ومن سار على طريقهم ممّن بعدهم... فما زال يعظم ويتفاقم حتّى سلب الأمة أفضل مزاياها في دينها وديناها بعد الإيمان"،⁽⁴⁾ ثمّ تابعهم على ذلك العباسيون، ولم يمنعهم علماء عصرهم حتّى ظنّ غير المسلمين أنّ حكومة الإسلام استبدادية شخصية.⁽⁵⁾ ففتح الباب لظهور العصبيّات الجنسيّة المتوالية إلى عهد العثمانيّين، وخروج الأمر عن أيدي أوليائه، ومن ثمّ الخروج عن قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

5

أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [سورة النساء: ٥٩].⁽⁶⁾

10

ثانياً: ربط عِبَر القرآن الكريم بالعصر الحاضر:

يمتاز هذا المورد بالإضافة إلى ميّزات المورد السابق بتعلّقه بآخر المراحل التاريخيّة المتّصلة بواقعنا الحاضر التي يعدّ حاضرنّا هذا من نتائج ما كان فيها من صراعات لما تُزل آثارها من العالم العربيّ بعد، وأخطر ما فيها القضية الفلسطينيّة، إذ كانت بداياتها في عصر السيّد رشيد، وكانت من أوّل اهتماماته، ولم تغب عن تفسيره، فقد استنتج من آيات السنن الإلهيّة ما كان يراه كفيلاً لتقاء خطر الصهيونيّة، ونّبّه

15

(1) أبو الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم القرشيّ الأمويّ، ولد بالمدينة سنة 26هـ، استعمله معاوية رضي الله عنه على المدينة، جالس الفقهاء والعلماء وحفظ عنهم، سمع من أبي هريرة وأبي سعيد الخدريّ وجابر رضي الله عنهم، وكان عابداً ناسكاً قبل الخلافة، ولي الخلافة سنة 64 أو 65هـ، وهو أوّل من ضرب الدنانير، توفّي بدمشق 86هـ. ينظر: طبقات ابن سعد (7/223 و226 و231)، وتهذيب الأسماء واللغات، النووي (1/309-310).

(2) ينظر: الأوائل، أبو هلال العسكريّ/ ص250، والكامل في التاريخ، محمّد بن محمّد ابن الأثير (4/150).

(3) تفسير المنار، رضا / [آل عمران: 159] (4/145).

(4) المصدر نفسه / [آل عمران: 110] (4/44).

(5) ينظر: المصدر نفسه / [آل عمران: 159] (4/145-146).

(6) ينظر: المصدر نفسه / [النساء: 58] (5/142-143).

كثيراً إلى أخلاق اليهود ونقاط قوّتهم وضعفهم.

1. القضية الفلسطينية في تفسير المنار:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾ [سورة النساء: ٤٥] نبّه السيّد رشيد إلى عداوة اليهود الأصيلة للمسلمين، ومولاتهم لهم في بعض المراحل التاريخية ابتغاء مصالحهم، وطمعاً في دفع الظلم والاضطهاد والاستعباد الذي كانوا يعانون منه، لما رأوا من عدل المسلمين، بخلاف الأوروبيين الخاضعين للسلطة البابوية المستبدّة التي كانت تستعبدهم آنذاك، وهذا دفعهم إلى محاربة كلّ سلطة دينية عن طريق جمعيتهم الماسونية السريّة،⁽¹⁾ حتّى وصل مكرهم إلى الحكومة العثمانية التي سعوا من خلالها إلى الوصول إلى فلسطين عن طريق الميجرات المكتنفة إليها وعن طريق المخادعة والرشاوي، فهم لا يبذلون مساعدة إلّا ليستردّوها أضعافاً مضاعفة، وأشار السيّد رشيد إلى مكائدهم في أوروبا على ما هي عليه من العلم والثروة والقوة، على العكس ممّا كانت عليه الدولة العثمانية آخر عهدها، ثمّ قال: "وطمعهم فيها أشدّ وخطره أعظم، فإنّ بيت المقدس له شأن عظيم عند المسلمين والنصارى كافة، فإذا تغلّب اليهود فيه ليقيموا فيه ملك إسرائيل، ويجعلوا المسجد الأقصى (هيكل سليمان) - وهو قبلتهم - معبداً خالصاً لهم يوشك أن تشتعل نيران الفتنة، ويقع ما نتوّع من الخطر، وفي الأحاديث المنبئة عن فتن آخر الزمان ما هو صريح في ذلك، فيجب أن تجتهد الأمة العثمانية في درء ذلك، ومدافعة سيله بقدر الاستطاعة لئلا يقع في إبان ضعفها فيكون قاضياً على سلطتها، ونسأل الله السلامة".⁽²⁾

وأشار إلى أنّهم يستعينون على ذلك بادّخار المال الوفير والسعي في قطع أرزاق المسلمين والنصارى فيها، بمساعدة جمعياتهم على ضعف استعدادهم الحربي والزراعي وتفرّقهم في البلاد في ذلك الوقت، وقد أنذر السيّد رشيد من طردهم لأهل فلسطين منها إذا تملّكوا شيئاً من أراضيها، وقد وقع كلّ ذلك؛⁽³⁾ وما

(1) الماسونية: منظّمة دولية ذات شعارات ورموز وطقوس غامضة مبهمة إلّا على خواصّ أعضائها، وتسمّى (جماعة البنايين الأحرار)، نشأت في أوروبا في القرون الوسطى واختلفت في تحديد تاريخها الدقيق، تدّعي أنّها جمعية خيرية شعارها المساواة والإخاء والحرية، ولكنّ المتعقّبين لنشاطها ينعون عليها الانغماس في الطائفية واعتبار الأخوة الماسونية فوق الأخوة في الوطن، ولها ارتباط وثيق باليهودية العالمية وأهدافها في إقامة مملكة إسرائيل في الأرض العربية. ينظر: القاموس السياسي، أحمد عطية الله/ ص 1000-

(2) تفسير المنار، رضا/ (101/5) وينظر: (247/10).

(3) ينظر: المصدر نفسه / [النساء: 53] (115/5).

زال في تزايد إلى يومنا هذا. وقد عزا هذا البلاء والتطاول إلى فساد الحُكّام، وجهل العامة في عصره، ومن ثمّ يكون الحلّ بالتعليم ومكافحة الفساد، ثمّ ساق عدداً من الآيات في شروط النصر، منها قوله تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ نَصْرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُنَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [سورة محمد: ٧].⁽¹⁾

وقد تعرّض لمسألة مهمّة في باب التنازع بين (بني إسرائيل) و(بني إسماعيل) - كما سمّاهم - حول بيت المقدس، من الغالب في هذا النزاع؟

5

أجاب عن هذا التساؤل في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَلَرْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [سورة الأعراف: ١٣٧]، فقال بأنّ الأمر مرهون بحاكميّة السنن الإلهيّة في الأمم والمجتمعات، فوارثوها هم عباد الله المتّقون، ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٢٨]، فقد أورثها الله - أولاً - لبني إسحاق عليه السلام، فلمّا ظلموا وأفسدوا في الأرض، وكفروا بنعمة الله تعالى وبعباسي ومحمد - عليهما الصلاة والسلام - أورثها الله للعرب حين كانوا متّقين، ثمّ انثرت من تحت سلطانهم لما ارتكبوا الظلم، وعاد النزاع بين الفريقين بإغراء من الإنكليز، وقد قضت سنّة الله بأنّ النصر للمتّقين، فأرشد السيّد رشيد أهل فلسطين والعرب إلى دفع هذا العدوان بقوله: "ولا منجاة لعرب فلسطين من هذا الخطر العظيم الآتي من قبل شعبين اثنين هما أشدّ شعوب الأرض قوّة وثروة ودهاء وكيداً، وعلماً وصبراً وجلداً، إلّا باتّحادهم مع سائر الشعوب والقبائل العربيّة على الاستبسال، والاستقلال في الدفاع الحقيقيّ عن أمّتهم وبلادهم، ومع سائر الشعوب الإسلاميّة في الدفاع المعنويّ عن الأرض المقدّسة".⁽²⁾

10

15

2. الاتّحاديّون والكماليّون في تفسير المنار:

اعتنى السيّد رشيد بجوانب أخرى في نقد عصره من خلال آيات القرآن المبينة للسنن الإلهيّة، ومن أهمّ انتقاداته في العالم الإسلاميّ ما وجّهه إلى الاتّحاديّين والكماليّين، وهما الحزبان اللذان حكما تركيّاً بعد عزل السلطان عبد الحميد على التوالي، فحاربا الإسلام شكلاً ومضموناً، فبدؤوا بمحاربة اللغة العربيّة فسعوا تدريجيّاً إلى نشر اللغة التركيّة، والتخلّي عن القرآن الكريم عن طريق ترجمته ترجمة حرفيّة، تمهيداً لإزالة كلّ

20

(1) ينظر تفسير المنار، رضا/ (248/10).

(2) المصدر نفسه/ [الأعراف: 137] [76/9-77]، وينظر: [يونس: 93] [343/11].

ما هو عربي، ما أدى إلى التعادي بين العرب والترك، وسقوط الدولة العثمانية، ونشوء جمهورية تركية غربية لا دينية قائمة على العادات والقوانين والأخلاق الأوروبية،⁽¹⁾ فقابل تفسير المنار هذه العداوة للغة العربية فلذلك بالتشديد على إلزام تعلم اللغة العربية في المدارس باتباع طرائق حديثة في التعليم تتناسب مع العصر، فاللغة تحفظ الدين وتوحد الأمة،⁽²⁾ وتوحيد الدين عند السيد رشيد أھون من توحيد الدين، فالاختلاف فيه

5

ثابت بنص القرآن الكريم ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلَئِنَّكَ لَخَلْقَهُمْ ﴿[سورة هود: ١١٨-١١٩]، ويرى أن الشعب التركي - إذ كان قائماً باسم الدين - لو حاز على أنواع الفنون والعلوم وحسن القيادة والنظام السياسي لساد الشرق والغرب، ولكن الاتحاديين والكماليين أوقفوا الخلاف بين أجناس الأمة بعصبيتهم ليذهبوا بريح الإسلام.⁽³⁾ قال السيد رشيد عند تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ

10

فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْنَةً وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٥]: "نصحننا للشعب التركي بهذا؛ ولكن زعماءه الكماليين اليوم كزعمائهم الاتحاديين من قبلهم، قد فُتِنُوا بهذه المدنية المادية، وجهلوا كنه الإسلام والحكومة الإسلامية، وقد أعذرنا إليهم ببيانها، وأنذرناهم عذاب الله بإهمالها، فتماروا بالنذر، وطفقوا يطمسون ما بقي من الإسلام في حكومتهم وأمتهم، وسنرى ما يكون من أمرهم، وقد ظهر ما كان مستوراً من فساد سريرتهم، ونسأله تعالى لنا ولهم صلاح الحال، وحسن المال".⁽⁴⁾

15

لم تكن نوايا الكماليين معلومة لدى السيد رشيد بادئ الأمر، فقد كان يظن فيهم خيراً للأمة بعد أن حصلوا استقلال بلادهم، وظن أنهم يهدفون إلى جمع الأمة الإسلامية، فأخذ ينوّه بهم، ويمتدحهم في تفسيره، ولكنهم لما تمكّنوا في الأرض وبدت البغضاء للأمة العربية من أفواههم، وتكشف ما تخفي صدورهم من الكيد للإسلام، والسعي إلى جعل تركيا دولة أوروبية من النواحي جميعها تراجع عن رأيه فيهم، وعلق

(1) ينظر: محمد رشيد رضا: فاتحة المجلد السادس والعشرين/ مجلة المنار/ (1343/9/29هـ) - (1925/4/23م) / (7-5/26)، وتفسير المنار، رضا/ [الأعراف: 158] (233-234/9)

(2) ينظر: محمد رشيد رضا: فتاوى المنار/ مجلة المنار/ (1326/4/29هـ) - (1908/5/30م) / (273-274/11)، وتفسير المنار، رضا/ [الأعراف: 158] (230/9 و237 و243).

(3) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (190-191/11).

(4) المصدر نفسه/ (19/9).

في الطبعة الثانية للتفسير عام 1347هـ على ما كتبه في الطبعة الأولى التي ألفها عام 1338هـ بقوله: "ظهر بعد كتابة ما تقدّم أنّ الترك قد اغتروا بما وقّفوا إليه من الظفر والاستقلال كدأهم عقب كلّ ظفر، ورأوا أنّهم قد نصرّوا بحولهم وقوّتهم، فنبذوا الإسلام وراء ظهورهم، واستبدلوا بشرعه قوانين الإفرنج وتركوا كلّ شيء من مقوماته ومشخصاته حتّى حروف اللغة العربيّة".⁽¹⁾

3. أوروبا في تفسير المنار:

5

شغل الحديث عن أوروبا—أيضاً—مساحة لا يستهان بها من تفسير المنار في تلك المدة التي كانت تسيطر فيها على العالم العربيّ، وقد كان موقف السيّد رشيد من أوروبا منصفاً، فكان يدعو إلى دفع الاستعمار بشقّي الوسائل المشروعة المادّيّة والروحيّة، بنظام دقيق يفوق نظامهم الذي استطاعوا به إلbas باطلهم لباس الحقّ، مع ملاحظة سنن الله في النصر وارتقاء الأمم وانحدارها، وفي الوقت نفسه كان ينادي بمجاعة الغربيّين في العلوم والفنون المدنيّة الحضاريّة التي قصّر فيها المسلمون منذ ذلك الوقت،⁽²⁾ ونقل عنهم مقولة: (العلم لا وطن له)،⁽³⁾ ويشهد لها قوله ﷺ: ((الكلمة الحكمة ضالّة المؤمن، حيثما وجدّها فهو أحقّ بها))،⁽⁴⁾ مع الحذر من الانجرار وراء الأوروبيّين في سيّئ الأخلاق والبعد عن الدين، والرجوع إلى تعاليم الإسلام، ففيها الغنى عمّا سواها، وقد تنبّه إلى ذلك كثير من فلاسفة أوروبا وأعلامها في عصره، وصرّحوا بضرورة الالتزام بالدين بشكل عامّ، وبتمييز الإسلام على باقي الأديان، وصلاحيّته للخروج من المشكلات الاجتماعيّة والسياسيّة والأخلاقيّة التي تنبأ الشيخان بتسبّبها بهلاك أوروبا في وقت قريب، ولم يخالفهما في ذلك علماء أوروبا المنصفون،⁽⁵⁾ ومن ذلك حوار دار بين الشيخ محمّد عبده والفيلسوف

10

15

(1) تفسير المنار، رضا / [الأنعام: 159] [186/8/الحاشية] وينظر: [الأنعام: 159] [184/8-186]، [الأعراف: 87] [422/8]، [الأعراف: 95] [19/9].

(2) ينظر: المصدر نفسه / [الأعراف: 34] [324/8-325].

(3) المصدر نفسه / [الأعراف: 90] [9/9].

(4) سنن الترمذيّ، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة / (51/5) / رقم 2687، وقال: حديث غريب، وسنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الحكمة / (1395/2) / رقم 4169.

(5) ينظر: تفسير المنار، رضا / [النساء: 3] [252/4] و(276/10). ومن هؤلاء الأوروبيّين الذين عرفوا قيمة الإسلام: أ. توماس أرنولد في كتابه (العوة إلى الإسلام)، والفيلسوف غوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب)، والكتابان مطبوعان ومترجمان إلى العربيّة.

الإنكليزي هربرت سبنسر⁽¹⁾ حول ذهاب الفضيلة وانتشار الفساد والأفكار المادية في إنكلترا حتى أفقدته الأمل في إصلاح بلاده، وقرب هلاكها.⁽²⁾

ورغم توقّع الشيخين عبده ورضا هلاك أوروبا بفساد أخلاقها إلا أنّ السيّد رشيد يرى أنّها على استعداد كاف لتقبّل الإسلام والدخول فيه، بما تملك من حرّية علمية وتربية استقلالية؛ ولكنّها تحتاج إلى دعاة علماء ينقلون صورة الإسلام الصحيح إليهم، فالدعوة آنذاك كانت ضعيفة بضعف دعايتها، ولأجل ذلك أنشأ السيّد رشيد مدرسة الدعوة والإرشاد ولكنّها توقفت قبل أن تؤتي أكلها التي طمح إليها مؤسّسها،⁽³⁾ وقد صدّهم عن الإسلام أسباب عدّة، تعرّض لها السيّد رشيد في تفسير المنار، وهي:

5

1. اتّباع خطة مدرسة لتشويه صورة الإسلام، وسيرة المسلمين عن طريق المؤلّفات والخطب والأناشيد المهيّجة الكاذبة.

2. سوء سيرة المسلمين الجغرافيين في العصر الحديث، وظنّ الأوروبيّين أنّها من تعاليم الإسلام، وتأييد بعض المتفرّجين هذه الدعوى.

10

3. فشوّ البدع والخرافات، وتأييد بعض الحكومات العربيّة لها.

4. انقسام علماء الدين الإسلاميّ في عصره إلى ثلاثة أصناف: صنف غلب عليه الضعف عن بيان حقيقة الإسلام بالحجج والبراهين، وصنف جامد يقاوم كلّ إصلاح علميٍّ أو مدنيٍّ، وآخرها منافق للمستعمر المسيطر على بلاده.⁽⁴⁾

15

وعلق السيّد رشيد بعد تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى

(1) هربرت سبنسر: فيلسوف إنكليزيّ ولد في دربي 1820م، تقوم فلسفته على الداروينيّة الاجتماعيّة، رفض الدراسة الجامعيّة والألقاب الفخريّة، وحافظ على الحرّية من أيّ ارتباط سياسيٍّ أو مهنيٍّ، عمل مهندساً في سكّة الحديد، وعمل في تحرير عدّة مجلات، وتوفّي في برايتون 1903م، من أهمّ مؤلّفاته: (الفلسفة التركيبيّة) و(مبادئ علم النفس) و(مبادئ علم الاجتماع)، ينظر: معجم أعلام المورد، البعلبكيّ/ ص 232-233، ومعجم الفلاسفة، جورج طرايشيّ/ ص 356-358.

(2) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [الأعراف: 95] (18/9)، (264-265/11).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ (278-288/10).

(4) ينظر: المصدر نفسه/ (274-275/10).

الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴿[سورة التوبة: ٣٠]﴾ بأنَّ آراء الإفرنج في التدين في الغالب مبنية على اعتبارات سياسية واجتماعية، فلخص العبرة من استطراده هذا بقوله: "علاقة الدين بالسياسة والاجتماع وقوة الشعب الأدبية ومحافظته على مقوماته ومشخصاته الملية تحول دون البحث عن حقيقة أقوم الأديان وأحقها بالتقديم والإيثار للاهتمام به، ويستعان على هذه الحيلولة بنظام التربية والتعليم الذي بلغ الغاية من النظام؛ ولكن أطوار الاجتماع ستضطربهم إلى هذا البحث واختيار الأصلح بذاته".⁽¹⁾

5

يلاحظ المطلع على المنار أن السيد رشيد كان أكثر تركيزاً على استخراج العبر من هذا المورد من الشيخ محمد عبده، والأمر راجع إلى تعلقه بالسياسة، وكان الشيخ يتحاشاها وينصح تلميذه بذلك، بخلاف السيد رشيد، فقد كانت أول اهتماماته، وقد زاد حديثه عنها بعد وفاة شيخه، لذلك يكثر هذا الجانب في النصف الثاني من تفسير المنار، وأعانه على ذلك كثرة القصص القرآني في هذا القسم من التفسير، بالإضافة إلى تسارع الأحداث وقتئذ، وتفاقم الأزمات في العالم العربي والإسلامي، وهو الدافع الأقوى الذي دفعه لاستشفاف الحلول من كتاب الله تعالى.

10

الفصل الثالث

مجالات العبرة التاريخية في القرآن الكريم في ضوء تفسير المنار

المبحث الأول: توظيف العبر التاريخية في المجال العقدي والدعوي.

المبحث الثاني: توظيف العبر التاريخية في المجال الاجتماعي الأخلاقي.

المبحث الثالث: توظيف العبر التاريخية في مجال التعلم والتعليم.

المبحث الرابع: توظيف العبر التاريخية في المجال الحضاري.

الفصل الثالث: مجالات العبرة التاريخية في القرآن الكريم في ضوء تفسير المنار

تمهيد: شملت رسالة القرآن الكريم إصلاح الحياة الإنسانية بكل جوانبها الدينية والاجتماعية والسياسية والعلمية وغيرها، ومن ثمّ شمل منهج تفسير المنار الإصلاحية كلّ الجوانب التي تناولها القرآن الكريم، وسيركز هذا الفصل على أهمّ المجالات التي كثرت معالجتها في تفسير المنار، متأثراً بتركيز القرآن الكريم عليها في قصصه وأخباره، ثمّ تبعاً لمعطيات الحقبة التاريخية التي أُلّف فيها التفسير.

5

المبحث الأول: توظيف العبر التاريخية في المجال العقدي والدعوي

الهدف الأول من إنزال القرآن الكريم -بما فيه أخباره وقصصه- هو إصلاح العقيدة، والعودة بها إلى التوحيد الخالص، وتعليم النبي ﷺ والدعاة من بعده أصول الدعوة، وطبائع البشر وأحوالهم في تلقّيها، ليكونوا على استعداد لما لا بدّ أن يواجههم من صدود وابتلاءات، ليدعوا إلى الله على بصيرة.

المطلب الأول: توظيف العبرة في مجال تثبيت العقيدة والدعوة إلى الدين

10

أولاً: بيان وظائف الدعاة إلى الله وصفاتهم:

فيما يأتي بيان لبعض وظائف الدعاة من خلال قصص القرآن الكريم، كما جاءت في تفسير المنار.

1. أن يكونوا أصحاب حجة وصبر على جدال أقوامهم:

قال الله تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر: ٥]، فالجدل والأخذ والردّ دأب الأقوام مع أنبيائهم، ومع المصلحين منهم، لذلك أمر الله تعالى نبيه ﷺ بحسن الجدل، وقد نبّه القرآن الكريم في أوّل قصصه إلى ما يتعرّض له الداعي إلى الله من الجدل والمحااجة، وذلك من خلال حوار الملائكة مع الله تعالى حين قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة: ٣٠]، فإذا كان الملائكة حاوروا ربهم في خلق آدم ﷺ فالبشر أولى بمحاورة أنبيائهم في شأن الدعوة حسب فطرة كلّ منهم، ففي ذلك تسليّة للنبي ﷺ عمّا يلاقيه من جدال قومه، كما أنّ فيها تعليماً له على الصبر في مقابلة مجادلته ومعاملتهم، قال الشيخ محمد عبده: "أي: فعليك -أيها الرسول- أن تصبر على هؤلاء المكذّبين، وترشد المسترشدّين،

15

20

وتأتي أهل الدعوة بسلطان مبين"،⁽¹⁾ فاختصر الشيخ في هذه العبارة أمرين مهمّين يتعلّقان بالدعوة، وهما أنّ الناس مقابل الدعوة فريقان: معاند مصرّ يجب الصبر عليه حتّى يسمع كلام الله، فتقوم الحجّة عليه، وطالب هدى ورشد تحب هدايته إلى سواء السبيل، وتبين العقيدة السلمية له، وأنّ الداعي إلى الله لا بدّ له من التسلّح بالبراهين والبيّنات التي تقيم الحجّة على المدعوّ، فإنّ الملائكة رغم-إيمانهم المطلق وإدعائهم لأوامر ربّهم، إلّا أنّهم طلبوا الحجّة والبرهان، وسألوا الله تعالى عن حكمته في خلق آدم ﷺ، فلا يُستغرب ممّن خرج عن دائرة الإيمان أن يسأل ويراجع جدالاً ومراءً، أو طلباً صادقاً للحجّة والبرهان.

5

2. أن يبينوا الكتاب، ولا يكتُمونه:

أكّد تفسير المنار على وجوب بيان الكتاب عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٧]، فاستفاد من وصف حال أهل الكتاب، وكتماهم كتابهم وإهمالهم له، فأشار إلى أنّ القرآن الكريم محفوظ بحفظ الله له، إلّا أنّ أهله غافلون عن معانيه فاقدون لهدايته، نصيبهم منه الاستشفاء والتلاوة في المحافل والاجتماعات، فكانوا هم وكتامه سواء، وعزا السبب في ذلك إلى الاختلاف فيه، وتأويله بما يؤيّد المذهب أو الفِرقة، وأضاف السيّد رشيد سبباً آخر أدّى ببعض المفسّرين إلى القصور في بيانه؛ وهو الاشتغال بالروايات الكثيرة — ما صحّ منها وما لم يصحّ— والإكثار من الاصطلاحات العلميّة في مجالات العلوم الشرعيّة كافّة.⁽²⁾ وتتجلّى الدعوة إلى الاعتبار بالآية في إشارة شيخيّ المنار إلى النظر في حال الأزهر الشريف، وإعراض بعض من علمائه في عصرهما عن كتاب الله مستغنين بكتب الفقه، حتّى قال أحدهم: من قال: إنّّي أعمل بالكتاب والسنة فهو زنديق! والتفافهم حول الأمراء والسلاطين، وتأويلهم للكتاب والدين بما يرضيهم، في حين أنّ علماء السلف كانوا يتجنّبون القصور وأهلها.⁽³⁾

10

15

3. أن يكون قدوة في الائتمار بما يأمر به قومه، والانتهاز عمّا ينهاهم عنه:

أشار تفسير المنار إلى آفة منتشرة عند الدعاة-مدّعي العلم منهم-وهي دعوة الناس إلى البرّ، واستشارهم لأنفسهم بالمكفّرات والشفاعات دون غيرهم من عاقبة الناس، فلا يأمّرون بما يأمرون-وذلك يكون في طور فساد الأمم-وهذا

20

(1) تفسير المنار، رضا/ (187/1).

(2) ينظر: المصدر نفسه/ (196/4-197).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ (198/4-199).

لا يكون من عاقل فضلاً عن عالم يعلم أنّ حكم الله في البشر سواء، وما أوصلهم إلى هذا الفهم إلا اتباع سنن أهل الكتاب، فصدهم عن تدبر قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة: ٤٤]، وما أنزلها الله تعالى حكاية عنهم لمجرد توبيخهم؛ بل لأجل الاعتبار بحالهم، وتجنب مآلهم،⁽¹⁾ قال الشيخ محمد عبده: "إنّ العالم بالدين لا يخفى عليه أنّ حكم الله تعالى واحد عامّ، فكيف يحتم البرّ على غيره، ويوهمه أنّه لا يقربه من رضوان الله، ويبعده عن سخطه إلا هو، وينسى نفسه فلا يحتم عليها ذلك؟ ثمّ كيف يجهل أنّ الشفاعات والأعمال الصالحة التي ورد أنّها تكفر السيئات لا يصحّ أن تكون مثبّطة عن عمل البرّ أو سبباً لتركه؛ لأنه خلاف المقصود من الدين؟"⁽²⁾ فحكم الله تعالى عامّ في الجميع، وأعمال البرّ واجبة على الجميع، وكذلك المكفّرات والشفاعات حكمها عامّ للجميع.

5

قال السيّد رشيد: "...أنّ هؤلاء المغرورين بأنسابهم من الشرفاء الجاهلين بكتاب ربهم وما يليق بعظمة الربوبية، وعلو الألوهية، الجاهلين بسنة نبيهم، الذين يزعمون أنّهم أفضل من العلماء العاملين، والصالحين المصلحين... وأنهم يستحقّون سعادة الدنيا والآخرة بنسبهم، ويستحقّونها من عظمهم وأفاض عليهم من ماله بمحابة الله له لأجلهم، أولئك هم الجاهلون الذين يشهد عليهم كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وسنة رسوله ﷺ وهديه في إنذار عشيرته وأهل بيته، كقوله لبيته سيّدة نساء العالمين: ((يا فاطمة بنت محمد ﷺ سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئاً))"⁽³⁾.⁽⁴⁾

10

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (216/1-217).

(2) المصدر نفسه/ (217/1).

(3) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] / (4/1787-1788) / رقم: 4493، وصحيح

مسلم، كتاب الإيمان، باب: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] / (1/115) / رقم: 351(206) عن أبي هريرة ؓ.

ذكر القاضي عياض في شرحه لصحيح مسلم في التوفيق بين شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ عَمَلُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُتْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ﴾ [التوبة: ١١٣]، وقوله: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّفَاعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨] أنّه محمول على تخفيف العذاب عنه بذوده عن النبي ﷺ، والسبب في التخفيف عنه حاله هذه لاسؤال النبي ﷺ، فلا يكون عذابه كعذاب من يضيف إلى كفره الكبائر وإيذاء الأنبياء والمؤمنين، ونقل الإجماع على أنّ الأعمال الصالحة لا يثاب عليها الكافر؛ ولكنّ معاصيه تزيد عذابه. ينظر: إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم، القاضي عياض/ (596/1-597).

(4) تفسير المنار، رضا/ [هود: 47] (61/12).

فقد نهي الله تعالى خليله إبراهيم عليه السلام عن التشفع للكافرين من قوم لوط عليه السلام والاسترحام لهم، ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ [سورة هود: ٧٦]، (1) وردّ شفاعة نبيه نوح عليه السلام في ولده الكافر إذ كان من المغرقين بدافع من فطرته الإنسانية، واجتهاده الذي أنبأه الله عن خطئه فتاب عنه، فإنّ الله يجزي الناس بإيمانهم وأعمالهم لا بأنسابهم، وكما أنّ النسب لا يشفع لمن تنكّب عن العقيدة السليمة، فإنّه أيضاً لا يورث الإيمان والصلاح، فلو كان كذلك لكانت ذرّيّة آدم عليه السلام كلهم مؤمنين. (2)

5

ونقل السيّد رشيد عن شيخه قوله فيمن يتقاعس عن الطاعات ويرتكب المعاصي اعتماداً على المكفّرات والشفاعات: "يسبق إلى ذهنه المكفّرات (ومثلها الشفاعات وسعة العفو والمغفرة) كالاستغفار قبل النوم مائة مرة... فلا يبقى للوعيد معها أثر، إذ يدعن بأن ذنبه يغفر لا محالة، وينسى سبب المغفرة الحقيقي وهو التوبة النصوح والرجوع إلى الله وأن العفو عن غير التائب الأواب إلى الله تعالى مجهول بالنسبة إلى علمنا، وإن كان جائزاً عقلاً، فإننا لم نطلع على ما في علم الله تعالى فنعلم أننا ممن يعفو عنهم". (3) فالخلاصة عند الشيخين أنّ أصل الشفاعات والمغفرة بتفضّل من الله تعالى ممكن لا مانع منه؛ ولكن واجب المسلم تجديد التوبة والمحافظة على العمل الصالح، إذ لا يعلم إن كان مشمولاً بهذه الشفاعات أم لا.

10

ثانياً: بيان أثر اختلاف استعداد الناس الفطريّ في تلقّي الدعوة:

بيّن تفسير المنار اختلاف الناس في تلقّي الدعوة عند تفسير قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٣]، فلم يجعل الله الدين إلهاماً فطريّاً يتلقّاه كلّ الناس بالقبول؛ بل كانوا متفاوتين في استعدادهم الفطريّ لفهم البيّنات، والإذعان للحقّ، والدفاع عنه، لذلك اختلف أصحاب كلّ شريعة في دينهم، حتّى المسلمون اختلفوا واقتتلوا كلّ لنصرة مذهبه، رغم تحذير الله لهم في القرآن بسوق أخبار أهل الكتاب للاعتبار بها، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٥]، و﴿إِنَّ الَّذِينَ

15

20

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (92/12).

(2) ينظر: المصدر نفسه/ [هود: 47] (61/12).

(3) تفسير المنار، رضا/ (218/1).

فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴿٣١﴾ [سورة الأنعام: ١٥٩]، وَ﴿مُذِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا

لَدِينِهِمْ فَرِحُونَ ﴿[سورة الروم: ٣١-٣٢]، وغيرها من الآيات التي ساقها السيّد رشيد لتبيّن براءة الله ورسوله من المختلفين في الدين. (1) فإذا كان الاختلاف في الدين أمراً واقعياً في البشر فالمنهي عنه هو الاقتتال بسبب هذا الاختلاف، قال الشيخ محمد عبده: "لم يخلق الله الناس بقوى محدودة متساوية في أفرادهم لا تتجاوز طلب ما به قوام الجسم بالإلهام الفطري والإدراك الجزئي... بل خلق الإنسان كما نعرفه الآن، جعل له عقلاً يتصرّف في أنواع شعوره، وفكراً يجول في طرق حاجاته البدنية والنفسيّة، وجعل ارتقاءه في إدراكه وأفكاره كسبياً ينشأ ضعيفاً فيقوى بالتدريج... وجعل هداية الدين له أمراً اختيارياً لا وصفاً اضطرارياً، فهي معروضة أمامه يأخذ منها بقدر استعداده وفكره، كما هو شأنه في الأخذ بسائر أنواع الهداية والاستفادة من منافع الكون. هذه هي سنته تعالى في الإنسان وهي منشأ الاختلاف". (2)

5

10

ثالثاً: بيان تشابه أحوال الأمم في كلّ زمان:

اطّراد سنة الله تعالى في الناس، وعمومها اقتضيا أن تتشابه أحوال الأمم في كلّ زمان، ومن ذلك تشابه قوم شيّدنا نوح عليه السلام مع قوم النبي ﷺ، وقد توسّع تفسير المنار في المقارنة بين النبيين وقومهما، بما يمكن تعميمه على جميع الأمم مع أنبيائهم ودعاتهم، وذلك من خلال النقاط الآتية:

1. التشابه في سبب العناد: 15

فكلا القومين مغرور بقوّته وكثرتهم، محتقر لرسوله ومن تبعه من ضعفاء المؤمنين، وذلك دأب أقوام الأنبياء جميعهم؛ كبنّي إسرائيل ومدّين وغيرهم، يأبون إلّا أن تكون لهم الكبرياء في الأرض، وبعدهم من تبعهم ممّن يغضّ الإصلاح من مصالحه الدنيويّة، (3) كمتفرّجة المسلمين الجغرافيين - كما سمّاهم السيّد رشيد - المبهورين بتقدّم الغرب في العلوم والصناعات، فيرون أنّ هذا التقدّم حصل لهم بسبب تركهم الدين، واتباعهم أهواءهم وشهواتهم، فتبعوهم في ذلك، ونبذوا هداية الدين الروحيّة وراء ظهورهم واستكبروا عنها،

20

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (7-6/3).

(2) المصدر نفسه/ (6/3).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ [يونس: 73] (332-331/11) و(155/12).

فكانوا بذلك فتنة للكافرين تصرفهم عن الدين لما يرون من ضعفهم وفقرهم وسوء حالهم، وبخذلانهم لحقهم، فيظنون أنهم خير منهم بما أصدق الله عليهم من النعم، فكانوا بذلك شراً من قوم سيدنا نوح عليه السلام، -حسب سنة الله في فساد الفئة المنسوبة إلى الإيمان- إذ ضلّ الأولون تعظيماً لأبائهم، وضلّ الآخرون تعظيماً لأعدائهم، كما قال السيد رشيد: "ونحن نرى ملاحظة هذا العصر كقوم نوح ومن بعده في حججهم الداحضة، وغرورهم وعمى قلوبهم، لا يفضلونهم بشيء إلا الغرور بفنون الإفرنج وقوّتهم، وجعلها حجة على تقليد أراذلهم في شرّ ذائلهم، وتحقير أنفسهم وأمتهم ولغتهم، فهم شرّ من قوم نوح، إذ كان تقليد قوم نوح لأبائهم تعظيماً لهم، والبلاء كلّ البلاء عندنا من فساد أمرائنا وباشاواتنا وأغنيائنا، فهم في مجموعهم أو أكثرهم كمالاً نوح شرّ طبقات هذه الأمة وأشدّها فساداً وإفساداً".⁽¹⁾ لذلك قال تعالى في المتكبرين المغرورين: ﴿سَاصِرُونَ عَنِ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [سورة الأعراف: ١٤٦]، فالكبر أول صارف عن اتباع الحق والنظر في الآيات البيّنات، وهذه سنة مطردة في كلّ البشر، وذلك لأنّه أورثهم صفات بيّنتها الآية، وهي:

5

10

1. أنهم لا يؤمنون بالآيات والبيّنات مهما كثرت وتنوّعت؛ لأنهم معرضون عنها، يطلبونها تعجيزاً للنبي، وليس طلباً للحقّ لأجل اتّباعه: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كَلَّآيَةً لَا يُؤْمِنُوهَا﴾ [سورة الأعراف: ١٤٦].
 2. أنّ كبرهم أبلغهم من فسادهم وغيّتهم مبلغاً يثنيهم عن اتّباع سبيل الهدى والرشاد، وإنّ رأوه واضحاً جليّاً أمام أعينهم: ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [سورة الأعراف: ١٤٦].
 3. وهي موعلة في الضلال أكثر من سابقتها، فهم يبحثون عن سبيل الغي لسلكه، ولا يمنعهم منه إلّا جهله، أو العجز عنه: ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [سورة الأعراف: ١٤٦].⁽²⁾
- وكذلك بنو إسرائيل، استكبروا فاستحقوا غضب الله تعالى، بل أتاهاهم مضاعفاً؛ لإعناتهم سيدنا موسى عليه السلام أولاً، ثمّ كفرهم بسيدنا محمد ﷺ، فقال الله فيهم: ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [سورة البقرة: ٩٠]، فكان ذلك أثراً طبيعياً لذنوب الأمم العامّة، فيعجلّ الله لهم العذاب في

15

20

(1) تفسير المنار، رضا/ [هود: 27] [45/12]، وينظر: [يونس: 85] [337/11]

(2) ينظر: المصدر نفسه / (148/9-149).

الدنيا، ليعتبر المتأخرون بما أصاب المتقدمين،⁽¹⁾ يحمل الوعيد فيها على كل من ارتكب فعلاً يستوجب ذلك الوعيد، سواء أكان مسلماً أم غيره، فلا يفتّر أحد منهم بنسبته إلى دين معين يزكي نفسه به، ويحتقر من سواه، كما كان أهل الكتاب، فكانت الغلبة للمسلمين عليهم في القرون الأولى.⁽²⁾

2. التشابه في العلاج الرباني لعناد الأقوام:

لقد عالج الله تعالى كبيرهم هذا بتمهيد الرسائل بالشدائد، ليصبغهم بالخضوع والخشوع إلى ربهم، لإصلاح نفوسهم وتربيتهم، فتردّ المؤمن إلى إيمانه، وتنبيه الكافر إلى وجود خالقه- كما أثبت علم النفس والأخلاق- ومثال ذلك تأثير الحرب العالمية الأولى على تدنّ أهل باريس، قال السيّد رشيد: "بل الكافر بالله عزّ وجلّ قد تنبّه الشدائد والأهوال مركز الشعور بوجود الربّ الخالق المدبر لأمر الخلق في دماغه، وتذكّره بما أودع في فطرته من وجود مصدر لنظام الكون وأقداره، كما وقع كثيراً، والآيات في هذا كثيرة... وقد روي لنا أنّ الحرب العظمى قد كان لها هذا التأثير حتّى في أقلّ الناس تدنّياً، وهم أهل مدينة باريس، فكانت المعابد تُرى مكتظة بالمصلّين في أثناء شدائد الحرب"،⁽³⁾ قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٩٤]، وقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٤٢]،⁽⁴⁾ أمّا المسلمون فقد كانوا من الأمم المغلوبة بعد هذه الحرب، وكانوا من أكثر الأمم خضوعاً للذلّ والقهر، وقد علّل السيّد رشيد ذلك بتركهم لهداية دينهم على مستوى الحكومات والأفراد، واقتصار الكثير من طّالاب العلم على قراءة كتب الفقه والكلام، والسعي وراء الألقاب العلميّة، واتّبع العوامّ سنن أهل الكتاب فجعلوا التحليل والتحرّيم بيد من لبس ثوب العلماء، كما اتّخذ أهل الكتاب أحبارهم ورهبانهم أرباباً، فاصطبغوا بصبغتهم البشريّة وتركوا صبغة الله الخالصة التي صبغ بها أنبياءه ومن تبعهم بإحسان، وهي وحدة دين الفطرة والتوحيد التي جاء

5

10

15

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [البقرة: 90] (276/1).

(2) ينظر: المصدر نفسه/ [النساء: 49] (111/5).

(3) المصدر نفسه/ [الأعراف: 94] (13-12/9).

(4) ينظر: المصدر نفسه/ (203/7)، [الأعراف: 94] (13-12/9).

بها جميع الأنبياء ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٣٨].⁽¹⁾

ولكنَّ الغرب التفتوا إلى السنن الإلهية في نهوض أمتهم، وأخذوا بأسباب الرقي؛ ولكنهم أعرضوا عن مصدر هذه السنن، فزادهم ذلك طمعاً وجشعاً، واحتقاراً للمسلمين لضعفهم وخنوعهم، واحتقارهم هم لأنفسهم؛ فكان نتيجة ذلك كما قال السيّد رشيد: "حتى كان ذلك فتنة لبعض زعماء شعب سلم من الهلاك بعد أن كاد يحاط به، فظنّوا أنّ التقيد بالإسلام سبب الهلكة والإلقاء بالأيدي إلى التهلكة، وأنّ في الانسلاخ منه المنجاة وارتقاء المملكة"⁽²⁾ ولكن يؤكّد القرآن الكريم مرّة أخرى أنّ العاقبة لن تكون لهم، ما داموا معرضين عن ربّهم، كافرين بنعمته، ينسبون ما هم فيه من العزّة والغلبة إلى الأسباب الدنيويّة، وسعيهم الدؤوب لها، ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهِمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ

5

عَلَيْهِمْ مَدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٦]، فإتّما يستحقّ الهلاك من الأمم قسمان: "أحدهما: معاندة الرسل والكفر بما جاءوا به. وثانيهما: كفر النعم بالبطر والأشر، وغمط الحقّ واحتقار الناس وظلم الضعفاء، ومحاباة الأقوياء، والإسراف في الفسق والفجور".⁽³⁾ فالنعمّة إذا لم تؤدّ حقها كانت أشدّ وبالاً على أهلها من النعمة ﴿فَلَمَّا دَسَوْا مَا

10

ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٤٤]، وهو ما عليه الغرب في العصر الحديث، فإذا هلكوا استبدل الله تعالى بهم خلفاً لهم؛ لكنهم لا يكونون أمثالهم في كفرهم وبطرهم،⁽⁴⁾ وقد حدّر الشيخ محمّد عبده المسلمين من هذه العاقبة إذا وقعوا

15

فيما وقعت فيه الأمم السالفة من كفر النعمة، وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [سورة البقرة: ١٥٢]، "وهذا تحذير لهذه الأمة ممّا وقعت فيه الأمم السالفة إذ كفرت بنعم الله تعالى فحوّلت الدين عن قطبه الذي يدور عليه؛ وهو الإخلاص... وعطّلت ما أعطاه الله من مواهب المشاعر والعقل والملوك، فلم تستعملها فيما خلقت له... فسلبهم الله ما كان وهبهم تأديباً

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (348/1).

(2) المصدر نفسه/ [الأعراف: 95] (15/9).

(3) المصدر نفسه/ [الأنعام: 6] (224/7).

(4) ينظر: المصدر نفسه/ [الأنعام: 6] (224-225) [الأنعام: 44] (303/7).

لهم ولغيرهم، ثم رحّمهم بأن أرسل إليهم خاتم النبيين بهداية عامّة تعرفهم وجه تلك العقوبات الإلهيّة وتحذّره العود إلى أسبابها، وقد امتثل المسلمون هذه الأوامر زمناً قصيراً فسعدوا، ثم تركوها بالتدريج فحلّ بهم ما نرى كما قال: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُءُوبُكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [سورة إبراهيم: ٧]، فإذا عادوا عاد الله عليهم بما كان أعطى سلفهم وإلا كانوا من الهالكين".⁽¹⁾

وقد أشار السيّد رشيد إلى أنّ أمة لا تخلو ممّن يتنبّه إلى ضرورة العودة إلى الدين لنجاة الأمم، ومن هؤلاء البقيّة الفيلسوف هربرت سبنسر، الذي قال للشيخ محمّد عبده: "مُحْيِي الْحَقِّ مِنْ عَقُولِ أَهْلِ أَرْوَبَا، واستحوذت عليها الأفكار الماديّة فذهبت الفضيلة، وهذه الأفكار الماديّة ظهرت في اللاتين أولاً فأفسدت الأخلاق، وأضعفت الفضيلة، ثمّ سرت عدواها منهم إلى الإنكليز، فهم الآن يرجعون القهقري بذلك، وسترى هذه الأمم يختبّط بعضها ببعض، وتنتهي إلى حرب طامّة ليتبيّن أيّها الأقوى، فيكون سلطان العالم".⁽²⁾

5

10

3. تشابه صفات الأنبياء عليهم السلام مقابل تشابه صفات أقوامهم:

أمّا الأنبياء عليهم السلام فكلّ معتزّ برّيه متوكّل عليه، مؤمن بسننه في نصر المؤمنين وإهلاك المخالفين، حتّى قال سيّدنا نوح عليه السلام: ﴿يَقَوْمُ إِن كَانَ كُوبٌ عَلَيْكُمْ مَّقَامِي وَتَذَكَّرِي بِعَايَةِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ [سورة يونس: ٧١]، ففيها تنبيه لأهل مكّة إلى ما حلّ بقوم سيّدنا نوح عليه السلام بسبب تحديهم له، ومقابلته لمكرهم بالإيمان المطلق، والعزيمة الثابتة التي كانت نتيجتها أن نجّاه الله ومن معه، وأغرق عدوّه وفاقاً لسنته في الأمم، وفيها تسلية للنبي صلى الله عليه وآله والمسلمين، وتبشير لهم بنصر الله تعالى لهم كما نصر القليل من المؤمنين مع سيّدنا نوح عليه السلام، وقدم النجاة على العذاب للتأكيد على أنّ من سنّة الله نصر الفئة القليلة على الكثيرة برحمة خاصّة بها إذا اتّصفت بالإيمان واتباع الحقّ، بخلاف المعهود من أنّ المصائب العامّة - كالطوفان والصاعقة - لا استثناء فيها،⁽³⁾ وبهذا الإيمان والتوكّل - أيضاً - دعا سيّدنا يوسف عليه السلام صاحبيه في السجن إلى الله

15

20

(1) تفسير المنار، رضا / (24/2).

(2) المصدر نفسه / [الأعراف: 95] (17/9-18).

(3) ينظر: المصدر نفسه / (331-332)، [هود: 56] (83/12).

مستغلاً ثقتهم به، وحاجتهما إلى سماعه، ولأنّ أقرب الناس إلى إجابة الدعوة هم الفقراء والمستضعفون، أمّا الأغنياء والأقوياء فبعكسهم؛ بل إنّه ﷺ فضّل السجن على مطاوعة نسوة المدينة، فباع حرّيته لأجل الدعوة إلى الله فيه، ولعلمه بأنّ من سنّة الله أن جعل عاقبة كلّ محنة منحة، وطلباً منه للاعتبار بأحكام الملوك ورعاياهم.⁽¹⁾ قال السيّد رشيد: "افترض يوسف ﷺ ثقة هذين السائلين بعلمه وفضله، وإصغاءهما لقوله واهتمامهما بما يسمعان من تأويله لرؤاهما، فبدأ حديثه بما هو أهمّ عنده؛ وهو دعوتهما وسائر من في السجن إلى توحيد الله عز وجل".⁽²⁾

5

رابعاً: توظيف العبرة في مواجهة الأنبياء لأقوامهم، ثمّ مواجهة النبي ﷺ لقومه، ثمّ مواجهة الدعاة بعده لأقوامهم:

ثمّ أضاف لأهل مكة عبرة أخرى يعتبرون بها بعد قوم سيّدنا نوح ﷺ، فقال: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ [سورة يونس: ٧٤]، واستدلّ السيّد رشيد على تشابه أقوام الرسل في الإعراض عن دعوة أنبيائهم من أفراد قوله ﴿قَوْمِهِمْ﴾، قال: "أي: بعثنا من بعد نوح رسلاً مثله إلى أقوامهم الذين كانوا مثل قومه فيما يأتي من خبرهم معهم، ولهذا أفرد كلمة ﴿قَوْمِهِمْ﴾ فيما يظهر لنا منه، والمراد: أرسلنا كل رسول منهم إلى قومه كهود إلى عاد وصالح إلى ثمود"،⁽³⁾ وذلك بعد أن بيّن لهم أنّ عذاب الاستئصال إذا وقع لا يمكن دفعه، كما أهلك فرعون رغم قوله: ﴿ءَاْمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَاْمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة يونس: ٩٠]؛ بل جعل هلاكه ونجاة بدنه عبرة يعتبر بها من يراه من بني إسرائيل الذين شكّوا في غرقه، والقبط الذين عبده، ولمن بعدهم "فهي أعمّ؛ هي ما سيقّت القصّة لأجله من كونها شاهداً-كالتّي قبلها-على صدق وعد الله لرسله، ووعيده لأعدائهم، كطغاة مكة التي أنزلت هذه الآيات؛ بل هذه السورة كلّها لإقامة حجج الله عليهم في هذه المسألة قبل غيرهم، لأنهم أوّل من بلغت الدعوة"؛⁽⁴⁾ ولكنّه حضهم على المبادرة

10

15

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [يوسف: 33] (204-203/12) [يوسف: 37] (209-208/12).

(2) المصدر نفسه/ [يوسف: 37] (208/12).

(3) المصدر نفسه/ (333/11).

(4) المصدر نفسه/ (342/11).

إلى التوبة، والتأسي بقوم سيدنا يونس عليه السلام، إذ بادروا إلى التوبة قبل وقوع العذاب فنجاهم الله منه، قال: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيبَةً ءَامَنْتَ فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَذَابَ الْخَرِي فِي الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [سورة يونس: ٩٨].^(١) قال السيد رشيد: "تلك سنّتنا في رسلنا مع قومهم؛ يبلّغونهم الدعوة، ويقىمون عليهم الحجّة، وينذرونهم سوء عاقبة الكفر والتكذيب، فيؤمن بعض ويصبر الآخرون، فنهلك المكذّبين، ثمّ ننجي رسلنا والذين آمنوا بهم، ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس: ١٠٣]؛ أي: كذلك الإنجاء ننجي المؤمنين معك-أيّها الرسول-ونهلك المصّرّين على تكذيبك، وعداً حقّاً علينا لا نخلفه، ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾ [سورة الإسراء: ٧٧]، وقد صدق وعده كما قال".^(٢)

5

وكذلك خاطب المنافقين بمثل ما خاطب به أهل مكّة، فنبّههم إلى تقليدهم أسلافهم في افتتائهم بالمال والولد، وحصر همّهم في التمتع بهما، وفقدهم للمقاصد الشريفة في حياتهم، إلّا أنّ اللوم على الخلف أشدّ من السلف؛ لأنّ هذه المغريات عندهم أضعف، ولما رأوا من آيات الله البينات على يد خاتم النبيّين عليه السلام، فكان جزاؤهم كما قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [سورة التوبة: ٦٩]، أمّا أعمالهم الدنيويّة فحبوطها بأن لا يكون لهم عليها أجر في الآخرة، ولا تشفع لهم من عذاب النار، ولا يعاملون كالمسلمين إذا افتضح نفاقهم وكفرهم، ولا يكون لها تأثير في تهذيب أخلاقهم لفقدهم الإخلاص فيها، وأمّا أعمالهم الدنيويّة فيكون ضررها على أصحابها أكبر من نفعها بسبب إسرافهم فيها، فخسروا من حيث يحسبون أنّهم يحسنون صنعا،^(٣) ثمّ ساق لهم الأمثلة التاريخية الدالّة على صدق وعيده بقوله: ﴿الَّذِينَ يَأْتِيهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمٌ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودَ وَقَوْمٌ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [سورة التوبة: ٧٠]، قال السيد رشيد: "والمراد من ضرب هذا المثل للكافرين برسالة محمد عليه السلام من المجاهرين والمنافقين، أنّ سنّة الله في عباده واحدة لا ظلم فيها ولا محاباة، فلا

10

15

20

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (11/345-346).

(2) المصدر نفسه/ (11/248-249).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ (10/405).

بَدَّ أَنْ يَحْلَ بِهَم مِّنَ الْعَذَابِ مَا حَلَّ بِأَمْثَلِهِم مِّنْ أَقْوَامِ الرِّسْلِ إِنْ لَمْ يَتُوبُوا، كَمَا قَالَ فِي سُورَةِ الْقَمَرِ:

﴿ أَكْفَرْتُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَئِكَ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾ [سورة القمر: ٤٣].⁽¹⁾

كما بيّن أيضاً تشابه أقوام الرسل عليهم السلام في خلاصة قصص سورة الأعراف التي تحدّثت عن

الأمم التي سكنت جزيرة العرب وما جاورها، إذ قال تعالى: ﴿ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ

جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ

الْكَافِرِينَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٠١]، فهم إذ كذبوا الرسل، ولم يقبلوا بالآيات البيّنات صار الكفر صفة لازمة لهم، فطبع الله على قلوبهم، فأنسوا بكفرهم، فلا يقبلون عنه تحويلاً ولا تبديلاً بحسب سنة الله في البشر وأقوامهم.⁽²⁾

وفي مقابل التفاني والصبر والإخلاص من قبل الأنبياء من أجل نشر دين الله كان القائلون أنهم أبناء

الله وأحباؤه من اليهود إذا دُعوا إلى تمّي الموت للقاء الله تمتّعوا خوفاً ممّا قدمت أيديهم، ولزيف إيمانهم،

﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ ۝ ١٤ ۝ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [سورة البقرة: ٩٤-٩٥]، فهذا حجة

عليهم، وميزان يزن به المسلمون يقينهم، ولذلك نزلت، كما قال الشيخ محمد عبده: "ولذلك كانت العبرة

في الآية عامة، فهي واردة في سياق الاحتجاج على اليهود، ويجب على المسلمين أن يتّخذوها ميزاناً يزنون

به دعواهم اليقين في الإيمان والقيام بحقوقه؛ لأنّ الله أنزلها لذلك".⁽³⁾

خامساً: بيان أصل المساواة والعدل الإلهي بين جميع البشر:

وبالمقابل إنّ القرآن الكريم ضَمَنَ النجاة لكلّ من آمن بالله حقّ الإيمان، متّبِعاً نبيّه الذي أرسله الله

إليه حتى يأتيه هدي إلهي آخر، كأن تبلغه دعوة الإسلام، فيستوي في حكم الله من سلّمت عقيدته مسلماً

أو نصرانياً أو يهودياً أو غيرهم، فقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّانَ مَنْ

(1) تفسير المنار، رضا/ (406/10).

(2) ينظر: المصدر نفسه/ (26-25/9).

(3) المصدر نفسه/ (281/1).

ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٢٣﴾
 [سورة البقرة: ٦٢]، وقال: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا
 يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتُمْ وَهُوَ
 مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ [سورة النساء: ١٢٣-١٢٤].^(١) فدين الله تعالى واحد، لذلك
 اقتضت العدالة الإلهية أن لا يكون أهل الكتاب سواء، فمن كان منهم من أهل الصلاح والعبادة والإيمان
 بما بقي صحيحاً من كتبهم حتى بلوغ دعوة الإسلام إليهم ليس كالملاحد أو العاصي المعرض عن الشريعة،
 ولا يضيع الله عمله، ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [سورة آل
 عمران: ١١٥]، قال الشيخ محمد عبده: "هذه الآية من العدل الإلهي في بيان حقيقة الواقع وإزالة الإيهام
 السابق، وهي دليل على أن دين الله واحد على ألسنة جميع الأنبياء، وأن كل من أخذه بإذعان، وعمل
 فيه بإخلاص فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، فهو من الصالحين، وفي هذا العدل قطع لاحتجاج أهل
 الكتاب الذين يعرفون من أنفسهم الإيمان والإخلاص في العمل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".^(٢)
 ويرى الشيخ محمد عبده أن في هذه الآية استمالة لقلوبهم لتفرقتها بين صالح أهل الكتاب وفاسقهم.

5

10

لقد دأب القرآن الكريم على تلخيص العبر من أخباره في نهاية سردها في آية أو مجموعة آيات تأتي
 بخلاصة ما جاءت الآيات لأجله، فقد ختم قصص سورة هود بسبع آيات تبين شقاوة الكفر وسعادة
 الإيمان، مع تعميم هذا الجزاء لجميع البشر دون استثناء، وذلك من قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ
 خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ [سورة هود: ١٠٣] إلى قوله: ﴿وَإِنَّا لَمُوقِفُهُمْ نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾ [سورة هود: ١٠٩]، فإنما
 يعتبر بهذه القصص من خاف الآخرة، فلا يغترّ بتأخر العذاب عنه، لعلمه بأن من عذب الأمم في الدنيا

15

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (243/1-245).

(2) المصدر نفسه/ (53/4).

ذهب كثير من المفسرين -منهم ابن عباس ؓ وقتادة- إلى أن الأمة القائمة هم من أسلم من أهل الكتاب، إذ رماهم من بقي
 على دينه منهم بأثم شرارهم، وذهب ابن مسعود ؓ والسدي إلى أن المراد: ليس أهل الكتاب وأمة محمد ﷺ القائمة بشرع الله
 تعالى سواء، وتأويله عند الطبري: أن أهل الإيمان وأهل الكفر من أهل الكتاب غير مستويين، فهم متفاوتون في الفساد والصلاح.
 ينظر: تفسير الطبري/ (689/5-693)، وتفسير ابن كثير/ (105/2)، تفسير الجلالين، جلال الدين المحلي وجمال الدين
 السيوطي/ ص 86.

قادر على تعذيبهم في الآخرة، فلا يأمن تأخر العذاب عنه، بخلاف من كفر بيوم البعث والجزاء، نقل السيّد رشيد عن الإمام البيضاويّ قوله: "يعتبر به عظمتة لعلمه بأنّ ما حاق بهم أنموذج ممّا أعدّ الله للمجرمين في الآخرة، أو ينزجر به عن موجباته لعلمه بأنّها من إله مختار يعذب من يشاء، ويرحم من يشاء. فإنّ من أنكر الآخرة وأحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار، وجعل تلك الوقائع لأسباب فلكيّة اتّفقت في تلك الأيام لا لذنوب المهلكين بها"،⁽¹⁾ ومنهم ملاحظة العصر الحديث، وقد قال السيّد رشيد في الردّ عليهم: إنّ هذه الحوادث تحدث وفق نظام الكون وسننه، وترتّب المسبّبات على أسبابها؛ ولكنّ ذلك كلّه وفق قضاء الله وقدره، إذ اقتضت رحمته أنّ يجعل تلك الأسباب في تلك الأوقات بالذات، لتكون نتائجه عقوبة وتأديباً للأقوام التي نزلت بهم جزاء وفاقاً على أعمالهم، ودليلاً على ذلك إنذار رسلهم لهم إياها قبيل وقوعها، ومنهم من حدّد موعدها بدقّة كسيّدنا صالح عليه السلام ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ

5

أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [سورة هود: ٦٥].⁽²⁾

10

وخلاصة عبرة هذا المقطع من سورة هود كلّها بما فيه من وعد ووعيد، وترغيب وترهيب هي في قوله: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوفُونَ نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾ [سورة هود: ١٠٩]، هي خطاب لرسول الله ﷺ، ودعاة الأُمّة من بعده يخبرهم بما سيحلّ يقيناً بمن عانداهم وصدّاهم عن الدعوة، فإنّهم سلكوا طريق آبائهم، فلا بدّ أنّهم واصلون إلى ما وصلوا إليه من الجزاء، ولا يظلمون فتيلاً.⁽³⁾

15

وقريب منه بشارته تعالى لسيّدنا عيسى عليه السلام بنجاته ورفعته، ولمن تبعه من الخواريين بفوقيتهم على عدوّهم باتباعهم ما جاء به من الهدى والفضيلة، وبعْدالة حكمه في جزاء كلّ من الكافرين والمؤمنين حسب أعمالهم في الدنيا والآخرة، وذلك من قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ سَلِّمْ عَلَيَّ إِنَّكَ رَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [سورة آل عمران: ٥٥] إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٥٧]،⁽⁴⁾ ثمّ تمّ العبرة بقوله: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ

(1) تفسير البيضاويّ / [الأعراف: 103] (148/3).

(2) ينظر: تفسير المنار، رضا / (107/12-108).

(3) ينظر: المصدر نفسه / (111/12-112).

(4) ينظر: المصدر نفسه / (221/3-222).

﴿الْأَيَّتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ [سورة آل عمران: ٥٨]، قال السيّد رشيد: "﴿ذَلِكَ﴾ الذي تقدّم من خبر عيسى ﴿نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ﴾ الدالة على نبوّتك ﴿وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ الذي بيّن وجوه العبر في الأخبار والحكم في الأحكام، فيهدي المؤمنين إلى لباب الدين وفقه الشريعة وأسرار الاجتماع البشري، ليتّعظ المتّعظون، ويصل إلى مقام الحكمة العارفون." (1)

5

- إنّ النظر في قصص الأنبياء مع أقوامهم، وملاحظة أسباب ما آل إليه أمرهم، وصفات الفريق الناجي منهم والفريق الهالك يرسم صورة واضحة لما سيؤول إليه أمر كلّ أمة في أيّ زمان، وما سيلاقى الدعاة إلى الله، وخلاصة العبر التي ركّز عليها تفسير المنار في مجال العقيدة والدعوة إلى الإيمان تتلخّص فيما يأتي:

● مواجهة الدعاة لفريقين من الناس: فريق معاند لا يقبل الحقّ ترجيحاً لمصلحته، وهذا مصيره الهلاك، وفريق باحث عن الحقّ، وهو الفريق الغالب الناجي، وعلى الداعي إلى رسالة معيّنة أن يزوّدها بالحجج والبيّنات في جداله مع كلا الفريقين، وأن يصبر في مراعاة تفاوت الناس الفطريّ في الفهم وفي تغلّب دوافع الخير أو الشرّ في نفوسهم.

10

● حمل كل خطاب في القرآن الكريم على المسلمين، وليس على الكافرين فقط، فمجرّد الانتماء إلى الإسلام لا يعني بحال الاستثناء من العقوبة أو العذاب لمن يستحقّها.

● استواء أهل الشرائع الإلهيّة جميعها في استحقاق المثوبة أو العقوبة، حسب قوانين السنن الإلهيّة المبنيّة في القرآن الكريم.

15

● التكبر على الحقّ، واحتقار الدين من قبل المنتمين إليه سبب في افتتاح المتكبر عن الدين، وافتتان غيره به، واعتقادهم أنّهم على حقّ، وأنّ الدين سبب التخلف والذلّ.

● لا يمكن ضمان عاقبة الأمور إلّا بالعودة إلى دين الله والعقيدة السليمة، فاتّخاذ الأسباب المادّيّة وحدها له نتائج مرضية آنيّة، إلّا أنّها مهلكة على المدى البعيد في الدنيا والآخرة.

20

● لا بدّ لصالح الأمة من العمل على ثلاثة أصعدة: إصلاح العقيدة بالعودة إلى ما جاء به القرآن والسنة، ونبذ التقليد والخرافات، ثمّ اتّخاذ الأسباب المادّيّة المؤدّيّة إلى الرقيّ الحضاريّ شريطة تناسبها مع روح الدين ومقاصده، وردّ هذه الأسباب إلى حكمة الله تعالى وسننه في خلقه، وأخيراً السعي في توحيد كلمة المسلمين،

والتسامح في الخلافات المبنية على الأدلة والبيّنات، لا على التشهي والهوى.

المطلب الثاني: توظيف العبرة في مجال إقامة الكتاب والعودة إلى الشريعة

من المعلوم أنّ الإيمان لا يكمل دون عمل يصدّقه، لذلك أنزل الله تعالى شرائعه لتكميل الدين، وتكميل الإنسان به، وقد رتب الله تعالى على تركها عقوبة قد تصل إلى عقوبة الكفر؛ بل قد يسمي المعصية كفراً، كما في قوله مخاطباً يهود المدينة: (1) ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ

5

بِبَعْضٍ﴾ [سورة البقرة: ٨٥]؛ أي: يؤمنون بفداء الأسرى، ويكفرون بالنهي عن القتل والإخراج، وإنّما تستوي المعصية مع الكفر إذا لم تترك في نفس العاصي ألماً واضطراباً يرجعه إلى الله تعالى، وبذلك يستحقّ فاعلها ما أوعده الله الكافرين، لاستهانته بدين الله، فالإيمان لا يتجزأ، فلكلّ اعتقاد أثر في النفس يظهر في الأعمال، قال الشيخ محمد عبده: "أوعدهم الله تعالى - كما أوعدهم من قبلهم ومن بعدهم - بأنهم يعاقبون على نقض ميثاق الدين الذي يجمعهم، والشريعة التي هي مناط وحدتهم، ورباط جنسيتهم بالخزي العاجل، والعذاب الآجل، وقد دلّ المعقول، وشهد الوجود بأنّه ما من أمة فسقت عن أمر ربّها، وتعدّت حدود شريعتها، إلّا وانتكت فتلها، وتفرّق شملها، ونزل بها الذلّ والهوان، وهو الخزي المراد في القرآن، وهذه هي سنّة الخليقة، ذكرها ليعتبر بها من صرفته الغفلة عنها"، (2) قال تعالى: ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ

10

مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ [سورة البقرة: ٨٥].

وقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهِ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ

15

لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ١١٤]، بيّن السيّد رشيد هنا أنّ الخزي الدنيوي المترتب على الظلم عموماً هو فساد العمران والذلّ والهوان، ثمّ خصّص من بين أنواع الظلم تعطيل العبادة فقال: "وناهيك بظلم يحلّ القيود ويهدم الحدود، ويغري الناس بالفواحش والمنكرات، ويسهّل عليهم سبل الشرور والموبقات، وهو ظلم إبطال العبادة من

(1) كان بنو قريظة حلفاء الأوس، وكان النضير حلفاء الخزرج، فيقاتل كلّ فريق منهم مع حلفائه، فإذا انتهت الحرب جمع اليهود لفداء أسراهم من الفريقين، فإذا عبرهم العرب لقتالهم ثمّ فدائهم أجابوا بأنهم مأمورون بالفداء، ومحرم عليهم القتال؛ ولكنهم يقاتلون لئلا يستذلّ حلفاؤهم. ينظر: تفسير الطبري/ (208/2)، والعجّاب في بيان الأسباب، ابن حجر العسقلاني/ (278/2-279).

(2) تفسير المنار، رضا/ (270/1).

المساجد، والسعي في خراب المعابد، إذا وقع هذا الظلم كان الحاكم الظالم مخذولاً في حكمه، والفتاح الظالم غير أمين في فتحه".⁽¹⁾ وفيما يأتي أهمّ النقاط الواردة في المنار المتعلقة بإقامة الكتاب والعودة إلى الشريعة.

أولاً: ارتباط العزة والغلبة باتباع الرسل والكتب التي أنزلها الله إليهم، ولا ارتباط الهزيمة بتركها ومخالفة الرسل:

وقد خاطب الله تعالى أهل الكتاب بقوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [سورة المائدة: ٦٨]، يريد بإقامتهما اتباع ما فيهما من الفضائل والأخلاق والتوحيد، وعلى رأس ذلك كله البشارة بخاتم النبيين ﷺ، والعمل بما جاء به، فاتباعهم لكتبهم متعذر لما عرض لها من التحريف والتبديل، ومع ذلك فهي حاوية للكثير من الفضائل التي أهملوها، وقد واجه السيّد رشيد دعايتهم بها، إذ خالفوا ما جاء فيها من السماحة وردّ الحقوق إلى أصحابها، واستبدلوا بها المبالغة في العداوة والبغضاء، وإشعال نيران الحرب، والاستكثار من الثروات والشهوات، ولم يغفل عن مطالبة المسلمين بمثل ما طالب به أهل الكتاب من العودة إلى كتاب ربهم، قال السيّد رشيد: "والعبرة للمسلم في الآية أن يعلم أنّ المسلمين لا يكونون على شيء يُعتدّ به من أمر الدين حتى يقيموا القرآن وما أنزل إليهم من ربهم فيه، ويهتدوا بهديته، فحجة الله على جميع عبادته واحدة، فإذا كان الله تعالى لا يقبل من أهل الكتاب قبلنا تلك التقاليد التي صدّتهم عمّا عندهم من وحي الله تعالى -على ما كان قد طرأ عليه من التحريف بالزيادة والنقصان- فألا يقبل منّا مثل ذلك مع حفظه لكتابنا أولى"،⁽²⁾ ثمّ لام المسلمين على غفلتهم عن الكتاب، وتعصّبهم للمذاهب، ومثلها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة المائدة: ٦٦].⁽³⁾

لذلك يرى الشيخ محمّد عبده وجوب احترام كلّ معبد إلّا معابد الوثنيين، وتحريم خرابها والصدّ عنها، مهما طرأ عليها من الخرافات والبدع، فبقاؤها رغم ما هي عليه خير من تعطيلها؛ لما تبقي من مراقبة

(1) تفسير المنار، رضا/ (311/1-312).

(2) المصدر نفسه/ (352/6).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ (340/6-341).

الله تعالى في النفس، وتنهى عن الفحشاء والمنكر.⁽¹⁾

وقد قدّم القرآن الكريم نموذجاً تاريخياً وافياً لقوم دأبوا مخالفة رسولهم، وهم قوم سيّدنا موسى ﷺ، إذ آمنوا به؛ ولكنهم كانوا من أشدّ الأمم إعناتاً ومعاندة لرسولهم، واختلافاً في كتابهم، بخلاف الأمم السابقة التي غلب عليها الكفر والجحود فاستحقّت تعجيل العذاب في الدنيا قبل الآخرة، أمّا قوم موسى ﷺ فلم يستحقّوا عذاب الاستئصال في الدنيا، فأخّر حسابهم إلى يوم القيامة ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ (١١٠) وَإِنْ كَلَّا لَمَا يُؤْفَيْنَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿[سورة هود: ١١٠-١١١]،⁽²⁾ فقد هدّد الله تعالى بني إسرائيل إن لم يتبعوا رسولهم في التمسك بالكتاب - وذلك ليعتبر المسلمون أهل القرآن الكريم - فقال: ﴿فَخَذَّهَا وَقُوَّةً وَأَمُرَّ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٤٥]، استخلص السيّد رشيد من هذه الآية أربع عبر:

5

10

1. وجوب أخذ الكتاب بعزيمة وإرادة، لأجل تحقيق ما جاء به من التجديد والإصلاح الباطني والظاهري للأمم، وأول المطالبين بذلك الرسل والقادة والعلماء ليقتدى بهم، كما كان من سلفنا ﷺ، فكان القرآن حجة لهم، وترك الخلف هدايته فكان حجة عليهم.
2. سنّة الله في التربية بالشدائد، والارتياض بالصبر، واستبدال القوم الذين ألفوا الذلّ والهوان بقوم تربوا على الصبر وحرّيّة البداوة؛ لأجل القيام بأعباء الدعوة، ومقاومة المعاندين مهما بلغوا من القوة والجبروت، كما أذب بني إسرائيل بالتبه ليمكّنوا من اتّباع شريعة التوراة الشديدة، وقتال الجبارين.
3. ارتباط العزّة والغلبة بإقامة الشريعة، وارتباط الذلّ والهزيمة بتركها، وهو ما جرى مع اليهود عبر التاريخ.
4. أنّ أعداء المسلمين يسعون جاهدين في إفساد عقائدهم وأخلاقهم عن طريق الاستيلاء على ممالكهم، والسيطرة على التربية والتعليم، يعينهم على ذلك اغترار المسلمين بالدين واعتمادهم على الألقاب، وتقليدهم أهل الكتاب، فيفسدون وهم يحسبون أنّهم يصلحون.⁽³⁾

15

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [البقرة: 114] (311/1-312).

(2) ينظر: المصدر نفسه/ (112/12-113).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ (145/9-146).

ثانياً: فتح باب التوبة:

وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يقع سيدنا آدم عليه السلام في مخالفة أمر الله تعالى، ليعلم الناس أن الخطأ من فطرهم، والضعف البشري من جبلتهم؛ ولكنّه ألهمه التوبة فغفر له، وقد علمنا أبوانا آدم وحواء- عليهما السلام- مسألة هامة في ترسيخ التوبة؛ وهي: الاستعانة بذكر الله تعالى بالقلب واللسان بعد ترك المعصية وأداء الواجب إذ قالوا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٢٣]، لما في ذكر الله تعالى من تأثير في دفع الخواطر السيئة والوساوس، ومع ذلك لم تتخلف نتيجة المعصية -وهي الهبوط إلى الأرض- فسنة الله أن سعادة الجنس البشري مرتبطة باتباع الهداية الإلهية، وشقاءه مرتبط بتركها. (1)

5

وكذلك وقعت المعصية من إبليس، ليتبين الفارق بين من تاب فاصطفاه الله وغفر له، ومن أصّر واستكبر فلعنه وأخزاه، ويتبين اختلاف المكلفين في الاستعداد الفطري للطاعة أو المعصية، والتوبة أو الإصرار، واستمرار هذه الفروق في ذرية كل من آدم عليه السلام وإبليس، وفي دأب ذرية إبليس على إغواء ذرية آدم عليه السلام والوسوسة لهم -كما كان من أبيهم- فلكل مكلف حرية اختيار قدوته، سواء أكانت صالحة تعصي وتتوب، أم سيئة تعصي وتستكبر، فلم يفرط الله أحداً من المكلفين على الشرّ والمعصية، وخصّ ذرية آدم عليه السلام بالخلافة في الأرض، وسخر لهم ما فيها من مخلوقات، ومكّنهم من الاستعداد لتلقي جميع أنواع العلوم والمعارف، لأجل القيام بهذه الخلافة على أتم وجه. (2)

10

15

وقد تعرّض إبليس وذريته لبني آدم جميعهم بالوسوسة، فلم يسلم منها بنو سيدنا يعقوب عليه السلام - على سبيل المثال - إذ همّوا بقتل سيدنا يوسف عليه السلام، ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ [سورة يوسف: ٩]، فتنازع لديهم داعي الإيمان وداعي الشيطان، وكانت الغلبة للثاني؛ قال السيّد رشيد: "هكذا يزيّن الشيطان للمؤمن المتدين معصية الله تعالى ولا يزال ينزغ له ويسوّل، ويعد ويميّ ويؤوّل، حتّى يرجح داعي الإيمان، أو يجيب داعي الشيطان، وهذا الذي غلب على إخوة

20

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [البقرة: 35] (202/1) و(293/8).

(2) ينظر: المصدر نفسه/ [الأعراف: 18] (273-275)، [الأعراف: 25] (283-284)، [الأعراف: 100] (23/9).

يوسف فكان، ولكن بعد رأفة مخففة لحكم الانتقام، وهو مقتضى الحكمة التي أرادها الله".⁽¹⁾

وقد أخبر الله تعالى أنّ رحمته ومغفرته وسعت كلّ شيء؛ ولكن بشرط التوبة والإنابة، فبعد أن توعّد الذين اتّخذوا العجل بالغضب والذلة وعدهم بالمغفرة والرحمة إن تابوا وأنابوا، رغم عظم جرمهم: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٣]، وقد نقل السيّد رشيد عن الزمخشري⁽²⁾ عموم هذا الحكم في الذين اتّخذوا العجل ومن بعدهم ممن عظمت ذنوبهم، فإنّها تُقابل بعظيم رحمة الله تعالى وعفوه إذا بادر مرتكبها إلى التوبة والرجوع إلى الله، وإلاّ فهو طمع في غير محلّه، وغرور في الدين، قال: "وهذا حكم عامّ يدخل تحته متّخذو العجل ومن عداهم، عظمّ جنايتهم أولاً، ثمّ أردفها تعظيم رحمته، ليُعلم أنّ الذنوب وإن جلت وعظمت فإنّ عفوه وكرمه أعظم وأجلّ؛ ولكن لا بدّ من حفظ الشريطة؛ وهي وجوب التوبة والإنابة، وما وراءه طمع فارغ وأشعبية باردة، لا يلتفت إليها حازم"،⁽³⁾ وقد ذهب هذا الطمع بجرمة الأمر والنهي، فأضاع الشريعة، كما قال السيّد رشيد.⁽⁴⁾

5

10

ومثال آخر - وهو من أشدّ قصص القرآن الكريم تأثيراً في النفس في الحثّ على التوبة، واستحضاراً للعبرة - ما كان من توبة كعب بن مالك ؓ عن تخلّفه عن غزوة تبوك، فاستحقّ بصدقه فيها أن يخلّدها الله تعالى في القرآن وصحيح السنّة، إذ فيها من العبر ما يحتاج إلى كتاب مستقلّ لاستيعابه - كما قال السيّد رشيد - وقد تّبّه فيها باختصار إلى خطأ من اعتمد الشفاعات والمكفّرات، "فلا يتوبون ولا هم يذكرون، وإذا وعظهم واعظ أو ذكرهم مذكّر وجد اللابسين لباس الإسلام منهم بين جازم بالمغفرة والعفو عنه، وبين متّكل على شفاعة الشافعين له، ومنهم من يحفظ من أخبار المكفّرات للذنوب ما لا يصح له سند، ولا يستقيم له على أصول الدين متن، وما له أصل من هذه الأخبار يراد به تكفير الصغائر بشرط اجتناب الكبائر لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ

15

(1) تفسير المنار، رضا/ (181/12).

(2) أبو القاسم، محود بن عمر الخوارزميّ الزمخشريّ المعتزليّ جار الله، ولد بزمن 467هـ، عالم بالتفسير والحديث والنحو واللغة، توفيّ 538هـ، له: الكشف عن حقائق التنزيل وغوامض عيون الأقاويل في وجوه التأويل، وأساس البلاغة، والفايق في غريب الحديث. ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلّكان/ (323/6)، وطبقات المفسّرين، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي/ ص104.

(3) الكشف، الزمخشريّ/ (513/2).

(4) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (160-159/9).

وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿[سورة النحل: ١١٩]﴾⁽¹⁾، فلا يعتبرون بأمثال هذه القصص، ولا يأتسون بسلفهم الصالح.

أما في العصر الحديث فقد رأى السيّد رشيد عبرة فيما أصاب الولايات المتحدة وإنكلترا من جفاف واشتداد حرّ في عصره، وما أصاب لندن وباريس من جوع وخوف في الحرب العالميّة الأولى؛ ولكن لم يخطر ببال حكمائهم دعوة الشعوب إلى الاستغفار والعودة إلى الله، والالتجاء إليه بالدعاء، والاستقامة على الحقّ، وترك الظلم والفسوق، مع أنّ الأمر بالاستغفار لرفع البلاء وطلب الزيادة في الخير والقوّة جاء على لسان كلّ الأنبياء عليهم السلام، كهود عليه السلام، إذ قال: ﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [سورة هود: ٥٢]، وقال سيّدنا نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِنَ وَيَجْعَلَ لَكُم مَجَازٍ وَيَجْعَلَ لَكُم مَنَافٍ﴾ [سورة نوح: ١٠-١٢]، وقال في أهل مكّة: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٢٣]، وقد ضرب الله هذه الأمثلة لتكون سنّة عامّة تشمل الأولين الآخرين، والأقوياء والضعفاء.⁽²⁾

5

10

ثالثاً: أسباب وقوع العذاب على العاصي، وشروط قبول العمل الصالح:

اقتضت رحمته تعالى أن يجعل شروطاً لوقوع العذاب للعاصي، أوّلها الجرأة في المعصية واستمراؤها الذي سبقت الإشارة إليه، ثم تكرارها والمداومة عليها، وهذا المعنى يُفهم من جعل الظلم والفسوق سبباً لنزول الرجز على بني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [سورة البقرة: ٥٩]، فقله: ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ أي: بسبب تكرار الفسوق منهم، ومداومتهم عليه، وهو سبب عامّ يشمل الظلم وغيره،⁽³⁾ ومثلها قوله: ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِصْيَانِهِمْ بَعْضٍ مِمَّا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٦٥]، فلم يكن أخذهم بالعذاب

15

(1) تفسير المنار، رضا/ (53-52/11)، وينظر أيضاً: توبة سيّدنا أبي لبابة عليه السلام [الأنفال: 27] (473 و469/9).

(2) ينظر: المصدر نفسه/ (79-78/12 و81-82).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ (236/1).

لوقوع ظلم ما منهم فقط؛ ولكن لاستمرار فسوقهم، كما في الآية السابقة.⁽¹⁾

وبالمقابل لا يقبل العمل الصالح إلا بشرط التقوى والإخلاص، وتجنب الرياء والتباع الهوى، ولقد هذا الشرط لم يتقبل الله من قابيل صدقته، فقد نبّه أخوه فقال: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة المائدة: ٢٧]، ففيها عبرة للساعين وراء السمعة والصيت، قال السيد رشيد: "فاحمل نفسك على تقوى الله، والإخلاص له في العمل، ثم تقرب إليه بالطيبات يتقبل منك، فالله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً ﴿لَنْ نَأْتِيَكَ بِشَيْءٍ مِنْكَ نَكْرَهٍ﴾" [سورة آل عمران: ٩٢]، فليتعظ بهذا أهل الغرور بأعمالهم، ولا سيما النفقات التي يراءون بها الناس، ويبغون بها الصيت والثناء".⁽²⁾

5

وقد توسّع السيد رشيد في معنى التقوى، فلم يقصرها على فعل الطاعات وترك المعاصي، وما يترتب عليه من جزاء الدارين، فجعله شاملاً لاتقاء كل ما يفسد العقائد والأخلاق والحياة الاجتماعية والأمم، عن طريق مراعاة سنن الله الثابتة فيها، ممّا يضمن لهم السعادة والسيادة،⁽³⁾ قال: "قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة هود: ٤٩] هو الأساس الأعظم لسنن الاجتماع في فوز الجماعات الدينية والسياسية والشعوب والأمم في مقاصدها، وغلبها على خصومها ومناوئتها، كما إنّه هو الأساس الراسخ لفوز الأفراد في أعمالهم الدينية والدنيوية من مالية واجتماعية".⁽⁴⁾

10

وقد ختم الله تعالى قصص سورة هود بأمر النبي ﷺ وصحابته ومن تبعهم بالاستقامة، فهي أعلى المقامات، وذلك باتّباع الكتاب ونبد الاختلاف المفضي إلى التعادي، وبعدم تجاوز حدود الدين إفراطاً ولا تفريطاً، ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾ [سورة هود: ١١٢]، وأمر نبيّه موسى وهارون - عليهما السلام - بها في قوله: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا﴾ [سورة يونس: ٨٩]، قال السيد رشيد في معنى الاستقامة: "يقتضي الإيمان بالغيب كلّ كما جاء في القرآن بلا تعطيل ولا تمثيل ولا تأويل، وبذلك

15

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (277/9).

(2) المصدر نفسه/ (253/6).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ (168-167/12).

(4) المصدر نفسه/ (167/12).

دون سواه نجتنب ما أمر الله به جميع رسله وأتباعهم من اجتناب الاختلاف والتفرق في الدين، الذي أوعد الله أهله بالعذاب العظيم، وبرأ رسوله من أهله المفرقين والمتفرقين"،⁽¹⁾ وما لا نصّ فيه من أمور القضاء والسياسة وغيرها يردّ إلى الكتاب والسنة ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [سورة النساء: ٥٩] لتجنّب الاقتتال والتفرّق الذي تكرّر النهي عنه.⁽²⁾

5 وخلاصة هذا المطلب: إنّ إقامة الكتاب، وأتباع هدي النبوة هو الحصن الحامي للعقيدة، وحفظ المجتمع، وذلك من خلال استشعار الرقيب، وإحياء الوازع النفسي، وإقامة العدل والسعي لعزة الأمة بالتزام أوامر الله ورسوله ﷺ، وأهمّ ما ركّز عليه تفسير المنار في هذا الباب:

- ضرورة استبقاء العبادات وذكر الله وإن خالطتها البدع، لأنّ لتعطيلها مفسد أكبر من إبقائها على ما هي عليه، واستواء الأديان السماوية جميعها في ذلك، فلكلّ المعابد والشعائر حرمتها وحقوقها.
- 10 • أراد السيّد رشيد من التأكيد على استبقاء شعائر أهل الكتاب وإقامة كتبهم أن يصلوا إلى الإسلام الصحيح، وذلك من خلال انتقاده دعائهم لمخالفتهم ما جاء فيها من أخلاق وفضائل، فلو قرؤوها بإنصاف، وأتبعوا كلّ ما جاء فيها لآمنوا بسيدنا محمد ﷺ كما أمرتهم بشائر كتبهم.
- لا يستحقّ عذاب الاستئصال في الدنيا إلّا من كفر بالنبيّ المبعوث إليه واستكبر عن اتّباعه، أمّا من اتّبعه وآمن به؛ ولكنه ركن إلى الهوى ومخالفة الشريعة، ومجادلة الشارع فيما يأمر به -كبني إسرائيل- فسنة الله أن يربّيهم بما دون الهلاك العامّ، وإرجاء عقوبتهم إلى الآخرة إن لم يتوبوا، فالمعصية من طبيعة النفس الإنسانية، ولكنّ التوبة الصادقة تدرأ عقوبتها.
- 15 • تدور أسباب التفرّق في الدين التي استنتجها السيّد رشيد حول أمر واحد؛ هو الافتقار إلى الموضوعية في دراسة المسائل الخلافية، فهي إمّا متأثرة بالهوى والمصالح الفردية، أو بالانتماءات المتنوعة.
- عمل تفسير المنار على تصحيح معنى تكفير الذنوب واستحقاق الشفاعة، فلا يصحّ من مسلم أن يتواكل ويتبع هواه معتمداً عليها، فذلك في علم الله وحسب مشيئته.
- 20

(1) تفسير المنار، رضا/ (115/12).

(2) ينظر: المصدر نفسه/ (113/12 و115-116).

المبحث الثاني: توظيف العبر التاريخية في المجال الاجتماعي الأخلاقي

أشار السيّد رشيد إلى أنّ النبي ﷺ أول ما بدأ به من الدعوة إلى الإسلام إصلاح عقيدة المشركين وأهل الكتاب، وتنقيتها من الشرك، إذ كانوا يؤمنون بوجود الخالق سبحانه؛ لكنّ عقائدهم فاسدة، ثمّ توجه إلى قواعد الشريعة الكلّية من آداب وفضائل وأخلاق، وأخيراً إلى الأحكام التفصيلية، ثمّ قارن السيّد رشيد ذلك العصر مع العصر الحديث الذي كثر فيه الإلحاد والتعطيل، بسبب انتشار الأفكار المادّية والفوضى الخلقيّة، ما قد يؤدّي إلى فساد العالم وضعف العمران، وخصوصاً في أعقاب الحرب العالميّة الأولى.⁽¹⁾ لأجل ذلك دأب تفسير المنار على ربط الأخلاق القرآنية بآثارها على المجتمع كما سيّتين.

5

وأشار السيّد رشيد إلى أنّ جميع الأخلاق الإنسانيّة العليا إنّما هي من هدي النبوت، وكلّ فضيلة وخير مأخوذ ممّا أثر عنهم، وكلّ شرّ وباطل مأخوذ عنّ حرّف شرائع الله، ويختلف أسلوب القرآن عن جميع كتب المأثورات في تربيته وأخلاقه بأسلوبه البديع، فهو لا يعرض تلك الأخلاق مصنّفة تحت أبواب وعناوين؛ بل يتركها ماثورة بين أخباره وتعاليمه، يلتمسها من قرأه متدبّراً معتبراً، لذلك أراد السيّد رشيد أن يعيد القارئ إلى القرآن الكريم يستقي منه الأخلاق التي حتّ عليها، بوصفه دستور حياة غير حياة الأمم وارتقى بأخلاقها، فعقد باباً في خاتمة سورة هود، أفاض فيه في الحديث عن أخلاق الأنبياء وأتباعهم، قسّمه إلى فصلين؛ أحدهما في مساوئ النفس وسيّئات العادات، والثاني في الأخلاق النفسيّة والعمليّة، في كلّ منهما ما يزيد على عشرين مسألة، مع أنّه أشار إلى أنّ السورة لم تأت لسرد الفضائل والأخلاق أصالة؛ بل لدعوة النبي ﷺ مشركي مكّة إلى الإسلام وإثبات نبوّته.⁽²⁾

10

15

قال السيّد رشيد في بيان العلاقة الطردية بين الدين والأخلاق: "إنّ للعقائد الدينيّة الصحيحة والخرافيّة آثاراً في وحدة الأمة وتكافلها وقوة سلطانها أو ضعفه، ولا يظهر الفرق بينهما في الوجود إلّا بوقوع التنازع بين أمتين مختلفتين فيها، وإنّ للأخلاق الشخصية التي يتحقّق بكثرة بعضها ما يسمّى خلقاً للأمة أو الشعب مثل ذلك في حكمها وسلطانها وفي ثروتها وعزّتها أيضاً، ويظهر ذلك في سيرة كل أمة ودولة ذات تاريخ معروف".⁽³⁾

20

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [الأعراف: 158] [227/9-228].

(2) ينظر: المصدر نفسه/ (150/12-151 و158).

(3) المصدر نفسه/ (29/10)، وينظر: مفهوم السنن الإلهيّة، محي الدين/ ص258-259.

وقد تناول القرآن الكريم تهذيب الأخلاق جميعها، فتحدّث عن الرحمة واللين⁽¹⁾ وإكرام الضيف،⁽²⁾ وتجنّب البطر والرياء⁽³⁾ والطغيان والظلم⁽⁴⁾ وغيرها، ومن أبرز الأخلاق التي ركّز عليها تفسير المنار من خلال أخبار القرآن وقصصه وأسقطها على واقع عصره ما يأتي:

المطلب الأوّل: الحسد والكبر

أولاً: تلازم خصلتي الحسد والكبر:

5

ظهرت هاتان الخصلتان مع بداية الخليقة، وقبل استعمار الأرض، وقد جعل القرآن الكريم الحديث عنهما في أوّل قصصه، إذ حسد إبليس آدم ﷺ على إكرام الله له، وإسكانه جنّته، فدفعه كبره على عصيان أمر الله بالسجود لآدم ﷺ، ودفعه حسده إلى الوسوسة له بمخالفة الأمر، ليستويا في المعصية، قال الله تعالى: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [سورة الإسراء: ٦٢]،⁽⁵⁾ وقال قتادة في تفسير آية البقرة: ﴿(أَبَى) وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة: ٣٤] حسد عدوّ الله إبليس آدم ﷺ على ما أعطاه الله من الكرامة، وقال: أنا ناري

10

(1) في قوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ قَطًّا عَلِيظٌ الْقَلْبُ لَنَفَضْنَاهُ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩]. ينظر: تفسير المنار، رضا/ (141/4-142).

(2) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَّمَ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [سورة هود: ٦٩]، وقوله تعالى على لسان لوط ﷺ لقومه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي صَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ [سورة هود: ٧٨]. ينظر: المصدر نفسه/ (89/12 و 92-93 و 161).

(3) في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ﴾ [سورة الأنفال: ٤٧]. ينظر: المصدر نفسه/ (20/10).

(4) في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١٣) وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَنَمَسَكُمْ النَّارُ [سورة هود: ١١٢-١١٣]. ينظر: المصدر نفسه/ (114/12 و 123 و 157).

(5) ينظر: المصدر نفسه/ (265/8).

وهذا طيبي، فكان بدء الذنوب الكبير، استكبر عدوّ الله أن يسجد لآدم عليه السلام،⁽¹⁾

ثم لم يلبث الحسد أن وقع بين ابني آدم عليه السلام ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانَا فَتُقْبَلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُقْبَلْ مِنْ

الْآخَرِ [سورة المائدة: ٢٧]، وكان سببه في هذه الحادثة تفاوت الأخوين في صلاح الأعمال والفضائل، فاختار الأقلّ صلاحاً منهما أن يتخلّص من أخيه، فالحسد إذاً خلق أصيل في البشر ما داموا متفاوتين في الاستعداد للعلم والصلاح، إلّا أن الوازع الديني يمنع الحاسد من بغيه على المحسود، وكذلك العلم بأن مصالح الأفراد مرتبطة بصلاح المجتمعات، وتقبّل ما فيها من تفاوت واختلاف،⁽²⁾ حتّى الحاسد من ابني آدم عليه السلام لم يُقدم على القتل مباشرة؛ بل اعتراه إقدام بدعوة من الحسد، وإحجام بدعوة من رابطة الأخوة

والإنسانية، المعبر عنه بفعل التطويع في القرآن: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ﴾ [سورة المائدة: ٣٠]، "فكّر الحسد من نفسه الأمانة على كلّ صارف في نفسه اللّوامة، فلا يزالان يتنازعان ويتجادبان حتّى يغلب الحسد كلاًّ منها ويجذبه إلى الطاعة، فإطاعة صوارف الفطرة وصوارف الموعظة لداعي الحسد هو التطويع الذي عناه الله تعالى، فلمّا تمّ كلّ ذلك قتله" كما قال السيّد رشيد.⁽³⁾ وقد أورد الله تعالى هذه القصة في معرض حديثه عن إعراض اليهود عن الإيمان بالنبّي ﷺ والقرآن الكريم بدافع من الحسد له ﷺ.⁽⁴⁾

وكذلك تنازع الحسد ورابطة الأخوة في نفوس إخوة يوسف عليه السلام حتّى انتهى النزاع إلى إقصائه بدلاً من قتله، وهنا علّق السيّد رشيد على سبب وقوع الحسد بين الإخوة؛ وهو تفضيل بعضهم على بعض، ممّا يشعر المفضول بالإهانة، ودعا إلى ضرورة انتباه الوالدين إلى مراعاة العدل بين الأولاد، والحكمة في تفضيل صاحب الخلق والعلم والذكاء، ومن هذه الحكمة أمر سيّدنا يعقوب عليه السلام لسيّدنا يوسف عليه السلام بكتّم خبر رؤياه عن إخوته اتّقاءً لوقوع الحسد بينهم،⁽⁵⁾ وأمثلة ذلك كثيرة على مرّ التاريخ، قال السيّد رشيد في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِيْنَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [سورة

(1) تفسير ابن أبي حاتم / (84/1) / رقم: 364، تفسير ابن كثير / (231/1).

(2) ينظر: تفسير المنار، رضا / (251/6).

(3) المصدر نفسه / (255/6).

(4) ينظر: المصدر نفسه / (250/6).

(5) ينظر: المصدر نفسه / [يوسف: 8] (180-181).

هود: ٩١]: "وفيها من العبرة أنّ هذا دأب المفسدين في عداوة المصلحين ورثة الأنبياء، وأشدّهم كيداً لهم أهل الحسد والبدع من لا يسي لباس العلماء، وأعوان الملوك والأمراء". (1)

ومن قبل بني سيدنا يعقوب عليه السلام قوم سيدنا نوح عليه السلام، إذ دفعهم استكبارهم إلى رفض دعوة نبيهم عليه السلام بأوهى الحجج، وهي اتّباع ضعاف الناس وفقرائهم له فقالوا: ﴿وَمَا زَنَّاكَ أَتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ

هُمْ أَرَادُوا لَنَا بِأَدَى الرَّأْيِ وَمَا نَزَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ [سورة هود: ٢٧]؛ ولكنّ سيدنا نوحاً عليه السلام نفى أن يكون من شأنه أن يطرد من اختار صحبته، وآمن بدعوته إرضاءً للمتكبّرين من قومه، فإن طردهم ظلم عظيم لا مناص من عقوبته لمن يرتكبه - وهم السابقون إلى الإيمان حسب سنة الله في رسله - ولو كان من

أنبياء الله، قال عليه السلام في جملة رده على حججهم: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَقَوْنَ رَبِّهِمْ وَلِكِنِّي أَرْكُمُ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ (٢٩) وَيَقَوْمٌ مِّنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة هود: ٢٩ -

٣٠]؛ بل إنّ موالاة الأنبياء للضعفاء والفقراء، ومساواتهم بكبار القوم من أخص فضائل الأنبياء عليهم

السلام، وإليها دعا القرآن الكريم بقوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [سورة التوبة: ٧١]، والسنة النبويّة، إذ قال عليه السلام: ((المُسلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، يَسْعَى بِدِمَتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ))، (2) فإنّ سنة الله أنّ الانقلابات العظيمة والتغيرات الجذريّة تكون على يد الجماعات المؤمنة برسالتها بقلبها والموقنة بما بعقلها المؤيّد ذلك بالعمل والتكافل تحت إمرة زعيم لا يمتاز عنده أحد من الأفراد إلّا بعمله وإخلاصه، وهذا ما جاءت به الرسالات السماويّة وشهد به علم الاجتماع وحوادث التاريخ، (3) "فأمّا الرسل - عليهم السلام - فقد هداهم الوحي إلى هذه السنّة... وأمّا زعماء الأمم في القرون الأخيرة فقد هدّتهم إليها عبر التاريخ والتجارب، إلى أن دون علماء فلسفة التاريخ علم الاجتماع، وفصلوا فيه سننه فعملوا به، وكان إمامهم حكيمنا العربيّ ابن خلدون، رحمه الله". (4)

(1) تفسير المنار، رضا/ (156/12).

(2) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في السريّة تردّ على أهل العسكر، (80/3)/ رقم: 2751، والمستدرک، کتاب قسم الفیء/ (141/1)، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرّجاه. وينظر: تفسير المنار، رضا/ (160/12-166).

(3) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (166-167/12).

(4) المصدر نفسه/ (167/12).

ويُستدلّ من الحوادث السابقة أنّ الحسد ملازم للكبر، فكلّ متكبر حاسد، ببسب حبه للفوقية على من سواه، فإذا رأى لغيره نعمة أو فضلاً سعى في إزالته؛ كي لا ينافسه في مكانته وامتنازه.

ثانياً: مضارّ الحسد والكبر:

إنّ خصلة الحسد تبعث في نفس الحاسد الرغبة في البغي على المحسود وإلحاق الضرر به، وذلك ممّا يحاسب عليه المرء إذا استرسل فيه كما يحاسب على الأعمال، إلّا أن يجاهدها ويدفعها ما أمكنه، فالخواطر والهواجس التي لا تعمل للإنسان فيها معفو عنها،⁽¹⁾ وقد بدأ الحسد-وهو سبب أول جريمة في البشرية- بين فردين، ثمّ توسّعت دائرته إلى إفساد العشيرة، فالقبيلة حتّى وقع بين الدول فأفسد بينها، "فترى الحاسد تثقل عليه نعمة الله على أخيه في النسب أو الجنس أو الدين، وهو لم يتعرّض لمثلها لينالها، فيبغى على أخيه، ولو بما فيه شقاؤه هو"، كما قال السيّد رشيد،⁽²⁾ ثمّ نبّه على أنّ أشدّ أنواع الحسد خطراً حسد المصلحين ودعاة الحقّ الذين بهم نخوض الأمة.

5

10

وقد تمكّنت هذه الخصلة من اليهود إذ حسدوا العرب على ما آتاهم الله من فضله من الكتاب والحكمة والملك بمبعث سيّدنا محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: ٥٤]؛ بل لم يسند القرآن الحسد إلّا إليهم، لما كبر في نفوسهم من ظهور العرب وتضاؤل قوّتهم، فامتنع كبارؤهم ورؤساؤهم عن اتّباع الحقّ رغم ظهوره، لأنّ الحسد من أكبر مفسدات الطباع، والحاسد يرى هلاكه أهون عليه من اتّباع محسوده، فيريد أن يضيق فضل الله تعالى فلا يتّسع لغيره، لذلك هدّدهم الله تعالى بعذاب السعير في الآية التالية، لا تبغاهم هواهم وإرضائهم حسدهم، وإعراضهم عن الإيمان، ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [سورة النساء: ٥٥].⁽³⁾

15

وقد فصل السيّد رشيد الحديث عن مضارّ الكبر والحسد التي جناها إبليس في الموضوع الثاني لذكر القصة في سورة الأعراف، فذكر وقوعه في ستّ جهالات نتجت عن هذين الخلقين:

20

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [البقرة: 248] [96/3-97].

(2) المصدر نفسه/ (260/6).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ (115/5-117).

1. الاعتراض على أوامر الله تعالى إذا لم توافق هواه، أمّا المؤمن فيعمل على البحث عن حكمة الله من أوامره، مع إذعانه لها، وعلمه بأنّ الله يعلم من شؤون خلقه ما يخفى على البشر.
2. حاجته ربه سبحانه؛ أمّا المؤمن يعلم أنّ الله الحجة البالغة.
3. تقييده طاعة الله تعالى بما يوافق هواه واستحسانه، فجعل من نفسه ندّاً لمولاه، وهذا كفر في حكم الشرع وغباوة في حكم العقل، فاقترار الرؤوس على إجابة ما وافق هواه من الأوامر-حتى في الأمور الدنيوية-يؤدّي إلى الفساد واختلال النظام، وقد وقع فيه بعض المسلمين حتى في الأوامر الشرعية.
4. استدلال على الخيرية باعتبار المادّة التي خلّق منها، ولا دليل على اعتبار مادّة فوق أخرى، فهو أمر نسبيّ ويسهل تحكّم الهوى فيه.
5. على فرض أنّ الخيرية في أصل الخلقة فإنّ كلّ الأحياء على الأرض على تفاضلها مخلوقة من طين، وليس للنار ما للطين من المزايا.
6. غفلته عن خصوصيّة آدم بخلق الله له بيده، واختصاصه بالاستعداد العلميّ والعملّي، وأمره تعالى للملائكة بالسجود له وهم خيرة خلق الله.⁽¹⁾

5

10

ثمّ قال السيّد رشيد: "فهذه أصول الجهل والغباوة التي أوقع إبليس فيها حسده لآدم واستكباره عن طاعة الله بالسجود له، وأنت ترى أن أوليائه ونظراءه من شياطين الإنس مرتكسون فيها كلّها والعياذ بالله تعالى"،⁽²⁾ مع أنّ الله جازى إبليس على كبره بعكس مراده، فجعل عقوبته الطرد والهبوط والصغار، وكان يرمي إلى رفع نفسه وتعظيمها ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٣].⁽³⁾

15

المطلب الثاني: نقض العهد

أولاً: مضارّ نقض العهد:

كثر الحديث في القرآن الكريم عن الوفاء بالعهد ونقضه في معرض الحديث عن اليهود، فالخيانة

20

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (265/8-266).

(2) المصدر نفسه/ (267/8).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ (268/8-269).

من أشهر صفاتهم وأغرقها فيهم، فهم لا يفون إلا بعهودهم فيما بينهم، أما عهودهم مع غيرهم فهي مستباحة عندهم، بسبب تعاليمهم على غيرهم من الشعوب، وإسقاطهم لحقوقهم، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ [سورة آل عمران: ٧٥]، وقد تشبّه بهم بعض المسلمين إذ أباحوا أكل أموال الناس في دار الحرب مطلقاً، حتى المسلمين منهم، وقد جرّهم ذلك إلى الوقوع في سلسلة من سيئ الأخلاق كالغش والخيانة والسرقة والكذب والاحتيال، كما أشار السيّد رشيد، وقد شدّد الله تعالى الوعيد عليهم ما لم يشدّد في الكبائر والموبقات - كما قال الشيخ محمّد عبده - لكثرة مفاصد الخيانة، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ عَهْدَ اللَّهِ وَيَأْمِنُ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُحِلُّونَ لَهُمْ فِي الْأَخْرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة آل عمران: ٧٧]، لأنّ تضييع العهود يفسد أمر الدين والدنيا، باختلال العمران، وفساد المعاملات، وضياع الثقة بين الناس حتى الأقارب منهم - وقد أحصى الشيخ محمّد عبده إذ كان قاضياً القضايا بين الأقارب فوجدها ما يقارب خمساً وسبعين بالمئة - ممّا يُعجل العقوبة الإلهية من ذلّ وفقد للاستقلال، وتفكك للأمة، وبالمقابل جعل محبته للمتصفين بالتقوى والوفاء بالعهود، فقال: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٧٦]، وجعل الوفاء بالعهود من أصول البرّ في الأخلاق، ولا يكون الوفاء برّاً إلا أن يكون ملكة وخلقاً أصيلاً في الإنسان فقال في آية البر من سورة البقرة: ﴿وَالْمُؤْفُوكَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ [سورة البقرة: ١٧٧]،^(١) ومن هنا استنتج الشيخ محمّد عبده قاعدة عامّة، "وهي أنّ الوفاء بالعهود واتّقاء الإخلاف وسائر المعاصي والخطايا هو الذي يقرب العبد من ربّه ويجعله أهلاً لمحبه، لا كونه من شعب كذا... وفيه التعريض بأنّ أصحاب هذا الرأي ليسوا من أهل التقوى التي هي الركن الركين لكلّ دين قويم"^(٢) أي: أصحاب القول بوجوب وفاء عهودهم فيما بينهم فقط من اليهود.

وقد بيّن السيّد رشيد أن النهي في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٢٧] يشمل أنواع الخيانة كلّها؛ فخيانة الله ورسوله بتعطيل الفرائض وتعدي حدود الدين، واتباع أهل البدع، وخیانة المؤمنين تشمل الأمور السياسيّة - وخصّ الحربيّة

(١) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (٨٥/٢-٨٦)، [آل عمران: ٧٥] (٢٣٦/٣-٢٣٨).

(٢) المصدر نفسه/ [آل عمران: ٧٥] (٢٣٧/٣).

منها-وأمر الناس المادية والاجتماعية والأدبية، وقد نزلت الآية في أبي لبابة رضي الله عنه إذ نبه بني قريظة إلى أن مصيرهم القتل بعد أن تمكن المسلمون منهم،⁽¹⁾ فعلم أن في تنبيههم خيانة لله ورسوله، فبادر إلى التوبة، وبين الله أن دافعه إلى هذا الفعل هو الافتتان بالمال والولد فأتبعها بقوله: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَاوَلُكُمْ وَأَوْلَدُكُمْ فَتَنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة الأنفال: ٢٨]، وختم الآية بهذه الخاتمة ليعتبر المؤمنون فلا يقعوا بمثل ما وقع به أبو لبابة رضي الله عنه، ويستعينوا بطلب الأجر من الله على اتقاء الفتنة،⁽²⁾ قال السيد رشيد مشير إلى ما آلت إليه الدولة العثمانية: "وقد أسقطت الخيانة دولة كانت أعظم دول الأرض قوة وبأساً بارتكاب رجالها الرشوة من أهلها ومن الأجانب حتى مسخت فصارت دويلة صغيرة فقيرة؛ ولكن الخلف المغرور لذلك السلف المخرب يدعون أنها إنما أسقطها تعاليم الإسلام القويمة؛ لأنها صارت قديمة، ولو أنهم أقاموا واجباً واحداً أو أدباً واحداً من آداب القرآن، لكان كافياً لوقايتها من الزوال".⁽³⁾

5

وقد حذر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يطمئن إلى اليهود رغم ما أعطاهم من الأمان في جواره بالمدينة، فإنهم قد خانوا عهد الله من قبل، فضيعوا الكتاب، وغدروا بالرسول، فنتج عن ذلك أن استحقوا اللعنة، وقساوة القلب، فلا تنفعهم الحجج والمواعظ، وذلك بحسب سنن الله المطردة، وليس ظلماً من الله تعالى، أو جلة جبلهم عليها، قال تعالى: ﴿فِيمَا نَقُصُّهُمْ مِّثْقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَدْسِيَةً﴾ [سورة المائدة: ١٣]، وتنبه نبيه صلى الله عليه وسلم إلى تكرار الغدر منهم بقوله: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ [سورة المائدة: ١٣]، وقد وقعت الخيانة منهم فعلاً إلا قليلاً ممن دخل الإسلام منهم، وكذلك النصارى خانوا عهد الله إليهم بحفظ الكتاب، ونص الله على عقوبتهم بقوله: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ أَخَذْنَا مِثْقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [سورة المائدة: ١٤].⁽⁴⁾

10

15

(1) روي ذلك عن الزهري وأبي قتادة والكلبي والسدي وعكرمة، وروي أنها نزلت في غيره أيضاً. ينظر: تفسير الطبري/ (11/121-122) والدر المنثور، السيوطي/ (7/89-92)، ولم يجزم السيد رشيد بكون هذه الحادثة أو غيرها سبباً لنزول الآية ما دامت العبرة من الآية عامة. ينظر: تفسير المنار، رضا/ (9/470).

(2) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (9/473-470).

(3) المصدر نفسه/ (9/473). والمقصود بالدولة التي أسقطتها الخيانة الدولة العثمانية، والخلف المغرور هم الاتحاديون.

(4) ينظر: المصدر نفسه/ (6/208 و210-212).

ثانياً: طريقة الإسلام في التعامل مع الخائن:

أما موقف الإسلام تجاه الخائن، فقد شرع الله تعالى التعامل معه بقوله: ﴿وَمَا تَخَافَتَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [سورة الأنفال: ٥٨]، فأمر الرسول ﷺ إذا أحسن من المعاهدين خيانة أن يعلمهم بفسخ العهد، لا أن يقابل خيانتهم بخيانة، وهو المعروف بالصدق والأمانة ﷺ، وهو القدوة لأئمة من بعده، والله لا يحب الخائنين مهما كانت صورة الخيانة، أما إن وقع نقض العهد منهم فلا داعي للفسخ؛ بل يباشرون القتال فوراً، بإظهار الشدة مع مراعاة العدل، ليكونوا عبرة لغيرهم من الخائنين، وقد كان بعض الأقوياء من ملوك أوروبا يعدّون العهد مجرد (قصاصة ورق)، رغم تطوّر نظام الحرب، واستئنان القوانين التي تقرّها من الفضيلة، وبهذه الأخلاق غلب المسلمون أعداءهم من قبل، فلا خوف عليهم من مقابلة الخيانة بالوفاء،⁽¹⁾ وبهذه الأحكام "يظهر الفرق بين تعاليم الإسلام الجامعة بين الحزم والعدل، والشدة والفضل، وبين ما عليه دول المدينة الإفريقية من القسوة والظلم".⁽²⁾

5

10

المطلب الثالث: الصبر والشجاعة

ذكر الله تعالى الصبر في الآية الجامعة لأصول البر في سورة البقرة بقوله: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ [سورة البقرة: ١٧٧]، فمن صبر في حالة اشتداد الفقر والمرض والحرب كان أصبر على ما دون ذلك من المصائب، وقد أشار الشيخ محمد عبده إلى أنّ أقلّ الناس في عصره صبراً، وأكثرهم جزعاً وهلعاً وفزعاً هم طلاب العلم الشرعي، إذ كانوا يعدّون الرماية والفروسيّة من المعايب على رجال الدين،⁽³⁾ وقد تناول تفسير النار هذين الخلقين من خلال النقطتين الآتيتين:

15

أولاً: التوجيه إلى الاقتداء بالأنبياء عليهم السلام في صبرهم:

وقد وبّخ الله تعالى المسلمين على جزعهم يوم أحد إذ أشيع موت النبي ﷺ، فقال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَلًّا﴾ [سورة آل عمران: ١٤٥]، فما دام الموت والحياة بأمر الله فلا محلّ

(1) ينظر: تفسير المنار / [الأنفال: 57] (39/10)، (115-114/10).

(2) المصدر نفسه / (115/10).

(3) ينظر: المصدر نفسه / (87-86/2).

للخوف والجن، فإنّ الجبان يغري عدوّه بنفسه، فيستضعفه، وأكّد السيّد رشيد أنّ تحديد الآجال مرتبط بالسنن الإلهية، وذلك بالتعرض لأسباب المنايا من حروب وآفات وكوارث وغيرها.⁽¹⁾

ولتأكيد العبرة أرجع الله تعالى الصحابة إلى أمم الأنبياء من قبلهم ليقتدوا بإخلاصهم وصبرهم مع أنبيائهم رغم ما لاقوا من تقتيل حتّى طال أنبياءهم، قال: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ دَرِيَّتُونَ كَثِيرٌ فَمَا

وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٤٦]، قال الشيخ محمد عبده: "أي: وإذا كان يحبّ الصابرين أمثالهم فعليكم أن تعتبروا بحالهم، فإنّ دين الله واحد، وسنّته في خلقه واحدة، ولذلك هديتم إلى السنن، وأمرتم بمعرفة عاقبة من سبقكم من الأمم، فاقتدوا بعمل الصادقين الصابرين، وقولوا مثل قول أولئك الرّبيّين: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾

[سورة آل عمران: ١٤٧]"⁽²⁾ وفي هذا القول دلالة على ثباتهم، وقوّة إيمانهم وإخلاصهم لله، ورجاء أن يتجاوز الله عن سيئاتهم وتقصيرهم في إقامة السنن إن وقع منهم- كما حصل في أحد- فهو مجلبة للهزيمة والبلاء، وقد حصل ذلك للمسلمين في عدّة وقائع كأحد وغيرها، كما أثبت علم النفس وحوادث التاريخ قديماً وحديثاً أنّ المؤمن أثبت وأصبر من غيره في القتال، لثقتة بمعية الله ومعونته، فإذا ورث الأرض قام بحقّ خلافتها، وإذا قبضه ربّه قبضه ساعياً في رضاه وإقامة دينه، وبهذا الصبر والإقدام استحقّوا من الله ثواب الدنيا بالنصر، وحسن ثواب الآخرة برضاه وقربه،⁽³⁾ ولقد كان في أنبياء الله أسوة حسنة إذ قال سيّدنا هود عليه السلام:

لقومه: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ﴾ [سورة هود: ٥٥]، متحدّياً لهم ولاهنتهم، ومن قبله سيّدنا نوح عليه السلام قال:

﴿فَاَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ [سورة يونس: ٧١]، ومن

بعده سيّدنا محمد ﷺ أمره الله تعالى أن يقول مثل قولهم: ﴿قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ﴾ [سورة الأعراف: ١٩٥].⁽⁴⁾

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (118/4-120)، [النساء: 78] (191/5).

(2) المصدر نفسه/ (123/4).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ [آل عمران: ١٤٦] (123/4-125).

(4) المصدر نفسه/ [هود: 45-55] (82/12).

ثانياً: التحذير من التشبه بالجنباء:

لقد نبّه الله تعالى المسلمين من ذلك بأن قصّ عليهم خير القوم الذين قضى عليهم جنبهم وفرارهم من عدوّهم فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٣]، حمل المنار إِمَاتَتِهِمْ عَلَى إِمْكَانِ عَدُوِّهِمْ مِنْهُمْ، فَقَضَى عَلَى أَكْثَرِهِمْ وَبَقِيَ بَعْضُهُمْ وَفَقّاً لِسُنَّةِ اللَّهِ فِي الْجِنَاءِ الْمُتَخَذِلِينَ عَنِ الدِّفَاعِ عَنْ بِيضَتِهِمْ، فَمَاتَتْ أَمَّتُهُمْ، وَزَالَ اسْتِقْلَالُهَا تَأْدِيباً مِنْ اللَّهِ لَهُمْ وَإِحْيَاءً لَهُمُومَهُمْ، وَيَكُونُ إِحْيَاؤُهُمْ بَعْدَ اسْتِقْلَالِ إِيْلَهُمْ وَخُرُوجِهِمْ مِنْ ذَلِّ الْعِبُودِيَّةِ لغيرهم بعد أن ذاقوا وبال جنبهم وسوء أخلاقهم الذي أضعف أَمَّتَهُمْ وأغرى بهم عَدُوَّهُمْ، وقد استدلّ السيّد رشيد على سرعة وقوع العقوبة بعطف الأمر بالموت على الخروج من الديار بالفاء، وتراخي عودة العزّة والاستقلال بعطف الإحياء على الإمامة بـ(ثم)، فاستعادة الاستقلال تحتاج زمناً من الاجتهاد والعمل الدؤوب. قال الشيخ محمّد عبده: "تفسد أخلاق الأمم فتسوء الأعمال، فيسلّط الله على فاسدي الأخلاق النكبات ليتأدّب الباقي منهم، فيجتهدوا في إزالة الفساد، وإدالة الصلاح، ويكون ما هلك من الأمة بمثابة العضو الفاسد المصاب (بالغرينا) يبتره الطبيب ليسلم الجسد كلّهُ، ومن لا يقبل هذا التأديب الإلهي فإنّ عدل الله في الأرض يحقه منها، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٠]، فهذه سنّة من سنن الاجتماع بينّها القرآن وكان الناس في غفلة عنها، ولهذا قال: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٣]"؛^(١) أي: لا يؤدّون حقوق هذه النعمة، ولا يستفيدون منها فيعتبروا بما أنزل الله بهم من بلاء، أو بما جاءهم من أخبار الأقوام قبلهم.^(٢)

5

10

15

وإن كان الصحابة رضوا قد استحقّوا الملامة في حادثة أحد، فإنّهم كانوا مضرب المثل في الصبر والثبات إذ خوّفهم المشركون وقالوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ [سورة آل عمران: ١٧٣]، وكانوا قلّة قد أملت بهم الجراح والتعب، فتسلّحوا بالإيمان القلبيّ معزّزاً بالدعاء بقولهم: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [سورة آل عمران: ١٧٣]، فكانت عاقبتهم كعاقبة الرّبيّين من قبلهم، أن سلّمهم الله تعالى ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ

20

(1) تفسير المنار، رضا/ (318/2).

(2) ينظر: المصدر نفسه/ (317/2-318).

وَفَضَّلِ لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ ﴿[سورة آل عمران: ١٧٤]﴾⁽¹⁾ ومن قبلهم سحرة فرعون لما آمنوا بسيّدنا موسى عليه السلام فأراد فرعون أن ينكّل بهم، تحلّوا بالإيمان والشجاعة، واستعانوا بالله ليغدق عليهم من الصبر ما يقوِّبهم على احتمال ما أوعدهم به عدوهم فقالوا: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٢٦]،⁽²⁾ أمّا عوامّ بني إسرائيل فقد منعهم الجبن من دخول الأرض المقدّسة - كما أمرهم الله تعالى - خوفاً من القوم الجبارين الذين كانوا فيها، فكان جوابهم بعد أن جادلهم هو والذين آمنوا معه: ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَنَنذِرُكَ أَنَّكَ مَادَامُوا فِيهَا فَادَّهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [سورة المائدة: ٢٤]، فظنّوا أنّ الله سينصرهم بالمعجزات كما أنقذهم من فرعون بها؛ "وجهلوا أنّ هذا يستلزم أن يبقوا دائماً على ضعفهم وجبنهم، وأن يعيشوا بالخوارق والعجائب ما داموا في الدنيا، لا يستعملون قواهم البدنيّة ولا العقليّة في دفع الشر عن أنفسهم، ولا في جلب الخير لها، وحينئذ يكونون أكفر الخلق بنعم الله"⁽³⁾ فحكمة الله في التأييد ألا يكون إلّا كالدواء بالنسبة للغذاء، مؤقتاً وللضرورة، وزائداً على أسباب النصر كالإيمان والثبات والتوكّل، مختصّاً بالأصفياء، فلا يصحّ الاستغناء به عن الأخذ بالأسباب، فإذا استوى الخصمان في الاستعداد المادّي والعسكريّ كان النصر حليف أقواهما إيماناً وأصدقهما، كما نصر الله رسله من قبل، لقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ [سورة غافر: ٥١].⁽⁴⁾

5

10

فإنّ الصبر والثبات بالإضافة إلى طاعة القائد سبب لنصر الفئة القليلة على الفئة الكثيرة التي يعوزها الصبر والثبات، وأهل الجزع والجبن أعوان لعدوهم على أنفسهم إذ يغروهم بأنفسهم، فينالون منهم، وهذا على سبيل الكثرة لا الاطراد ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِّنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ﴾ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿[سورة البقرة: ٢٤٩]﴾.⁽⁵⁾ قالوا ذلك تقوية لعزيمة قومهم الذين طلبوا القتال للدفاع عن أنفسهم، ولما أجيّبا إلى طلبهم، جبنوا وضعفوا إلّا قليل منهم، وهي سنة الله في

15

(1) ينظر: تفسير المنار / (168/4-169 و171).

(2) ينظر: المصدر نفسه / (58/9).

(3) المصدر نفسه / [المائدة: 22] (246/6).

(4) ينظر: المصدر نفسه / [المائدة: 22] (246/6)، [الأُنعام: 34] (276/7).

(5) ينظر: المصدر نفسه / (91/1)، [البقرة: 252] (341/2).

القوم الذين تفسد أخلاقهم فغلب عليهم الجبن والمهانة. ⁽¹⁾ وقال أيضاً: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [سورة آل عمران: ١٣]، فالعبرة ليست بالعدد؛ ولكن بتأييد الله للفئة التي تقاتل في سبيله ولو كانت قليلة، ما دامت مدافعة عن الحق، باذلة لأجله الروح والمال، جامعة بين الاستعداد بالقوة حسب طاقتها وبين الاعتقاد بمعونة الله وتأييده، وبذلك انتصر المسلمون في بدر على قتلهم، وقد لخص السيّد رشيد أسباب نصرهم فيها من قصتها في سورة الأنفال، وقد مرّ تفصيلها، ⁽²⁾ نقل السيّد رشيد عن شيخه قوله: "ومتى كان القتال في سبيل الله؛ أي: سبيل حماية الحق والدفاع عن الدين وأهله، فإنّ النفس تتوجّه إليه بكلّ ما فيها من قوّة وشعور ووجدان، وما يمكنها من تدبير واستعداد، مع الثقة بأنّ وراء قوّتها معونة الله وتأييده، ومما يوضح ذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ^(٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنزِعُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ [سورة الأنفال: ٤٥-٤٧]". ⁽³⁾ وبهذا الاستعداد يظهر الفرق بين شجاعة المؤمن وجبن الكافر في القتال، ولكنهم لما قصّروا في هذه السنن في أحد نالهم البلاء، لذلك لا بدّ من العودة إلى هداية قصص القرآن الكريم وأخباره، والاعتصام بحبله لحيازة العزّ والسيادة والسعادة. ⁽⁴⁾

5

10

15

ولقد نهى الله تعالى المؤمنين عن الخوف في قوله: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا﴾ [سورة آل عمران: ١٧٥]، وأشار الشيخ محمد عبده إلى أنّ هذا ليس من باب التكليف بما لا يستطاع، فالأعمال النفسية اختيارية يمكن التحكّم بها، وليست اضطرارية، فهي تأتي بالاعتقاد، وتخضع للتمرين

(1) ينظر: تفسير المنار / [البقرة: 252] [327/2-328].

(2) ينظر: ص 195-197 من هذا البحث.

(3) تفسير المنار، رضا / [آل عمران: 13] [165/3].

(4) ينظر: المصدر نفسه / [آل عمران: 13] [164/3-166].

والرياضة، فمن اعتاد الهروب وقت الحاجة إلى الدفاع تأصل الجبن في نفسه، كما أنّ هذه المشاعر تحدث بأسبابها، فمن خضع لها أثرت فيه، ومن دفعها وصرف نفسه عنها بما يضادها نفى عنه أثرها، وسبيل ذلك هنا تذكّر قدرة الله تعالى ووعوده للمؤمنين، واستحضار الخوف منه وحده، مع الأخذ بأسباب القوة والغلبة،⁽¹⁾ وقد طالب السيّد رشيد المؤمنين أن يتخذوا من هذا الآية ميزاناً لإيمانهم، فالمؤمن لا يمكن أن يتّصف بالجبن؛ لأنّه ناشئ عن الحرص على الحياة والخوف من الموت، وكلا الوصفين لا يمكن اجتماعهما في قلب المؤمن؛ بل هما من أوصاف اليهود: ﴿وَلَنَجْذِثَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوَةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْضِيهِمْ عَنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ [سورة البقرة: ٩٦]، لذلك قال السيّد رشيد: "ولا يزال العالم كله يشهد أنّ الجيش الإسلاميّ أشجع جيوش الملل كلّها، هذا مع ما مُني به المسلمون من ضعف الإيمان، والجهل بالإسلام (هذا وما، فكيف لو)"⁽²⁾. وكذلك كلّ مؤمن بالله واليوم الآخر، وضرب السيّد رشيد مثلاً لذلك الشعب الألمانيّ، الذي كان حريصاً على تعزيز الدين والإيمان في نفوس جيشه.⁽³⁾

5

10

المطلب الرابع: الصدق

ضرب الله لنا مثلاً في الصدق سيّدنا كعب بن مالك إذ تخلّف عن الغزو مع رسول الله ﷺ، فما اختلق الحجاج الواهية - كما كان من المنافقين - بل تحلّى بصفات المؤمنين، فصدق في حديثه إلى النبيّ ﷺ وفي توبته، فكان جزاؤه أن أنزل الله توبته عليه في القرآن الكريم - وقد مرّ الحديث عنها -⁽⁴⁾ فجعل الله خاتمة حديثه عن غزوة تبوك أن قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ﴾ [سورة التوبة: ١١٩]، وقد عزّز السيّد رشيد الاعتبار بالآية بمجموعة من صحيح الحديث ليقوّي العبرة بها،⁽⁵⁾ منها قوله ﷺ: ((إِنَّ الصّٰدِقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ صِدِّيقاً.

15

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (173/4).

(2) المصدر نفسه/ (174/4).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ [الأعراف: 126] (58/9).

(4) ينظر: ص 233 من هذا البحث.

(5) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (53/11).

وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ كَذَّابًا⁽¹⁾.

فكانت الشدة التي عامل بها النبي ﷺ كعباً مظهراً لتكريمه وتشريفه ﷺ، إذ ميّزه صدقه وتوبته عن المنافقين، فاستحقّ وسام الصدق بنصّ القرآن، وهذا ما لا يستحقّه أهل النفاق والكذب⁽²⁾.

وقد وصف الله تعالى اليهود بالكذب إذ كنتموا عن النبي ﷺ حكم الرجم⁽³⁾ في كتابهم فقال:

﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ [سورة المائدة: ٤١]، فهم سمّاعون لما يفتريه رؤساؤهم من كذب في حقّ النبي ﷺ، وفي تحريف دينهم، أو سمّاعون للنبي ﷺ وأخباره لأجل افتراء الكذب عليه ليكون كذبهم مقبولاً لدى سامعهم، فاللام على هذا الوجه للتعليل، ولا يزال أعداء الإسلام يختلقون الشبه ويجهدون في التحريف والتزوير لتجد شبههم هذه القبول والرواج⁽⁴⁾، ثم أعاد وصفهم بالكذب تأكيداً في الآية التالية، وأراد في الثانية - كما قال السيّد رشيد - أنّهم يكذب بعضهم على بعض، كما يكذبون على غيرهم، "فأمرهم كلّهم مبني على الكذب الذي هو شرّ الرذائل وأضرّ المفاصد، وهكذا شأن الأمم الذليلة المهينة، تلوذ بالكذب في كلّ أمر، وترى أنّها تدرأ به عن نفسها ما تتوقع من ضرر"⁽⁵⁾.

5

10

(1) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [سورة التوبة: ١١٩]/

(2261/5) / رقم: 5743، صحيح مسلم، كتاب البرّ والصلة والأدب، باب قبج الكذب وحسن الصدق وفضله/

(1208/2) / رقم: 103- (2607).

(2) ينظر: فقه السيرة النبوية، البوطي/ ص 449.

(3) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أنّ اليهود جاؤوا إلى النبي ﷺ برجل منهم وامرأة قد زنيا فقال لهم: ((كَيْفَ تَفْعَلُونَ بِمَنْ زَنَى مِنْكُمْ؟)). قالوا: نُحْمِئُهَا ونضربهما. فقال: ((لَا تُجِدُونَ فِي التَّوْرَةِ الرَّجْمَ)). فقالوا: لا نجد فيها شيئاً. فقال لهم عبد الله بن سلام:

كذبتم، فأنتوا بالتوراة فأتلوها إن كنتم صادقين. فوضع مدراسها الذي يدرّسها منهم كّفه على آية الرجم، فطفق يقرأ ما دون يده

وما وراءها، ولا يقرأ آية الرجم، فنزع يده عن آية الرجم، فقال: ما هذه؟ فلمّا رأوا ذلك قالوا: هي آية الرجم. فأمر بهما فرجما قريباً

من حيث موضع الجنائز عند المسجد، فرأيت صاحبها يجنأ عليها يقيها الحجارة. صحيح البخاري، كتاب التفسير/ آل عمران،

باب ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٩٣] / (1660/4) / رقم: 4280، واللفظ له. صحيح

مسلم، كتاب الحدود، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنى / (812/2) / رقم: 26- (1699).

(4) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (287/6-288).

(5) المصدر نفسه/ (290/6).

وقد لام السيّد رشيد المسلمين على تعيينهم على اليهود لهذه الصفة، وقد صاروا أحسن حالاً من أسلافهم ومَن يعيب عليهم، في حين أنّ كثيراً من المسلمين قد اصطبغ بها، فقال: "ومن عجائب غفلة البشر عن أنفسهم أن يعيبك أحدهم بنقيصة ينسبها إلى أحد أجدادك الغابرين، على علم منه بأنك عارٍ عنها، أو متّصف بالمحمدة التي هي ضدّها، وهو متّصف بنقيصة جدّك التي يعيبك بها!"⁽¹⁾ فإنّ كثيراً من وجهاء المسلمين يتّصفون بالكذب والرشوة، وأكل السحت.⁽²⁾

5

المطلب الخامس: العفة

كان سيّدنا يوسف عليه السلام مثال الكمال الإنسانيّ الأعلى وخير قدوة في عفته وأخلاقه، إذ استطاع التخلّص من كيد كبريات نسوة المدينة، فاختار السجن على مطاوعتهنّ، حتّى امرأة العزيز نفسها لم تستطع أن تلصق به تهمّة أكثر من الهمّ بضرّها -على ما اختاره السيّد رشيد في معنى الهمّ-⁽³⁾ بل ما كان منها إلّا أن اعترفت في مجلس الملك ببراءته عليه السلام،⁽⁴⁾ فكان عليه السلام "مثّل الكمال الإنسانيّ الأعلى للاقتداء به في العفة والصيانة، لم يمسه أدنى سوء من فتنة النسوة"، كما قال السيّد رشيد.⁽⁵⁾

10

ومن نزاهته عليه السلام -أيضاً- أنّه لم يُسئ إلى نسوة المدينة لما أراد من الملك أن يظهر براءته قبل أن يخرجّه من السجن، فلم يقل لرسول الملك إلّا: ﴿ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلُهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [سورة يوسف: ٥٠]، فصبر ولم يعجل إلى الخروج إلّا بريئاً عزيز النفس؛ ولكن دون إساءة إلى خصمه؛ بل خصّ امرأة

(1) تفسير المنار / (291/6).

(2) ينظر: تفسير المنار، رضا / [البقرة: 78] (260/1) و(291/6).

(3) اختلف المفسّرون في معنى الهمّ، فمنهم من حمّله على خطرات النفس، ومنهم من قال: إنّ الهمّ لم يقع؛ لأنّه رأى برهان ربّه، كقول: لقد قارفت لولا أن عصمك الله، وهناك تفسيرات أخرى يتنزّه عنها مقام النبوة وما يقتضيه من العصمة مبنية على روايات نفى الرازيّ وأبو حيّان الصّحّة عن أيّ منها، وأعرض ابن كثير عن ذكرها أو التعليق عليها. ينظر: تفسير الطبري / [يوسف: 24] (87-80/13)، مفاتيح الغيب، الرازيّ / [يوسف: 24] (122-117/18)، والبحر المحييط، أبو حيّان / [يوسف: 24] (295-294/5)، تفسير ابن كثير / [يوسف: 24] (381/4)، تفسير المنار، رضا / (192-191/12).

(4) ينظر: تفسير المنار، رضا / [يوسف: 52] (222-221/12).

(5) المصدر نفسه / [يوسف: 52] (221/12).

العزیز - وهي أصل الفتنة - بالكرامة إكراماً لزوجها ووفاءً له، ورحمة بها إذ كان ما وقعت فيه وجداناً قاهراً اضطرارياً لا سلطان لها عليه، فلم يذكرها مع نسوة المدينة.⁽¹⁾

وقد حذر السيّد رشيد في تفسيره لهذه القصّة من نساء الأكابر واحتياهنّ لإغواء الرجال، فإنّ مكانتهنّ تنأى بهنّ عن الوقاحة والابتذال، وتدفعهنّ إلى اختلاق المكائد والخداع للوصول إلى مرادهنّ، فينجو من ذلك من استخلصه الله كسيدنا يوسف عليه السلام، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ

5

وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [سورة يوسف: ٢٤].⁽²⁾

وبالمقابل كان قوم سيدنا لوط عليه السلام مثلاً في النقيصة وسوء الخلق، إذ ابتدعوا فاحشة ما سبقهم بها أحد من العالمين، وشوّهوا فطرتهم فنزلوا إلى ما دون العجماوات، وقد وصفهم الله بثلاث صفات في القرآن:

﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٨١]، و﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [سورة الشعراء: ١٦٦]، و﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ

10

تَجْهَلُونَ﴾ [سورة النمل: ٥٥]، قال السيّد رشيد: "ومجموع الآيات يدل على أنهم كانوا مرزوقين بفساد العقل والنفس، بجمعهم بين الإسراف والعدوان والجهل، فلا هم يعقلون ضرر هذه الفاحشة في الجناية على النسل وعلى الصحة وعلى الفضيلة والآداب العامة ولا غيرها من منكراتهم، فيجتنبوها أو يجتنبوا الإسراف فيها، ولا هم على شيء من الحياء وحسن الخلق يصرفهم عن ذلك"،⁽³⁾ حتّى بلغ بهم استرسالهم في فسوقهم أن تفاخروا به، وهما بطرد المؤمنين من قريتهم، وعبروا عن استهزائهم بهم بتعليل طردهم لهم بكونهم ﴿أَنْفُسٌ

15

يَنْظُرُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٨٢] - كما نقل السيّد رشيد عن الإمام الزمخشري⁽⁴⁾ - ثم وصف تماذيبهم في الفاحشة بقوله: "وللنقص والرذائل دركات، كما أنّ للكمال والفضائل درجات، فأولاهما أن يلّم بالرذيلة وهو يشعر بقبحها، ويلوم نفسه عليها، ثم يتوب إلى ربّه منها، ويلبها أن يعود إليها المرّة بعد المرّة مستتراً مستخفياً، ويلبها أن يصرّ عليها، حتّى يزول شعوره بقبحها، ويلبها أن يجهر بها، ويكون قدوة سيئة للمستعدين لها، ويلبها أن يفاخر بها أهلها، ويحتقر من يتنزهون عنها، وهذه أسفل الدركات، وهي دركة

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا / (220/12).

(2) ينظر: المصدر نفسه / (205/12).

(3) المصدر نفسه / (405/8).

(4) ينظر: الكشاف، الزمخشري / [الأعراف: 82] (470/2).

قوم لوط ولا يهبط إليها ولا يسفّ من يؤمن بالله واليوم الآخر".⁽¹⁾ فإنّ العلم بمضارّ الرذيلة والفساد وحده لا يصدّ عنها ما لم يكن وازع دينيّ وفطرة سليمة تنمّي مكارم الأخلاق وحبّ الفضيلة في نفوس الناس.⁽²⁾

استحقّوا باسترسالهم هذا أن أصابهم الذلّ بسبب فساد أخلاقهم قبل أن يوقع الله بهم عذاب الخسف والمطر المحمّلة بالحجارة، عقوبةً شاملة لما تواطؤوا على الفاحشة، ولتعميم العبرة وجّه الخطاب إلى كل من يسمع الآيات أو يقرؤها، فقال: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٨٤]، قال السيّد رشيد: "الخطاب لكل من يسمع القصّة، أو يقرؤها من أهل النظر والاعتبار، والمراد: أن يعلم أنّ عاقبة القوم المجرمين لا تكون إلا وبالاً وعقاباً، فإنّ الأمم تعاقب على ذنوبها في الدنيا قبل الآخرة باطراد".⁽³⁾

5

وبشكل عامّ فقد أرشد القرآن الكريم إلى وسائل يستعان بها على تزكية النفس وتنقيتها مما يشوبها من سوء الأخلاق، وهي: ذكر الله تعالى، وتعهّد تطهير النفس بالتوبة، ومحاسبة النفس بشكل دائم، ووزن الهواجس والخواطر بميزان القسط، ليُعلم الخير فيتّبع، ويُعلم الشر فيُجتنب، ويعرف الإنسان قيمة نفسه فلا يفرّط فيها ويبيدّها في سبيل الأهواء.⁽⁴⁾

10

وقد علّل السيّد رشيد ما رزئت به الأُمّة من ذلّ وتفرّق، وتسلبّ الأعداء وتداعيم عليها بجهلها وفساد أخلاقها وتفرّقها وضعفها، وتعاون بعض أفرادها وملوكها في زمنه مع عدوّهم، فلا تعود عزّة الأُمّة إلّا بالعودة إلى الأخلاق والدين، وإنّ أوروبّا بسبب بغيتها وظلمها وتسلبّها على الأمم الضعيفة — كما وصفها السيّد رشيد — قد أصابتها الكوارث والجوائح، وحصدت الحرب العالميّة الأولى كثيراً من رجالها وفاقاً لسنن الله تعالى في العمران؛ ولكنهم لا يربطون المسبّبات بأسبابها، وإنّهم لو اتّبعوا هداية القرآن لأصلحوا الأرض كلّها.⁽⁵⁾

15

(1) تفسير المنار، رضا/ (407/8). وينظر: [هود:78] (93/12).

(2) ينظر: المصدر نفسه/ (405/8).

(3) المصدر نفسه/ [هود:84] (409/8)، وينظر: [الأعراف:81] (405/8)، [هود:82] (95/12).

(4) ينظر: المصدر نفسه/ [الأعراف:25] (284/8).

(5) ينظر: المصدر نفسه/ [يونس:23] (250-249/11).

قال السيّد رشيد: "وأما ما نتمنّاه من الإدالة لشعوبنا منهم فلا تزال غير أهل له لما هي عليه من الجهل وفساد الأخلاق، والتقاطع والتخاذل، وترك كل ما هداها الله إليه في كتابه من أسباب السيادة والاستخلاف في الأرض".⁽¹⁾

(1) تفسير المنار، رضا/ [يونس:23] (250/11).

المبحث الثالث: توظيف العبر التاريخية في مجال التعلّم والتعليم

كان للجانب التعليمي الأثر الهام في قصص الأنبياء وأخبارهم، ذلك لأنّ الرسالة ما هي إلاّ تعليم، ففيما يأتي من هذا المبحث بيان لما يجب أن يكون عليه المعلّمون والمتعلّمون.

المطلب الأوّل: مكانة العلم

أولى مهامّ الأنبياء هي التزكية، ثمّ التعليم، لذلك وصف الله تعالى نبيّه ﷺ بقوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [سورة آل عمران: ١٦٤]، فإنّ تعلّمهم للكتاب، وتركيتهم من العقائد الزائغة والأخلاق الذميمة أوجب عليهم تعلّم الكتابة بالقلم، لأجل تدوين القرآن الكريم، وإرسال الكتب والمبعوثين لدعوة الأمم إلى الإسلام، فتحولوا من أمة أميّة إلى أمة علم وتعليم، أمّا الحكمة التي أمره بتعليمها لهم في الآية فهي أسرار الأحكام وحكمتها ومقاصدها التي تدعو إلى العمل بها، أو هي العمل بهذه الأحكام للوصول إلى فقهها وحكمتها، أو هي أصول الاستدلال وطرائق الاستنباط المبني على البراهين، كما هو أسلوب القرآن الكريم.⁽¹⁾ فلولاً لإرسال الرسل لبقّي الناس غارقين في علوم الموجودات والمحسوسات، ولما ارتقوا إلى العلوم المجردة والإيمان بالغيبات، وتوسيع دائر الممكّنات وتضييق دائرة المستحيلات، ما أمكنت عقلاً وقامت على برهان قاطع، وقد ثبت عبر التاريخ أنّ المؤمنين بالله واليوم الآخر هم رواد العلوم الباحثون في أسرار الوجود، وما ينتج عنه من ترقّي في العلوم والفنون كافة،⁽²⁾ وتظهر مكانة العلم في حياة الأمة من خلال ما يأتي:

أولاً: ربط العلم بالعقيدة:

قد تكون العلوم حجاباً بين العبد وربّه إذا لم يؤدّها حقّها، ويشكر الله تعالى عليها، ويفد منها التعرف على خالق الأكوان، ومسير نظامها بحكمته، وكان نصيبه منها الغرق في قواعدها، واستغلالها في الشهوات وتحقيق الملذّات، ولو نظر علماء العصور الحديثة إليها بنور الله تعالى ومراقبته لترقّوا في مدارج

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (158/4).

(2) ينظر: المصدر نفسه/ (178/11).

الكمال، حتى يتوصلوا إلى توحيد الخالق سبحانه، والعبودية الخالصة له، كما قال تعالى: ﴿سَرِّهِمْ
ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾
[سورة فصلت: ٥٣]،^(١) قال السيّد رشيد مبيّناً فطرة الله للناس على الاستعداد للعلوم وشغفهم بها، ثمّ ظلمهم
أنفسهم بحصر توجّههم إلى العلوم الدنيويّة والمادّيّة، وقد خلقهم الله مستعدّين للوصول إلى العلم بالله
وصفاته واليوم الآخر، وهو أعلى العلوم، قال: "أفليس من حماقة والجناية على هذا الاستعداد العلويّ
العظيم أن يجعل هذا الإنسان إرادته محصورة في هذه الحياة المادّيّة وزينتها الجسديّة، فيكون منكراً أو كالمنكر
لتلك الحياة الأبديّة؟ بلى، وذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ
فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ (١٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة هود: ١٥-١٦]، وما في معناها من الآيات".^(٢)

5

ثانياً: ضرورة إتقان العلم وإتمامه:

10

يرى السيّد رشيد أنّ العلم الناقص شرّ من الجهل المطلق، ويظهر ذلك في بني إسرائيل إذ خرج بهم
سيّدنا موسى ﷺ فارّين من إذلال المصريين واستعبادهم لهم، فلمّا رأوا عبدة الأصنام حنّوا إلى ما كانوا
عليه، ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [سورة الأعراف: ١٣٨]، فإنّهم لم يفهموا معنى التوحيد الذي
جاء به النبيّ ﷺ؛ لأنّهم كانوا عامّة، مطبوعين على الذلّ والجهل، فنتج عن ذلك تبدّل أفكارهم وفساد
عقولهم، وانحصر تفكيرهم في تحصيل الضروريّ من حاجاتهم، ولم يرتق تفكيرهم إلى العالي من العلوم، وكان
اتباعهم لسيّدنا موسى ﷺ لأجل الخلاص من ظلم فرعون وملئه، ويدلّ عليه شكواهم لنبيّهم: ﴿قَالُوا
أُوزِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ [سورة الأعراف: ١٢٩] - بخلاف السحرة الذين كانوا يشكّلون
الطبقة المثقفة المتعلّمة، فقد كان إيمانهم راسخاً، إذ استطاعوا التمييز بين آيات الله التي جاء بها سيّدنا
موسى ﷺ، وبين صناعات البشر من علوم وسحر وغيرها - فربّاهم الله بالسراء والضراء، فلم ينجع معهم
إلا أن استبدل بهم قوماً نشؤوا على فطرة البداوة وحريّتها، وأمثالهم في التاريخ كثير، فكم أضاع علماء
الاجتماع والعمران فرصاً للاستقلال - كما قال السيّد رشيد - وبين سببه بقوله: "وكان هذا من عبر التاريخ

15

20

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (131/9) و(178/11-179).

(2) المصدر نفسه/ (154/12-155).

التي تثبت أنّ فلاح الأمم بأخلاقها وعقائدها، وأنّ العلم الناقص شر من الجهل المطلق، وأنّ العلم الصحيح في الرجل أو الشعب الفاسد الأخلاق كالسيف في يد المجنون، ربّما جنى به على صديقه أو على نفسه، وربما نصر به عدوّه⁽¹⁾، ولم يُقت السيّد رشيد الذي دأب على التحذير من الخرافات والبدع أن ينبّه هنا إلى ما عليه عصره من تعظيم للقبور والأضرحة وغيرها من أشجار وآباء وآثار للصالحين، والدعاء عندها معتقدين الضرّ والنفع في أصحابها، ويعدّون من يبيّن لهم الحقّ عدوّاً لهم ولدينهم⁽²⁾.

5

ثالثاً: أثر العلم في النصر:

وقد ربط الله تعالى قوّة الجند بالفقه إذ قال: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٦٥]، فالذي جعل واحداً من المسلمين بعشرة من عدوّهم هو الفقه، وفسّره السيّد رشيد هنا بالعلم بالحقائق المتعلقة بالحرب من مادّيّة وروحيّة، وعدّه ركناً من أركان النصر، فما دام المسلمون متفوّقين على من سواهم في العلوم والفنون كافة كان النصر حليفهم، فلمّا تركوا هداية دينهم وما دعا إليه من تحصيل العلوم الدينيّة والدينيّة التي بها قوام المعاش - وذلك بعد القرون الوسطى - زال عزّهم وخضدت شوكتهم وتزعزع ملكهم، بسبب معاداة بعض مدّعي العلم الإسلاميّ لهذه العلوم والفنون، ما أدّى إلى انسلال أفراد من المسلمين من الدين سرّاً أو جهراً⁽³⁾، فإنّ الأمم في حال عزّها وقوتها، وارتقائها في العلوم تكون أجدر بالفهم والاعتبار والاستفادة من أقوال الحكماء ونصوص الدين، وفي الدلّ والضعف والانحدار العلميّ يكون أفرادها أضعف فهماً واستفادة⁽⁴⁾.

10

15

المطلب الثاني: شروط المعلّم

اشترط القرآن الكريم في المعلّم عدّة شروط يمكن استنباطها من أخبار القرآن الكريم وقصصه، منها:

(1) تفسير المنار، رضا / (81/9).

(2) ينظر: المصدر نفسه / (82/9).

(3) ينظر: المصدر نفسه / (59-58/10).

(4) ينظر: المصدر نفسه / (364/7).

1. الثبات على الحق والالتزام به: فبعد أن يتبين للمعلم حقيقة ما يدعو إليه بالبراهين الواضحة لا يجوز له أن يجحد عنه لأجل استمالة القلوب، أو مراعاة طرف آخر، وقد وجه الله نبيه ﷺ إلى ذلك، وأتمته من بعده بقوله في مسألة تحويل القبلة: ﴿وَلَكِنْ أَتَّبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٤٥]؛ بل إن الأمة هي المقصودة بهذا التنبيه والتهديد، إذ يستحيل على المعصوم ﷺ أن يتبع أهواء الناس ولو لغرض صحيح، قال الشيخ محمد عبده: "نقرأ هذا التشديد والوعيد، ونسمعه من القارئ، ولا نزدجر عن اتباع أهواء الناس ومجاراتهم على بدعهم وضلالاتهم، حتى إنك ترى الذين يشكون من هذه البدع والأهواء، ويعترفون ببعدها عن الدين يجارون أهلها عليها ويمازجونهم فيها"،⁽¹⁾ وحجتهم أن العامة غمي لا يمكن إصلاحهم، وأمر منهم من ذكر السيد رشيد أنهم ينكرون على من ينكر على أهل البدع بحجة أنه يحاول ما ليس إليه سبيل، وذكر مستوى ثالثاً من غفلة أولئك العلماء؛ وهم من يرى أن محاربة البدع، ودعوة الناس إلى تركها أشد خطراً على الدين، بحجة زوال ثقة الناس بدينهم، إذ يعد هؤلاء الناس ما هم عليه من جهل جزءاً من الدين، أما العلماء المداهنون للأمر والسلاطين في دينهم وفتاواهم ومؤلفاتهم فهم أشد خطراً على الأمة إذ كانوا سبباً في ضياع دينها، وتسلب أعدائها عليها، فاستحقوا بذلك أن يوصفوا بالظالمين كما في الآية.⁽²⁾

5

10

2. العمل بالعلم: فيجب عليه أن يتبع ما يأمر الناس به، ليكون قدوة لهم، ويسهل عليهم اتباعه، ويقبلوا ما يمليه عليهم، ولا يؤثر نفسه على الناس مهما علت مكانته، فتكون دروسه عملية تطبيقية، كما قال سيدنا شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَكُمْ عَنْهُ إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ [سورة هود: ٨٨]، وقد وبخ الله بني إسرائيل بقوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة: ٤٤]، وعاتب المسلمين بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۚ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [سورة الصف: ٢-٣].⁽³⁾

15

20

وقد ضرب الله تعالى أقبح مثل للعالم الذي لا يعمل بعلمه، فلا يلبث أن يتفلت منه، وينسلخ عنه

(1) تفسير المنار، رضا / (14/2).

(2) ينظر: المصدر نفسه / (15-14/2).

(3) ينظر: المصدر نفسه / [هود: 88] (100/12)، (161/12).

بقوله: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ

الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [سورة الأعراف: ١٧٦]، فأصبح حليفاً للشيطان باتباعه لهواه وضلّ عن الصراط المستقيم، فجوزي بعكس مراده، إذ جعله الله تعالى لاهناً وراء شهوات لا يلقي لها بال، وهو يؤثر رغد العيش وراحة البال على إيتاء ما أعطاه الله من علم حقه، فلم ينظر فيه نظر تفكر واستدلال؛ بل رأى أنّها تحطّ من مكانته في الدنيا، وتذهب بما ورث من عزّ الآباء والأجداد المزعوم، وإنّما ساق الله هذا المثل في كتابه ليتعظ به المسلمون ويتفكروا، فيتخذوا السبل في تلافي الوقوع بمثله.⁽¹⁾ قال السيّد رشيد في خاتمتها: "فاقصص أيّها الرسول قصص ذلك الرجل المشابهة حاله لحال هؤلاء المكذبين بما جئت به من الآيات البينات في مبدأ أمره وغايته، ومعناه وصورته، رجاء أن يتفكروا فيه فيحملهم سوء حالهم، وقبح مثلهم على التفكر والتأمل، فإذا هم تفكروا في ذلك تفكروا في المخرج منه، ونظروا في الآيات، وما فيها من البينات بعين العقل والبصيرة، لا بعين الهوى والعداوة، ولا طريق لهدايتهم غير هذه".⁽²⁾

5

10

3. عدم كتمان العلم: فلا يجوز للمعلّم أن يكتّم من العلم شيئاً، قال تعالى مشدداً النكير على

من يكتّم العلم بعد أن أوتيّه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ

فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٥٩]، فالآية وإن كانت في سياق الحديث عن خيانة بني إسرائيل بكتمان صفات الرسول ﷺ وغيرها ممّا أوحى إليهم إلّا أنّها عامّة، فأنكر الشيخ محمّد عبده على الذين يزعمون أنّ الكتمان لا يتحقق إلّا إذا سئل العالم فكتّم الإجابة، كما أجاز بعضهم أن يحيل إلى غيره إن وُجد، فإن لم يوجد استحقّ وعيد الكتمان،⁽³⁾ وقد ردّ هذا القول بالآيات الآمرة ببيان الشريعة للناس، والمبيّنة لوعيد من ترك هذه الفريضة من الأمم السابقة، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ

الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٧]، وقوله: ﴿كَانُوا لَا

يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [سورة المائدة: ٧٩]، أمّا تدافع العلماء في

15

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (296/9-299).

(2) المصدر نفسه/ (299/9).

(3) تناول بعض المفسّرين أحكام كتمان العلم وتبليغه بالتفصيل بالنظر إلى حال العالم والمتعلّم والعلم ذاته، وينظر في بيانها: تفسير القرطبي/

(480/2-481)، والتحرير والتنوير، ابن عاشور/ (69/2-71).

الإجابة ففي المسائل الاجتهادية، لا في الأمور الكليّة التي تتوقّف عليها الأحكام العمليّة، وقد نعى السيّد رشيد على من يدّعي العلم، ثمّ لا تتحرّك مشاعره وجوارحه للدفاع عن دين الله إن انتهكت حرمة، وضيّعت البدع سننه، كما يفعل إذا تعرض أحد لماله أو مصالحه مدافعاً عنها، فذلك رجل لا قيمة لدين الله في نفسه، ولم يَمُكِّن الإيمان من قلبه،⁽¹⁾ قال السيّد رشيد معرضاً بفئة من العلماء في زمانه: ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [سورة المائدة: ١٥] ممّا كنتم تخفونه، فلا يفضحكم ببيانه، وهذا النصّ حجة عليهم-أيضاً- لأنهم يعلمون أنّهم يخفون عن المسلمين وعن عامّتهم كثيراً من المسائل لئلا يكون حجة عليهم إذ هم لا يعلمون به، كدأب علماء السوء في كل أمة، يكتُمون من العلم ما يكون حجة عليهم، كاشفاً عن سوء حالهم، أو يحرفونه تحريفاً معنوياً بحمله على غير معناه المراد⁽²⁾.

5

4. الرفق واللين: علّمنا الله تعالى ذلك من خلال إجابته إلى سؤال كلّ من سأله من خلقه بالرفق وحسن البيان، كإجابته تساؤل الملائكة عن خلق سيّدنا آدم عليه السلام، والذي مرّ على قرية خاوية فتساءل عن إحيائها، وسيّدنا إبراهيم عليه السلام إذ سأل عن إحياء الموتى، فأجابهم على مسألتهم بالحجج البيّنة دون توبيخ أو تعنيف، وكذلك سأل سيّدنا موسى عليه السلام ربّه أن يمكّنه من رؤيته، فلمّا بانّت له الحجة، وأصابه ما أصابه من عظمة ما رأى، ثمّ تاب عن طلبه، جاءه اللطف الربانيّ والعناية الإلهيّة في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَمُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَاءً أَتَيْتُكَ وَكُنَ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٤٤]، فبيّن الله أنّه خصّه بنعم خالصة له تفضيلاً له على غيره من الناس، وهو الرسالة والتكليم دون واسطة؛⁽³⁾ بل إنّ الله تعالى أمر سيّدنا موسى عليه السلام بالترفق في دعوة فرعون إذ قال: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٣-٤٤]، وقال لنبيه ﷺ: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ فَطَا غَلِظَ الْقَلْبُ لَا نَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل

10

15

عمران: ١٥٩].

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [البقرة: 120] [320/1]، [البقرة: 159] [37/2-38].

(2) المصدر نفسه/ (224/6).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ (95/9-96).

المطلب الثالث: شروط المتعلم

لا بدّ للمتعلم من شروط تتوفّر فيه حتّى ينال ثمرة علمه، منها:

1. الأدب في السؤال: خير من يُعلّم منه هذا الأدب سيّدنا إبراهيم عليه السلام إذ تآقت نفسه لمعرفة

كيفية إحياء الموتى بعد أن آمن بالبعث والنشور، فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [سورة البقرة: ٢٦٠]،

ففي سؤاله صورة الإقرار مع طلب الزيادة، بخلاف الذي مرّ على القرية الذي قال الله فيه: ﴿أَوْ كَالَّذِي

مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ

بَعَثَهُ...﴾ [البقرة: ٢٥٩]، قال الشيخ محمد عبده: "لأنّ في سؤال إبراهيم من الأدب مع الله تعالى والثناء عليه

ما ليس في سؤال ذاك، فصورة ذلك صورة الإنكار، وصورة هذا صورة الإقرار مع طلب الزيادة في العلم".⁽¹⁾

وكذلك لما طلب سيّدنا موسى عليه السلام رؤية ربه إذ تآقت نفسه لما سمع كلام الله بدون واسطة إلى ما

هو أعلى من ذلك، فقال: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [سورة الأعراف: ١٤٣]، قال السيّد رشيد: "فقال: رب

أرني ذاتك المقدّسة، بأن تجعل لي من القوة على حمل تجلّيك ما أقدر به على النظر إليك ورؤيتك، وكمال

المعرفة بك بالقدر الممكن؛ أي: دون ما هو فوق إمكان المخلوقين من الإدراك والإحاطة المنفي بقوله تعالى:

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٣]،⁽²⁾ ثمّ لما بيّن الله

تعالى له أنّ ذلك خارج حدود الإمكان البشريّ تاب وأتاب وقال: ﴿سُبْحَنَكَ ثُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ

الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٤٣].⁽³⁾ وكذلك أدب سيّدنا موسى عليه السلام مع الخضر —مرتبة النبوة أعلى— فلم

يمنع ذلك من اتّباعه والتعلم منه، مع الأدب في الطلب، إذ عرض عليه اتّباعه بصيغة الاستفهام تأدّباً، كما

قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُسُدًا﴾ [الكهف: ٦٦]

2. الاقتصاد في السؤال: الإرشاد العامّ إلى هذا الشرط بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

(1) تفسير المنار، رضا / (38/3).

(2) المصدر نفسه / (92/9).

(3) ينظر: المصدر نفسه / (95 و 92/9).

لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ بُدِّلَكُمْ عَنْهَا ﴿سورة المائدة: ١٠١﴾، وتكون المساءة بإثقال التكاليف عليهم، بتحريم ما كانوا يرونه مباحاً، أو عكسه، أو تضيق باب الاجتهاد، وقطع الاختلاف بين العلماء بوجود نص صريح في المسألة، وبيّن عاقبة ذلك بقوله: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ [سورة المائدة: ١٠٢]، فلكثرة ما سأل السابقون أنبياءهم كثرت عليهم الأحكام، ففسقوا عنها استثقلاً لها، أو أنكروا كونها من عند الله تعالى، حتّى الآيات التي سألوا أنبيائهم أن يأتوهم بها استكبروا عنها ولم تدفعهم إلى الإيمان، وقد أوقع ذلك بعض العلماء في توسيع دائرة التكليف، وإيقاع الناس في الحرج والعسر، ما أدّى إلى تفصّي المسلمين من الشريعة، وانتقاد غيرهم لها، والحق أنّ الدين يسر وسماحة والشريعة كاملة، وترك الله بعض الأمور للأمة تيسيراً لهم، لأنّ أحكامها تختلف بما يتناسب مع الزمان والمكان،⁽¹⁾ وقد وقع ذلك من بني إسرائيل إذ أعنتوا سيّدنا موسى عليه السلام إذ أمرهم أن يذبحوا بقرة، فكثرت منهم الأخذ والردّ، فشدد الله عليهم بما تنطّعوا وشدّدوا على أنفسهم، فجعل التكليف عقوبة لهم،⁽²⁾ وأورثهم ذلك قسوة في قلوبهم، فقال الله فيهم: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [سورة البقرة: ٧٤]،⁽³⁾ قال السيّد رشيد: "وأما هذه القلوب فلم تعد تتأثر بالحكم والنذر، ولا بالعظات والعبر، فالحكم لا تقوى على شقّها والنفوذ منها إلى أعماق الوجدان، وأنوار الفطرة قد انطفأت فيها، فلا يظهر شعاعها على إنسان،"⁽⁴⁾ وصار دأبهم المعاندة في كلّ أمر حتّى جاء وصفهم في توراتهم بالشعب الصلب الرقبة، كناية عن بلادهم وصعوبة طباعهم، إلى أن استبدل بهم الله تعالى قوماً آخرين، ألين طباعاً وأصحّ عقولاً، وأكثر شجاعة وشهامة تربّوا على العقائد الصحيحة، أمّا الصحابة رضي الله عنهم فقد ربّاهم القرآن في مدّة وجيزة، تعلّموا فيها وعلموا، وفتحوا البلاد، ونشروا دينهم فيما يزيد على نصف الأرض، بسبب أسلوبه المعجز الذي راعى الفروق الفردية بين الناس في استعداداتهم النفسية واللغوية والعقلية على مدى الزمان والمكان، بما لا يمكن أن يوجد في أيّ من الكتب والمؤلّفات الوضعية.⁽⁵⁾

5

10

15

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (98/7 و101 و103).

(2) ينظر: المصدر نفسه/ (250/1-251 و253-254).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ (255/1-256).

(4) المصدر نفسه/ (256/1).

(5) ينظر: المصدر نفسه/ [البقرة: 60] (238/1-239) و(148/11-149).

وقد أرشد الله تعالى نبيه إبراهيم عليه السلام إلى هذه الهداية، فقال له إذ سأله عن إحياء الموتى: ﴿أَوَلَمْ

تُؤْمِن﴾ [سورة البقرة: ٢٦٠]، ففهم الشيخ محمد عبده من هذا الإرشاد أنه تأديب للأمة، فيجب الاكتفاء بما أوحاه الله إلى أنبيائه، وعدم البحث في أسرار الخلق وكنه الغيبات، فإن أكمل الناس علماً وفهماً أشدهم للعلم طلباً وبحناً عن المجهولات - كما قال الشيخ - ولكن لا أحد يستطيع الإحاطة بهذه العلوم، قال: "وقد كان طلب الخليل عليه السلام رؤية كيفية إحياء الموتى بعينيه من هذا القبيل، فهو طلب للطمأنينة فيما تنزع إليه نفسه القدسية من معرفة خفايا أسرار الربوبية، لا طلب في أصل عقد الإيمان بالبعث الذي عرفه بالوحي والبرهان دون المشاهدة والعيان".⁽¹⁾

5

3. حسن الاقتداء: أورد الله تعالى أخبار أنبيائه - عليهم السلام - في القرآن الكريم، ليقتدى بهم وتتبع سننهم، وقد بين ذلك في سورة الأنعام بعد أن أورد حجاج سيدنا إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه، وسرد عدداً من الأنبياء: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيمُهَدْيُهُمْ أَقْتَدهُ﴾ [سورة الأنعام: ٩٠]، ويكون الاقتداء بطريقتهم في الدعوة إلى الله، ومحاجتهم أقوامهم، وبراءتهم من شركهم، ومقابلة ما يُبتلون به بالصبر ومحاسن الأخلاق، وترك ما كان منهم عليهم السلام من هفوات، ولا يكون الاقتداء بأصل العقيدة والتوحيد، ولا في تفاصيل الشريعة والأحكام، فكل نبي مأمور بالتباعد ما أوحاه الله إليه، فلا بد أن يكون الاقتداء عن برهان ودليل وبصيرة وعلم، لا تقليداً أعمى لكل شؤون المقتدى به.⁽²⁾

10

قال السيد رشيد: "وموافقة رسول لمن قبله في أصول الدين وبعض فروع لا يسمى اقتداء ولا تأسيًا، وإنما يكون التأسي به في طريقته التي سلكها في الدعوة إلى الدين وإقامته، ومن الشواهد على هذا قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِ إِنَّا بِكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [سورة الممتحنة: ٤] الآية، فإنه تعالى أرشد المؤمنين إلى التأسي بإبراهيم ومن آمن معه وجعلهم قدوة لهم في سيرتهم العملية التي كانت من هدي الله تعالى لهم، وهي البراءة من معبودات قومهم ومنهم ما داموا عابدين لها".⁽³⁾

15

20

(1) تفسير المنار، رضا / (39/3).

(2) ينظر: المصدر نفسه / (438-439/7).

(3) المصدر نفسه / (438/7).

المطلب الرابع: أدب المناظرة

شرع الله تعالى لخلقه السؤال عن حكمته في صنعه، بالمقال أو بالحال بطلبها من يناييعها عن طريق البحث العلمي، والاستدلال العقلي، والإلهام الإلهي، وقد أقام الله تعالى الدليل العملي على حكمته من خلق آدم عليه السلام حين سأله الملائكة عنها، إذ أفاض على سيدنا آدم عليه السلام من علومه ما لم يعلمه لملائكته بعد أن أخبرهم بأنه يعلم ما لا يعلمون، فعلم بذلك أن لا أحد يحيط علماً بأسرار خلق الله تعالى ولا حتى الملائكة المقربون، فأذعنوا وتوقفوا عند الدليل،⁽¹⁾ وكذلك لما سأل سيدنا موسى عليه السلام ربه أن يراه أجابه بالحجة العملية القاطعة بعد تقرير الجواب مجرداً، فقال: ﴿قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي﴾ [سورة الأعراف: ١٤٣]، قال السيد رشيد: "أراه بعينه ومجموع إدراكه من تجليه للجبل بما لا يعلمه سواه أن المانع من جهته هو، لا من الجود الرباني".⁽²⁾

5

أما أهل الكتاب فكانوا مثلاً للجدال والمراء بالحجج الواهية، إذ ادعى كل فريق منهم أن سيدنا إبراهيم عليه السلام منهم، فدحض الله حجبتهم بأنه سابق عليهم، وأنهم تابعون له، فكيف يكون منهم؟ أم كيف يكون متبعاً لتقاليدهم الدينية المبتدعة؟ ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابُ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة آل عمران: ٦٥]، حتى حجاجهم فيمن كان لهم به علم -وهو سيدنا عيسى عليه السلام- كان عليهم لا لهم، فهم مختلفون فيه بين مفرط ومفرط، فالحق إذاً أن سيدنا إبراهيم عليه السلام ﴿كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٦٧]؛ أي: مسلماً وجهه لله مخلصاً له في التوحيد والعبادة، وهو عين ما جاء به خاتم النبيين ﷺ،⁽³⁾ فكانت بذلك لله الحجة البالغة عليهم، وقد أبطل كل من الطرفين حجاج الآخر وطلعه، قال الله فيهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ [سورة البقرة: ١١٣]، مع أن الشريعتين متكاملتان نزلتا في شعب واحد، وبذلك يبطل اعتراضهم على نبوة سيدنا محمد ﷺ، وقد جاء بشريعة جديدة ناسخة ومن قوم آخرين، وهم أصحاب هوى وعصبية، قال الشيخ محمد عبده مؤكداً بطلان

10

15

20

(1) ينظر تفسير المنار، رضا/ [البقرة: 30] (187/1).

(2) المصدر نفسه/ (95/9).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ (229/3).

التقليد، ووجوب البحث عن البرهان في الحكم على الأشياء: "فلا ينبغي للعاقل أن يحكم على شيء إلا بعد البحث والتحري ومعرفة مكان الخطأ، والترئيل بينه وبين ما عساه يكون معه صواباً، ألم تر أن سياق الآيات ناطق بإنكار حكم كل من الفريقين على الآخر من غير بينة ولا برهان ولا فصل ولا فرقان، مع أن كل واحد منهم على شيء من الحق وشيء من الباطل...؟" (1)، فاستحقوا بتقليدهم كبراءهم واتباعهم أهواءهم أن يستووا مع المشركين الذين لا يعلمون، لأن التقليد عدو للعلم في كل زمان ومكان، (2) وقد سبقهم النمرود إلى هذا الجدل والمراء، إذ قال الله تعالى:

5

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي

بِالسَّمِيسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة

البقرة: ٢٥٨]، كان حجاجه عن ظلمة من الجهل والهوى والحرص على متاع الدنيا أن يفوته، فكان كمن أطفأ مصباح العقل الصحيح، واحتكم إلى الطاغوت، فضل عن الصراط المستقيم، وما ذلك إلا من نور ولاية الله لإبراهيم عليه السلام، التي هدته إلى الحجج الواضحات، وظلمة ولاية النمرود للطاغوت التي جعلته يتقلب في

10

الشكوك والشبهات، هاتان الولايتان المشار إليهما في قوله تعالى في الآية السابقة لها: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ

ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ أَهْمُ الظُّلُمَاتِ يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ

إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٧]. (3)

وذكر السيد رشيد من فوائد الحجاج والرد على أهل الفتن والضلال تقوية الحق وتثبيتته في نفوس أهله، فكلما طرح الخصم شبهة تشكك في الحق عكف صاحبه على البحث عن دليل يدحضها، ويثبت ما هو عليه من الحق، فيزداد إيماناً ورسوخاً، ويكون أهل الباطل بذلك سبباً في ظهور الحق وجلائه، فقد أقام الله الحجة على أهل الكتاب ومشركي قريش الذين اتخذوا من توجه المسلمين إلى بيت المقدس بادئ الأمر دليلاً على عدم نبوة رسول الله ﷺ، إذ ثبت لدى الطرفين أن قبله نبي آخر الزمان هي الكعبة المشرفة،

15

فقال الله تعالى مؤكداً زيف حججهم، آمراً بالإعراض عن الظالمين منهم الذين يجادلون تعنتاً: ﴿وَمِن

20

(1) تفسير المنار، رضا/ [البقرة: 117] [309/1].

(2) ينظر: المصدر نفسه/ [البقرة: 117] [308-309/1].

(3) ينظر: المصدر نفسه/ [33-34/3].

حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ، لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿سورة البقرة: ١٥٠﴾⁽¹⁾ قال الشيخ محمد عبده: "والآية ترشدنا إلى أن صاحب الحق هو الذي يُخشى جانبه وأنّ المبطل لا ينبغي أن يُخشى، فإنّ الحقّ يعلو ولا يعلو ولا يعلو، وما آفة الحقّ إلّا ترك أهله له، وخوفهم من أهل الباطل فيه".⁽²⁾

5

وقد نهي القرآن الكريم عن تقليد الآباء والكبراء -وكم أُرقت هذه المسألة الشيخين عبده ورضا- وكان هذا سبب ضلال الأمم السابقة، وقد أعرضوا جميعهم عن دعوة أنبيائهم لأتّها تخالف ما ورثوه، ﴿قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [سورة هود: ٦٢]، ﴿قَالُوا يَسْعَيْبُ أَصْلُوكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرِكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ [سورة

10

هود: ٨٧]، وقال الله تعالى مستنكراً عليهم: ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [سورة المائدة: ١٠٤]. أمّا الإسلام فقد جاء ليربّي الناس على الاستقلال والحرية الفكرية، لذلك نهى علماء السلف الناس عن اتّباعهم إلّا عن دليل من نصوص شرعية وسنة عملية، ولم يقبل إيمان أحد إذا كان تقليداً غير مبني على دليل، فإنّ الإسلام لم ينه عن اتّباع الآباء والأجداد ليأذن باتّباع غيرهم من متقدّمين أو متأخرين، فالعالم مبين للحكم لا مشرع له، قال السيّد رشيد: "ولمّا كان الإسلام دين الرشد والاستقلال، أنكر على العقلاء البالغين المكلفين جمود التقليد على ما كان عليه آبائهم من أمر دينهم وديارهم، لا لأجل أن يقلّدوا آخرين من أهل عصرهم، ويسنّوا لمن بعدهم تقليدهم، بل ليكونوا مستقلّين في طلب الحقائق من أدلتها".⁽³⁾ وشرّ منه تقليد الغرب في عاداتهم وأزيائهم، ممّا يورث الصغار والمذلة، وليس من ذلك أخذ العلوم والفنون والصناعات عن متقنيها، والإفادة منهم.⁽⁴⁾

15

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (20-18/2).

(2) المصدر نفسه/ (18/2).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ (153/12).

(4) ينظر: المصدر نفسه/ [البقرة: 78] (260/1) و(153-152/12).

المبحث الرابع: توظيف العبر التاريخية في المجال الحضاري

تناولت أخبار القرآن الكريم في معظمها جماعات وأممًا، وقليلًا ما تناولت أخبار أفراد بأعيانهم، فنُبِّهت على ارتباط الأبناء بالأجداد، والتشابه بينهم، وبيّنت أسباب عزّة الأمم ونجاتها لثبّتت أنواع العقوبات التي نزلت بها إنذاراً وتخويفاً، وهذا ما ستناوله المطالب الآتية.

المطلب الأول: تكافل الأمم ووحدها

5

ركّز تفسير المنار على تكافل الأمم ووحدها، على الامتداد الزماني والمكاني، وبيّن تأثير السلف في خلفهم، وستبيّن النقاط الآتية تناول تفسير المنار لموضوع تكافل الأمم ووحدها.

أولاً: سنن تخدم تكافل الأمة:

شعر ملأ من بني إسرائيل من بعد سيّدنا موسى عليه السلام بضرورة التكافل والتعاون لأجل استعادة ما ضاع من عزّهم تحت إمرة ملك يختاره نبيّهم، كما في قصّتهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالَ لِلنَّبِيِّ لَهُمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٦]، وقد توصّل تفسير المنار إلى سلسلة من السنن الاجتماعية من هذه القصّة، ومّا يخدم جانب تكافل الأمة من تلك السنن منها:

10

1. تبدأ الصحوة وطلب الاستقلال من خواصّ الأمة وحكمائها، فيبادرون إلى العمل تحت إمرة الزعيم، ثمّ تمتدّ صحتهم إلى عامّتهم وفقاً لكثرتهم وتأثيرهم في مجتمعاتهم، فإذا انتقلوا من طور التفكير إلى طور العمل تخاذل الأدياء وبقي الصادقون.

15

2. شأن الأمم الاختلاف في اختيار إمامهم أو قائدهم، ممّا يورث الخلاف والمشاقّة، لذلك شرع الله الشورى.

3. إنّ قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّتُ مَلِكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٧]، ومثله قوله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ

تُؤَيِّتُ الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ [سورة آل عمران: ٢٦] محكومان

بسنن الله تعالى المبينة في مثل قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [سورة الرعد: ١١]، فإنّ سنن

الله تعالى عادلة في تنازع الأمم وعلوّ بعضها على بعض، ومن يتب ويراع سنن الله تكن له الغلبة والعزّة.⁽¹⁾

20

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (2/339-341).

4. ويضاف إليها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد اختلف العلماء في حدود الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومتى يسقط، وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَسْتَفْتُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٦٤]، إذ صرح القرآن الكريم بنجاة الواعظين، وهلاك الظالمين الفاسقين، وسكت عن الذين أنكروا على الواعظين وعظهم يأساً منهم من اتعاض الفريق الهالك في قوله تعالى: ﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِصَمٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٦٥]، فذهب ابن عباس -رضي الله عنهما- إلى نجاتهم، لأنهم كانوا منكرين للمنكر في نفوسهم؛ لكنهم لا يرون فائدة من وعظ قومهم، وذهب غيره إلى هلاكهم مع الهالكين،^(١) وقال الزمخشري بسقوط وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا علم الواعظ من حال القوم الذين يعظهم أنهم لا يتعظون، فيكون عبثاً، وقد يكون الترك واجباً إذا خشي الواعظ على نفسه الضرر، فهذه الفرقة من المنكرين للمنكر، وما كان سؤالها للفرقة الواعظة إلا استفهاماً عن العلة؛^(٢) ولكن السيد رشيد رأى هذا الرأي مرجوحاً، وأن اليأس ينجم عن ضعف في النفس أو الإيمان مستدلاً بقوله ﷺ: ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُعِزَّهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِقْلِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ))،^(٣) وبالواقع؛ فكم من فاسق مرتكب للموبقات تاب وأتاب وحسنت توبته! وبذلك لا يكون ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجباً عند احتمال وقوع الأذى أو يقينه؛ بل يكون ذلك جائزاً.^(٤)

5

10

15

(1) روي القولان عن ابن عباس رضي الله عنهما، إلا أنه رجع إلى القول بنجاتهم. ينظر: تفسير الطبري/ [الأعراف: 164] [512/10]- (519، 513)، وتفسير ابن أبي حاتم/ [الأعراف: 165] [1601/5-1602]، تفسير ابن كثير/ [الأعراف: 164] [496-494/3].

(2) واختاره أيضاً ابن عطية وأبو حيان. ينظر: الكشاف، الزمخشري/ [الأعراف: 164] [525/2]، والمحزر الوجيز، ابن عطية/ [الأعراف: 164] [468/2]، والبحر المحيط، أبو حيان/ [الأعراف: 164] [410-409/4].

(3) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب، عن أبي سعيد رضي الله عنه/ رقم: 87- (49)/ [42-41/1].

(4) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [الأعراف: 165] [279-278/9].

ثانياً: نسبة أعمال السلف إلى الخلف لتوارث الأخلاق والسجيا بين الطرفين:

جعل الله تعالى كل أمة متميزة بطباع وسجيا تطغى على أفرادها، وقد أكد تفسير المنار على هذا الجانب في كثير من المواضع، مشيراً إلى توارث هذه الصفات من السلف إلى الخلف بنحو عام، فالחסنات والسيئات في الأمم تأتي نتيجة لأخلاقها وأعمالها، وتمتد عبر أجيالها اللاحقة بتقليدهم آباءهم فيما كانوا عليه، أو إقرارهم عليه وعدم الإنكار عليهم، فكان هذا التكافل من سنة الله تعالى في المجتمعات، فسعادة الأفراد وشقاوتهم مرتبطتان بسعادة أمتهم وشقاوتها، والأمم التي تعي ذلك تتعاون لتحقيق رقيها، وتجنب انحطاطها، وبذلك لا يكون القرآن الكريم ظالماً إذا خاطب الخلف بأعمال أسلافهم، ونسب تلك الأعمال إليهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [سورة البقرة: ٤٩]،

5

وقوله: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة البقرة: ٩١] فإنّ المخاطبين من بني إسرائيل في الآية لم يلقوا نبياً غير سيدنا محمد ﷺ فيقتلوه؛ ولكن فعلها أسلافهم، فأقرهم قومهم، ولم يعدوا ذلك كفراً، وتبعهم من بعدهم في استمرار هذا الجرم، فكانوا في الكفر سواءً. (1) قال الشيخ محمد عبده:

10

"﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ [سورة البقرة: ٨٤] تمادياً في سياق الالتفات، (2) وتذكيراً بوحدة الأمة واعتبارها كالشخص الواحد، يصيب الخلف أثر ما كان عليه السلف من خير وشر ما استنوا بسنتهم، وجروا على طريقته، كما تؤثر أعمال الشخص السابقة في قواه النفسية، وطبع ملكاته بعد انحلال مادة تلك الأعضاء التي ابتدأت العمل، وحلول مواد أخرى في محلها تتمرن على مثل ذلك العمل، فما يفعله الشخص في صغره، يبقى أثره في قواه في كبره، فكذلك الأمم". (3) فالأمة -إذاً- كالجسد الحي، يتعثر به ما يعتري الأفراد من موت وحياة، وصحة وضعف، وصراع وتدفع، وليست تجمعات بشرية جامدة لا حراك فيها. (4)

15

وقد قال الله تعالى فيهم: ﴿مِّنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [البقرة: 57] (234/1)، [البقرة: 91] (277/1)، [آل عمران: 21] (183/3)، التفسير الحديث، دروزة/ (170/6).

(2) الالتفات: "التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة [التكلم والخطاب والغيبة] بعد التعبير عنه بطريق آخر منها". الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن جلال الدين القزويني/ (157/1).

(3) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (269/1).

(4) ينظر: السنن الإلهية، محي الدين/ ص 257.

نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ

جَمِيعًا ﴿[سورة المائدة: ٣٢]﴾، فالمستحلّ لقتل فرد دون وجه حقّ مستحلّ لقتل جميع أفراد نوعه، والمحترم لحياة الفرد -أيضاً- الساعي في حفظها وإنقاذها من الهلاك محترم لحياة كلّ الأفراد مراعي لقيمتها، ويلزم عن ذلك انتشار روح البغي والجريمة في المجتمع، أو روح التعاون والتكافل وامتناع القتل بغير حقّ. ⁽¹⁾ قال السيّد رشيد

عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [سورة النساء: ٢٩]: "وأنّ النكتة في التعبير هي ما تقدّم بيانه من وحدة الأمة، حتّى كأنّ كلّ فرد من أفرادها هو عين الآخر، وجنابته عليه جنابة على نفسه من جهة، وجنابة على جميع الأفراد من جهة أخرى؛ بل علّمنا القرآن أنّ جنابة الإنسان على غيره تعدّ جنابة على البشر كلّهم لا على المتصلين معه برابطة الأمة الدينيّة أو الجنسيّة أو السياسيّة بقوله ﷻ: ﴿مَنْ قَتَلَ

نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [سورة المائدة: ٣٢]. ⁽²⁾

وقد بيّن عند تفسيره قوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [سورة

آل عمران: ١٨١] أنّ لنسبة المنكر الذي قام به المتقدّمون إلى المتأخّرين وجهين: أوّلهما: ما ذكر من عدم إنكارهم عليهم ورضاهم بفعالهم، ممّا يؤدّي إلى أنسهم به ووقوعهم فيه ولو بعد حين، ومن ثمّ يستحقّون عذاب الدنيا كالفقر والضعف وفقد الاستقلال، فضلاً عن عذاب الآخرة، والثاني: أنّهم برضاهم بالمنكر وعدم النهي عنه يتسبّبون في انتشاره بين الناس، فيكونون شركاء لهم فيه، فهم شركاء في الإثم إمّا برضاهم به، أو بتسبّبهم بانتشاره، إذ اللاحقون مشتركون مع سلفهم في علّة الوقوع في المنكرات -وهي عدم المبالاة بالدين- مشاكلون لهم في الأخلاق والطباع؛ بل يرى السيّد رشيد أنّ هذه السيّئات في الخلف أظهر، لتمكّن داعية الشر في نفوسهم بالوراثة والقدوة. ⁽³⁾ وأقوى مثال على ذلك اليهود الذين يأبون الاختلاط بغيرهم أو مخالطتهم، فبذلك قويّ العامل الوراثي في أخلاقهم، فكانوا نسخة عن آبائهم في تعنيت أنبيائهم وتعجيزهم، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنِزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرًا مِّنْ ذَلِكَ

فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [سورة النساء: ١٥٣]، لذلك كانت معظم خطابات القرآن من هذا النوع موجّهة إلى

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (258/6).

(2) المصدر نفسه/ (33/5).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ (185/4-186).

أهل الكتاب،⁽¹⁾ ومن ذلك- أيضاً- نسبة عقر الناقة إلى ثمود كلّهم مع أن الفاعل واحد بإقرارهم له على فعله في قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ [سورة الأعراف: ٧٧].⁽²⁾

ثالثاً: تأثير صلاح السلف وفسادهم في خلفهم:

تكون نجاة الخلف من تبعة أسلافهم بإنكارهم عليهم ما أسأؤوا، والحدّ من فشوّه، ومكافحة المنكرات كي لا تصير خلقاً راسخاً في الأثرة وقبول ما أحسنوا واتباعه، وبذلك ينجون من استحقاق مشاركتهم في الإثم والعقوبة التي علّ لها الله تعالى بقوله: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [سورة المائدة: ٧٩].⁽³⁾ قال السيّد رشيد مبيّن تأثير أفعال بعض الأفراد في الأثرة بكاملها: "وأنّ ما يفعله بعض الفرق أو الجماعات أو الزعماء منها يكون له تأثير في جملتها، وأنّ المنكر الذي يفعله بعضهم إذا لم ينكره عليه جمهورهم ويزيلوه يؤاخذون به كلّهم... من سنن الاجتماع البشري أنّ المصائب والرزايا التي تحلّ بالأمم بفشوّ المفسد والردائل فيها لا تختصّ الذين تلبسوا بتلك المفسد وحدهم، كما أنّ الأوبئة التي تحدث بكثرة الأقدار في الشعب وغير ذلك من الإسراف في الشهوات تكون عاقبة أيضاً"،⁽⁴⁾ وذلك عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [سورة

5

10

التوبة: ٣٠]، فقد صدر ذلك القول من بعضهم لا كلّهم، ومثلها قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [سورة المائدة: ٦٤]، وقوله: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [سورة آل عمران: ١٨١].

15

فالنهي عن المنكر سياج للدين والفضائل، كي لا يألف العامة الرذائل وتزول وحشتها من نفوسهم فيقعوا فيها وتصبح خلقاً فاشياً في الأثرة،⁽⁵⁾ وقد قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّفْسُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ، فَيَقُولُ: يَا هَذَا، اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلَّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ وَهُوَ عَلَى حَالِهِ فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكْبَلَهُ وَشَرِيئَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ،

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (10/6).

(2) ينظر: المصدر نفسه/ (400/8).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ [آل عمران: 181] (186-185/4).

(4) المصدر نفسه/ (253-252/10).

(5) ينظر: المصدر نفسه/ (362/6).

ثم قال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [سورة المائدة: ٧٨]، إلى قوله: ﴿فَنَسِفُونَ﴾ [سورة المائدة: ٨١]، ثم قال: كَلَّا وَاللَّهِ، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ، وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا^(١). وزاد في بعض الروايات: ((أَوْ لَيُضْرِبَنَّ اللَّهُ بِقُلُوبٍ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَلَيُلْغَنَنَّكُمْ كَمَا لَغَنَهُمْ))^(٢)، وقد تعجب السيد رشيد من مسلمي عصره كيف يقرؤون القرآن والسنة ويمرون على أخبار بين إسرائيل ثم لا يعتبرون ولا يتذكرون، وقد أصابهم من المصائب ما أصاب بني إسرائيل! وإنَّ عصرنا هذا لأشدَّ عجباً وغرابة في استمرار المعاصي والردائل والتهاون بها، وزيادة على ذلك التفاخر بها تحت شعارات تدَّعي الحرِّيَّة، وما هي إلَّا تفلَّت من عُرى الأخلاق والدين.

5

وقد أصاب القحط قوم فرعون عاقبة لإقرارهم له ولملئه على ظلمهم لبني إسرائيل ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٣٠]، فإنَّما قوَّته وثروته ناشتان عن خضوعهم له واتباعهم إياه، والله تعالى خلقهم أحراراً، وأرسل إليهم نبيّه موسى ﷺ ليخرجهم من الظلم والطغيان، فكان حريّاً بهم أن يأخذوا على يد فرعون ويتبعوا رسالة ربِّهم، فابتلاهم بضنك العيش تأديباً لهم، وإظهاراً لضعف ملكهم المتجبر -فضلاً عن معبوداتهم الأخرى- أمام جبار السماوات والأرض وسننه^(٣).

10

هذا عند فساد السلف، أمّا صلاحهم فلا ينفع الخلف إن لم يقتدوا بهم، فقد يأخذ الفخر الأمم في حال ضعفها إلى الاعتقاد بنجاحهم لمجرد صلاح آبائهم، وجمهورهم على معصية، والحق أنَّ عزة الأمة لا تكون إلَّا بمحافظتها على دينها وأخلاقها، وقد جعل أهل الكتب الدين عصبيّة جاهليّة معتقدين النجاة بالانتساب إليه، ثمّ تبعهم المسلمون في ذلك رغم ما جاءهم من أخبارهم وعواقب أفعالهم، وقد قال تعالى: ﴿أَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وَزِرَةٌ آخَرَىٰ ۖ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [سورة النجم: ٣٨-٣٩]، فالمقياس هو الإيمان

15

(1) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، عن ابن مسعود ؓ/ رقم: 4336/ (4/121-122)، واللفظ له. وسنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة المائدة، وقال: حسن غريب/ رقم: 304/ (5/252). سنن ابن ماجه، كتب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر/ رقم: 4006/ (2/1327-1328).

(2) مسند أبي يعلى، مسند عبد الله بن مسعود ؓ/ رقم: 5035/ (8/448-449).

(3) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (9/63 و65).

والاتباع، لا النسب والمحسوبيّة؛⁽¹⁾ ولكنّ الروابط الإنسانيّة قد تنفع إذا قرنت بالإيمان الصحيح والعمل الصالح، ويزاد عليه " أنّ الجمع بين ذلك، وبين التمسك بالجنسيّة الدينيّة بالحقّ، لا بالعصبيّة الجاهليّة ممّا تتمّ به قوّة الحقّ والدين ".⁽²⁾

والخلاصة: لقد وسّع تفسير المنار مفهوم تكافل الأُمّة، فلم يقتصر على تكافل أبناء المكان الواحد والزمن الواحد؛ بل جعلها عبر الزمان، مشبّهاً لها بالجسد الذي تتبدّل خلاياه مع مرور الزمن، ولكنّ أعماله في الماضي تنسب إليه رغم فناء الخلايا التي قامت بالعمل، أو بنسبة قيام بعض الأعضاء كاليد أو الرجل بالأعمال إلى عامّة الجسد، فالأوّل هو تكافل السابقين مع اللاحقين، والثاني تكافل أهل الزمن الواحد، وبذلك عمّم المسؤوليّة عن تلك الأعمال، وآثارها على الأُمّة.

5

المطلب الثاني: أسباب عزّة الأمم وأسباب زوالها

تعدّدت أسباب عزّة الأُمّة وارتقائها، وأسباب ذلّها وانحطاطها، وتجارب الأمم الخالية خير معلّم لاستنباط هذه الأسباب ومراعاتها اتّباعاً أو اجتناباً، لأنّها الشاهد على سنّة الله تعالى في التاريخ والاجتماع البشريّ، ومن هذه السنن سنّة (تنازع البقاء)، الذي عبّر عنه القرآن الكريم بـ(التدافع) في قوله: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [سورة البقرة: ٢٥١]، وهذا التدافع هو سبب بقاء الحقّ والصالح، وامتناع فساد الأرض، فسنة الله تقتضي استمرار من اتّخذ أسباب العزّة والغلبة، وفناء من تعرّض لأسباب الهلاك والهزيمة، فيلزم عنه ما يسمّى بـ(الانتخاب الطبيعيّ أو بقاء الأمثل)، وهو الحكمة من التنازع بين الخير والشرّ، أو بين الأنبياء ومن تبعهم من المصلحين وبين شياطين الإنس والجنّ، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١١٢]، وقال: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لَهْجَمَ هَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٠] الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ

10

15

20

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [البقرة: 78] (260/1)، [البقرة: 86] (268/1)، [البقرة: 138] (343/1)، (356/1).

(2) المصدر نفسه/ (356/1).

- وَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ﴿سورة الحج: ٤٠-٤١﴾، ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿سورة الرعد: ١٧﴾، فهذه أدلة على بقاء الأصلح والأفنع والأقوى؛ الأقوى بقوة الحق والتزام سنن الله في الأمم،⁽¹⁾ فلم يُحابِ القرآن الكريم قوماً على قوم؛ بل تحرى الحقيقة بدقة فلم يظلم أحداً من أهل الكتاب أو غيرهم، إذ ميّز بين الراسخين في العلم منهم على قلتهم من الفاسقين، وأنّ المسلمين استحقوا الخيرية بصفات اتصفوا بها، وليس لمجرد تسميتهم بالمسلمين، فكل أمة مرهونة بأخلاقها وأعمالها وعقائدها، وكم سقط دول في بلاد المسلمين بجهلهم بسنن الله تعالى، فلم يشفع لهم تسميتهم بالمسلمين، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿سورة آل عمران: ١١٠﴾، ثمّ قال في وصف خيار أهل الكتاب: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿سورة آل عمران: ١١٣﴾، وما بعدها من الآيات، وقرّر أنّ وقوع البلاء بالأمم جميعها سنة مطردة، فلا يجوز للمسلمين أن يأمنوا حوادث الدهر ظانين أنّهم ممتازون على غيرهم معصومون عنها، فقال: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ﴿سورة آل عمران: ١٨٦﴾، قال الشيخ محمد عبده: "كأنه يقول: إن ما وقع من الابتلاء في الأنفس والأموال، والطعن في تلك الوقعة ليس آخر الابتلاء؛ بل لا بدّ أن تُبلوا بعد ذلك بكل هذه الضروب منه، وتجري فيكم سنته تعالى في خلقه، فلا تظنّوا أنّكم جلستم على عرش العزة واعتصمتم بالمنعة، وأمنتم حوادث الكون، فإنّه لا بدّ أن يعاملكم الله تعالى كما يعامل الأمم معاملة المختبر المبتلي".⁽²⁾ ولو جعل كلّ مديح في القرآن خاصاً بالمسلمين، وكلّ ذمّ موجّهاً لغيرهم لنفر الناس منه، ولتعطلت العبرة من أخباره عن أقوام الرسل وغيرهم،⁽³⁾ ولاستوى المسلمون مع أهل الكتاب

5

10

15

20

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [البقرة: 252] [2/342]، [الأنعام: 112] [8/6] [الأنعام: 123] [8/28].

(2) المصدر نفسه/ [آل عمران: 186] [4/193].

(3) ينظر: المصدر نفسه/ [آل عمران: 111] [4/49]، [آل عمران: 186] [4/193]، [الأنعام: 112] [8/6].

الذين وصف الله مبلغهم من الكبر والاعتزاز بالألقاب بقوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّوهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ [سورة المائدة: ١٨].⁽¹⁾

وفي أخبار القرآن الكريم وقصصه بيان شاف لخلاصة أسباب النصر والعز، أو الهزيمة والذل، ومن أبرزها - كما جاء في تفسير المنار مستفاداً مما جاء في القرآن الكريم من قصص وأخبار عن الأمم السابقة وعصر النبوة - ما يأتي:

5

أولاً: أسباب النصر والعز:

1. اتباع القرآن والسنة: وذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتزام ما أمر الله تعالى به،

ومنه تقييد نصر الله للمؤمنين بنصرهم إياه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [سورة محمد: ٧]، وبذلك تكون الدولة للمسلمين أو لأهل الكتاب عبر سجلات التاريخ، فإن ينصر المسلمون دينهم تكن الدولة لهم، وإن يخذلوه تكن عليهم،⁽²⁾ ولقد بين الله تعالى ذلك بقوله: ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

10

الَّذِي آمَنَ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٨]؛ أي: الاهتداء لما فيه السعادة في الدنيا والآخرة، فما من قوم آمنوا بنبي وأتبعوه حق اتباعه إلا كانوا بعد إيمانهم خيراً مما قبله في هناءة العيش وتحصيل العزة والكرامة، وأظهر الأمثلة على ذلك الأمة الإسلامية التي سادت الدنيا بالالتزام دينها،⁽³⁾ "ومن العجائب أن يصل بهم الجهل بعد ذلك إلى ترك هذه الهداية التي نالوا بها الملك العظيم والعز والسؤدد والغنى والحضارة، وأعجب منه أن يزول المعلول بزوال علته، وهم لا يشعرون به، فيعودوا إليه، وأعجب من هذين أن يصل بهم الجهل إلى أن يعتقد كثير منهم في هذا العصر أن هداية الإسلام التي سعدوا بها، ثم شقوا بتركها هي سبب هذا الشقاء الأخير لا تركها"،⁽⁴⁾ وقد صرح القرآن الكريم بأن الإيمان والتقوى سبب للبركات ورغد العيش في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ

15

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (235/6).

(2) ينظر: المصدر نفسه/ [آل عمران: 112] (49/4-51).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ [الأعراف: 158] (9/222) (9/425).

(4) المصدر نفسه/ [الأعراف: 158] (9/222).

ءَامِنُوا وَاتَّقُوا لَنَفْحَنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴿سورة الأعراف: ٩٦﴾، وقوله: ﴿قَالَ أَهِيْطًا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٣٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [سورة طه: ١٢٣-١٢٤]، وغيرها من الآيات. (1)

5

وبين السيد رشيد فضيلة القرآن الكريم خاتم الكتب السماوية بتوسعه في سنن الاجتماع في فساد الأمم فقال: "وقد أرشدهم القرآن لاتقائها، فهو جامع لوصف أمراض البشر كلها، ولوصف علاجها، فمن آمن به وتدبره من الأفراد والجماعات الصغرى (البيوت والفصائل والعشائر) والكبرى (الشعوب والقبائل) عمل به، ومن عمل به سلم من الفساد والهلاك حتماً، وإنما ينحصر الخوف عليهم في ترك العمل به". (2)

10

وقد جعل الله تعالى الوسطية في اتباع النبي ﷺ، فهو المثال الأكمل للمرتبة الوسط المتصفة بالعدالة والخيرية؛ فلا إفراط ولا تفريط - كما كان الناس قبله - بل موازنة بين الروح والجسد، وإن فيها اتقاء الفتن العظيمة بالتفريق بين من يتبع هواه ومن يتبع أوامر الله التي جاء بها الوحي، وقد جاءت هذه المنّة في القرآن الكريم في معرض الحديث عن تحويل القبلة ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ [سورة البقرة: ١٤٣]، لجمع الكلمة وتلقين المسلمين الحجة للرد على الذين ييغوثهم الفتنة، بجعل القبلة مثاراً للتفرق والشقاق، وإنما العبرة منها توحيد الصف والوجهة. (3)

15

2. وحدة الكلمة: في الدين والسياسة، فالاختلاف في أحدهما مدعاة للاختلاف في الآخر متسبب في ضياع عزة الأمة وغلبتها، وما أوقع الأمة بالملامات إلا تفرقهم وولايتهم لغيرهم، ومعونة بعضهم للأجانب على بعضهم الآخر، (4) وقد جعل الله تعالى ولاية كل فريق بين أفرادهم، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (423/9).

(2) المصدر نفسه/ (171/12).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ (6-4/2).

(4) ينظر: المصدر نفسه/ [الأنعام: 65] (362/7-363).

وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ عَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ أَسْتَضَرُّوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ
 النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ ﴿سورة الأنفال: ٧٢﴾؛ أي: في التناصر والتعاون وإغاثة المضطر وإعانة
 المحتاج، إلا أن يكونوا في دار الحرب، فلا ولاية لهم إلا إذا اعتُدي على دينهم من الحريين لا المعاهدين،
 5 وقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ ﴿سورة الأنفال: ٧٣﴾، فهم فريق واحد على اختلاف مللهم،
 متعاونون متحدون في حرب المسلمين، كما كان اليهود والمشركون حلفاء ضد النبي ﷺ وأصحابه، ثم حذر الله
 تعالى من مخالفة ذلك بقوله: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ ﴿سورة الأنفال: ٧٣﴾،
 فسّر السيّد رشيد الفتنة باضطهاد المسلمين، وصدّهم عن دينهم بإشغال الفتنة وإغراء العوامّ بالمال، ويلزم عنه
 سلطان أهل الكفر عليهم. ويلزم عن الفساد الكبير ضعف الإسلام بسبب ترك ولاية المسلمين بعضهم
 بعضاً،⁽¹⁾ الذي أدى إلى الاختلال والانحلال في الدول التي أقامها المسلمون، ثم سقوطها واحدة تلو الأخرى،
 بسبب ترك ولاية المسلمين، وموالاتهم، وآخرها الدولة العثمانية التي تأمرت عليها الدول الأوروبية؛ ولكن
 هذا لا يمنع اختلاط المسلمين بغيرهم مطلقاً؛ وإنما يكون المنع حال ضعفهم إذا اختلطوا بمن هم أقوى منهم
 في الحجاج والجدال والتعصب للكفر، أمّا حال القوة المادية والمعنوية والعلمية فاختلاطهم بهم سبب في انتشار
 الدين، كما يشهد به التاريخ.⁽²⁾ قال السيّد رشيد معدداً سنن الله في الأمم والأفراد: "كون ولاية الأعداء
 10 من دون الأولياء من أعظم مثرات الفتنة والفساد في الأمة، والاختلال والانحلال في الدولة، كولاية المؤمنين
 في النصرة والقتال للكافرين الذين يوالي بعضهم بعضاً على المؤمنين في الحروب، ولا سيما التي مثارها الخلاف
 15 الديني، وشواهد هذه السنة في التاريخ الإسلامي وغيره كثيرة جداً".⁽³⁾

(1) بيّن ابن عاشور معنى الفتنة: بأنّها اختلال أحوال الناس، المراد هنا افتتان ضعاف الإيمان بقوة المشركين، وحبّيتهم إليهم لما بينهم من
 صلات القرابة والمخالطة، ولحدائث عهدهم بالإيمان، فأوجب قطع الصلة بهم لإنسائهم تلك الصلات، والاشتغال بما يقوّي جماعة
 المسلمين، أمّا الفساد الكبير: فهو تفرّق الكلمة الناشئ عن موالات بعضهم للمشركين، فقد يرمي بعضهم بعضاً بالكفر حسب
 مقدار موصلتهم للمشركين، وإنّما تكون الجامعة الإسلامية بالتفاف المسلمين التفافاً واحداً، واجتناب ما يضادّها. ينظر: التحرير
 والتنوير، ابن عاشور / [الأنفال: 73] (88/10).

(2) ينظر: تفسير المنار، رضا / [الأنفال: 73] (85/10-86 و87-88) (112/10).

(3) المصدر نفسه / (112/10).

3. العمل بسنن الله في الأمم والمجتمعات: فالعلم بالسنن مع العمل بها من أعظم الوسائل لنهوض

بالأمم، والترقي بالحياة الاجتماعية إلى مراقبي المدينيات المتقدمة، ودفع الفتن والاستسلام لها، فإن ما وعد الله به المسلمين من العز المنتظر المبين في نصوص الكتاب والسنة كقوله ﷺ: ((لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجاً وَأَنْهَاراً، وَحَتَّى يَسِيرَ الرَّكِيبُ بَيْنَ الْعِرَاقِ وَمَكَّةَ لَا يَخَافُ إِلَّا ضَلَالَ الطَّرِيقِ...))،⁽¹⁾ هذه النصوص وأمثالها لا تتحقق بالتمني والاعتماد على الأقدار؛ ولكن بالعمل والسعي لاستحقاق هذه البشارات، ولا محل لما يدعيه بعضهم من أن إعراضهم عن السعي في التفوق على الأمم العريضة هو ضرب من الزهد في الدنيا والطمع في الآخرة، كما أن ما حذر منه من فتن آخر الزمان كقوله ﷺ: ((يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمَنْ قَلَّةٌ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كُفَّاءُ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ. قَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ))،⁽²⁾ إنما جاءت هذه الأحاديث لاتقاء أسبابها، والمحافظة على ما استحوذت عليه الأمة في القرون الأولى من المجد واتساع الرقعة،⁽³⁾ ولكن حقيقة الأمر "أنهم رزئوا بالجهل والكسل وسقوط المهمة، فهم بجهلهم يتعبون، ويشقون في اتباع أهوائهم والسعي لحظوظهم الشخصية الدنيئة، ولا يفكرون في المصالح العامة، ولا يعقلون وجه ارتباط المنافع الخاصة بها؛ بل يتركونها زاعمين أنهم قد وكلوا أمرها إلى الله وعملوا بهدي دينه فيها".⁽⁴⁾ فأمر عزة الأمة ونهضتها عائد إلى نظامها الديني والفكري والاجتماعي، ومدى التزامها به، أما العوامل الخارجية - كالتدخل الأجنبي - فليس لها دور حاسم في تقرير مصير الأمة ﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ لَكُمْ بِكُفْرٍ مَغِيرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا أَمَانًا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَتَى اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة الأنفال: ٥٣]، فمقدار عزتها ونهوضها بمقدار

5

10

15

(1) مسند الإمام أحمد، مسند أبي هريرة رضي الله عنه (427/14) / رقم: 8833، والمستدرک، کتاب الفتن والملاحم / (477/4)، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(2) سنن أبي داود، کتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام، (111/4) / رقم: 4297. وفي إسناده من لا يعرف. ينظر: إتحاف الخيرة المهرة بزيوائد المسانيد العشرة، أحمد بن أبي بكر البوصيري / (74/8).

(3) ينظر: تفسير المنار، رضا / [الأنعام: 65] (365/7-367).

(4) المصدر نفسه / [الأنعام: 65] (365/7).

أخذها بسنن الله تعالى في المجتمعات، و إذا تَمَرَّدت واستنكفت فمصيهرها الهلاك والسقوط الحضاري⁽¹⁾.

وقد تتمكّن الأمم من طلب تأخير هلاكها بترك أسبابه من فواحش وظلم وسوء خلق، واتباع المصلحين والحكماء، فقد قال تعالى بعد ذكره عقوبة عصيان بني إسرائيل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة الأعراف: ١٦٧]، وقال: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [سورة طه: ٨٢]، و﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُثِرْتُمْ عُنَدَنَا﴾ [سورة الإسراء: ٨]؛ ولكن ذلك يكون قبل تمكّن هذه الأسباب

5

فيها وانتشارها فيعجز علماء الاجتماع والمصلحون عن علاجها، ولا ينفع مع الناس نصيح ولا نذير من نصوص الدين ولا أقوال الحكماء، فيعرضون عنها، أو يسمعونها فلا يعقلون، أو يتأولونها بما يتناسب مع الهوى والمصالح الشخصية، فيحلّ بذلك أجل هلاكها، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٣٤]، فإن سنّة الله ثابتة لا تتبدّل ولا تتحوّل، ومتى وقعت أسباب الهلاك وقع⁽²⁾.

10

وسنّة الله في قوله: ﴿وَالْعَنِقَبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٢٨] تعني الذين يتقون أسباب الهلاك والخذلان، كالظلم والفساد واليأس، ويسعون في أضدادها من أسباب العزّة والكرامة كمكارم الأخلاق والصبر على المكاره والاستعانة بالله ﴿ذَلِكَ يَأْتِكُ اللَّهُ لِمَ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعَمَهُ أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُ أَمْرًا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة الأنفال: ٥٣].⁽³⁾

أورد السيّد رشيد في تفسيره مقالة كاملة قيّمة من مجلّة العروة الوثقى بقلم شيخه محمّد عبده عنوانها (سنن الله في الأمم وتطبيقها على المسلمين)، بيّن فيها الشيخ كيف رفع الله الأُمّة من ذلّها، ونصرها على قلة عددها وعُددها، حتّى ذلّت أمامها أشدّ الصعاب، وسادت الأمم كلّها بصورة أذهلت التاريخ، وتبلّص سبب ذلك بأنّهم صدّقوا ما عاهدوا الله عليه، ونصروه فأيدهم بنصره، وكانوا معه فكان معهم، ثمّ كيف انقلب عزّهم ذلّاً، ومهابتهم احتقاراً على كثرتهم واتّساع رقعتهم، وما ذلك بإخلاف الله وعده لهم؛ ولكن بتركهم سننه، فاستحبّوا الحياة الدنيا على الآخرة، ومصلحة الفرد على مصلحة الأُمّة، وركنوا إلى الذلّ والمهانة، قال: "بل صدّقنا الله وعده، حتّى إذا فشلنا وتنازعنا في الأمر، وعصيناه من بعد ما أرى

15

20

(1) ينظر: مفهوم السنن الإلهيّة، محي الدين/ ص 255-256 و258.

(2) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (326/8 و323/8) و(280/9-281).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ [الأعراف: 180] [424/9] [52: الأنفال] [28-29/10]، (111/10).

أسلافنا ما يحبون، وأعجبتنا كثرتنا فلم تغني عنا شيئاً، فبدّل عزّنا بالذلّ، وسمّونا بالانحطاط، وغنانا بالفقر، وسيادتنا بالعبوديّة، نبذنا أوامر الله ظهرياً، وتخاذلنا عن نصره، فجازانا بسوء أعمالنا، ولم يبق لنا سبيل إلى النجاة سوى التوبة والإنابة إليه، كيف لا نلوم أنفسنا ونحن نرى الأجانب عنّا يغتصبون ديارنا، ويستذلون أهلها، ويسفكون دماء الأبرياء من إخواننا، ولا نرى في أحد منّا حراكاً؟⁽¹⁾ وختمها بدعوة كلّ فرد لحاسبة نفسه، وقياسها بمقياس القرآن الكريم، ويتحمّل مسؤوليّة صيانتها من عدوّها، مبشّراً بما جاءت به النصوص من خيريّة هذه الأُمّة، وأنّ ما هي فيه من الانحراف عرض لا بدّ زائل بالعودة إلى كتاب الله تعالى وتحكيمه في شؤونها.⁽²⁾

5

ثانياً: أسباب الهزيمة والذلّ:

1. الظلم: وأشدّ أنواعه الكفر بالله تعالى، ومخالفة أوامره، فقد استحقّ أهل الكتاب الذلّ والغضب والمسكنة، كما قال تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبَغَضٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ [سورة آل عمران: ١١٢]، فالذلّ لاصق بهم ملازم لهم؛ إلّا ما كان من عدالة الإسلام، واحترامه دماءهم وأموالهم ما داموا داخلين في حكم المسلمين، وهو حبل الله، وتعامل المسلمين معهم في الأمور المعاشيّة والحياة الاجتماعيّة، وهو حبل الناس، وقد كان شأن اليهود المهانة في كثير من البلدان إلى أن فرضت القوانين الوضعيّة المساواة بين رعاياها، وكان الغضب جزاء وفاقاً لهم، وضربت عليهم المسكنة، وقد فرق الشيخ محمد عبده بين الذلّة والمسكنة بأنّ الأولى ناشئة عن سلب حقوقهم من قبل غيرهم، أمّا المسكنة فمنشؤها استصغار المرء نفسه، بيّن الله سبب هذه العقوبات الثلاث بقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١١٢]، قال الشيخ محمد عبده: "أي: جرّأهم على ذلك سبق المعاصي، والاستمرار على الاعتداء، فتدرّجوا من الصغائر إلى الكبائر، إلى أكبر الموبقات، وهو الكفر وقتل الأنبياء المرشدين والهداة الصالحين الذين يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر، فصار هذا العصيان والاعتداء خلُقاً للأُمّة وطبعاً لها يتوارثه الأبناء عن الآباء بلا نكير"⁽³⁾، فالظلم أمّ الرذائل لشموله ظلم الإنسان نفسه بدنّاً وعقلاً

10

15

20

(1) العروة الوثقى، الأفغاني/ ص 214.

(2) ينظر: تفسير المنار، رضا/ ص 211-216، [الأنفال: 53] (35-31/10).

(3) المصدر نفسه / (52/4).

وديناً، وظلمه لغيره.⁽¹⁾ وغير ذلك من أنواع الظلم والمعاصي والكبائر كالربا والخيانة والرشوة، فالأُمم لا تفسد دفعة واحدة؛ بل بالتدريج،⁽²⁾ وقال تعالى عنهم أيضاً: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٦٠]، قال السيّد رشيد: "ومن ظلم نفسه كان لغيره أظلم، وإن كان ظلمه لنفسه ممّا يجهل أنّه ظلم لها، لأنّه يتجلّى له في صورة المنفعة، وإنّما تكون عاقبته المضرة، وهكذا شأن جميع الظالمين والمجرمين، ينوون بظلمهم وإجرامهم نفع أنفسهم جهالة منهم، ولا يزال طوائف من بني إسرائيل يقدمون على ضروب من ظلم الناس، يقصدون بها نفع أنفسهم وقومهم، وهي تنذر بخطر كبير، وشر مستطير"⁽³⁾، وقال: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [سورة هود: ١٠١]، ظلّموها بإصرارهم على الشرك والفساد، فاستحقّوا الهلاك والخسار، وكذلك من كان على شاكلتهم في الظلم والفساد والفجور في كلّ زمان ومكان ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْفُرَىٰ وَهِيَ ظَلِيمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [سورة هود: ١٠٢].⁽⁴⁾

5

وقد نبّه الله تعالى من بغتة عقاب الأمم على ظلمها لنفسها بقوله: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٤]؛ أي: بسبب عصيانهم الرسل وما جاؤوا به من الوحي، خسروا أنفسهم وضاع عزّهم، فندموا لما رأوا العذاب، واعترفوا بظلمهم أنفسهم بتكذيب الأنبياء ومعاداتهم لهم، ولكن بعد فوات الأوان، قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٥].⁽⁵⁾

10

ومن أشدّ أنواع الظلم تأثيراً في المجتمعات ظلم الحكّام، لذلك لما تفضّل الله تعالى على سيّدنا إبراهيم ﷺ بالإمامة، وطلب من ربّه سبحانه أن يجعلها في ذريّته خصّها الله تعالى بمن لم يتّصف بالظلم منهم، فقال: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٢٤]، وقد

15

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (50/4-52)، و(157/12).

(2) ينظر: المصدر نفسه / [النساء: 160] [43/6-45]، [الأعراف: 168] [281/9].

(3) تفسير المنار، رضا/ [الأعراف: 160] [272/9-273].

(4) ينظر: المصدر نفسه / (106/12-107 و169).

(5) ينظر: المصدر نفسه / (250/8-251) و(276/9).

حملها السيّد رشيد على جميع أنواع الظلم،⁽¹⁾ لأنّ الظالم قدوة باطل وشرّ، وإنّما يستحقّ الإمامة من اقتدى بأوصاف نبيّه ﷺ التي وصفه الله بها، ومنها: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [سورة هود: ٧٥]، و﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة النحل: ١٢٠]، فيكون متّصفاً بالعلم والأخلاق التي تسوقه إلى الخير وترعه عن الشرّ - كما قال الشيخ محمّد عبده - فإنّ الحاكم الظالم لا يؤتمن على دين الأُمّة، فقد تعرّض الأئمّة الأربعة - رحمهم الله - لأذى السلطان، بسبب التفاف الناس حولهم وأخذهم من علومهم، ورفضهم مجارة السلاطين فيما يخالف الدين، فما زادهم ذلك إلّا رفعة بين الناس، لأنّ الغالب على الناس في زمانهم طلب الحقّ ونصرة الدين، وقد فرّق السيّد رشيد بين عصر الأئمّة الأربعة وعصره من هذه الناحية، إذ أصبح بعض الناس يقيس صلاح العالم وفسوقه برضا السلطان وغضبه عليه، وذلك باستعانتهم بالعلماء الظالمين، وبذلك كانوا ناقضين لعهد الله كما دلّت عليه خاتمة الآية.⁽²⁾

5

قال الشيخ محمّد عبده: "اكتفى في الجواب بذكر المانع من منصب الإمامة مطلقاً - وهو الظلم - لتنفير ذرية إبراهيم من الظلم وتبغيضه إليهم، ليتحاموه وينشئوا أولادهم على كراهته، ويربّوهم على التباعد عنه لكيلا يقعوا فيه فيحرموا من هذا المنصب العظيم الذي هو أعلى المناصب وأشرفها، ولتنفير سائر الناس من الظالمين وترغيبهم عن الاقتداء بهم... وقد درجوا على ذلك في كلّ عصر ما عدا عصر النبوة وما قاربه، كعصر خلافة النبوة، كما يعلم من شهادة التاريخ التي لا تردّ".⁽³⁾

10

2. الفساد في الأرض: من أهمّ أسباب انحلال الأمم وضياعها، وقد فطن الناس عامّة إلى ارتباط بقاء الأمم بصلاحها وحسن أخلاقها جملة؛ ولكنّهم جهلوا تفصيل ذلك، وتأثير كلّ خلق في الأُمّة وجوداً وعدمًا، فألف بعضهم ما يرى في مجتمعه من مفساد، وصار يعدّها من ضرورات الحياة، حتّى ظهر في العصور الحديثة من يشكّك في حسن بعض الأخلاق وقبحها كالحياء والرحمة والعفة، فإذا فشا الفساد

15

(1) حمل بعض المفسّرين الظلم على الشرك، وقد روي عن سعيد بن جبير، وإليه ذهب الألوسيّ من المتأخّرين، لقوله تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٤]، واختار تفسير المنار إبقاء اللفظ على عمومته. ينظر: تفسير القرطبيّ / [البقرة: 124] (369/2)، وتفسير ابن كثير / [البقرة: 124] (410/1)، وروح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الألوسيّ / [البقرة: 124] (375/1).

(2) ينظر: تفسير المنار، رضا / (86/1 و327-329و).

(3) المصدر نفسه / (327/1).

وعمّ وقع العذاب،⁽¹⁾ قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَنْهَوْتَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [سورة هود: ١١٦]، وهم الخيار أولو النهي الذين يتبعون الأنبياء ويلزمونهم في طريق الدعوة والإصلاح الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، الذين يحفظ الله بهم الأمم من الهلاك، ولا يقصد بهم الصالحون في أنفسهم المكثرون من العبادات فحسب، فالمصلحون ينجيهم الله إذا لم يمثل الناس لأمرهم ونهيهم ووقع العذاب بأقوامهم، ثم قال مقررًا سنته في إنجاء الأمم ما داموا مصلحين في الأرض قائمين بعمارتهما محتنبين للفساد والظلم: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ [سورة هود: ١١٧]، وللظلم هنا ثلاثة وجوه: أولها: وما كان شأن الله تعالى أن يظلم الناس بإهلاكهم حال كونهم مصلحين،⁽²⁾ والثاني: أن الظلم هو الشرك لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة لقمان: ١٣]،⁽³⁾ فالمنعنى: أن الله لا يهلكهم بشركهم ما داموا مصلحين في حياتهم الاجتماعية مقيمين لسنن العدل فيما بينهم، فقد ورد في معناها: ((وَأَهْلُهَا يُنْصَفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا))،⁽⁴⁾ والثالث: أن الله لا يهلك الأمة بالظلم القليل من أهلها لأنفسهم ما دام الإصلاح غالباً عليهم،⁽⁵⁾ قال السيّد رشيد:

5

10

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (10/30-31) و(12/77).

(2) ممّن ذهب إليه: الطبري والزنجشيري والآلوسي، فقوله: (بظلم) حال من الفاعل، والباء للملابسة. ينظر: تفسير الطبري/ [سورة هود: ١١٧] (12/631)، والكشاف، الزنجشيري/ [سورة هود: ١١٧] (3/247)، وروح المعاني، الآلوسي/ [سورة هود: ١١٧] (6/356).

(3) ممّن ذهب إليه: القرطبي والشوكاني والمراغي، فالباء عندهم للسببية؛ أي: لا يهلكهم بسبب شركهم حتى يجمعوا معه الفساد في الأرض. ينظر: تفسير القرطبي/ [سورة هود: ١١٧] (11/234)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد ابن علي بن محمد الشوكاني/ [سورة هود: ١١٧] ص 680، تفسير المراغي/ [سورة هود: ١١٧] (12/97-98).

(4) عن جرير رحمته الله: المعجم، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي، باب الألف/ رقم: 72/ ص 84. المعجم، أحمد بن محمد بن زياد ابن الأعرابي، باب الهاء مرفوعاً/ رقم: 2403/ (3/1113). المعجم الكبير للطبراني، مسند جرير بن عبد الله البجلي/ رقم: 228 (2/308). وعزاه السيوطي إلى الطبراني وأبي الشيخ وابن مردويه والديلمي مرفوعاً، وإلى ابن أبي حاتم والخراطي في مساوي الأخلاق موقوفاً. ينظر: الدر المنثور/ (8/169-170). وفي سنده راو متروك. ينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن علي بن أبي بكر الهيثمي/ (7/120).

(5) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [هود: 116] (12/131-132)، (12/159 و168-169).

"والأوجه الثلاثة في الآية صحيحة، ويجوز إرادتها كلها على القول بأن جميع ما يدل عليه الكلام مما شأن صاحبه أن يعلمه، ولا يكون متعارضاً في نفسه يصح أن يكون مراداً له".⁽¹⁾

فانتشار الفساد في الأمة، وإصرارها عليه، حتى يصير سمة عامة لها هو سبب هلاكها، ولا تهلك أمة بفساد بعض أفرادها، فالعبرة للغالب، لذلك يُحكم بفساد أمة إلى غلب عليها الفساد، ويُحكم بصلاحها إذا غلب عليها الفساد.⁽²⁾

5

والظلم من أهم أسباب الفساد، فهو مفسد للأخلاق والفطرة والعقيدة، كما أفسد ظلم فرعون أخلاق بني إسرائيل باستعباده لهم، وتمكّن الذلّ والجبن من نفوس بني إسرائيل، وأثر سلباً على عقيدتهم إذ اتخذوا من حليّهم عجلاً يعبدونه، رغم محاولات سيّدنا موسى ﷺ لتصحيح عقيدتهم، وتقويم أخلاقهم، واستعادة عزّهم،⁽³⁾ قال السيّد رشيد: "فعلينا أن نعتبر بهذه الأمثال التي بيّنها الله تعالى لنا، ونعلم أن إصلاح الأمم بعد فسادها بالظلم والاستبداد إنّما يكون بإنشاء جيل جديد يجمع بين حرّية البداوة واستقلالها وعزّها، وبين معرفة الشريعة والفضائل والعمل بها".⁽⁴⁾ لذلك ربط الله بين ظلم فرعون وملئه وإفسادهم في قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ

10

عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٠٣]، فكان نصر الله تعالى لنبيّه وشعبه المستضعفين على أعتى قوّة في زمانها بإبطال حجّتهم -وهي السحر- وإثبات نبوّته بالآيات البينات، ثمّ بإرسال العذاب إنذاراً لهم، ثمّ بإغراق المفسدين ونجاة المؤمنين، وفي هذا نذير للمغرورين بقوّة الغرب المادّيّة، الذين يحسبون أنّهم منصورون بها على الحقّ وأهله،⁽⁵⁾ أمّا العاقبة التي شوق إليها القرآن، فقد جاءت في خاتمة القصّة بقوله: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا

15

(1) تفسير المنار، رضا/ [هود: 116] (132/12).

(2) ينظر: مفهوم السنن الإلهيّة، محي الدين/ ص 275-276.

(3) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [المائدة: 26] (250-249/6)، (159/12).

(4) المصدر نفسه/ [المائدة: 26] (250/6).

(5) ينظر: المصدر نفسه/ (31/9).

يَعْرِشُونَ ﴿[سورة الأعراف: ١٣٧]، وقد لخص السيد رشيد العبرة من القصة من وجهين: أولهما: الاقتداء بموسى وهارون -عليهما السلام- بمواجهتهما أعظم ملوك الأرض، ودعوته إلى الدين الحق، والإصلاح بعد الفساد مستمدّين قوّتهما من إيمانهما بالله الذي وعدهما بمعيته وأمنهما مكر عدوّهما، وقد وعد المؤمنين بمثل ما وعد به رسله بقوله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الروم: ٤٧]، فيجب ألاّ تمنع قلة العدد من السعي في إحقاق الحق، فالذي نصر رجلين قادر على نصر الأعداد الكبيرة من المؤمنين، ففي كلّ زمان أشباه لفرعون، يغوون الناس ويستعبدونهم، ومنهم من يدعي الإسلام. والثاني: الاستعداد لورثة الأرض المقدسة واستعدادها بالصبر والتقوى واتخاذ الأسباب، وقد مرّ تفصيل ذلك.⁽¹⁾ وبذلك -أيضاً- نصر الله تعالى سيّدنا شعباً ﷺ على الكافرين من قومه، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا سُعَيْبًا كَانَتْ لَهُمْ يَغْنَوُ فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا سُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٩٢]. قال السيد رشيد في ترتب الجزاء على الذنب: "ومناسبة الجزاء للذنب يجعل الحرص على التمتع بالوطن والاستعداد فيه على أهل الحق سبباً للحرمان الأبديّ منه، وجعل الحرص على الربح بأكل أموال الناس بالباطل سبباً للخسران بالحرمان منه ومن غيره".⁽²⁾

5

10

وقد قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٣٤]، فأجال الأمم منوطة بارتكابها الفواحش والموبقات المفسدة للأمم، وقد ذكرها في الآية السابقة بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُزَلَّ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٣٣]،⁽³⁾ ويجدر التنبيه إلى ما نبّه إليه السيد رشيد من أن الأمم تتفاوت في سرعة هلاكها بالفساد والفسوق كما تتفاوت الأجساد في سرعة هلاكها بتعرضها للأمراض والأوبئة كلّ حسب مناعته، فإنّ بعضها كأوروبّا -كما مثّل السيد رشيد- لديها من القوى الماديّة والمعنويّة ما تقاوم به هذه المهلكات، وأهمّها التنظيم حتّى في باطلها، ويتبعه قلب الحقائق، وإظهار الفساد بصورة الإصلاح، وإقناع المظلومين بنصرة ظالمهم، قال الشيخ محمّد عبده: "إنّه ثابت بالتبع للنظام

15

20

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (76/9-77)، [هود: 96] [105/12-106].

(2) المصدر نفسه/ (11/9).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ (322/8-323).

الذي هو أقوى الحق؛ أي: فهو يزول إذا قذف عليه بحق مؤيد بنظام مثله أو خير منه... بيد أنّ هذا كله لا يمنع انتقام الله منهم، وإنما يجري على مقتضى سننه في تأخيرهم عنهم"،⁽¹⁾ ويكون هذا التأخير بالتقدم الحضاري في المجالات كلّها، وتصحيح المسار بالعودة إلى الحق والعدل، وتلافي أسباب الهلاك قبل استحكامها في الأمة، ويمتنع الهلاك بالإصلاح الحقيقي، ونصرة الحق، وقد شهد عصره سقوط العديد من الدول والممالك كالدولة العثمانية، ونشوء أخرى على أنقاضها.⁽²⁾

5

تحدث القرآن الكريم عن صور عدّة للإفساد في الأرض، منها تنازع الزعماء المجرمين مع الرسل ودعاة الإصلاح على مستوى الأفراد والشعوب والدول، لأجل حفظ المصالح الدنيوية والمكاسب الشخصية ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُّجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ [سورة الأنعام: ١٢٣]؛ لأنّ الزعماء والكبراء أقدر الناس على المكر، ولسرعة تأثيرهم في العامة؛ ولكنّ مكرهم يحيق بهم بهلاكهم، ونصر المصلحين عليهم ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٣]، وقد جعل السيّد رشيد الاتحاديّين منهم، الذين حاربوا الدين وحاولوا طمس معالمه،⁽³⁾ وقال أيضاً: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [سورة الإسراء: ١٦]؛ أي: أمرناهم باتباع الرسل والتوحيد والصالح والإصلاح، فقابلوا الأمر بالفسوق والفساد والإصرار، فاستحقوا الدمار والهلاك،⁽⁴⁾ وقد فرق السيّد رشيد بين مجرمي اليوم وأسلافهم بقوله: "إنّما يمكر أكثر زعماء الأمم اليوم بأمثالهم من المعارضين لهم من أمّتهم في الأمور الداخليّة، ومن خصومها في السياسة الخارجيّة والمطامع الأجنبية، فمكرهم في الغالب باطل يصادم باطلاً، وإن كان بعضه يسمّى حقّاً عرقياً أو سياسياً، فإن وجد في بعض هذا الصدام حقّ صحيح ووجد من يؤيّده وينصره، فلا بدّ أن تكون العاقبة له".⁽⁵⁾

10

15

وسلّط القرآن الكريم الضوء على صورة أخرى من صور الإفساد في الأرض، والتنازع بين أهل

(1) تفسير المنار، رضا/ (325/8).

(2) ينظر: المصدر نفسه/ (325-324/8)، ومفهوم السنن الإلهيّة، محي الدين/ ص 278 و 288.

(3) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (28-27/8).

(4) ينظر: تفسير ابن كثير/ [الأنعام: 123] (331/3)، وتفسير المنار، رضا/ (29 و 27/8).

(5) تفسير المنار، رضا/ (29/8).

الفضيلة والحق، وأهل الرذيلة والباطل، وهي التنازع بين رجال المال ودعاة الإصلاح في ضرورة الكسب من حلال أو من غيره، وقدوتهم في ذلك قوم سيدنا شعيب عليه السلام، إذ كان التطفيف وأكل أموال الناس بالباطل وجمع الثروة من أيّ سبيل من خصالهم فاستحقّوا به الهلاك ووقوع العذاب.⁽¹⁾

ومن صور الفساد -أيضاً- سعي العلماء الفاسدين إلى إفساد التربية وحلّ الروابط والسعي للمنافع الشخصية، وإقناع الناس بضرورة الاستعمار بحجج واهية لا أصل لها.⁽²⁾

5

ولعظم التأثير السلبي للفساد على إقامة الدين وعمارة الأرض وتنظيم المجتمعات أوجب الله تعالى دفعه بالوسائل المناسبة، ومنها الجهاد، فقد بيّن السيّد رشيد أنّ الله تعالى شرعه سداً لذريعة الفساد في الأرض، وتعطيل دين الله ولحماية الحق والحقيقة، ودفع الهلاك عن الأمة، كما هلك القوم الذين جنبوا عن لقاء العدو، الذين ذكرهم الله بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٣]، دلّ عليه قوله تعالى عقب قصة قتال طالوت وجالوت: ﴿وَلَوْ لَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٥١]، وقوله: ﴿وَلَوْ لَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدِمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [سورة الحج: ٤٠].⁽³⁾

10

15

3. الإسراف واتباع الترف: وذلك باستعمال النعم لغير ما خلقت له، وعدم شكر المنعم عليها، وتسخيرها لاستعباد الضعفاء، والتقاتل على الاستزادة من الثروات والغنى، وهذا سبب توفّع السيّد رشيد وحكماء عصره قرب هلاك أوروبا، كما أهلك أقوام الرسل من قبل بإترافها وبطرها وإعراضها عن الإصلاح وانغماسها في المدنية المادية البعيدة عن الأخلاق والفضيلة، وكما هلك الكماليون والاتحاديون بافتانهم

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [الأعراف: 85] (416/8) و(167/12).

(2) ينظر: المصدر نفسه/ [الأنعام: 129] (83/8).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ (91-90/1) و(327/2).

بالمديّنات الغربيّة. ⁽¹⁾ فإن الترف يؤدّي إلى الطغيان، بسبب شعور المترفين بالاستغناء كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَاطِئٌ ۖ (٦) أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ [سورة العلق: ٦-٧]، ممّا يسوقهم إلى الغرور واعتقاد محبة الله تعالى لهم، لما يصدقهم عليهم من النعم؛ ولكن الله تعالى أجابهم بقوله: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [سورة سبأ: ٣٧]. ⁽²⁾

وقد قال الله تعالى في السابقين: ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [سورة هود: ١١٦]؛ أي: أبطرتهم النعم، وأفسد أخلاقهم الترف، وذهب بمجامع عقولهم حتى رسخوا في الإجرام، وافتتنوا بالنعمة وفضلوها على اتباع الرسل، فكان المترفون مهلكي الأمم ومفسديها "فالإتراف هو الباعث على الإسراف والفسوق والعصيان والظلم والإجرام، يظهر في الكبراء والرؤساء، ويسري بالتقليد في الدهماء، فيكون سبب الهلاك بالاستئصال، أو فقد الاستقلال، وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [سورة الإسراء: ١٦]؛" ⁽³⁾ بل إنّ الطغيان الماليّ يؤدّي إلى الشرك والضلال، وعداوة الأنبياء والمصلحي حسب سنة الله تعالى في خلقه، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [سورة سبأ: ٣٤]، ⁽⁴⁾ فقوة الغرب وثروته هي المهلكة له بإقرار حكمائه، وإنّ مقلّديهم في إترافهم وإسرافهم من الأمم الضعيفة التي لا تمتلك قوة الغرب الصناعية والحربيّة أولى بالهلاك، وهو منهم أقرب، ولو اتّبعوا الصحابة ﷺ في اعتدالهم وتغليبهم جانب الخشونة لنالوا ما نالوا من الفتوح والأعجاد. ⁽⁵⁾

وقد شبه تصرف الملوك المترفين في الأمم الضالّة الجاهلة بتصرف الراعي بالغنم السائمة، يسعون

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا / (19-16/9). ومحمد رشيد رضا: الرحلة الأوروبيّة-6/ مجلّة المنار / (1341/2/29) - (1922/10/20م) / (638-640).

(2) ينظر: مفهوم السنن الإلهيّة، محي الدين / ص 46 و 48.

(3) تفسير المنار، رضا / [الأعراف: 95] (131/12).

(4) ينظر: مفهوم السنن الإلهيّة، محي الدين / ص 48-50.

(5) ينظر: تفسير المنار، رضا / [هود: 116] (131-132/12) (153-154/12).

للملأتهم الشخصية وجمع الثروات والحرص على السلطان، ويتخذون بطانة مترفة على شاكلتهم، فما يكون من الدهماء إلا أتباعهم تدريجياً، حتى يغلب الفساد الصلاح، والفسوق التقوى، فيسرع الهلاك إلى الأمة، ولو كان الغالب على الجمهور العلم والتقوى ومراعاة السنن لم يكن لزعمائهم سلطة عليهم؛ بل تكون السلطة لهم عن طريق أهل الحل والعقد، ومثل السيد رشيد لذلك بالدولة الأموية، فعلى تسارع الانهيار إليها في عهد ضعفها بغلبة العلم والصلاح على رعاياها آنذاك، فلم يكتب لها بقاء لما فسدت، وهم صالحون. والملك الصالح يتخذ بطانته على شاكلته -أيضاً- فيسري صلاحهم جميعاً إلى عامة الناس، ويأخذون على يد الفاسد، فتقوى دولتهم وتعزّز أمتهم، وقد تعلّمت الدول الغربية من الإسلام جعل نواب من أهل الحل والعقد، يشاركون القواد في حكمهم ويراقبونهم في تصرفهم في شؤون الأمة.⁽¹⁾ قال السيد رشيد: "وأما الأمم العاملة بسنن الاجتماع ذات الرأي الذي يمثله الزعماء الذين تعتمد عليهم في الحل والعقد، فلا يستطيع الملوك أن يتصرفوا فيها كما يشاءون... بل يكونون فيها تحت مراقبة أولي الأمر منها".⁽²⁾

5

10

4. التفرق في الدين: هدّد الله تعالى المؤمنين ببراءة النبي ﷺ من المتفرّقين بالدين منهم من خلال

برأته من متفرّقي أهل الكتاب في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٩]، فالحكم وإن كان في أهل الكتاب، إلا أنه عام، أوردته الله تعالى للاعتبار به ولحملة على كل من اتّصف بما يوجب، وقد اجتهد السيد رشيد في تحديد أسباب التفرّق، فذكر خمسة: النزاعات السياسية، والعصبية الجنسية، والعصبية المذهبية، والقول بالرأي، ودسائس الأعداء لإذكاء الأسباب السابقة،⁽³⁾ وقال تعالى أيضاً: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنُطْبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٠٠]، فالله الذي أصاب الأمم السابقة بذنوبهم قادر على أن يصيب أصحاب الذنوب في عصر النبوة وما بعده ما داموا مصرّين على معصيتهم، لذلك دعاهم إذا ورثوا أرضاً أن ينظروا في أسباب سقوط أسلافهم، ليتقوا أسباب الفساد والهلاك، بإعمال سنن الله المطردة البعيدة عن المصادفة، فذنوب الأمم لا تغفر كذنوب

15

20

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [الأنعام: 129] [81/82-82].

(2) المصدر نفسه/ [الأنعام: 129] [82/82].

(3) ينظر: المصدر نفسه/ [8/173-174].

الأفراد، "قد كان ينبغي للمسلمين وهذا كتابهم من عند الله عز وجل أن يتقوه تعالى باتقاء كل ما قصه عليهم من ذنوب الأمم التي هلك بها من قبلهم وزال ملكهم، ودالت بسببها الدولة لأعدائهم؛ إذ بين لهم أن ذنوب الأمم لا تغفر كذنوب بعض الأفراد، وسنته فيها لا تبدل ولا تتحول"،⁽¹⁾ وفي معناها قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [سورة طه: ١٢٨]، ومثلها: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [سورة السجدة: ٢٦]، وعده السيد رشيد قوله تعالى عن عقوبة قوم لوط عليه السلام: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [سورة هود: ٨٣] تعريضاً بمشركي مكة ليعتبروا بما حلّ بهم بسبب ظلمهم، فحمل البعد على المعنى المكاني؛ إذ قرى قوم لوط تقع على طريقهم إلى الشام؛ بل هي عامة يعتبر بها كل الظالمين على مدى الزمان والمكان، كل حسب شدة ظلمه وإصراره عليه.⁽²⁾

5

كما نبّه السيد رشيد إلى سريان كثير من فساد اليهود -الذين تفرّقوا في دينهم فاستحقوا التقطع والتفرّق في الأرض- إلى المسلمين، وفسدت أمتهم بالتدريج، كما يجري للمسلمين اليوم أيضاً، وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُ الَّذِي أَخَذُوهُ﴾ [سورة الأعراف: ١٦٩]، فغلب على كثير من العوامّ ومدعي العلم -إلا من رحم الله- الطمع في عرض الدنيا الزائل، والغرور بالشفاعات والمكفّرات والألقاب الدينية، مع أنّ الله قصّ علينا قصصهم لنعبر بها، وحذّرنا على لسان رسوله ﷺ من اتباع سننهم، وقرّر أنّ الدار الآخرة خير ممّا يسعى إليه أهل الدنيا من المسلمين وأهل الكتاب ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٦٩].⁽³⁾

10

15

وقد قرّر السيد رشيد أنّه سبب في هلاك الأمم وفساد الدين نفسه، والحرمان من رحمة الله تعالى ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١١٨) ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ [سورة هود: ١١٨-١١٩] بشهادة سنن التاريخ، وقد وصف الله تعالى علاج هذه الآفة بالاعتصام بالكتاب والسنة، واجتناب التفرّق والتنازع في الأصول القطعية، والرجوع

20

(1) تفسير المنار، رضا/ (23/9-24).

(2) ينظر: المصدر نفسه/ (95-96).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ (281-282/9).

إلى أولي الأمر وأصحاب الرأي في كل المجالات، وليس في الدين فقط، إلا أن هذه الفئة قليلة في العصر الحديث، ولن يكون لهذه علاج ينفع إن لم تعمل الأمة على تأهيل عدد كاف من أولي البصائر في كل اختصاص؛⁽¹⁾ ولكن أهل الأهواء اليوم يقاتلون المصلحين ودعاة العدالة والفضيلة ويبعادونهم متبعين بذلك

اليهود الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ

وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١١﴾ أُولَٰئِكَ

5

الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿١٢﴾ [سورة آل عمران: ٢١-٢٢]،

وقوله: ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ يدل على قتلهم، وقد حمل السيد رشيد الأمرين بالقسط على العموم لتشمل من آمن بالرسالات وغيرهم، وذلك لتكرار فعل القتل، فلم يقل: (ويقتلون النبيين بغير حق والذين يأمرهم بالقسط من الناس)، "وفي هذا من تعظيم شأن الحكمة والعدالة ما فيه، من شرف الإسلام وإرشاد أهله

إلى أن يكونوا من أهل هذه المرتبة التي تلي مرتبة النبوة، ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا

10

وَمَا يَدْكُرُ إِلَّا أَهْلُ الْأَلْبَابِ﴾ [سورة البقرة: ٢٦٩]".⁽²⁾

وقد نقل عن الإمام الغزالي طريقته في الوقاية من شرور هذا الخلاف وفقاً لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا

مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ

لِلنَّاسِ﴾ [سورة الحديد: ٢٥]، وذلك بتصنيف الناس ثلاثة أصناف: خواص متصفون بالذكاء الفطري

والاستقلال الفكري، فهؤلاء يزول الخلاف بينهم بتعلم موازين القسط وأصول الاستدلال من أهل العلم والبصيرة. وعوام أهل سلامة لم تنصرف أذهانهم إلى هذه الخلافات، فيدعون بالموعظة الحسنة وبما جاء في

القرآن الكريم والسنة، ويُنْهَوْنَ عن الخوض في الخلافات. وبينهما صنف ثالث؛ وهم أهل الجدل والشغب المتحذلقون الذين يبتغون الفتنة، فعلاجهم المجادلة بالتي هي أحسن، فالميزان للخواص، والكتاب للعوام، والحديد -وهو قوة السلطان كما وضّح السيد رشيد- لأهل الجدل والشغب، وقد جمع الله تعالى هؤلاء

الثلاثة في قوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة

15

20

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [البقرة: 253] (9/3)، (172/12).

(2) المصدر نفسه/ [آل عمران: 21] (184/3).

النحل: ١٢٥]،^(١) وبمراعاة هذه المستويات الثلاثة المبينة في الآية تمتاز دعوة الأنبياء على دعوة الحكماء إلى التوحيد- كفلاسفة اليونان مثلاً- الذين لم يتبعهم إلا عدد قليل من خواص طلائعهم، أمّا الأنبياء عليهم السلام فقد كانوا أكثر تبعاً - بنحو عام- ومن جميع مستويات المجتمع.^(٢)

المطلب الثالث: الاعتبار بعاقبة الأمم في الدنيا

بيّن القرآن الكريم أنّ من يخالف أوامر الله تعالى تناله عقوبة تتناسب مع قدر ذنبه، والهدف من هذه العقوبة إصلاح الأرض، والعودة بالناس إلى الصراط المستقيم، والتزام سننه في المجتمعات والأمم، لذلك كانت هذه العقوبات تربية لهم وعبرة وموعظة تكمل نفوسهم، فلا تكون تعذيباً محضاً، علّق السيّد رشيد على قوله تعالى: ﴿فِظْلَمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [سورة النساء: ١٦٠]، قال: "فحرّمناها عليهم عقوبة وتربية لهم لعلهم يرجعون عن ظلمهم".^(٣)

ولا تؤدي هذه التربية أكلها إلا إذا كانت مطردة، تترتب على الذنب كلّما وقع في أمة وصار سمة عامّة لها، أمّا الأفراد فلا يُلاحظ هذا الاطراد في عقوبتهم، والسبب في ذلك قصر عمر الفرد، فقد لا يتسع لظهور أثر الذنب على صاحبه، وكثيراً ما يكون هذا الأثر على التراخي، فيصعب على الفرد ربط الذنب بعقوبته، ومعرفة أنّه سبب له، كالأُمراض المزمنة الناتجة عن شرب المسكرات، أمّا الأمم فعمرها عبارة عن مجموع أعمار أفرادها، يتناوبون في الإبقاء عليها كما تتجدّد خلايا الجسم فيخلف بعضها بعضاً، فأجالها أطول من آجال الأفراد، فتظهر آثار ذنوبها فيها، مع إمكانيّة التوبة في الأمم كما الأفراد، بأن تعرف الأمة سبب بلائها ومقاربة فنائها، فلا تجد سبيلاً لإنقاذ نفسها إلا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [سورة الرعد: ١١]، وقليلاً ما تتنبّه أمة إلى ضرورة التوبة والإصلاح قبل وقوع العقوبة فيها، وحكم القرى والجماعات الصغيرة كالأفراد في عدم اشتراط الاطراد في عقوبتها الدنيويّة،^(٤) وقد أمر الأنبياء

(1) ينظر: القسطاس المستقيم، أبو حامد الغزالي/ ص 62-65، تفسير المنار، رضا/ [البقرة: 253] [10/3-11].

(2) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [آل عمران: 21] [183/3-184].

(3) المصدر نفسه/ (43/6)، وينظر: [المائدة: 18] [235/6].

(4) ينظر: المصدر نفسه/ [الأعراف: 84] [409/8]، [الأعراف: 170] [278/9].

عليهم السلام أقوامهم بالتوبة في مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْنِعْكُمْ مِّنْعَا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ، وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [سورة هود: ٣]، وقوله على لسان سيّدنا هود عليه السلام: ﴿وَيَقُومِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدَّكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [سورة هود: ٥٢]، وقوله على لسان سيّدنا شعيب عليه السلام: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [سورة هود: ٩٠]، قال السيّد رشيد: "فالأيات الثلاث بيان لسنة من سنن الاجتماع، وهو أنّ الصلاح والإصلاح سبب لارتقاء الأقوام والأمم وحفظها، كما أنه سبب لارتقاء الأفراد، والخطاب هنا للأقوام لا للأفراد، وما كل فرد يعاقب على ذنوبه في الدنيا؛ ولكن كل أمة تعاقب على ذنوبها في الدنيا".⁽¹⁾

5

ولم يجعل تفسير المنار عقوبات الأمم على نسق واحد؛ بل ميّز بين أنواع منها، فيمكن تقسيمها من حيثيتين: الأولى ترتبها على أسبابها، والثانية شدتها على النحو الآتي:

10

أولاً: عقوبة الأمم حسب ترتبها على أسبابها:

1. عقاب وضعي تشريعي: "العقاب بما توعّد تعالى به على مخالفة رسله ومعاندتهم، وهو من قبيل عقاب الحكام لرعاياهم على مخالفة شرائع أمّتهم وقوانينها ونظمها، كالتشديد في التكليف في عهد النبوات، والحدود والتعزيرات والكفارات"،⁽²⁾ ويكون إما بالاستئصال لمن جادلوا الرسل وطالبوا بالبينات، ثم لم يؤمنوا بها، رغم توعّد الله لهم بالإهلاك، وإما بالهزيمة والخزي لهم، وانتصار الرسل عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُم رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [سورة يونس: ١٣].⁽³⁾

15

2. عقاب طبيعي: وهو ما يترتب على الآثام والمعاصي من الآثار ويكون نتيجة لها، "وهو من قبيل ما يعاقب به المريض على مخالفة أمر طبيبه في معالجته له، من الحمية والاقتصار على كذا من

(1) تفسير المنار، رضا/ (165/12).

(2) المصدر نفسه/ (423/9).

(3) ينظر: المصدر نفسه/ (44/6)، [الأعراف: 34] (321/8-322)، (110/10)، (229/11)، (165/12-166).

الغذاء...⁽¹⁾، فهو عقاب ثابت مطرد معجل في الدنيا إذا تحققت أسبابه وانتفت موانعه، ليكون عبرة ووقاية للأمم اللاحقة،⁽²⁾ وذلك كإفضاء الظلم إلى الضعف والاختلال، ثم فقد الاستقلال مؤقتاً إذا كان الظلم عارضاً، كما قال تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٣]، وقد يصل إلى الزوال، إذا استفحل حتى لم تعد الأمة صالحة للحياة، كما قال: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ١١]، وهذا النوع مرتبط بسنن الاجتماع والعمران، ومنه ما بينه الله تعالى كأخذه فرعون وملته، قال: ﴿كَذَّابٍ عَلِيلٍ فِرْعَوْنُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَلَاخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [سورة آل عمران: ١١]، وهو ذنوبهم المتمثلة بالكفر وما يتفرع عنه من فساد في الأرض.⁽³⁾

5

ثانياً: عقوبة الأمم حسب شدتها:

1. فقد الاستقلال: وما يتبعه من خزي وضعف وذل، وهو ناتج عن مزاولة المعاصي وارتكاب الذنوب، كالظلم والترف والإسراف وما يترتب عليه من الفسوق وفساد الأخلاق والتفريق، ومخالفة هدي الكتاب، ومن أجمع الايات لأسبابه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٣٣]، فيؤدّي إلى ضعف الأمة واستيلاء غيرها عليها، وانقلاب سعادتها وعزّها شقاء ومهانة، واندغامها في الأمة المسيطرة عليها حتى لا يكون لها وجود يُعتبر، وكلّ ذلك منوط بسنن الله تعالى في الاجتماع والعمران البشري، قال السيّد رشيد: "فما من أمة من الأمم العزيزة السعيدة، ارتكبت هذه الضلالات والمفاسد المبيدة، إلّا سلبها الله سعادتها وعزّها، وسلّط عليها من استذلّها وسلب ملكها" ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلَمٌ شَدِيدٌ﴾ [سورة هود: ١٠٢]، وأمامنا تاريخ اليهود والرومان والفرس والعرب والتّرك وغيرهم، منهم من سلب ملكه كلّ، ومنهم من سلب بعضه أو أكثره، ومن لم يرجع إلى

10

15

(1) تفسير المنار، رضا/ (423/9).

(2) ينظر: مفهوم السنن الإلهية، محي الدين/ ص 272.

(3) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [آل عمران: 10] [163/3]، [الأعراف: 34] [322/8]، (109/10-110)، (229/11)، (166/12).

رشده، فإنه يُسلب ما بقي له منه،" (1) على أنّ للأمة أن تؤخّر وقوع ذلك إذا تنبّهت إلى ترك الفواحش والتزمت هداية كتابها قبل حلول أجلها، كما مرّ. (2)

2. الاستبدال: إذا ألفت الأمم الذلّ والاستعباد، وضعفت أمام تحكّم المستبدّين، وصارت هذه الخصال طباعاً ثابتة فيها، لم تعد بذلك جديرة بأن تكون أمماً مستقلة، فيستبدل الله تعالى بها أمماً أخرى خالية من هذه الصفات، لم تتعرّض لاستبداد المستبدّين، وظلم الظالمين، ولم تعتد الخنوع والاستسلام ومعاندة المصلحين، متّصفة بسلامة الفطرة ومعرفة الشريعة واتباعها، ولن يكون للأمم نخضة بعد الكبوة إلاّ بإنشاء هذا الجيل على يد المصلحين العالمين بسنن الله تعالى في الاجتماع، المخلصين في سعيهم للإصلاح عن بصيرة، ليثروا هذه المهمة عن الأنبياء عليهم السلام، وأوضح مثال على هذا بنو إسرائيل الذين أبوا أن يطيعوا رسولهم، فابتلاهم الله تعالى بالتيه، فهلكوا في أثناؤه ونشأ بعدهم جيل على غير طباعهم. (3) قال السيّد رشيد: "وعلى هذه السنة العادلة أمر الله تعالى بني إسرائيل بدخول الأرض المقدّسة بعد أن أراهم عجائب تأييده لرسوله إليهم، فأبوا واستكبروا، فأخذهم الله تعالى بذنوبهم، وأنشأ من بعدهم قوماً آخرين، جعلهم هم الأئمة الوارثين، جعلهم كذلك بهمهم وأعمالهم الموافقة لسنّته وشريعته المنزلة عليهم، فهذا بيان حكمة عصيانهم لموسى بعد ما جاءهم بالبينات، وحكمة حرمان الله تعالى لذلك الجيل منهم من الأرض المقدّسة". (4)

5

10

3. الاستئصال: وهو الإهلاك العام، والإبادة التامة، وقد جمع صوره قوله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذْنَاهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا﴾ [سورة العنكبوت: ٤٠]، ويستحقّ هذه العقوبة أقوام الرسل -عليهم السلام- الذين طلبوا المعجزات، والآيات البينات، فلمّا جاءتهم رسلهم بما طلبوا أعرضوا عنهم وكذبوهم، ثمّ منعوهم من نشر دعوتهم وصدّوا الناس عنها، قال السيّد رشيد: "وقد بيّنا في هذا التفسير أنّ عذاب الاستئصال إنّما وقع على الأمم التي عمّها الفساد، وأنذرنا الرسل وقوعه فلم يرجعوا، وأنّه ما وقع على قوم وفيهم مؤمن

15

20

(1) تفسير المنار، رضا / (322/8).

(2) ينظر: المصدر نفسه / [النساء: 160] (43/6)، [الأعراف: 34] (322/8-323) (409/8).

(3) ينظر: المصدر نفسه / [المائدة: 20-26] (250-249/6).

(4) المصدر نفسه / [المائدة: 20-26] (250/6).

صالح، وإِنَّمَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى يُخْرِجُ مِنْهُمْ رَسُولَهُ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ وَبِطَاعَتِهِ الْبَاقِينَ، كَمَا قَالَ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [سورة الإسراء: ١٥]، وَقَالَ: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَنِلْنَا مَسْكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ ٥٨ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [سورة القصص: ٥٨-٥٩]،^(١) وَهِيَ عَاقِبَةُ مَعْظَمِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ مِنْ قَوْمِ سَيِّدِنَا نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمُلْكِهِ.^(٢)

5

إِلَّا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ رَحِمَ الْأُمَّةَ الْمَحْمُودِيَّةَ مِنْ هَذِهِ الْعُقُوبَةِ، فَلَا يَنَالُهَا إِهْلَاكٌ عَامٌّ، وَالسَّبَبُ كَمَا قَالَ السَّيِّدُ رَشِيدٌ: "أَنَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّتِي وَجَّهَتْ إِلَيْهَا دَعْوَتَهُ هُمْ جَمِيعُ الْبَشَرِ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرْسَلَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَلِهَذَا لَا يَهْلِكُهَا بَعْدَ الْاِسْتِثْوَالِ، لِأَنَّهَا لَا تَجْمَعُ عَلَى الْكُفْرِ وَالْفُسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ هَلَاكُهَا الْعَامُّ بَقِيَامِ السَّاعَةِ الَّتِي يَهْلِكُ بِهَا الْبَشَرُ كُلُّهُمْ، وَهَذَا إِنَّمَا يَكُونُ إِذَا عَمَّهِمُ الْكُفْرُ"،^(٣) لِذَلِكَ لَمْ يَجِبْ لِلَّهِ قَوْمُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى مَا اقْتَرَحُوهُ مِنْ مَعْجَزَاتٍ، لِأَنَّ مِنْ سُنَّةِ اللَّهِ فِي النَّاسِ أَلَّا يَدْعُوهُ إِذَا رَأَوْهَا، إِذْ لَمْ يَطْلُبُوهَا إِلَّا جِدَالًا وَعِنَادًا، وَلَوْ أُجِيبُوا فَكَفَرُوا هَلَكُوا، وَقَدْ اسْتَرْحَمَ ﷺ رَبَّهُ مِنْ وَقُوعِ الْاِسْتِثْوَالِ بِأَمَّتِهِ، فَأَجَابَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى ذَلِكَ، رَوَى الْإِمَامُ الطَّبْرِيُّ عَنِ الْحَسَنِ فِي تَفْسِيرِهِ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [سورة الأنعام: ٦٥]: (...فَقَامَ رَسُولُ ﷺ فَتَوَضَّأَ، فَسَأَلَ رَبَّهُ أَلَّا يَرْسِلَ عَلَيْهِمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِهِمْ، أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ، وَلَا يَلْبَسَ أَمَّتَهُ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضَهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ، كَمَا أَذَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَهَبَطَ إِلَيْهِ جَبْرِيلُ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ سَأَلْتَ رَبَّكَ أَرْبَعًا، فَأَعْطَاكَ اثْنَتَيْنِ وَمَنْعَكَ اثْنَتَيْنِ؛ لَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ مِنْ فَوْقِهِمْ وَلَا مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ يَسْتَأْصِلُهُمْ، فَإِنَّهُمَا عَذَابَانِ لِكُلِّ أُمَّةٍ اسْتَجْمَعَتْ عَلَى تَكْذِيبِ نَبِيِّهَا وَرَدِّ كِتَابِ رَبِّهَا؛ وَلَكِنَّهُمْ يَلْبَسُهُمْ شِيعًا وَيُذِيقُ بَعْضَهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ، وَهَذَانِ عَذَابَانِ لِأَهْلِ الْاِثْمِ وَالْاِثْمِ بِالْاِثْمِ وَالتَّصَدِيقِ بِالْاَنْبِيَاءِ؛ وَلَكِنْ يَعْذِّبُونَ بِذُنُوبِهِمْ. وَأَوْحَى إِلَيْهِ: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٤١]. يَقُولُ: مِنْ أَمَّتِكَ، ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ﴾. مِنَ الْعَذَابِ وَأَنْتَ حَيٌّ، ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٤٢]. فَقَامَ نَبِيُّ اللَّهِ

10

15

20

(1) تفسير المنار، رضا/ (77/12).

(2) ينظر: المصدر نفسه/ [الأعراف: 4] (250/8)، [الأعراف: 34] (321-322/8)، (77/12).

(3) المصدر نفسه/ (77/12).

﴿فراجع ربه، فقال: ((أَيُّ مُصِيبَةٍ أَشَدُّ مِنْ أَنْ أَرَى أُمَّتِي يُعَذِّبُ بَعْضُهَا بَعْضًا؟)) وأوحى إليه: ﴿الْم ۝١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [سورة العنكبوت: ١-٣]، فأعلمه أنّ أمته لم تُخصَّ دون الأمم بالفتن، وأنها ستُبلى كما ابتُلِيَت الأمم. ثم أنزل عليه: ﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَّتِي مَا يُوعَدُونَ ﴿١٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة المؤمنون: ٩٣-٩٤]، فتعوذ نبي الله، فأعاده الله، لم ير من أمته إلا الجماعة والألفة والطاعة. ثم أنزل عليه آية حذّر فيها أصحابه الفتنة، فأخبره أنّه إنّما يُخصَّ بها ناس منهم دون ناس، فقال: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [سورة الأنفال: ٢٥]، فخصَّ بها أقواماً من أصحاب محمد ﷺ بعده، وعصم بها أقواماً،^(١) ذكر السيّد رشيد هذا الأثر الجامع للمسألة، وعلّق على الآية بأنّ المراد منها أنّ الفتنة لا تقتصر على الظالمين المتسبّين بوقوع العذاب فقط؛ بل تشمل من لم يأخذ على أيديهم من الأمة ولو عجزاً.^(٢)

5

10

وهذا لا يتعارض مع وقوع الكوارث في العالم من خسف وغرق وزلازل مهلكة للشعوب، فالممتنع عن الأمة هو أن يشمل الهلاك الأمة كلّها، كما أصاب عاداً وثمود وغيرهم، وأمّا قوله ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَلُغُ مُلْكُهَا مَا زَوَى لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَزْنَينِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةِ بَعَامَةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوّاً مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بِيضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّد، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أَهْلِكَهُمْ بِسَنَةِ عَامَةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوّاً مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحَ بِيضَتَهُمْ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا- أَوْ قَالَ: مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا- حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضاً، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضاً))،^(٣) فما وقع ويقع من تسلط الأمم على بلاد المسلمين ما هو إلا بمعونة بعضهم على بعض، وبتفرّقه شيعاً يذوق بعضهم بأس بعض، وأضاف السيّد رشيد جواباً آخر: "وهو أنّ الله تعالى لا يسلط عليهم عدوّاً من سوى

15

(1) تفسير الطبري/ [الأُنعام: 65] [305/9-306].

(2) ينظر: تفسير المنار، رضا/ [آل عمران: 122] [79/4]، [الأُنعام: 65] [362/7]، و[77/12].

(3) عن ثوبان رضي الله عنه. صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض/ رقم: 19-(2889)/ (1321/2).

أنفسهم يستبيح بيضتهم ما داموا مستمسكين بعروة الإيمان الوثقى، وقائمين بحقوقه، ومنها الأسباب التي وعدهم الله تعالى النصر ما داموا مستمسكين بها، وقد بينها لهم في كتابه". (1)

وأضاف السيّد رشيد معنى آخر للعذاب من فوق ومن تحت بناء على ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه من أنّ هذا العذاب فيمن يأتي بعد النبوة، (2) فأجاز أن يكون من معانيها الآلات الحربية المستخدمة اليوم من طائرات وألغام وغوّاصات -بالإضافة إلى الكوارث الطبيعية المعروفة قديماً- وأنذر من كون العذاب بها عقاباً على الظلم والفساد والفسوق أيضاً. (3) ولا مانع من هذا التفسير، فهو لا يخالف اللغة ولا السياق ولا العقل، والله أعلم.

5

-من دراسة مجالات العبرة المستمدة من قصص القرآن الكريم وأخباره وما عاجله من أحداث السيرة النبوية يتبيّن أنّها جاءت شاملة لجميع نواحي الحياة، كما يظهر تداخلها وترابط بعضها ببعض، فقصة خلق سيّدنا آدم عليه السلام على وجه الخصوص فيها من الدروس والعبر ما يتناول المجال العقدي والعلمي والاجتماعي والأخلاقي، فهي النموذج الأول للإنسانية على مرّ العصور، ثم قصص بني إسرائيل وما فيها من تنوّع في الفوائد والعبر، فقد قدّم القرآن من خلال أخباره منظومة متكاملة واضحة المعالم لضمان الحياة الإنسانية الأفضل إذا استحضرتها الأمم في مسيرة حياتها، وعرضت عليها ما يطراً من مسائل ومشاكل؛ ولكن بتعمّق وبصيرة ودراية تعمل على ربط المقدمات بنتائجها، والأفعال بمآلاتها، وبقراءة التاريخ وحوادثه بنفس الطريقة والروية الموصلة إلى الحلول المثلى.

10

15

(1) تفسير المنار، رضا/ [الأنعام:65] [364/7].

(2) الرواية الواردة عن ابن مسعود رضي الله عنه أنّه كان يصيح وهو في المجلس أو على المنبر: (ألا أيّها الناس، إنّّه نزل بكم، إنّ الله يقول: ﴿هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾، لو جاءكم عذاب من السماء لم يُبق منكم أحداً، ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، لو خسف بكم الأرض أهلككم ولم يُبق منكم أحداً، ﴿أَوْ يَلْسَنُكُمْ لِسَانًا وَيَذِينَكُمْ بِأَسْبَاسٍ﴾ [الأنعام:٦٥]، ألا إنّّه نزل بكم أسوأ (الثالث). تفسير الطبري/ [الأنعام:65] [297/9]، وتفسير ابن كثير/ [الأنعام:65] [276/3]. ويُفهم المعنى الذي أراده السيّد رشيد من خلال استخدام أسلوب الشرط عند ذكره العذاب من فوق ومن تحت، فعدم الهلاك دليل على عدم وقوع العذاب، في حين أنّه قرّر وقوع الثالث وهو التفرّق ووقع البأس.

(3) ينظر: تفسير المنار، رضا/ (78-77/12).

الخاتمة

النتائج والتوصيات

النتائج

1. تأثر الشيخ محمد عبده أيضاً بعصره من النواحي العلمية والاجتماعية والسياسية رغم محاولته الابتعاد عن السياسة، وناله منها النفي والسجن، وكانت أبرز آثاره السياسية أيام شيخه الأفغاني، وإقحامه في الثورة العربية، وفي مقالاته في العروة الوثقى، وتحلّى أثره العلمي في إصلاح الأزهر ومشيخته، ودروسه المتنوعة في مصر وخارجها، وأبرزها دروس التفسير.

5

2. تأثر السيد رشيد بعصره، ويظهر ذلك من متابعته للأحداث السياسية والاجتماعية والعلمية، وهجرته من بلاده بحثاً عن بيئة حرة يبدأ منها مشروعه الإصلاحي، وما طاله من أذى في ماله وأهله، وهذه طبيعة العمل الصحفي الإصلاحي، وبالمقابل كان مؤثراً فاعلاً على الصعد جميعها، من خلال حضور المؤتمرات السياسية والعلمية، وبناء المدارس وإنشاء الجمعيات، ونشر المقالات في مجلة المنار وغيرها للنقد والتفنيد والتوعية، ولا يتحرج من تغيير رأيه ليتبع ما قامت الأدلة لديه على صحته، وقد ظهر هذا الأثر المتبادل بين السيد رشيد وعصره في تفسير المنار ومجلة المنار.

10

3. امتازت مؤلفات السيد رشيد رضا بأنها جاءت ملبية لمتطلبات عصره الدينية والاجتماعية، خادمة لمشروعه الإصلاحي.

4. توسّع صاحب المنار في التماس العبر من التاريخ الإنساني، فتناول تاريخ ما قبل الإسلام، وعصر التنزيل، والقرون الإسلامية المتتالية إلى العصر الحديث، بتطبيق آيات القرآن الكريم ومصائر الأمم الأولى على الأخيرة، مما يجعل التاريخ الإنساني مختبر تجارب مزوداً بالخطوات العملية الواضحة الموصلة إلى النتائج المطلوبة، مع تحذيرات لما ينقض تلك النتائج.

15

5. اقتصاد تفسير المنار في الأخذ بالإسرائيليات، وتشديده في شروط قبولها، مع عنايته الشديدة بمناقشتها، ومن ثم لا يمكن اعتبارها مورداً أساسياً من موارد العبرة.

20

6. ظهور ملامح المنهج الهدائي التي خطها السيد رشيد في مقدمة التفسير، والتي قعدها العلماء في مناهج المفسرين واتجاهاتهم فيما بعد، وبروز ذلك في تفسيره للقصص القرآني وأخبار الأمم السابقة، وأخبار الدعوة الإسلامية، قاصداً الاستفادة من دروسها، وربط المقدمات بالنتائج، غير مقتصر على بيان الأحداث، ولا متكلف في الترتيب الزمني للأخبار، وفي ذلك خدمة للمشروع الإصلاحي الذي نذر

الشيخان عبده ورضا عمرهما له.

7. شغلت العبر التاريخية في تفسير السيد رشيد مكاناً أوسع من تفسير الشيخ محمد عبده، وإن كان الشيخ رائداً فيها ومشكلاً لنواتها، ويرجع ذلك لعدة أسباب؛ أولها: اهتمام السيد رشيد بالسياسة وإعراض شيخه عنها، وثانيها: تعليق السيد رشيد على كلام شيخه وبسطه له، وتأييده بالأمثلة الواقعية، وثالثها: طبيعة السور المفسرة، فالقصص القرآني يكثر في النصف الثاني من التفسير الذي كتبه السيد رشيد.

5

8. تلمس العبر التاريخية في الغالب في خاتمة المقطع المراد تفسيره أو مقدّمته عند الإشارة إلى مناسبتها، والأكثر في الخاتمة إذ اعتاد السيد رشيد أن يتوجّه إلى القارئ بعرض العبر من الآية والحث على تفعيلها في حياة الفرد والأمة بعد الفراغ من تفسيرها، وهو الأسلوب القرآني في عرض العبر، فغالباً ما تكون خلاصة القصّة لاحقة لها، وقد يتدبّر بها تشويقاً، وقد يعقد السيد رشيد فصولاً مستقلة في تفصيل العبر، ثم يعود إليها في خلاصة السورة، وقد يضيفها تعليقاً بعد تفسير الشيخ محمد عبده للآية.

10

9. الشيخان عبده ورضا ليسا مؤرخين بالمعنى الاصطلاحي للكلمة؛ ولكنهما في الوقت نفسه لايستلمان لكل ما تأتي به كتب التاريخ، فسعة اطلاعهما عليها وعلى الأديان والكتب المقدسة جعلت لدهما قدرة نقدية يرححان بها بين الروايات التاريخية، فلا يقبلان كل خبر.

10. اعتماد العبرة التاريخية على القياس، فحوادث التاريخ الثابتة أصل، وأعمال الأمم أسباب وعلل، وعواقب أعمالها هي أحكام الله المطردة عليها، وأما ما يطرأ من حوادث ففروع يمكن قياسها على تلك الأصول لمعرفة الأحكام المناسبة، والتنبؤ بما قد تقول إليه تلك الأحداث.

15

11. قيام العبر التاريخية على صدق الأخبار أولاً، لتكون مرتكزة على أرض من الحقيقة والوقوع الفعلي، فلا معنى للاعتبار بأقاصيص أسطورية تخيلت عقول كاتبها مقدماتها وتناجها، أو أخبار مكدوبة، ثم على سنن الله تعالى في الأمم والمجتمعات بوصفها (مطرودة حاكمة ثابتة)، فلا يمكن الاعتبار -أيضاً- بنتائج متبدلة بتبدل الأشخاص أو الأماكن أو الأزمان، لا يقطع بتحقيقها إذا تحققت مقدماتها بدقة، ثم على قاعدة (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب).

20

12. الاستفادة من تفسير القرآن بالقرآن، لاستكمال الصورة، والإحاطة بمعالم القصّة القرآنية، وكان لذلك فائدة خاصة في تفسير المنار، باستحضاره كثيراً من الآيات على امتداد القرآن الكريم، وبذلك تتعدّى فوائد المنار القسم المفسر إلى غيره من آيات القرآن الكريم.

25

13. كثرة الافتراءات على تفسير المنار، وتحميلها مسؤولية كثير من الأفكار العصرية المنحرفة، والسبب في ذلك أنها جاءت بجديد غير مألوف، أخطأت في بعضه وأصاب في بعض، فاستسهل بعض الكتاب نسبة كل جديد إليها، سواء أكان صحيحاً أم سقيماً، عن حسن نية أو إساءة ظن.

14. لا تقتصر قيمة التاريخ عند شيخي المنار على تسخير عبر الماضي لإصلاح الحاضر؛ بل هو وسيلة هامة لدفع الشبه عن الدين، وإثبات صلاحيته للبشرية جمعاء، وذلك بالربط بين صلاح الدين وصلاح الأمة على جميع الأصعدة، مما يمهّد للأمة طريق استعادة كرامتها، وإعلاء هويتها بين الأمم، ثم نشره بينها بمعرفة طبائع أهلها وتاريخها وأخلاقها، والاستعانة على فهم كثير من الآيات، سواء منها ما يتعلق بالأخبار والقصص، أم ما يتعلق بتاريخ التشريع.

15. ضرورة الاطلاع على معطيات العصر والاندماج في المجتمع، ومواكبة الأحداث السياسية الإسلامية والعالمية، لربط القصص القرآني بالواقع، وتطبيق عبرها عليه استكمالاً للفائدة.

16. لا يمكن عدّ التاريخ مصدراً أساسياً من مصادر التفسير، لما يعتري أخباره من الضعف والوضع؛ ولكن يمكن الاستئناس بما لا يخالف القرآن، والعقيدة والعقل السليمين، فالقرآن القطعي الثبوت حاكم مهيم على التاريخ الذي تغلب عليه الظنية، لا العكس، فلا يعاب على القرآن مخالفته لروايات التاريخ ونصوص الكتب المقدسة، فخير هو الصحيح، وأخبار تلك الكتب هي موضع التهمة والتشكيك.

17. سبق القرآن الكريم إلى المنهج الذي توصل إليه المؤرخون في العصر الحديث من إعراض عن الجزئيات التي لا تزيد الحقيقة وضوحاً، ولا تأتي بفائدة عملية، والاهتمام بمعنى الحدث التاريخي ومضمونه أكثر من ترتيب الأحداث واستقصاء الروايات إلا بقدر الضرورة.

18. استفادة السيد رشيد من الوعي التاريخي عند ابن خلدون في استنتاج العبر التاريخية من خلال النتائج والقواعد الاجتماعية والعمرائية التي توصل إليها عن طريق تحليل التاريخ تعليلاً اجتماعياً، واعتبار هذه النتائج والقواعد نواة لتطوير علم الاجتماع والارتقاء به، فالعلوم في تطور مستمر، ولا يمكن التوقف عند شخصيات أو عصور أو مذاهب علمية معينة.

19. مزج تفسير المنار بين الأسلوب العقلاني المنطقي، والأسلوب الوجداني الأدبي، متأثراً بالطبيعة الإصلاحية الصحفية التي اتسم بها الشيخان عبده ورضا، وبرزت هذه السمة عند السيد رشيد أكثر من شيخه، وفائدة هذا المزج مخاطبة العقل والقلب معاً، وإيصال المعنى إلى الفئات المجتمعية كافة، العامة منها والخاصة.

20. لا بدّ لاستخراج العبر التاريخية القرآنيّة وتفعيلها من مؤسّسة متكاملة، أفرادها علماء متخصصون بالقرآن الكريم وعلومه، ويعلم الأخلاق والاجتماع والتاريخ، بالإضافة إلى علوم أخرى داعمة، كعلم النفس واللغات وغيرها، تحت رعاية من أهل الحلّ والعقد لحماية هذا العمل وضمان استمراريّته.

21. إنّ قواعد تفسير المنار وخطوطه العامّة في استنباط العبر التي كشف عنها هذا البحث لم تكن مطّردة اطرّاداً تامّاً في جميع المواطن؛ ولكن تمّ استنباطها من مجموع تلك المواطن التي استقراها البحث مجتمعة، كلّ موضع حسب مقامه ومقتضياته، إلّا أنّها كانت واضحة في مواضع عدّة، ممّا كشف عن الوعي السننيّ والتاريخيّ للمفسّرين، وتطبيقهما لهذين الوعيين على الواقع.

22. الأهميّة البالغة لزمن البعثة وأخبار الصحابة ﷺ وعلاقتهم بمن جاورهم من أهل الكتاب والمنافقين كمورد غزير للعبر التاريخيّة، فهي المرحلة المثاليّة والنموذج الأمثل لانبعاث الأمم، وتبدّل الأحوال، ومعرفة أسباب التقدّم والسيادة، وتتميّز مرحلة ما بعد وفاة النبيّ ﷺ بالاعتماد على الأسباب الماديّة والروحيّة بعيداً عن المعجزات وخوارق العادات، أمّا ميزة العصر الحديث فتكمن فيما حواه من أحداث سياسيّة متسارعة أثّرت سلباً على دين الأُمّة وديناها ونواحي حياتها كلّها، فمنها تعرف أسباب التخلف والتبعيّة.

23. ربط شيخي المنار عبر القرآن الكريم التاريخيّة بواقعهما المعاصر، وتوظيف هذه العبر في علاج قضايا الأُمّة.

24. تأصيل قاعدة أن الوفاء بالعهود واتّقاء نقضها، واتّقاء جميع الخطايا هو الذي يقرب العبد من ربّه، لا الأنساب ولا الجنسيّات، وأنّ خيانة العهود ونقض المواثيق مهلكة للأمم.

25. وظّف تفسير المنار العبر التاريخيّة للدفاع عن القضية الفلسطينيّة، وبيان عداة اليهود للأُمّة الإسلاميّة، كما وظّفها في فضح مخطّطات الاستعمار الأوروبيّ وتشويهه لصورة الإسلام.

26. وظّف تفسير المنار العبر المتعلّقة بالعلم والتعليم في بيان الواقع المؤلم للدعاة، وتصحيح مسارهم ليكونوا قدوة وأصحاب حجاج وعلم وصير، لا يكتمون العلم، وكذلك بين حال طُلاب العلم اليوم، وعلاجه والنهوض بحالهم.

27. وظّف تفسير المنار العبر المتعلّقة بالجانب الحضاريّ في معالجة الظلم بأنواعه والاستبداد والفساد في الأرض والإسراف والترف.

28. وسّع تفسير المنار معنى تكافل الأُمّة، والمسؤوليّة الجمعيّة، فلا تقتصر فيه على أبناء العصر

الواحد؛ بل يجعل الأمة مسؤولة عما قام به سلفها، متأثرة به إصلاحاً أو إنكاراً أو اتباعاً وتأسيماً.

29. لا تستعيد الأمة استقلالها ومكانتها بين الأمم إلا إذا آمن أهل الدنيا بإلهية السنن الحاكمة في الأمم والمجتمعات، فيعودوا إلى الدين والإيمان، وآمن أهل الدين بنجاعة العمل والأخذ بالأسباب، وترك التواكل والاستسلام.

30. تداخل مجالات العبرة وارتباطها ببعضها فلا يمكن الفصل بينها، فهي متكاملة بتكامل نواحي الحياة الإنسانية.

5

التوصيات

ما زال تفسير المنار بحاجة إلى مزيد من الدراسة، لما يتميز به من تنوع بالآراء، وجرأة في التجديد، وذلك في معظم النواحي العلمية، من فقه وعقيدة وتفسير ونواحٍ إصلاحية وغيرها، ولما كان له من تأثير فيما كتب بعد من تفاسير، فرغم الدراسات الكثيرة حوله، إلا أنها متباعدة في نتائجها، ولا مانع من ذلك ما دام الباحث منصفاً باحثاً عن الحق، ملتزماً قاعدة المنار الذهبية: [نتعاون فيما نتفق عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما نختلف فيه] وذلك محدود فيما محله الاجتهاد والنظر فقط.

10

من ذلك دراسة الانتصار للقرآن الكريم في تفسير المنار، وقواعد التفسير في تفسير المنار ومعالجتها، والسياق وأثره في الترجيح في تفسير المنار

15



الفهارس

فهرس المصادر

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

فهرس الآثار

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس الطرق الصوفية

فهرس المصطلحات المعرف بها

فهرس الأحداث والاتفاقيات والجمعيات السياسية المعرف بها

فهر الأماكن والكليات والمدارس

فهرس الكتب والدوريات الواردة في المتن

فهرس المحتويات

الفهارس

فهرس المصادر

1. أبجد العلوم، صديق بن حسن القنوجي ت 1307، تحقيق: عبد الجبار زكار، وزارة الثقافة والإرشاد القومي - دمشق/ 1978م، ودار الكتب العلمية - بيروت.
2. اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، د. محمد إبراهيم شريف، دار السلام-القاهرة، ط 1/ (1429هـ/2008م).
3. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، أ.د. فهد الرومي، مؤسسه الرسالة-بيروت، ط 3/ (1418هـ/1997م).
4. إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري ت 840هـ، تحقيق: ياسر ابن إبراهيم، دار الوطن - الرياض، ط 1/ (1420هـ/1999م).
5. إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة، تحقيق: محمد حجّي، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط 1/ (1417هـ/1997م).
6. إتيقان البرهان في علوم القرآن، د. فضل حسن عباس، دار النفائس - الأردن، ط 2/ (1430هـ/2010م).
7. أدب الكتاب، أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ت 335هـ، تحقيق: محمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية - القاهرة، د.ط، د.ت.
8. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي ت 982هـ، دار إحياء التراث العربي-بيروت، د.ط، د.ت.
9. الأزهر تاريخه وتطوره، وزارة الأوقاف وشؤون الأزهر-مصر، تقديم: د. محمد البهي، د.ط/ (1383هـ/1964م).
10. الأستاذ الإمام محمد عبده، عبد المنعم حمادة، مطبعة الاستقامة-مصر، د.ط، د.ت.
11. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، د. محمد محمد أبو شهبه، مكتبة السنّة-القاهرة، ط 4/ 1408هـ.
12. الإسلام دين العلم والمدنيّة، محمد عبده، تحقيق: د. عاطف العراقي، دار قباء-القاهرة، د.ط/ 1889م.
13. أعلام الأدب والفن، أدهم آل جندى، مطبعة الاتحاد - دمشق، د.ط/ 1958م.
14. الأعلام الشرقيّة في المئة الرابعة عشرة الهجرية، محمد زكي مجاهد، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط 1994/2م.
15. أعلام المكّيّين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري، عبد الله بن عبد الرحمن المعلمي، مؤسسه

- الفرقان للتراث الإسلامي - مركز موسوعة مكة، ط 1 / (1421هـ/2000م).
16. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين-بيروت، ط 15 / 2002م.
17. الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، محمد بن عبد الرحمن شمس الدين السخاوي ت 902هـ، مطبعة الترقّي-دمشق، د.ط / 1349هـ.
18. الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، تحقيق: د. محمد عمارة، دار الشروق-بيروت، ط 1 / (1414هـ/1993م).
19. إقليم البحيرة صفحات مجيدة من الحضارة والثقافة والكفاح، محمد محمود زيتون، دار المعارف-مصر، د.ط / 1962م.
20. الأقوال القويمة في حكم النقل عن الكتب القديمة، أبو الحسن البقاعي ت 885هـ، تحقيق: أ.د. أحمد عبد الرحيم السايح وتوفيق علي وهبة، مكتبة جزيرة الورد - القاهرة، د.ط، د.ت.
21. اكتفاء القنوع بما هو مطبوع من أشهر التأليف العربية في المطابع الشرقية والغربية، إدورد فنديك، تصحيح: محمد علي الببلاوي، الهلال - مصر، د.ط / (1212هـ/1896م).
22. إكمال المعلم بفوائد مسلم، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي ت 544هـ، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء-المنصورة، ط 1 (1419هـ/1998م).
23. الإمام المراغي، أنور الجندي، دار المعارف - مصر، د.ط / 1952م.
24. الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين، د. محمد عمارة، دار الشروق-القاهرة، ط 2 / (1408هـ/1988م).
25. الإنسان والقرآن وجهاً لوجه (التفاسير القرآنية المعاصرة) قراءة في المنهج، حميدة النيفر، دار الفكر-دمشق، ط 1 / (1421هـ/2000م).
26. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي ت 691هـ، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي-بيروت، ط 1 / د.ت.
27. الأوائل، أبو هلال العسكري ت: نحو 395هـ، تحقيق: د. محمد السيد الوكيل، دار البشير-طنطا، ط 1 / (1408هـ/1987م).
28. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف ابن هشام ت 761هـ، ومعه عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية - بيروت، د.ط، د.ت.

29. الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن بن عمر جلال الدين القزويني ت 739هـ، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني - بيروت، ط 6/ (1405هـ/1985م).
30. بحث في مفهوم التاريخ ومنهجه، د. طريف الخالدي، دار الطليعة-بيروت، ط 1/1982م.
31. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، القاضي محمد بن علي الشوكاني ت 1250هـ، مطبعة السعادة - مصر، ط 1/1348هـ.
32. البرهان في علوم القرآن، الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، مكتبة التراث-القاهرة، ط 3 (1404هـ/1984م).
33. البصائر النصيرية في علم المنطق، عمر بن سهلان السهاوي ت 450هـ، تعليق: الشيخ محمد عبده، المطبعة الأميرية ببولاق - مصر، ط 1 (1316هـ/1898م).
34. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ت 817هـ، تحقيق: أ. محمد علي النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي-القاهرة، د.ط (1412هـ/1992م).
35. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ت 1205هـ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة حكومة الكويت، ط 2/ (1415هـ/1994م).
36. تاريخ آداب اللغة العربية جرجي زيدان، مؤسسة هنداوي - القاهرة، د.ط/2012م.
37. تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية والعليا، أحمد حسن الزيات، دار المعرفة - بيروت، د.ط/ (1413هـ/1993م).
38. تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، محمد رشيد رضا ت 1354هـ، دار الفضيلة-القاهرة، ط 2/ (1427هـ/2006م).
39. تاريخ التأريخ اتجاهات مدارس مناهج، وجيه كوثرائي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات - بيروت، ط 2/2013م.
40. تاريخ الحياة النيابية في مصر من عهد ساكن الجنان محمد علي باشا، محمد خليل صبحي، دار الكتب المصرية - القاهرة، 1939م.
41. تاريخ الشعوب الإسلامية الحديث والمعاصر، د. حسان حلاق، دار النهضة العربية-بيروت، ط 2000/1م.
42. تاريخ الصحافة الإسلامية، أنور الجندي، دار الأنصار - القاهرة، د.ت، د.ط.
43. تاريخ الصحافة العربية، الفيكت فيليب دي طيرازي، المطبعة الأمريكية-بيروت، الطبعة الأدبية، د.ط/ 1914م.
44. التاريخ العربي والمؤرخون دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، شاعر مصطفى، دار

- العلم للملايين-بيروت، ط 3/1983م.
45. التاريخ الكبير، الإمام محمد بن إسماعيل البخاريّ ت 256هـ، بمراقبة: د. محمد عبد المعيد خان، دار الكتب العلميّة - بيروت، د.ط، د.ت.
46. تاريخ سلاطين بني عثمان من أوّل نشأتهم حتّى الآن، حضرة عزتلو يوسف بك آصاف، مكتبة مدبولي _ القاهرة، ط 1 (1415هـ/1995م).
47. تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، د. فيليب حتي، ترجمة: د. جورج حداد وعبد الكريم رافق، دار الثقافة - بيروت، ط 3/ د.ت.
48. تاريخ طرابلس قديماً وحديثاً، سميح وجيه الزين، دار الأندلس-بيروت، د.ط، د.ت.
49. تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلّها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واردتها وأهلها، الإمام عليّ بن الحسن الشافعيّ المعروف بابن عساكر ت 571هـ، تحقيق: محبّ الدين عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر - بيروت، ط 1/ (1418هـ/1997م).
50. تاريخ مصر الحديث من الفتح الإسلاميّ إلى الآن مع فذلّكة في تاريخ مصر القديم، جرجي زيدان، مكتبة مدبولي - القاهرة، د.ط. 1999م.
51. تاريخ مصر من الفتح العثمانيّ إلى قبيل الوقت الحاضر، عمر الإسكندريّ وسليم حسن، مكتبة مدبولي - القاهرة، ط 2/ (1416هـ/1996م).
52. تاريخ مصر من محمد عليّ إلى العصر الحديث، محمد صبري، مكتبة مدبولي - القاهرة، ط 2/ (1417هـ/1996م).
53. تاريخ مؤسّسة شيوخ الإسلام في العهد العثمانيّ (828-1341هـ=1425-1922م)، أحمد صدقي شقيرات، دار الكنديّ - الأردن، ط 1/ (1423هـ/2002م).
54. التاريخ والمؤرّخون دراسة في علم التاريخ ماهيّته وموضوعاته ومذاهبه ومدارسه عند أهل الغرب وأعلام كلّ مدرسة وبحث في فلسفة التاريخ ومدخل إلى فقه التاريخ، د. حسين مؤنس، دار المعارف- القاهرة، د.ط/ 1984م.
55. تحرير تقريب التهذيب، د. بشار عوّاد معروف، شعيب الأرناؤوط، مؤسّسة الرسالة - بيروت، ط 1/ (1417هـ/1997م).
56. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ت 1393هـ، الدار التونسيّة للنشر-تونس، د.ط، 1984م.
57. تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر، أحمد تيمور باشا، دار الآفاق العربيّة _ القاهرة، ط 1/ (1421هـ/2001م).
58. تراجم علماء طرابلس، عبد الله حبيب نوفل، مطبعة الحضارة - طرابلس، د.ط/1929م.

59. تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، جرجي زيدان، كلمات عربيّة _ القاهرة، د.ط، د.ت.
60. تسريح الأبصار فيما يحتوي لبنان من الآثار، الأب هنري لامنس اليسوعي، دار الرائد اللبناني - لبنان، د.ط، د.ت.
61. تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي ت 745هـ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعليّ محمد معوض، دار الكتب العلميّة-بيروت، ط 1 / (1413هـ/1993م).
62. التفسير البسيط، أبو الحسن عليّ بن أحمد بن محمد الواحدي ت 468هـ، تحقيق: د. عبد العزيز آل سعود ود. تركي العتيبي. السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-الرياض، د.ط / 1430هـ.
63. تفسير الجلالين، محمد بن أحمد المحلّي ت 864هـ وعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت 911هـ، مكتبة الملاح - دمشق، د.ط / (1398هـ/1978م).
64. التفسير الحديث ترتيب السور حسب النزول، محمد عزّة درّوزة ت 1404هـ، دار الغرب الإسلامي-بيروت، ط 2 / (1421هـ/2000م).
65. تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، محمد رشيد رضا ت 1354هـ، دار الفكر - بيروت، ط 1 / (1427هـ/2007م).
66. تفسير القرآن الحكيم تفسير المنار، السيّد محمد رشيد رضا ت 1354هـ، دار المنار-القاهرة، ط 1/1338هـ.
67. تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم ت 327هـ، تحقيق: أسعد محمد الطيّب، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكّة، ط 1 / (1417هـ/1997م).
68. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير ت 774هـ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة - الرياض، ط 2 / (1420هـ/1999م).
69. تفسير القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولى، محمود شلتوت، دار الشروق-القاهرة، ط 1 / (1424هـ/2004م).
70. تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي ت 1371هـ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي-مصر، ط 1 / (1365هـ/1946م).
71. التفسير الموضوعي والفلسفة الاجتماعية في المدرسة القرآنيّة، باقر الصدر، الدار العالميّة-بيروت، ط 1 / (1409هـ/1989م).
72. تفسير جزء عمّ، محمد عبده، مطبعة مصر، ط 3/1341هـ.
73. تفسير سورة الفاتحة وستّ سور من خواتيم القرآن، محمد رشيد رضا، مطبعة المنار - القاهرة، ط 2/1367هـ.

74. تفسير سورة يوسف عليه السلام، السيّد محمد رشيد رضا ت 1354هـ، دار المنار - القاهرة، ط 1/ (1355هـ/1936م).
75. التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، د. فضل حسن عباس، دار النفائس - الأردن، ط 1/ (1437هـ/2016م).
76. التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة - القاهرة، ط 7/2000م.
77. التفسير ورجاله، محمد الفاضل بن عاشور ت 1390هـ، مجمع البحوث الإسلامية - الأزهر، د.ط، (1390هـ/1970م).
78. تفكير محمد رشيد رضا من خلال مجلة المنار، محمد صالح المراكشي، الدار التونسية للنشر - تونس، د.ط، د.ت.
79. التنبيه على حدوث التصحيف، حمزة بن الحسن الأصفهاني ت 360هـ، تحقيق: محمد أسعد طلس، دار صادر - بيروت، ط 2/ (1412هـ/1992م).
80. تهذيب الأسماء واللغات، محيي الدين بن شرف النووي ت 676هـ، دار الكتب العلمية - بيروت، د.ط، د.ت.
81. تهذيب التهذيب، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت 825هـ، تحقيق: إبراهيم الزبيق وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة - بيروت، د.ط، د.ت.
82. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الحافظ جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي ت 742هـ، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط 1/ (1413هـ/1992م).
83. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهر ت 370هـ، تحقيق: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ط، د.ت.
84. التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف بن المناوي ت 1031هـ، تحقيق: د. عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتاب - القاهرة، ط 1/ (1410هـ/1990م).
85. ثلاثة من أعلام الحرية جمال الدين الأفغاني/ محمد عبده/ سعد زغلول، قدري قلججي، دار الكاتب العربي - بيروت، د.ت، د.ط.
86. الثورة العربية الكبرى، مصطفى طلاس، دار طلاس - دمشق، ط 4/1987م.
87. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت 310هـ، تحقيق: عبد الله ابن عبد المحسن التركي، دار هجر - القاهرة، ط 1/ (1424هـ/2003م).
88. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ت 671هـ، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط 1/

(1427هـ/2006م).

89. جغرافية مصر، محمد أمين فكري، مطبعة وادي النيل المصرية، ط 1/1396هـ.
90. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ت 321هـ، تحقيق: د. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين-بيروت، ط 1/1987م.
91. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، السيّد أحمد الهاشمي، دار ابن خلدون-الإسكندرية، د.ط، د.ت.
92. حاشية الطحطاوي على مراقبي الفلاح شرح نور الإيضاح، أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي ت 1231هـ، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلميّة-بيروت، ط 1/ (1418هـ/1997م).
93. حاضر المصريين أو سرّ تأخرهم، محمد عمر، مطبعة المقتطف-مصر، د.ط/ (1320هـ/1902م).
94. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت 911هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة-القاهرة، ط 1/ (1387هـ/1967م).
95. حقيقة يهود الدونمة في تركيا وثائق جديدة، د. هدى درويش، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية - مصر، ط 1/ 2003م.
96. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق البيطار ت 1335هـ، تحقيق: محمد بحجة البيطار، دار صادر - بيروت، ط 2/ (1413هـ/1993م).
97. خطّ في الرمال بريطانيا وفرنسا، جيمس بار، ترجمة: سلافة الماغوط، دار الحكمة - لندن، ط 1/2015م.
98. خطط الشام، محمد كرد علي، مكتبة النوري - دمشق، ط 2، د.ت.
99. الخلافة، محمد رشيد رضا، مؤسسة هنداوي - القاهرة، د.ط/2013م.
100. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي ت 911هـ، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر - القاهرة، ط 1/ (1424هـ/2003م).
101. دراسات في مناهج المفسرين، د. إبراهيم عبد الرحمن خليفة، أمّة في مكّة (1399هـ/1979م).
102. دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد عبده ومحمد محمود الشنقيطي، دار الكتب العلميّة - بيروت، ط 1/ (1409هـ/1988م).
103. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ت 458هـ، دار الكتب العلميّة-بيروت، ط 1/ (1408هـ/1988م).
104. الدليل إلى المتون العلميّة، عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم، دار الصميعي - الرياض، ط 1/ (1420هـ/2000م).

105. الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، عليّ محمد محمد الصلابي، دار التوزيع والنشر الإسلامية - بورسعيد، ط 1 / (1421هـ/2001م).
106. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن خلدون ت 808هـ، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر-بيروت، د.ط / (1412هـ/2001م).
107. الذيل على طبقات الحنابلة، الحافظ عبد الرحمن بن أحمد بن رجب ت 794هـ، تحقيق: د. عبد الرحمن العثيمين، مكتبة العبيكان - الرياض، ط 1 / (1425هـ/2005م).
108. رائد الفكر المصري الإمام محمد عبده، د. عثمان أمين، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، د.ط، د.ت.
109. الربا والمعاملات في الإسلام، محمد رشيد رضا، دار النشر للجامعات - القاهرة، ط 1 / (1428هـ/2007م).
110. رسالة التوحيد، محمد عبده، تحقيق: د. محمد عمارة، دار الشروق - بيروت، ط 1 / (1414هـ/1994م).
111. رشيد رضا الإمام المجاهد، د. إبراهيم أحمد العدوي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر، د.ط، د.ت.
112. رشيد رضا المفسر، د. حسيب السامرائي، دار الرسالة - بغداد، د.ط / (1397هـ/1977م).
113. رشيد رضا صاحب المنار عصره وحياته ومصادر ثقافته، د. أحمد الشرباصي، مطابع الأهرام - قليوب، د.ط / (1389هـ/1970م).
114. رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، محمد بن عبد الله سلمان، مكتبة المعلا - الكويت، ط 1 / (1409هـ/1988م).
115. رفع الإصر عن قضاة مصر، أحمد بن عليّ ابن حجر العسقلاني ت 825هـ، تحقيق: د. عليّ محمد عمر، مكتبة الخانجي-القاهرة، ط 1 / (1418هـ/1998م).
116. روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي ت 1270هـ، تحقيق: عليّ عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1 / (1415هـ/1994م).
117. زعماء الإصلاح في العصر الحديث، أحمد أمين، دار الكتاب العربي-بيروت، د.ط، د.ت.
118. زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي - القاهرة، د.ط، د.ت.
119. السلطان عبد الحميد آخر السلاطين العثمانيين الكبار، د. محمد حرب، دار القلم - دمشق، ط 1 / (1410هـ/1990م).
120. سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ت 275هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار

- إحياء الكتب العربيّة-مصر، د.ط، د.ت.
121. السنّة والشيعة أو الوهابيّة والرافضة حقائق دينيّة تاريخيّة اجتماعيّة إصلاحيّة، محمّد رشيد رضا، دار المنار - القاهرة، ط 2 / (1366هـ/1947م).
122. سنن أبي داود، الحافظ سليمان بن الأشعث السجستانيّ ت 275هـ، تحقيق: محمّد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصريّة-بيروت، د.ط، د.ت.
123. سنن الترمذيّ، أبو عيسى محمّد بن عيسى بن سورة ت 297هـ، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبيّ-مصر، ط 2 / (1395هـ/1975م).
124. سنن الدارميّ، أبو محمّد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارميّ ت 255هـ، تحقيق: حسين سليم أسد الدارانيّ، دار المغني - الرياض، ط 1 / (1421هـ/2000م).
125. السنن الصغير، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقيّ ت 458هـ، تحقيق: د. عبد المعطي أمين قلعجيّ، دار الوفاء-المنصورة، ط 1 / (1410هـ/1989م).
126. السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقيّ ت 458هـ، وفي ذيله الجوهر النقيّ، علاء الدين بن عليّ ابن التركمانيّ، ت 745هـ، مجلس دائرة المعارف النظاميّة-الهند، ط 1 / 1344هـ.
127. السودان عبر القرون، د. محمّد مكّي شبيكه، دار الجليل-بيروت، ط 3 / (1411هـ/1991م).
128. السيّد رشيد رضا أو إحياء أربعين سنة، الأمير شكيب أرسلان، مطبعة ابن زيدون - دمشق، ط 1 / (1356هـ/1937م).
129. السيد محمّد رشيد رضا إصلاحاته الاجتماعيّة والدينيّة، محمّد أحمد درنيقة، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط 1 / (1406هـ/1986م).
130. سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة، عمر عبد الجبار، تهامة - جدّة، ط 3 / (1403هـ/1982م).
131. شبهات النصارى وحجج الإسلام، محمّد رشيد رضا، دار المنار - القاهرة، ط 2 / (1367هـ/1904م).
132. شجرة النور الزكيّة في طبقات المالكيّة، محمّد بن محمّد مخلوف، المطبعة السلفيّة - القاهرة، د.ط/ 1349هـ.
133. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، شهاب الدين عبد الحيّ بن أحمد الحنبليّ ابن العماد ت 1089هـ، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير - دمشق، ط 1 / (1408هـ/1988م).
134. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميريّ ت 375هـ، تحقيق: أ.د. حسين بن عبد الله العمري وأ. مطهر بن عليّ الإرياني، وأ.د. يوسف محمّد عبد الله، دار الفكر -

- دمشق، ط 1 / (1420هـ/1999م).
135. الشيخ حسين الجسر حياته وفكره، د. خالد زيادة، دار الإنشاء والصحافة والطباعة - طرابلس، ط 1 / (1402هـ/1982م).
136. الشيخ محمد عبده، أحمد الشايب، مطبعة المجلة الجديدة - مصر، د.ط / 1932م.
137. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل حماد الجوهري ت 393هـ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط 2 / (1399هـ/1979م).
138. صحيح ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ت 311هـ، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي - دمشق وبيروت، د.ط / (1400هـ/1980م).
139. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري ت 246هـ، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار القلم - دمشق، د.ط / (1402هـ/1982م).
140. صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ)، مسلم ابن الحجاج النيسابوري ت 261هـ، تحقيق: نظر محمد الفارابي، دار طيبة - الرياض، ط 1 / (1427هـ/2006م).
141. صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، محمد بيرم الخامس التونسي، دار صادر - بيروت، د.ط، د.ت.
142. صفوة البيان لمعاني القرآن، حسنين محمد مخلوف، الإمارات العربية المتحدة، ط 2 / (1402هـ/1982م).
143. صفوة العصر في تاريخ ورسوم مشاهير رجال مصر، زكي قهمي، مكتبة مدبولي - القاهرة، د.ط / 1995م.
144. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ت 902هـ، دار مكتبة الحياة - بيروت، د.ط، د.ت.
145. طبقات الحفاظ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت 911هـ، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 2 / (1414هـ/1994م).
146. طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر تقي الدين ابن قاضي شهبة الدمشقي ت 851هـ، تحقيق: د. عبد العليم خان، مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - الهند، ط 1 / (1399هـ/1979م).
147. الطبقات الكبير، محمد بن سعد بن منيع الزهري ت 230هـ، تحقيق: محمد علي عمر، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط 1 / (1421هـ/2001م).

148. طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي من علماء القرن 11هـ، تحقيق: سليمان بن صالح الخزبي، مكتبة العلوم والحكم-المدينة المنورة، ط 1/ (1417هـ/1997م).
149. طبقات المفسرين، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت 911هـ، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة-القاهرة، د. ط/ 1396هـ.
150. طبقات المفسرين، شمس الدين محمد بن أحمد الداودي ت 945هـ، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلميّة - بيروت، ط 1/ (1403هـ/1983م).
151. طبقات علماء الحديث، محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي الصالحي ت 744هـ، تحقيق: أكرم البوشي وإبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة - دمشق، د.ط، د.ت.
152. الطرق الصوفيّة ومشايخها في طرابلس، د. محمد درنيقة، دار الإنشاء - طرابلس، ط 1/ 1984م.
153. عبقرى الإصلاح والتعليم الأستاذ الإمام محمد عبده، عباس محمود العقّاد، مكتبة مصر للطباعة، ط 2، د.ت.
154. العثمانيون في التاريخ والحضارة، د. محمد حرب، المركز المصري للدراسات العثمانيّة - القاهرة، د.ط/ (1414هـ/1994م).
155. العجائب في بيان الأسباب، أحمد بن علّ ابن حجر العسقلاني ت 852هـ، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي-السعودية، ط 1/ (1418هـ/1997م).
156. العروة الوثقى، جمال الدين الأفغانيّ ومحمد عبدو، إعداد: سيّد هادي خسروشاهي، مكتبة الشروق الدولية-القاهرة، ط 1/ (1423هـ/2002م).
157. عقيدة الصلب والفداء، محمد رشيد رضا، دار المنار-القاهرة د.ط، د.ت.
158. عمدة التفاسير عن الحافظ ابن كثير، أحمد شاكر، دار الوفاء - المنصورة، ط 2/ (1426هـ/2005م).
159. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ معجم لغويّ لألفاظ القرآن الكريم، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم السمين الحلبيّ ت 756هـ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميّة-بيروت، ط 1/ (1417هـ/1996م).
160. عهدي مذكرات عباس حلمي الثاني خديو مصر الأخير ت 1363هـ، ترجمة: د. جلال يحيى، دار الشروق - القاهرة، ط 1/ (1413هـ/1993م).
161. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيديّ ت 175هـ، تحقيق: د. مهديّ المخزوميّ ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت.
162. الفاخر، أبو طالب الفضل بن سلمة بن عاصم ت 291هـ، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، دار إحياء

الكتب العربيّة-مصر، ط 1/1380هـ.

163. فتاوى الإمام محمد عبده، د. عليّ جمعة، الجمعية الخيريّة الإسلاميّة، د.ط، د.ت.
164. فتح الباري بشرح صحيح البخاريّ، الحافظ أحمد بن عليّ بن حجر العسقلانيّ ت 852هـ، تحقيق: نظر محمد الفارياي، دار طيبة - الرياض، ط 1/ (1426هـ/2005م).
165. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن عليّ بن محمد الشوكانيّ ت 1250هـ، تحقيق: يوسف الغوش، دار المعرفة - بيروت، ط 4/ (1428هـ/2007م).
166. الفتح المبين في طبقات الأصوليين، عبد الله مصطفى المراغي، طباعة: عبد الحميد أحمد حنفيّ - مصر، ط 1، د.ت.
167. فجر الإسلام، أحمد أمين، دار الكتاب العربيّ - لبنان، ط 10/ 1969م.
168. الفروق اللغويّة، أبو هلال العسكريّ ت: نحو 395هـ، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة- القاهرة، د.ط، د.ت.
169. فقه السيرة النبويّة مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر-دمشق، ط 10/ (1411هـ/1991م).
170. الفكر الدينيّ في مواجهة العصر دراسة تحليليّة لأتجاهات التفسير في العصر الحديث، د. عفت محمد الشرقاوي، دار العودة-بيروت، د.ط، د.ت.
171. الفنّ القصصيّ في القرآن الكريم، محمد أحمد خلف الله، شرح: خليل عبد الكريم، سينا للنشر - القاهرة، ط 4/ 1999م.
172. فهرس مكتبة المنار لأصحابها رضا وخطيب وقتلان عن سنة (1332هـ/1914م)، بإدارة عبد الفتّاح قتلان، مطبعة المنار - القاهرة.
173. في التعريب والمعرّب (حاشية ابن بريّ على كتاب المعرّب لابن الجواليقي)، عبد الله بن بريّ ت 944هـ، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط 1/ (1405هـ/1985م).
174. في الشعر الجاهليّ، د. طه حسين، مطبعة دار الكتب المصريّة - القاهرة، ط 1/ (1344هـ/1926م).
175. القاموس الجغرافيّ للبلاد المصريّة من عهد القدماء المصريّين إلى سنة 1945، محمد رمزي، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، د.ط/ 1994م.
176. القاموس السياسيّ، أحمد عطية الله، دار النهضة العربيّة-القاهرة، ط 3/ 1968م.
177. قاموس المصطلحات الصوفيّة دراسة تراثيّة مع شرح اصطلاحات أهل الصفاء من كلام خاتم الأولياء، أيمن حمديّ، دار قباء-القاهرة، د.ط/ 2000م.
178. القبائل الكرديّة في الإمبراطوريّة العثمانيّة، مارك سايكس، ترجمة أ.د. خليل عليّ مراد، تقديم: أ.د. عبد

- الفتّاح عليّ بوتاني، دار الزمان - دمشق، ط 2007/1.
179. القسطاس المستقيم الموازين الخمسة للمعرفة في القرآن، حجة الإسلام أبو حامد الغزاليّ ت 505هـ، تحقيق: محمود بيجو، المطبعة العلميّة-دمشق، د.ط/ (1413هـ/1993م).
180. القصص القرآنيّ إيجازاً ونفحاته، د. فضل حسن عبّاس، دار الفرقان-عمّان، ط 1/ (1047هـ/1987م).
181. القصص القرآنيّ في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصّة آدم ويوسف، عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة - بيروت، ط 2/ (1395هـ/1975م).
182. قضايا إنسانية في أعمال المفسرين، د. عفت محمد الشرقاوي، دار النهضة العربية-بيروت، ط 2/ 1980م.
183. الكامل في التاريخ، أبو الحسن محمد بن محمد الشيبانيّ ابن الأثير ت 630هـ، تحقيق: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلميّة-بيروت، ط 1/ (1407هـ/1987م).
184. كشاف القناع عن متن القناع، منصور بن يونس بن صلاح الدين البهوتيّ ت 1051هـ، دار الكتب العلميّة-بيروت، ط 1/ (1418هـ/1997م).
185. الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشريّ ت 538هـ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعليّ محمد معوّض، مكتبة العبيكان-الرياض، ط 1/ (1418هـ/1998م).
186. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، دار إحياء التراث العربيّ-بيروت، د.ط، د.ت.
187. كفاية الأخيار في حلّ غاية الاختصار، أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن بن حريز بن معلى الحسيني الحصنيّ، تقي الدين ت 829هـ، تحقيق: عليّ عبد الحميد بلطه جي ومحمد وهي سليمان/ دار الخير-دمشق، ط 1/ (412هـ/1994م).
188. كلمة في تعليل التاريخ، د. عمر فروخ، دار العلم للملايين-بيروت، ط 3/ (1397هـ/1977م).
189. الكلّيات معجم في المصطلحات والفروق اللغويّة، أبو البقاء أيّوب بن موسى الحسينيّ الكفويّ ت: ق 1094هـ، تحقيق: د. عدنان درويش ومحمد المصريّ، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط 2/ (1419هـ/1998م).
190. الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، نجم الدين محمد بن محمد الغزيّ ت 1061هـ، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلميّة - بيروت، ط 1/ (1418هـ/1997م).
191. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصريّ ت 711هـ، دار صادر-

- بيروت، د.ط، د.ت.
192. لمحات في التفسير الإسلامي للتاريخ، عبد الرحمن عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط 1/ (1414هـ/1994م).
193. ليالي سطوح، محمد حافظ إبراهيم، مؤسسة هنداوي - القاهرة، د.ط/ 2012م.
194. مباحث في علوم القرآن، مناع قطن، مكتبة وهبة-القاهرة، ط 11/ 2000م.
195. مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي ت 210هـ، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي - القاهرة، د.ط، د.ت.
196. مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، عبد الحميد بن باديس، دار البعث، ط 1/ (1402هـ/1982م).
197. مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد الميداني ت 518هـ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، د.ط/ (1374هـ/1955م).
198. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن علي بن أبي بكر الهيثمي ت 807هـ، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار الفكر - بيروت، د.ط/ (1414هـ/1994م).
199. مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً (المجمعين)، د. محمد مهدي علام، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية - القاهرة، د.ط/ (1386هـ/1966م).
200. محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي ت 1332هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - مصر، ط 1/ (1376هـ/1957م).
201. محاورات المصلح والمقلد، رشيد رضا، دار المنار - القاهرة، ط 1/ (1324هـ/1906م).
202. المحدثون في مصر والأزهر ودورهم في إحياء السنة النبوية الشريفة، أ.د. الحسيني عبد المجيد هاشم وأ.د. أحمد عمر هاشم، مكتبة غريب - القاهرة، د.ط، د.ت.
203. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ت 5465هـ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية-بيروت، ط 1/ (1422هـ/2001م).
204. محمد رشيد رضا ودوره في الحياة الفكرية والسياسية، د. أحمد فهد بركات الشوابكة، دار عمار - عمان، ط 1/ (1409هـ/1989م).
205. المذاهب الصوفية ومدارسها، عبد الحكيم عبد الغني قاسم، مكتبة مدبولي - القاهرة، ط 2/ 1999م.
206. مذكرات الزعيم أحمد عرابي كشف الستار عن سرّ الأسرار في النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية، تحقيق: د. عبد المنعم إبراهيم الجميعي، دار الكتب والوثائق القومية-القاهرة، (1425هـ/2005م).
207. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ت 405هـ، تحقيق: د.

- يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة - بيروت، د.ط/ (1406هـ/1986م).
208. المسلمون والقبط والمؤتمر المصري، رشيد رضا، دار المنار - القاهرة، ط 1/ (1329هـ/1911م).
209. مسند أبي يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المنثي التميمي ت 307هـ، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث-دمشق، ط 1/ (1406هـ/1986م).
210. مسند الإمام أحمد بن حنبل ت 241هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وسعيد اللحام، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط 1/ (1419هـ/1998م).
211. مشاهير علماء نجد وغيرهم، عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، دار اليمامة - الرياض، ط 2/ 1394هـ.
212. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، العلامة أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي ت 770هـ، تصحيح: حمزة فتح الله المفتش، المطبعة الأميرية-القاهرة، ط 5/ 1922م.
213. المصنف، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ت 235هـ، تحقيق: محمد عوامة، دار قرطبة-بيروت، ط 1/ (1427هـ/2006م).
214. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت 852هـ، تحقيق: أحمد بن محمد حميد، دار العاصمة - الرياض، ط 1/ (1420هـ/2000م).
215. مع المفسرين والكتاب، أحمد محمد جمال، دار الكتاب العربي - مصر، د.ط، د.ت.
216. معاني القرآن الكريم، الإمام أبو جعفر النحاس ت 338هـ، تحقيق: محمد علي الصابوني، مركز إحياء التراث العربي-مكة المكرمة، ط 1/ (1409هـ/1988م).
217. معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري ت 311هـ، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلي، عالم الكتاب - بيروت، ط 1/ (1408هـ/1988م).
218. معاني القرآن وإعرابه، الزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن السري ت 311هـ، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلي، عالم الكتب-بيروت، ط 1/ (1408هـ/1988م).
219. معاني القرآن، أبو زكرياء يحيى بن زياد الفراء ت 207هـ، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ط، د.ت.
220. المعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي-القاهرة، د.ط، د.ت.
221. معجم أعلام المورد، منير البعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، ط 1/ 1992م.
222. معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي الرومي ت 626هـ، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي-بيروت، ط 1/ 1993م.
223. معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادى ت 626هـ،

- دار صادر - بيروت، د.ط/ (1397هـ/1977م).
224. معجم التاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم، عليّ الرضا قره بلوط وأحمد طوران قره بلوط، دار العقبة - قيصري، د.ط، د.ت.
225. معجم الشيوخ المسمّى رياض الجنّة أو المدهش المطرب، عبد الحفيظ بن محمد الطاهر الفاسيّ ت 1383هـ، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دارا لكتب العلميّة - بيروت، ط 1/ (1424هـ/2003م).
226. معجم الفلاسفة، جورج طرايشي، دار الطليعة-بيروت، ط 3/2006م.
227. المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانيّ ت 360هـ، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية-القاهرة، ط 2/ (1404هـ/1983م).
228. معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب، مجديّ وهبة وكامل المهندس، مكتبة البيان - بيروت، ط 1984/2م.
229. معجم المطبوعات العربيّة والمعرّبة، يوسف اليان سركيس، مكتبة الثقافة الدينيّة-القاهرة، د.ط، د.ت.
230. معجم المفسّرين من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسّسة نويهض الثقافيّة، ط 3/ (1409هـ/1988م).
231. معجم المؤلّفين تراجم مصنّفي الكتب العربيّة، عمر رضا كحالة، مؤسّسة الرسالة-بيروت، ط 1/ (1414هـ/1993م).
232. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربيّة، مكتبة الشروق الدوليّة-مصر، ط 4/ (1425هـ/2004م).
233. معجم متن اللغة، أحمد رضا، دار مكتبة الحياة - بيروت، د.ط/ (1378هـ/1959م).
234. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريّا ت 395هـ، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، دار الفكر-دمشق، د.ط/ (1399هـ/1979م).
235. المعجم، أبو يعلى أحمد بن عليّ بن المثنّى الموصليّ ت 207هـ، تحقيق: إرشاد الحقّ الأثريّ، دار العلوم الأثرية-فيصل آباد، ط 1/1407هـ.
236. المعجم، أحمد بن محمد بن زياد ابن الأعرابي ت 340هـ، تحقيق: عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار ابن الجوزي-السعوديّة، ط 1/ (1418هـ/1997م).
237. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، الإمام محمد الرازيّ فخر الدين بن ضياء الدين عمر ت 604هـ، دار الفكر-بيروت، ط 1/ (1401هـ/1981م).
238. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهانيّ ت 502هـ، تحقيق: محمد سيّد كيلانيّ، دار المعرفة-بيروت، د.ط، د.ت.
239. مقامات بديع الزمان الهمدانيّ، ابو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى ت 398هـ، تحقيق: الشيخ محمد

- عبده، دار الكتب العلميّة - بيروت، ط 3 / (1426هـ/2005م).
240. مقدّمة في أصول التفسير، أحمد بن تيمية ت 728هـ، مكتبة الحياة - بيروت، د.ط/1980م.
241. من أعلام العصر، أسامة أحمد شاكر، بدون دار نشر، ط 1 / (1422هـ/2001م).
242. المنار والأزهر، السيّد محمد رشيد رضا، دار النشر للجامعات - القاهرة، ط 1 / (1428هـ/2007م).
243. مناسك الحجّ أحكامه وحجّاه، رشيد رضا، دار المنار - القاهرة، ط 3/1368هـ.
244. مناهج تحديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، أمين الخولي، دار المعرفة، ط 1 / 1961م.
245. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ بن محمد ابن الجوزي ت 597هـ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة-بيروت، ط 1 / (1412هـ/1992م).
246. المنهج الإصلاحيّ للإمام محمد عبده، د. محمد عمارة، مكتبة الإسكندرية - مصر، د.ط/2005.
247. منهج الإمام محمد عبده في تفسير القرآن الكريم، عبد الله محمود شحاتة، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعيّة-القاهرة، د.ط / (1382هـ/1963م).
248. منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، فهد بن عبد الرحمن الرومي، طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلميّة والإفتاء والدعوة والإرشاد-السعودية، ط 2 / (1420هـ/1983م).
249. الموافقات، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي ت 790هـ، تعليق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عقّان-الخبر، ط 1 / (1417هـ/1997م).
250. مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الخطّاب الرّعيني المالكي ت 954هـ، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلميّة-بيروت، ط 1 / (1416هـ/1995م).
251. موسوعة 1000 مدينة إسلاميّة، عبد الحكيم العفيفي، أوراق شرقية-بيروت، ط 1 / (1421هـ/2000م).
252. موسوعة أحداث وأعلام مصر والعالم، رؤوف سلامة موسى، دار المستقبل - الفجالة، ط 1 / 2002م.
253. موسوعة التاريخ الإسلاميّ والحضارة الإسلاميّة، د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة الإسلاميّة-القاهرة، ط 1986/7م.
254. الموسوعة التاريخيّة الجغرافيّة، مسعود الخوند، مؤسّسة هانياد - بيروت، د.ط، د.ت.
255. الموسوعة الحركيّة تراجم إسلاميّة من القرن الرابع عشر الهجريّ، إشراف فتحيّ يكن، دار البشير - عمّان، ط 2 / (1403هـ/1983م).
256. الموسوعة الصوفيّة أعلام الصوّف والمنكرين عليه والطرق الصوفيّة، د. عبد المنعم الحفني، دار الرشاد-القاهرة، ط 1 / (1412هـ/1992م).

257. الموسوعة الفلسطينية، رئيس التحرير: عبد الهادي هاشم، هيئة الموسوعة الفلسطينية - دمشق، ط 1/ 1984م.
258. موسوعة المدن العربيّة والإسلاميّة، د. يحيى الشاميّ، دار الفكر العربيّ-بيروت، ط 1/ 1993م.
259. نداء للجنس اللطيف حقوق النساء في الإسلام وحظّهن من الإصلاح المحمّديّ العام، محمّد رشيد رضا، تعلق: محمّد ناصر الدين الألبانيّ، المكتب الإسلاميّ - بيروت، د.ط/ (1404هـ/1984م).
260. نزهة النظر في توضيح نخبه الفكر، الحافظ شهاب الدين أحمد بن عليّ بن حجر ت 852هـ، تحقيق: د. نور الدين عتر، دار الصباح - دمشق، ط 3/ (1421هـ/2000م).
261. نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، عبد الحميد الفراهيّ ت 1349هـ، الدائرة الحميديّة - الهند، ط 2008/1م.
262. نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهّاب النويريّ ت 723هـ، تحقيق: د. عليّ بوملحم، دار الكتب العلميّة - بيروت، د.ط، د.ت.
263. النهضة الإسلاميّة في سير أعلامها المعاصرين، د. محمّد رجب البيومي، دار القلم - دمشق والدار الشاميّة - بيروت، ط 1/ (1415هـ/1995م).
264. الوحي المحمّديّ ثبوت النبوة بالقرآن ودعوة شعوب المدينة إلى الإسلام دين الأخوة الإنسانيّة والسلام، محمّد رشيد رضا، مؤسّسة عزّ الدين-بيروت، ط 3/ 1406هـ.
265. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن عليّ بن أحمد الواحديّ النيسابوريّ ت 468هـ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعليّ محمد معوّض وأحمد محمّد صيرة وغيرهم، دار الكتب العلميّة - بيروت، ط 1/ (1415هـ/1994م).
266. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن خلّكان ت 681هـ، تحقيق: د. إحسان عبّاس، دار صادر-بيروت، د.ط/ 1972م.
267. الوهابيّون والحجاز، محمّد رشيد رضا، دار المنار-القاهرة، ط 1/ 1344هـ.
268. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور عبد الملك الثعالبيّ النيسابوريّ ت 429هـ، تحقيق: د. مفيد محمّد قميحة، دار الكتب العلميّة-بيروت، ط 1/ (1403هـ/1983م).

رسائل جامعيّة:

269. الإصلاح السياسي عند مفسري القرآن الكريم في النصف الأول من القرن العشرين (رشيد رضا وطنطاوي جوهري نموذجًا)، حازم زكريّا محي الدين، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه-كلية معارف الوحي الإسلامي والعلوم الإنسانيّة، الجامعة الإسلاميّة-ماليزيا/ 2007م/ إشراف: د. محمّد بهاء الدين حسين.

270. مفهوم السنن الإلهية في الفكر الإسلامي السيد محمد رشيد رضا نموذجاً، حازم زكريّا محي الدين، رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية، كليّة الإمام الأوزاعي-بيروت/ 2002م، إشراف د. زكريّا المصريّ.
271. مناهج المفسّرين في بحث القصص القرآنيّ، زكريّا هاشم حبيب الخولي، أطروحة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية، جامعة القاهرة-كليّة دار العلوم/ (1425هـ/2005م)، إشراف: أ.د. محمد نبيل غنايم، وأ.د. محمد شفيع السيّد.
272. المنهج التربويّ عند محمد رشيد رضا في ضوء تفسير المنار-دراسة موضوعيّة، فاطمة الزهراء محمد زياد السلاخ، رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، كليّة الشريعة-جامعة دمشق/ (1443هـ/2022م)، إشراف: أ.د. عبد العزيز حاجي.

مجالات ومقالات:

273. د. نعمات أحمد فؤاد: محمد فؤاد عبد الباقي/ مجلّة العربيّ/ العدد 11 / (5/1388هـ)-(9/1968م).
274. مجلّة المنار، محمد رشيد رضا، مطبعة المنار-مصر، ط 1327/2هـ.
275. محمد رشيد رضا جهوده الإصلاحية ومنهجه العلميّ-بحوث الندوة العلميّة في جامعة آل البيت في المفرق (1420هـ/1999م)، تحرير: راند جميل عكاشة.
276. بحث عن فرانسوا جورج بيكو، جهاد محمد المنشاوي/ <https://onshr.nrme.net/detail1986711.html>

فهرس الآيات

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
1- سورة الفاتحة			
1	﴿صِرْطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾	7	157
2- سورة البقرة			
2	﴿يُخَذِّعُونَ اللَّهَ وَلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَذِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾	9	204
3	﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	23	175
4	﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾	30	214
5	﴿أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾	34	238
6	﴿يَبْنَئِ إِسْرِئَ ۖ إِلَّا أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾	40	132
7	﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَذَكَّرُونَ﴾	44	259، 216
8	﴿وَإِذْ بَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾	49	270، 131

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
9	﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾	59	234
10	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّانَ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	62	225
11	﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾	66	115
12	﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمُوهَا فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾	72	143
13	﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾	74	263
14	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾	84	270
15	﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾	85	229
16	﴿فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾	85	229
17	﴿وَقَالُوا أَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾	88	197

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
18	﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِيتٌ﴾	90	219
19	﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾	91	270
20	﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ^(٩٤) وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾	94-95	225
21	﴿وَلَنَجْذِثَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوَةٍ وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزَجِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾	96	250
22	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾	113	265
23	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	114	229، 133
24	﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنْ	120	191

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
	اللَّهُ مِنْ وَلِيِّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١﴾		
25	﴿وَإِذْ أَبْلَىٰ إِبرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿٢﴾﴾	124	137، 282
26	﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١﴾﴾	138	221
27	﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١﴾﴾	139	198
28	﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ ﴿١﴾﴾	143	277
29	﴿وَلَيْنَ اتَّيَتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَتَّبِعُوا قِيلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِيلَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَيْنَ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾﴾	145	200، 259
30	﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ	150	266

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
	لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَئِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٠﴾		
31	﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾	152	221
32	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾	159	260
33	﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾	171	90
34	﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾	177	243
35	﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾	177	245
36	﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾	213	131
37	﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾	214	189، 165
38	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾	219	193
39	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ	243	247، 295، 288

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
	حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴿...﴾		
40	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِإِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُنْقِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾	246	268، 137
41	﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾	247	268
42	﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا اللَّهَ كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾	249	248
43	﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾	251	288، 274
44	﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾	253	217
45	﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾	254	283
46	﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾	256	93
47	﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَائُهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ	257	266

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
	أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥٠﴾		
48	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾	258	266
49	﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾	260	262، 264
50	﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾﴾	269	292
51	﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾	270	247

3- سورة آل عمران

52	﴿كَذَّبَ آلُ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٣﴾﴾	11	295
53	﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأًى أَعْيُنٍ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَصَرَهُ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٥٤﴾﴾	13	111، 249
54	﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا	19	134، 138

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
	جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴿١١﴾		
55	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿١٢﴾﴾	22-21	292
56	﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ﴿١٣﴾﴾	26	268
57	﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ سَلَامٌ عَلَيْكَ وَرَافِعَكَ إِلَيَّ ﴿١٤﴾﴾	55	227
58	﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٥﴾﴾	57	227
59	﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿١٦﴾﴾	58	227
60	﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴿١٧﴾﴾	62	173
61	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴿١٨﴾﴾	64	27
62	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٩﴾﴾	65	265
63	﴿كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٢٠﴾﴾	67	265

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
64	﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّتِنَ سَبِيلٌ﴾	75	243
65	﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾	76	243
66	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	77	243
67	﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾	92	235
68	﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	93	251
69	﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾	96	176
70	﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	104	140، 193
71	﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	105	217
72	﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾	110	275
73	﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفَقُّوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ﴾	112	281

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
	وَحَبَّلَ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبَغَضٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦٧﴾		
74	﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿٦٨﴾﴾	113	275
75	﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٦٩﴾﴾	115	226
76	﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴿٧٠﴾﴾	128	190
77	﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٧١﴾﴾	137	2، 135، 145
78	﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٧٢﴾﴾	137	189
79	﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا ﴿٧٣﴾﴾	137	166
80	﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٧٤﴾﴾	138	139، 167
81	﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوُلْهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴿٧٥﴾﴾	140	92
82	﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَذَبَآ	145	245

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
	﴿مُؤَجَّلًا﴾		
83	﴿وَكَايْنٍ مِّن نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِيشُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾	146	246
84	﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾	147	246
85	﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾	159	205
86	﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَآتَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾	159	238
87	﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾	164	256
88	﴿أَوَلَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾	165	190
89	﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾	173	247
90	﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾	174	247
91	﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُون﴾	175	249
92	﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ	181	271، 272

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
	أَغْنِيَاءُ ﴿١﴾		
93	﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾	186	275
94	﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مُمْنًا قَلِيلًا فَيُحْسَبُ مَا يَشْتَرُونَ﴾	187	215، 260

4- سورة النساء

95	﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾	26	146
96	﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾	29	271
97	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾	43	110، 193
98	﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾	45	207
99	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُرَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يَظْلُمُونَ فَتِيلًا﴾	49	150، 201
100	﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ	54	241

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
	ءَاتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿١٠١﴾		
101	﴿فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِءِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾	55	241
102	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾	59	206، 236
103	﴿وَلَوْ أَنَا كُنْبَنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾	66	204
104	﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾	80	154
105	﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِءِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾	124-123	226
106	﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾	126	96
107	﴿إِنَّ الْمُتَفَقِّينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ	142	204

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
	اللَّهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١﴾		
108	﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾	153	271
109	﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾	157	82
110	﴿فِطْرِهِم مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّت لَّهُمْ وَبَصَدَّهُمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾	160	293

5- سورة المائدة

111	﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾	13	244
112	﴿فِيمَا نَقُصُّهُمْ مِّثْقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَةً﴾	13	244
113	﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِثْقَهُمْ فَسَوْا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾	14	244
114	﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾	15	261
115	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ ^٤ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ^٥ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾	18	276

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
116	﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا﴾ ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾	24	248
117	﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾	26	187
118	﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾	27	239، 235
119	﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ﴾	30	239
120	﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾	32	270، 271
121	﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ﴾	41	251
122	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾	57	199
123	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾	64	272
124	﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾	64	158
125	﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِّنَ	66	230

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
	رَبِّهِمْ لِأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٦﴾		
126	﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾	68	230
127	﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾	78	273
128	﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾	79	272، 260
129	﴿فَنَسِفُونَ﴾	81	273
130	﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيكَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾	82	199
131	﴿يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾	90	193
132	﴿يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن بُدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾	101	194
133	﴿يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن بُدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾	101	262
134	﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا﴾	102	194

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
	﴿كَفَرِينَ﴾		
135	﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾	102	263
136	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾	104	90
137	﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾	104	267

6- سورة الأنعام

138	﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّثَهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾	6	221
139	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالذِّينِ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾	11-10	165
140	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾	42	162، 220
141	﴿فَلَمَّا دُسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ	44	148، 221

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
	كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿١٣٨﴾		
142	﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾	65	297، 138
143	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَا زَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾	74	169
144	﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾	89	164
145	﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَيُهْدِيهِمْ أَقْدَرُ﴾	90	264
146	﴿لَا تُدْرِكُهُ ءَالْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ ءَالْأَبْصَارُ وَهُوَ	103	262
	اللطيفُ الخبيرُ﴾		
147	﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾	112	274
148	﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾	123	287
149	﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾	159	205، 217، 290

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
150	﴿وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَبَاءَ بِأَسْنَابَيْتَا أَوْ هُم قَائِلُونَ﴾	4	282
151	﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأُسْنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾	5	282
152	﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾	13	242
153	﴿وَبَنَّا ظُلُمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾	23	232
154	﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾	33	286، 295
155	﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾	34	154، 280، 286
156	﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾	52	89
157	﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَ تَكْذِيبُكُمْ بِآيَةِ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾	73	142
158	﴿قَدْ جَاءَ تَكْذِيبُكُمْ بِآيَةِ رَبِّكُمْ﴾	73	157

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
159	﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾	76	142
160	﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾	77	272
161	﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾	81	253
162	﴿أَنَاسٌ يَنْظَهُرُونَ﴾	82	253
163	﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَذِيبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾	84	254
164	﴿الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾	92	286
165	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَاسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاءُنَا الضَّرَاءُ وَالسَّرَاءُ فَأَخَذْنَاهُم بِغَنَةٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾	94-95	157، 148
166	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَاسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾	94	147، 162، 220
167	﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾	96	276
168	﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾	100	290

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
	يَسْمَعُونَ ﴿١٦٩﴾		
169	﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾	101	225
170	﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾	102	147
171	﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾	103	285
172	﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾	126	248
173	﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾	128	208
174	﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾	128	280
175	﴿قَالُوا أَوْزَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾	129	257
176	﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾	130	273
177	﴿وَأَوْزَيْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعِفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ	137	129

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
	كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٧٨﴾		
178	﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَدَرْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٧٩﴾﴾	137	285، 208
179	﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴿١٨٠﴾﴾	138	257
180	﴿قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظِرْ إِلَيْكَ ﴿١٨١﴾﴾	143	262
181	﴿قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ تَرِنِي ﴿١٨٢﴾﴾	143	265
182	﴿سُبْحَنَكَ بُنْتَ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨٣﴾﴾	143	262
183	﴿قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَاءً أَتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٤﴾﴾	144	261
184	﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٨٥﴾﴾	145	231
185	﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ	146	219

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
	﴿الْحَقِّ﴾		
186	﴿وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ ءَايَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾	146	219
187	﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾	146	219
188	﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾	146	219
189	﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَءَامَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	153	233
190	﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾	156-157	163
191	﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾	158	276
192	﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾	160	282
193	﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِيَّا رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَقُونَ﴾	164	269
194	﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾	165	234، 269

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
	يُعَذِّبُ بِعِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٩٥﴾		
195	﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	167	280
196	﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ﴾	169	291
197	﴿وَالَّذَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾	169	291
198	﴿مِثْلَهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثَ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾	176	260
199	﴿قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾	195	246

8- سورة الأنفال

200	﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ﴾	6	193
201	﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾	25	191، 298، 205
202	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	27	243
203	﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾	28	244

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
204	﴿وَمَا كَانُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانُ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾	33	234
205	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	45	195
206	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَسْزَعُوا فَنفَشُلُوا وَتَذْهَبَ رِجَالُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِشَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾	47-45	249
207	﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾	46	196
208	﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِشَاءَ النَّاسِ﴾	47	238
209	﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	49	196
210	﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُعَيِّرُ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	53	280، 279
211	﴿وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾	58	245

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
212	﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾	60	197
213	﴿هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾	63-62	197
214	﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَادِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾	65	258
215	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يهاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنَ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يهاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِثْقٌ﴾	72	277
216	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾	73	278

9- سورة التوبة

217	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيُّرُ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾	30	211، 272
-----	---	----	----------

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
218	﴿أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾	69	224
219	﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾	70	224
220	﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾	71	240
221	﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَا وَدَّهَمُ جَهَنَّمَ وَيُسَّ الْمَصِيرُ﴾	73	203
222	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾	119	250

10- سورة يونس

223	﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾	13	294
224	﴿يَقَوْمِ إِنْ كُنْ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي إِيَّائِي اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا	71	222، 246

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
	يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٠٠﴾		
225	﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٠١﴾﴾	74	223
226	﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا ﴿١٠٢﴾﴾	89	235
227	﴿ءَاٰمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَاٰمَنْتُ بِهِ ؕ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٣﴾﴾	90	223
228	﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَاٰمَنَتْ فَفَنَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَاٰمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخَرْيِ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٠٤﴾﴾	98	224
229	﴿قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٥﴾﴾	101	116
230	﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَاجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٦﴾﴾	103	224

11- سورة هود

231	﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمِيعْكُمْ مِّنْعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ۖ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾	3	294
232	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَاتُوا بَعْشَرَ سُوْرِ مِّثْلِهِ ۚ﴾	13	160

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
	مُفْتَرِيَتٍ ﴿١٥﴾		
233	﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا الْتَارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾	16-15	257
234	﴿وَمَا زَكَاتُكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئَارِنَا بَادِي الرَّاْيِ وَمَا زَكَاةُ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾	27	240
235	﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَقَّوْا رَبِّهِمْ وَلَكِنَّكَ أَرَأَيْتَ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ (١٦) وَيَقَوْمٌ مَن يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾	30-29	240
236	﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾	49	175
237	﴿إِنَّ الْعَقَبَةَ لِلْمُنْفِقِينَ﴾	49	235
238	﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدَّكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾	52	234، 294
239	﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ﴾	55	246
240	﴿قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ	62	142، 267

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
	تَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿١٤٢﴾		
241	﴿وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾	64	142
242	﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾	65	227
243	﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾	69	238
244	﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾	75	283
245	﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾	76	217
246	﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾	78	238
247	﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾	83	291
248	﴿قَالُوا يَشْعِيبُ أَسْلَوْنَاكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾	87	267
249	﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَيْكُمْ عَنْهُ إِنِّي أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾	88	259
250	﴿وَيَقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ	89	151

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
	﴿مَنْكُمْ يَبْعِدُ﴾		
251	﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾	90	294
252	﴿وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ﴾	91	239
253	﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾	101	282
254	﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظِلْمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾	102	295، 282
255	﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾	103	226
256	﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوقِفُهُمْ نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾	109	227، 226
257	﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ كُلًّا لَمَّا لَيُوفِينَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾	111-110	231
258	﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾	112	235
259	﴿وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٣﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمْسَكُكُمْ النَّارُ﴾	113-112	238

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
260	﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَنَّهُوَتْ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾	116	284
261	﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾	116	289
262	﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾	117	284
263	﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلَئِنَّكَ خَلَقَهُمْ﴾	118-119	209، 291
264	﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾	120	173، 159

12- سورة يوسف

265	﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِلْسَّائِلِينَ﴾	7	114
266	﴿أَفْتُلُوكَ يَٰيُوسُفَ أَوْ اطَّرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَهُ أَيُّكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾	9	232
267	﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾	24	253
268	﴿قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾	26	162، 161
269	﴿ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ	50	252

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
	أَيَّدِيَهُنَّ ﴿١٠٠﴾		
270	﴿تَوْفَنِي مُسْلِمًا وَالْحَقَنِي بِالصَّالِحِينَ﴾	101	96
271	﴿لَقَدْ كُنَّا فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾	111	2

13- سورة الرعد

272	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾	11	293 ، 149
273	﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهَا كَذَلِكَ يُضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾	17	275

14- سورة إبراهيم

274	﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾	7	222
-----	--	---	-----

15- سورة الحجر

275	﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾	95	159
-----	---	----	-----

16- سورة النحل

276	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذًا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ	24	171
-----	--	----	-----

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
	الْأَوَّلِينَ ﴿١﴾		
277	﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾	25	172
278	﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾	65	116
279	﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۚ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾	66	113
280	﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾	103	142
281	﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّعُوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	119	233
282	﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	120	283
283	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾	125	292

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
---	-----------	-----	--------

17- سورة الإسراء

284	﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُثِرْتُمْ عُدْنَا﴾	8	280
285	﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾	15	297
286	﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾	16	289، 287
287	﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾	62	238
288	﴿إِذَا لَادَفْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾	75	148
289	﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾	77	224

18- سورة الكهف

290	﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾	13	173
-----	--	----	-----

20- سورة طه

291	﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾	82	280
292	﴿قَالَ أَهِيْطًا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً	124-123	277

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
	ضَنَكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١﴾		
293	﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِينَهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿٢﴾	128	291

21- سورة الأنبياء

294	﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١﴾	11	295
-----	--	----	-----

22- سورة الحج

295	﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صَوَامِعُ وَيَعٍ وَصَلَوَاتُ وَمَسْجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ﴿٤١﴾	41-40	274، 275 288
296	﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴿٤٢﴾	46	30، 166
297	﴿وَإِنْ يَسْأَلِبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٤٣﴾	73	198

23- سورة المؤمنون

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
298	﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيْنِي مَا يُوعَدُونَ﴾ (٩٣) رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿	94-93	298

24- سورة النور

299	﴿الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ بِرَبِّهِمْ يُولُفُ يَنْهَهُ، ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ، وَيُنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَاقِرُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ (٤٣) يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿	44-43	115
-----	---	-------	-----

25- سورة الفرقان

300	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ (٤) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿	6-4	160، 171
-----	---	-----	----------

26- سورة الشعراء

301	﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾	166	253
302	﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ (٢٠٨) ذِكْرِي وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿	209-208	115

27- سورة النمل

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
303	﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾	55	253

28- سورة القصص

304	﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ﴾	43	114
305	﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَبَلَكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ ٥٨ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾	59-58	297

29- سورة العنكبوت

306	﴿الْم ١﴾ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾	3-1	298
307	﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا ءَايَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾	35	114
308	﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا﴾	40	296
309	﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا	46	199، 198

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
	الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴿١٠﴾		

30- سورة الروم

310	﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظْلَمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾	9	166
311	﴿مُتَّبِعِينَ إِلَيْهِ وَأَتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَابًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾	32-31	218
312	﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾	47	129، 286

31- سورة لقمان

313	﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾	13	284
-----	------------------------------------	----	-----

32- سورة السجدة

314	﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾	26	291
-----	--	----	-----

33- سورة الأحزاب

315	﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾	38	148
-----	---	----	-----

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
---	-----------	-----	--------

34- سورة سبأ

316	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾	34	289
317	﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنَءَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾	37	289

35- سورة فاطر

318	﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾	28	92
319	﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾	43	148 ، 146

37- سورة الصافات

320	﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ لِمَنَّا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِن جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾	173-171	159
-----	---	---------	-----

38- سورة ص

321	﴿وَذِكْرَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾	43	115
-----	-----------------------------------	----	-----

40- سورة غافر

322	﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾	31-30	151
323	﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾	51	248

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
324	﴿سُتتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾	85	146

41- سورة فصلت

325	﴿لَا يَأْنِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾	42	168
326	﴿سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾	53	257

43- سورة الزخرف

327	﴿فَأَمَّا نَذَهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾	41	297
328	﴿أَوْ نُزِيلَنَّا الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ﴾ . من العذاب وأنت حي، ﴿فَأِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ﴾	42	297
329	﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾	56	115

47- سورة محمد

330	﴿إِن نُّصْرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُم﴾	7	129، 208، 276
-----	-------------------------------------	---	------------------

50- سورة ق

331	﴿تَبَصَّرَ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾	8	114
-----	---	---	-----

53- سورة النجم

332	﴿أَلَا نُنَزِّرُ وَازِرَةً وَذُرْأَىٰ ۖ ﴿٣٨﴾ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾	38-39	273
-----	---	-------	-----

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
---	-----------	-----	--------

54- سورة القمر

333	﴿ أَكْفَرْتُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَئِكَ أَمَلَكُمْ بَرَاءَةً فِي الزُّبُرِ ﴾	43	225
-----	--	----	-----

57- سورة الحديد

334	﴿ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ ﴾	25	292
-----	---	----	-----

58- سورة المجادلة

335	﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾	11	92
-----	---	----	----

59- سورة الحشر

336	﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴾	2	109، 113
-----	---	---	----------

60- سورة الممتحنة

337	﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾	4	264
-----	--	---	-----

61- سورة الصف

م	طرف الآية	رقم	الصفحة
338	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾	3-2	259

68- سورة القلم

339	﴿إِذَا تَلَّيَ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١﴾﴾	15	171
340	﴿فَلَا تَطْعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا لَوْ يُدَّهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾﴾ وَلَا تَطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ مِّمَّهِنَّ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَاجٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تَلَّيَ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِفُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ ﴿١٦﴾﴾	16-8	172

69- سورة الحاقة

341	﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١﴾﴾	12	115
-----	--	----	-----

71- سورة نوح

342	﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِيْ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾	12-10	234
-----	---	-------	-----

76- سورة الإنسان

343	﴿إِنَّمَا شَاكِرًا وَإِنَّمَا كَفُورًا ﴿١﴾﴾	3	125
-----	---	---	-----

96- سورة العلق

344	﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿١﴾﴾ ﴿أَن رَّآهُ اسْتَغْفَى ﴿٢﴾﴾	7-6	289
-----	---	-----	-----

فهرس الأحاديث

م	طرف الحديث	الصفحة
1	((إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ...))	250
2	((إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا...))	298
3	((إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ...))	272
4	((أَيُّ مُصِيبَةٍ أَشَدُّ مِنْ أَنْ أَرَى أُمَّتِي يُعَذِّبُ بَعْضُهَا بَعْضاً؟))	298
5	((برأيي يا حباب))	192
6	((بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ...))	169
7	((الْكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ، حَيْثُمَا وَجَدَهَا فَهِيَ أَحَقُّ بِهَا))	210
8	((كَيْفَ تَفْعَلُونَ بِمَنْ زَنَى مِنْكُمْ؟))	251
9	((لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجاً وَأَنْهَاراً...))	279
10	((لَتَتَّبَعَنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، شَبِراً بِشَبْرٍ...))	200
11	((الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، يَسْعَى بِدِمَتِهِمْ أَدْنَاهُمْ...))	240
12	((مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ...))	196
13	((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ...))	269
14	((وَأَهْلُهَا يُنْصَفُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً))	284
15	((يا فاطمة بنت محمد ﷺ سليني من مالي ما شئت...))	216
16	((يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا...))	279

فهرس الآثار

م	طرف الأثر	الصفحة
1	(﴿أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة: ٣٤] حسد عدو الله إبليس آدم ﷺ (...)	238
2	(ألا أيها الناس، إنه نزل بكم، إن الله يقول: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ (...)	299
3	(أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَهُ أَنْ يَتَعَلَّمَ كِتَابَ الْيَهُودِ)	194
4	(إِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ انْتَصَرُوا بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَىٰ بَاطِلِهِمْ، وَخُذِلْتُمْ بِتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ)	135
5	(أول ما نزل تحريم الخمر ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [سورة البقرة: ٢١٩] (...)	193
6	(فأمره الله بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان، وأذهب الرفق عنهم)	203
7	(فقام رسول ﷺ فتوضأ، فسأل ربه ألا يرسل عليهم عذاباً من فوقهم...) (	297
8	(وإن كنّا مع ذلك لنبلو عليه الكذب)	183

فهرس الأعلام

م	العلم	الصفحة
1	أحمد شاكّر	55
2	أحمد عرابي	26
3	أحمد مصطفى المراغيّ	35
4	الأشتر النخعيّ	40
5	أوغست كونت	122
6	بديع الزمان الهمذانيّ	40
7	البيضاويّ	111
8	توينبي	122
9	ابن تيميّة	80
10	جلال الدين الدوّاني	39
11	جمال الدين أفندي	31
12	جمال الدين الأفغانيّ	16
13	جورج بيكو	71
14	حسن الطويل	15
15	حسين الجسر	51
16	ابن خلدون	19
17	درويش خضر	14
18	الزّمخشري	233
19	السّخاويّ	118
20	سعد باشا زغلول	21
21	سعود بن عبد العزيز	86
22	الشّريف حسين	70

م	العلم	الصفحة
23	طاهر الجزائريّ	55
24	الطبريّ	111
25	طنطاوي جوهري	91
26	طه حسين	170
27	عبّاس حلميّ الثاني	18
28	عبد الحميد الثاني	28
29	عبد الرحمن عاصم	59
30	عبد الظاهر أبو السمح	54
31	عبد العزيز آل سعود	54
32	عبد الغنيّ الرافعيّ	49
33	عبد الله النديم	41
34	عبد الله بن إدريس السنوسيّ	55
35	عبد الملك بن مروان	206
36	الغزاليّ	85
37	فولتير	121
38	فيصل الأوّل	71
39	قاسم أمين	56
40	قتادة	112
41	ابن قدامة المقدسيّ	80
42	ابن كثير	56
43	كعب الأخبار	180
44	الكفويّ	109
45	اللورد كرومر	20

م	العلم	الصفحة
46	مارك سايكس	69
47	محمد أحمد المهدي	27
48	محمد أحمد خلف الله	170
49	محمد الشنقيطي	41
50	محمد القاوقجي	48
51	محمد المدني	14
52	محمد أمين الحسيني	58
53	محمد بن مصطفى الجسر	51
54	محمد بن مصطفى المراغي	34
55	محمد رشيد رضا	44
56	محمد شاکر	36
57	محمد عبد الرزاق حمزة	57
58	محمد عبد الله دراز	95
59	محمد عبده	10
60	محمد فريد وجدي	91
61	محمود شلتوت	95
62	محمود نشابة	48
63	المسعودي	120
64	مسكويه	121
65	مصطفى عبد الرازق	56
66	مصطفى كمال أتاتورك	67
67	هانوتو	42
68	هربرت سبنسر	211

الصفحة	العلم	م
121	هيفل	69
180	وهب بن منبه	70

فهرس الطرق الصوفية

الصفحة	الطريقة	م
52	الخلوتية	1
81	الرفاعية	2
15	السنوسية	3
14	الشاذلية	4
81	القادرية	5
45	النقشبندية	6

فهرس المصطلحات المعرّف بها

م	المصطلح	الصفحة
1	الأحاديث المسلسلة	48
2	أدب الرحلات	79
3	الاستطراد	163
4	الإسرائيليات	179
5	الإطناب	162
6	الالتفات	270
7	الإيجاز	162
8	براعة المطلع	144
9	براعة المقطع	144
10	التوكيد اللفظي	150
11	الخط المسند	13
12	المقامات	40

فهرس الأحداث والاتفاقيات والجمعيات السياسية المعرف بها

م	الحدث أو الاتفاقية أو الجمعية	الصفحة
13	جمعية الاتحاد والترقي	66
14	الحرب العالمية الأولى	61
15	سايكس-بيكو	70
16	الماسونية	207
17	وعد بلفور	58

فهرس الأماكن والبلدان

الصفحة	المكان	م
16	أسعدآباد	1
34	أم درمان	2
33	بَلِرم	3
36	جرجا	4
33	صِقْلِيَّة	5
11	طنطا	6
44	القلمون	7
33	كَلِيَّة غردون	8
75	لكهنؤ	9
32	المجر	10
60	مدرسة الدعوة والإرشاد	11
10	مديرية البحيرة	12
10	مديرية الغربية	13
36	مديرية القليوبية	14
34	مراغة	15
11	المسجد الأحمدي	16
15	المنوفية	17

فهرس الكتب والدوريات الواردة في المتن

م	الكتاب أو المجلة أو الجريدة	رقم الصفحة
1	البصائر النصيرية	39
2	جريدة الأهرام	23
3	جريدة الطائف	41
4	جريدة العروة الوثقى	24
5	جريدة الوقائع المصرية	23
6	جريدة ثمرات الفنون	23
7	جريدة طرابلس	52
8	مجلة المنار	63

فهرس المحتويات

أ.....	شكر وتقدير
ب.....	الإهداء
ج.....	مستخلص الرسالة
2.....	المقدمة
2.....	أ- أسئلة البحث وأهدافه:
3.....	ب- أهمية البحث، وأسباب اختياره:
4.....	ج- الدراسات المرجعية:
5.....	د- منهج البحث وإجراءاته:
5.....	هـ- مادة البحث:
5.....	و- تقسيمات البحث:
10.....	الفصل التمهيدي: التعريف بتفسير المنار ومؤلفيه
10.....	المبحث الأول: التعريف بالشيخ محمد عبده
10.....	المطلب الأول: اسمه ومولده
11.....	المطلب الثاني: نشأته العلميّة
14.....	المطلب الثالث: شيوخه
18.....	المطلب الرابع: حياته العمليّة
30.....	المطلب الخامس: أسفاره
34.....	المطلب السادس: تلامذته
37.....	المطلب السابع: مؤلفاته

43.....	المطلب الثامن: وفاته
44.....	المبحث الثاني: التعريف بالسيد محمد رشيد رضا
44.....	المطلب الأول: اسمه ومولده
45.....	المطلب الثاني: نشأته العلمية
48.....	المطلب الثالث: شيوخه
53.....	المطلب الرابع: تلاميذه
59.....	المطلب الخامس: حياته العملية
73.....	المطلب السادس: أسفاره
79.....	المطلب السابع: مؤلفاته
86.....	المطلب الثامن: وفاته
87.....	المبحث الثالث: التعريف بتفسير المنار
87.....	المطلب الأول: التعريف بالاتجاه الهدائي الاجتماعي
96.....	المطلب الثاني: قصة تأليف تفسير المنار وطريقته الإجمالية
98.....	المطلب الثالث: مصادر تفسير المنار
99.....	المطلب الرابع: منهج الشيخين عبده ورضا في تفسير المنار
105.....	المطلب الخامس: تقويم تفسير المنار
108	الفصل الأول: مفهوم العبرة التاريخية في القرآن الكريم في ضوء تفسير المنار وعلاقتها بالسنن الإلهية
108.....	المبحث الأول: معنى العبرة والتاريخ، ومرادفات العبرة وأنواعها في القرآن الكريم
108.....	المطلب الأول: معنى العبرة ومرادفات وأنها وأنواعها في القرآن الكريم
117.....	المطلب الثاني: معنى التاريخ في اللغة والاصطلاح

- المطلب الثالث: تفسير التاريخ بين المسلمين والغربيين..... 120
- المطلب الرابع: مفهوم العبرة التاريخية في القرآن الكريم في ضوء تفسير المنار 126
- المبحث الثاني: مكانة التاريخ، وحدود تأثيره في المعنى في تفسير المنار..... 131
- المطلب الأول: مكانة التاريخ عند الشيخين عبده ورضا..... 131
- المطلب الثاني: منهج القرآن الكريم في عرض التاريخ في ضوء تفسير المنار 136
- المطلب الثالث: شبهات حول دراسة التاريخ 139
- المبحث الثالث: ارتباط التاريخ بالسنن الإلهية في تفسير المنار، وتأثير الوعي السنني لدى ابن خلدون فيه 145
- المطلب الأول: ارتباط التاريخ بالسنن الإلهية في تفسير المنار 145
- المطلب الثاني: أثر الوعي السنني لدى ابن خلدون في تفسير المنار..... 152
- الفصل الثاني: موارد العبرة التاريخية في القرآن الكريم في ضوء تفسير المنار 156
- المبحث الأول: الاعتبار بأخبار الأمم السابقة وقصصها 156
- المطلب الأول: تأصيل طريقة القرآن الكريم في عرض العبر التاريخية من القصص القرآني. 156
- المطلب الثاني: العلاقة بين العبرة والحقيقة التاريخية 168
- المطلب الثالث: العلاقة بين العبرة والروايات الإسرائيلية 179
- المبحث الثاني: الاعتبار بالأخبار المتعلقة بالدعوة الإسلامية..... 188
- المطلب الأول: الاعتبار بأخبار عصر النبوة 188
- المطلب الثاني: الاعتبار بأحوال أهل الكتاب والمنافقين..... 197
- المطلب الثالث: الاعتبار بالتاريخ الإسلامي بعد عصر النبوة..... 204
- الفصل الثالث: مجالات العبرة التاريخية في القرآن الكريم في ضوء تفسير المنار 214
- المبحث الأول: توظيف العبر التاريخية في المجال العقدي والدعوي..... 214

المطلب الأول: توظيف العبرة في مجال تثبيت العقيدة والدعوة إلى الدين.....	214
المطلب الثاني: توظيف العبرة في مجال إقامة الكتاب والعودة إلى الشريعة.....	229
المبحث الثاني: توظيف العبر التاريخية في المجال الاجتماعي الأخلاقي.....	237
المطلب الأول: الحسد والكبر.....	238
المطلب الثاني: نقض العهود.....	242
المطلب الثالث: الصبر والشجاعة.....	245
المطلب الرابع: الصدق.....	250
المطلب الخامس: العفة.....	252
المبحث الثالث: توظيف العبر التاريخية في مجال التعلم والتعليم.....	256
المطلب الأول: مكانة العلم.....	256
المطلب الثاني: شروط المعلم.....	258
المطلب الثالث: شروط المتعلم.....	262
المطلب الرابع: أدب المناظرة.....	265
المبحث الرابع: توظيف العبر التاريخية في المجال الحضاري.....	268
المطلب الأول: تكافل الأمم ووحدها.....	268
المطلب الثاني: أسباب عزّة الأمم وأسباب زوالها.....	274
المطلب الثالث: الاعتبار بعاقبة الأمم في الدنيا.....	293
النتائج والتوصيات.....	301
النتائج.....	301
التوصيات.....	305

307	 الفهارس
307	 فهرس المصادر
326	 فهرس الآيات
369	 فهرس الأحاديث
370	 فهرس الآثار
371	 فهرس الأعلام
375	 فهرس الطرق الصوفيّة
376	 فهرس المصطلحات المعرّف بها
377	 فهرس الأحداث والاتّفاقيّات والجمعيات السياسيّة المعرّف بها
378	 فهرس الأماكن والبلدان
379	 فهرس الكتب والدوريّات الواردة في المتن
380	 فهرس المحتويات

The historical significance of the Quran, in the light of Almanar interpretation

Objective Study

Student: Ghofran Mohammad Ziad Alsallakh . Supervisor: Professor: Abdulaziz Hajee

Summary of the study

The study aims to define the general concept of the historical significance with the help of Almanar interpretation, and to respond to suspicions related to the historical information of the Holy Quran related to the scholars Muhammad Abdo and Muhammad Rasheed Ridha, and to associate the Holy Quran with the contemporary reality by comparing the present to the past, and to point out the references which the interpretation of Al-Manar used throughout history, and the issues it dealt with via Quranic narrations and information, and to achieve this goal, the research was divided into an introductory chapter and three chapters; The introductory chapter introduces al-Manar interpretation and its authors (Scholars Muhammad Abdo and Sayed Muhammad Rasheed Ridha), and the first chapter: the concept of the historical significance in the Holy Quran and Al-Manar interpretation, the second: the sources of the historical significance Al-Manar interpretation, and the third: the domains of the historical significance in the Holy Quran via Al-Manar interpretation, and one of the major findings of this study is the reliance of the historical significance in the Holy Quran on analogy and the clear presence of its application in Al-Manar interpretation by comparing the present situation of the nation to the Quranic narrations and information, and the significance in the Quran is based on the truthfulness of the information, since it's meaningless to consider legends with imaginary premise and conclusions, or false information manipulated by narrators, and Al-Manar interpretation benefited from Ibn Khaldun's thought in deriving significance through the rules of urbanization, sociology, and divine norms.

Keywords: Rashid Rida, Muhammad Abdo, interpretation of Al-Manar, historical lesson, Quranic stories, Quran news

Syrian Arab Republic

Ministry of Higher Education and scientific research

Damascus University

Faculty of Sharia

Department of Quran and Hadeeth Sciences



The historical significance of the Quran, in the light of Almanar interpretation

Objective Study

**A Thesis Submitted to complete the requirements of obtaining the
master's degree in Interpretion and Quran Sciences**

By

Ghofran Mohammad Ziad Alsallakh

Supervisor

Professor: Abdulaziz Hajee

1444 AH-2023 AD